التراث

إنباء الهصر بأنباء العصر

المؤلف

علي بن داود الجوهري الصيرفي

(ت: ٩٠٠هـ)

تحقيق وتقديم

د. حسن حبشي

أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي والوسيط بجامعة عين شمس



إنباء الهصر بأنباء العصر

للمؤرخ

على بن داود الجوهرى الصيرفى

(ت ٩٠٠هـ)

تحقيق وتقديم

د. حسن حبشى

أستاذ كرسى التاريخ الإسلامى
والوسيط بجامعة عين شمس

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٢

التراث

الهيئة المصرية العامة للكتاب

إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

مدير إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

مدير التحرير :

أيمن حمدى

سكرتير التحرير :

أميمة على أحمد

الغلاف :

جمال قطب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية من كتاب

إنباء الهَصر بأنباء العصر

صدرت الطبعة الأولى من هذه المخطوطة محققةً منذ أكثر من ثلاثين سنة، لقِيت قبولاً طيباً عند دارسي فترة القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) من علماء التاريخ فى مصر والعالم العربى ومن المستشرقين. وكان لإقبال هؤلاء جميعاً أثر فى نفاذ تلك الطبعة مما حفّز الصديق الكريم الأستاذ سعيد عبدالفتاح إلى إعادة نشر الكتاب بعد تصحيح ما قد يكون فى الطبعة الأولى من مآخذ. وما العصمة إلا لله وحده.

فشكراً له وللسيدة أميمة على أحمد على ما بذلا من جهد فى إخراج هذا التحقيق على هذه الصورة.

وإننى لأرجو أن يجد القارئ فى هذه الطبعة الجديدة ما يفيده فى البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

مارس ٢٠٠١

حسن حبشى

فهرست

إنباء الهصر بأنباء العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تتناول هذه المخطوطة فترة يعتورها كثير من الفوضى ويغشى تاريخ مصر إبانها ضباب الأحداث بسبب قلة المصادر التى بين أيدينا عنها ، ففى أعقاب هذه الفترة بالذات وفى أقل من نصف قرن من الزمان تخرج مصر من نطاق الدولة الحاكمة المستقلة ذات السيادة الخارجية والداخلية إلى نطاق الدولة المحكومة الخاضعة لآل عثمان ، فتفقد استقلالها الداخلى ونشاطها السياسى فى الصعيد الدولى وإن لم يفقد أهلها روحهم وطبيعتهم ولم تتلاش الشخصية المصرية التى ظلت عَلَى طول المدى وتحت شتى الظروف وفى حالات النصر والنكسة على السواء هى هى دون أن يطرأ عليها تغيير أو اضمحلال ، والتى ستتجلى فى أيام الحكم العثمانى ذاته زمن الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على وما بعده فَتُبْقِى على وجه مصر العربى الإسلامى .

وربما كانت هذه النقلة الدامية من الاستقلال إلى الاحتلال ومن الحرية إلى التبعية كامنة بدرجة كبرى إذ ذاك - أعنى فى الوقت الذى تجرى إبانه أحداث هذه المخطوطة وما بعده - فى أحوال البلد الإدارية وظروفه الاقتصادية أكثر مما هى آتية من الخارج رغم بدء ظهور القوى الأوربية والاستعمارية ومحاولتها السيطرة على شواطىء أفريقية الشرقية واتجاهها إلى الهند والخليج العربى ، ذلك أن التنظيمات الإدارية التى كانت قوية من قبل فى أكثر الأحيان اعتورها بعدئذ الوهن ودب فيها الانحلال ، كما أن النظم الحربية

التى ألفناها طوال القرون للملوكية حتى عصر جقمق تقريباً : أعنى منتصف القرن التاسع الهجرى (أى الخامس عشر الميلادى) أقول لم تعد هذه النظم مرعية من جانب الحكام والسلاطين ، وليس أدل على ذلك مما يسوقه ابن الصيرفى فى مخطوطته هذه - وهو شاهد عيان لتلك الأحداث كلها - من الإشارة أكثر من مرة إلى ما يمكن أن نطلق عليه « نظام الاستبدال » فى الجيش ، فالجندى الذى يستطيع دفع قدر معين من المال للسلطان يعفى من أداء الخدمة الحربية لا فى أيام السلم فحسب . بل وحين تكون البلاد فى حرب مع عدو خارجى يهدد هيبتها ؛ ومن أمثلة هذا أن الحرب التى شنها شاه سوار كانت مثار تعب لمصر ولم يكن ثم جيش نظامى قادر تستطيع البلاد الاعتماد عليه ، فعمد السلطان قايتباى إلى إحضار ثلاثة أقواس متفاوتة الصلابة وجلس ونودى إليه عَلَى المنزلين عنده بديوان المماليك وراح هو ذاته يختبرهم بإعطاء كل واحد منهم قوساً « فإن جذبه كتبه فى الحال إلى تجريدة شاه سوار وإن لم يجذبه أمره بحمل مائة دينار للخزائن الشريفة ليقوم بها عنه بديلا للتجريدة ؛ هذا مع أن المفروض أن تكون هناك قوة دائمية أو ما يعبر عنها بالجيش النظامى لمواجهة مثل هذا الخطر أو الأخطار حتى وإن تعددت فى وقت واحد. كما أنه لم تعد ثمت تدريبات مستمرة لهذه القوات الحربية ، ولذلك فإنه حين يصبح لا مندوحة عن الحرب يعمد السلطان إلى اختبار الجند واختيار أقواهم ويرسلهم للحظته لمواجهة العدو ، وهذا سر تحرك القوى الصغيرة على أطراف المملكة وكذلك نواب الحكم فى الولايات وعدم خشية أحدهم من رادع حربى ، ولا شك أن هذا كله مهد الطريق وعبّده أمام القوة العثمانية التى كانت آخذة فى التوسع والامتداد .

* * *

وإذا خلينا القوة الحربية جانباً ألفينا الظلم الاجتماعي ممثلا بصورة بشعة لايجدى إزاءها اعتذار ابن الصيرفى بعدم معرفة السلطان إياه وجهله به لا تجاهلا له ولا تهويناً من أمره ، ثم هذه المحاولة العقيمة من جانب المؤلف فى الدفاع عن قايتباى وتبرئة ساحته وإلقائه اللوم على من حوله بحجة عدم إيقافهم إياه على ماينزل بالشعب من الظلم والكوارث والمصادرات والسجن وغير ذلك من شرور الطغاة . يريد بذلك تبرئة ساحته أمام القارىء والتاريخ ، كيلا يلومه أحدهما أو كلاهما فيما بعد .

وهذا دفاع أعرج مبتور عن تهاون مسئول هو راعى الرعية شرعاً ووضعاً :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة   أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

على أن محاولة ابن الصيرفى الدفاع عن السلطان تشير فى حد ذاتها إلى أن هناك طغمة من كبار شخصيات الدولة لم يكن يعنيها إلا مصلحتها فأثرت بعد متربة ، وغنيت بعد إملاق وتنفذت بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولكنها مازالت تطلب الزيادة فى الثروة والجاه حتى عن غير الطريق الشرعى .

ولم يكن المسئولون خلال هذه الفترة المتأخرة من تاريخ مصر المملوكية بالذين يراعون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فنظرُ الدولة فى سنة ٨٧٣ هـ كان « بيد شخص عامى لحّام زفورى » ولم يكن هناك مايؤهله لهذا المنصب الداخلى الخطير سوى قرابته من مقدم الدولة حينذاك، ولم يستطع ابن الصيرفى أن يجد مبررا لهذا التدهور الخطير فى إيكال المناصب لغير مستحقيها ، بل إنه هو ذاته ينكر مثل هذا الأمر المعيب فيعلق عليه بقوله :

« والجنسية علة الضيم[1] ». وهى عبارة قصيرة موجزة لكنها عميقة المعنى ، أصاب بها الكاتب محز الحقيقة و كبد الواقع ودل على موضع الداء .

و كذلك الحال حين سيقت وظيفة كاتب المماليك السلطانية إلى واحد اسمه عبد الكريم ابن جلود « وهو يومئذ أمرد لا نبات بعارضه » وإنما أهله لذلك عند السلطان مكانة أبيه لديه حتى وفاته[2] .

على أن هيبة الحاكم قد ضعفت بصورة ملحوظة نتيجة لهذه الأمور وأمثالها ، فقد حدث أن هزم العسكر السلطانى الذى خرج تجريدةً لشاه سوار فلم يتريث رجاله حتى يَرِدَ عليهم مرسوم قايتباى بما يراه ويقتضيه الصالح العام من البقاء حيث هم أو السفر إلى الشام ، بل نراهم - صغيرهم وكبيرهم - قافلين إلى مصر ، « وكان حضورهم بغير إذن السلطان وفى خفية منه وصاروا يقيمون بدورهم إلى أن تكامل حضورهم ، فسكت قايتباى على مضض[3] » .

ولم يعد ثم من يعبأ بالأوامر حتى إن السلطان كان شديد الاهتمام بحفر خليج السد ووكل ذلك إلى اثنين من كبار الأمراء فلما نهضا إلى جمع المماليك لهذا العمل « امتنعوا عن ذلك ووقعت بينهم مخاصمات وضرب . . . حتى أصيب بعض الأمراء بضربة فى وجهه فشجته فى جبينه حتى سال الدم على وجهه » .

وترتب على هذا أن فقدت السلطنة مكانتها المحترمة فى نفوس المماليك والأهالى ، واستبد أولو الأمر وأصحاب الوظائف الكبرى بكل ما فى البلد من خيرات ، وزادت الجامكيات بلا مبرر ، وقل الدخل العام ، ولم يعد فى قدرة

(١) إنباء الهصر ، ص ٦ .
(٢) إنباء الهصر ص ٨ .
(٣) إنباء الهصر ص ٨ .

السلطان الوفاء بالمرتبات مما أزعجه غاية الإزعاج « وأخذ يدعو على نفسه ويتبرم من السلطنة ويصرح بالخلع ويقول : عجزت عن دفع هذا المال وحمله لأربابه فى كل شهر » .

* * *

كذلك لم تمض الأحكام وفق نظام أو نظم معينة ، وكان من المفروض فيها أن تكون سارية على القاعدة الشرعية ، بل استبد أصحاب النفوذ بطبقات المجتمع ، ويشير المؤلف إلى صورة من صور الفساد الذى استشرى حين تولى أحدهم حسبة القاهرة ، فكان هذا الشخص « فى غاية الشماخة والترفع من أن يقف على سوق أو وزان أو بياع . . . بل يحضر أعوانه له بمن لا يعطونهم المعلوم المعهود عندهم فيضربه ... وأحكامه بالبخت والنصيب[1] » وأصبحت الأوقاف نهباً لذوى السلطة « وأكلها المباشرون[2] » ؛ ولقد ترتب على ذلك كله ظهور فئة استغلت الطبقات الشعبية ووظائفها السلطانية وأثرت من ورائها بغير حق ، ويقول الصيرفى فى معرض كلامه عن أحد المحتسبين[3] : « إن رسله الذين من جهته صار كل واحد منهم بأقمشة حرير والصوف العال الغالى والبغال الخاصة المزينة والعبيد والجوارى الذين فى الخدمة ، والنفقات التى ينفقها كل يوم من لحوم وأعسال ودقيق وغير ذلك ، بعد أن كان الواحد منهم لا يملك غير قميص أو ملوطة » .

هذه أمثلة مما تضمنه هذا الكتاب ، الذى يصور ذلك العصر أجلى تصوير ، وربما كانت بساطة ابن الصيرفى هى التى دعته ـ عن غير قصد ـ إلى رسم تلك

---

(1) انباء الهصر ص ٤٢ .
(٢) انباء الهصر ص ١٤١
(٣) انباء الهصر ص ٢٠٤

الصورة ، هذا على الرغم من أنه كان شديد التعصب للسلطان وللمقر الزينى ابن مزهر الأنصارى .

* * *

أما المؤلف فهو على بن داود بن إبراهيم الخطيب الجوهرى المعروف بالصيرفى عند البعض وبابن الصيرفى عند البعض الآخر ، فقد كان أبوه صيرفى الدولة وديوان المفرد فى فترات متقطعة من عهد المؤيد شيخ وبرسباى ثم للسنوات الأخيرة من عهد زمن السلطان جقمق حتى مات سنة ٨٥٣ هـ ، ولسنا نعرف الكثير عن الأب مما قد يساعد على إلقاء ضوء على الظروف التى نشأ فيها الإبن سواء أكانت هذه الظروف اقتصادية « أم عائلية » وإن رجح الظن بأن هذه الأسرة لم تكن موفورة الثراء أو من كبار الأسر المصرية ذات الجاه والنفوذ ، على أن لفظ « الصيرفى » أصبح لقباً للأب ولقباً للإبن .

وكان الإبن يتكسب فى بعض الأحيان بسوق الجوهريين بالقاهرة ، وغير بعيد أن يكون أبوه ـ هو الآخر ـ قد احترف هذه المهنة إبان الفترات التى كان يصرف فيها عن وظيفة الصيرفة فى ديوان المفرد ، ومن ثم اكتسب هذا اللقب ـ وأعنى به « الجوهرى » ـ حتى أصبح يعرف به هو وابنه .

وإذا كنا نكاد نجهل حياة الأب فإنه ليس بين أيدينا من المصادر ما نستطيع منه تكوين صورة واضحة المعالم والزوايا عن حياة الإبن على بن داود إذ ليس له من التراجم سوى ما ساقه السخاوى[1] فى كتاب الضوء اللامع من ترجمة قصيرة وقد امتلأت سطورها رغم قلتها بالنقد المرير : طبيعة ركبت فى السخاوى فلم ينج من هجوه وقدحه أحد من معاصريه – باستثناء شيخه ابن حجر العسقلانى

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٥/٢٣٨ .

مما حمل السيوطى على نعته « بالمؤرخ الجارح » ، وهو نعت يحمل من المعانى ما تترجم عنه كتابات السخاوى ،ويقول عنه فى ترجمته إياه : « أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره وأغرق منه عمله ، وسلق فيه أعراض الناس ، وملأه بمساوىء الخلق و كل ما رموا به إن صدقاً وإن كذباً »[1] ، ولو وضعنا هذه الاعتبارات فى ذهننا لكان لنا أن نأخذ ترجمة السخاوى لعلى ابن داود ونقده له بكثير من الحذر، ولسنا نعرف علة سخط صاحب الضوء عليه إلا إذا فسرناها بغيرته منه لصحبته لشيخهما ابن حجر ، فالمعروف أن « الجوهرى » قرأ عليه شرحه للنخبة وكذا ديوان خطبه ، هذا بالإضافة إلى ملازمته لمجالس إملائه، على أنه من الأمور الهامة فى هذه الناحية ـ وأعنى بها صحبته للعسقلانى ـ أن « ابن حجر صلى خلفه بجامع الظاهر» ، ولا مشاحة فى أن هذا للموقف من ابن حجر تجاه الجوهرى قد رفع من مكانة الأخير فى أعين الطلاب والفقهاء ورجال العلم إذ ذاك ، وكان خير تزكية من« أمير المؤمنين فى الحديث وشيخ الإسلام ابن حجر» ، وإذ لم يكن فى استطاعة السخاوى إنكار صلاة ابن حجر خلف الصيرفى فقد عقب عليها بقوله : « إن ذلك عظم على كثيرين » وهى عبارة تصور ـ على قصرها ـ مكانة ابن حجر من ناحية ومبلغ كراهية السخاوى بل وازدراءه للجوهرى من ناحية أخرى.

ولكن إذا لم يكن بين أيدينا سوى هذه الترجمة السخاوية فكيف يتسنى لنا إذن أن نصور الجوهرى صورة تكاد تقترب من الحقيقة ؟

الواقع أننا نعتمد فى هذا أيضا على السخاوى ، ثم على نتف مبعثرة فى ثنايا كتابَىْ ابن الصيرفى وهما « إنباء الهصر بأبناء العصر » و« نزهة النفوس والأبدان » وإذا كان الفضل ما شهدت به الأعداء وجرت به أقلام الخصوم وأجراه الله على ألسنتهم فإن صاحب الضوء قد ألم بالكتب التى قرأها الخطيب الجوهرى

(١) السيوطى ، نظم العقيان ، ص ١٥٢ .

وببعض الشيوخ الذين تردد عليهم وحضر مجالس إملائهم وطالع مؤلفاتهم وأجازوا له قراءتها ؛ ونستدل من ثبت ماقرأه أنه حفظ بعض الكتب فى النحو كالألفية والخزرجية ، ثم جود فى القراءات على الزراتيتى الذى كان « شيخ القراءة فى عصره دون منازع » ، وليس من شك فى أن الجوهرى سار على نهج كتّاب عصره وطلاب المعرفة والعلم إذ ذاك فعنى بدراسة أصول الدين ، وحسبنا أن نذكر من بين أساتذته فى هذا الفن الأقصرائى إمام السلطان الأشرف برسباى مما يشرف به برسباى ، فقد سمع الأمين الأقصرائى هذا على شيوخ عصره فى مكة والقاهرة ومصر ، كما ضرب بسهم وافر فى جملة من العلوم النقلية والعقلية كالنحو والأصلين والتفسير والمعانى والبيان والمنطق والأصول ، كما أن معجم شيوخه حافل بالمئات ممن نبه بهم القرن الثامن فى ختامه وكذلك القرن التاسع فى نصفه الأول ، ويصفه أحد المؤرخين بقوله : « إنه انثال عليه الفضلاء من كل مذهب فأخذوا عنه وارتحل الناس إلى لقياه . . . وقصد بالفتاوى فى النوازل الكبار وغيرها ، ونفع الله به فى ذلك كله . . . وبالجملة فقل أن ترى العيون فى مجموعه مثله ، وللناس فيه جمال » . كما وصفه صاحب نظم العقيان بقوله « انتهت إليه رياسة الحنفية فى عصره مع الدين المتين والصلاح المفرط . . . والقيام فى نصرة الدين وإبطال المظالم ومراجعة الملوك ، وهم يعظمونه ويقبلون قوله » .

على يد الأمين أبى زكريا الأقصرائى هذا درس الجوهرى وأجازه الشيخ وأثنى عليه ، وليس الأقصرائى بالرجل الذى يرتجى الجدوى من تلميذه حتى يكون متهما ، وإنما كان له من علمه ودينه وورعه وخلقه وعمق دراسته ماينزه معه عن أن يكون فى تزكيته لابن الصيرفى راجيا رفدا ، وإنما هو رجل قد رأى غير الجوهرى من طلاب التاريخ قد بالغوا كل المبالغة فى الثناء على أنفسهم

وراحوا ينكرون على من سواهم أن يكون ذا قدم راسخ فيه ، ورآى هو فى الجوهرى رجلا قد تنوعت معارفه وقراءاته فأكبر هذه الناحية فيه ورشحه ليكون فى طليعة من أسهموا فى هذا المجال ، ولكن السخاوى تجاهل ذلك كله فى الشيخ الأقصرائى وعرّض بالجوهرى ، ولدينا نص صريح هو تقريظ بخط الأقصرائى ذاته ، فقد علق على الجزء الثانى من نزهة النفوس والأبدان الذى وضعه ابن الصيرفى فى سيرة الرسول الكريم فقال إنه « نظرفى هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد منه ، وشكر مؤلفه حيث أنبأ ماعملته يداه بالاجتهاد مافيه نفع لكافة العباد ، جعله الله زاداً لمعاده ، ونشر علمه فى بلاده ؛ من أقل عباد الله حرما ، وأعظمهم جرما : يحيى بن محمد الأقصرائى الحنفى ، عامله الله بلطفه الوفى الخفى ، حامداً ومصليا ومسلما ، وختم له وللمؤلف وللمسلمين بخير فى عافية بلا محنة » ويستفاد صراحة من كتابات الجوهرى أنه كان كثير الملازمة للكافيجى : محمد بن سليمان بن داود الرومى الحنفى ، شديد الإعجاب به ، وهو إعجاب التلميذ المقدر لأستاذه البارع ، وربما تجلى هذا الإكبار فى أروع صوره فيما دونه عنه من إشارات وردت فى ثنايا كتابه « إنباء الهصر بأبناء العصر » ، فما ترك الصيرفى اسم الكافيجى يمر دون أن يشيد به ويقدمه على من سواه ، وإذا كان ابن حجر قد ملأ الأسماع فى النصف الأول من القرن التاسع للهجرة فقد شغل الكافيجى مايدانى هذه المنزلة فى النصف الثانى منه ، فكانا شيخى العصر وإن اختلف ميدان كل منهما عن الآخر بعض الشىء ، على أنهما تشابها فى ميدان الفقه والتاريخ .

والكافيجى نسبة إلى كافية ابن الحاجب لمداومته النظر فيها وقراءتها وإقرائها ، ودفعه حب العلم إلى الرحلة من أجله ، وكان قدومه إلى مصر زمن الأشرف برسباى ولقى ترحابا من علمائها وفقهائها كالبساطى وابن حجر والبدر

وأثنى على ابن الصيرفى من رفاقه : عبد الرحمن بن يحيى السيرامى الحنفى المعروف بسيف السيرامى، القاهرى المولد والنشأة والتربية ، وهو إن لم يكن فى منزلة أبيه إلا أن ملازمته إياه لاسيما فى العلوم العقلية أتاحت له فرصة أن يضرب فيها بسهم وافر، وقدّر أهل عصره مكانته فجعلوه يخلف أباه فى مشيخة البرقوقية وكان لا يشغلها إلا من أصاب حظا كبيراً من علوم عصره وشهد له بالتقدم ، ولقد أثنى سيف الدين هذا على صاحبنا ابن الصيرفى فوصفه « بمتانة التركيب ورصانة الترتيب » .

* * *

كان الجوهرى فقيراً لم تمكنه ظروف الحياة مما هيأته لسواه من أن يكون دانياً من أصحاب السلطان والإمرة فى مصر المملوكية إلا بقدر ضئيل وفى وقت لم يعد فيه للكتابة التاريخية حظ كبير من الإعجاب والتقدير ، وكان إلى جانب هذا معيلا كثير الأولاد قليل ذات اليد ، فاضطرته هذه الظروف القاسية لأن يلتمس العيش من شتى السبل ما بين العمل فى وظيفة « المكس » ونسخ كتب غيره من معاصريه وسابقيهم، وكان ينسخ بعضها لنفسه وأكثرها للبيع لمعيشة أطفاله ،وسنجد اختلافاً واضحاً فى خطه فى نسخ هذين النوعين مما سنعرض له بعد قليل، كما أنه اشتغل فى بعض الأحيان بسوق الجوهريين بالقاهرة ،ولكنه كان اشتغالا غير موصول على الدوام وإن بدأ ذلك فى حياة أبيه والظاهر أنه لم يكن بالناجح فيه ، وهو عمل ليس من شك كان لابد وأن يدر من الكسب والثراء على صاحبه ما يغنيه عن التماس العيش من طرق أخرى ويضمن له حياة مستقرة آمنة ، لكن يبدو أنه قد أصابته حرفة الكتابة والتأليف فصرفته بعض الشىء عن الاهتمام بالعمل فى تجارة الجواهر التى حين أدرك فشله فيها انصرف عنها . ويظهر لنا أيضا أن ما ربحه فى هذا العمل قد ساعده على بناء « بعض الدور

المهني ، وتنزل في المدارس الكبرى كالبرقوقية وزاوية الأشرف شعبان، وتعددت تصانيفه وكثرت، ومن بينها «المختصر[1] في علم التاريخ» الذي يبرز اتجاهه الفلسفي في تعريف التاريخ وكتابته ومناهجه ، وإن سماه السخاوي[2] بالمختصر المفيد في علم التاريخ ، وعده روزنتال «جديراً بالاعتبار لإصالة طريقته وجودة كتابته وهو يتبع النظام المألوف في تعريف على يرجع إلى الفلسفة الأرسطوطالسية » ، وربما أخذ عليه السخاوي عدم اعترافه لكبير أحد بالعلم وإن عده « علامة الدهر وأوحد العصر ونادرة الزمان وفخر هذا الوقت والأوان ، الأستاذ في الأصلين والتفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والهيئة والحكمة والجدل والأكر والمرايا والمناظر مع مشاركة حسنة في الفقه والطب» ، وكانت وفاته ٨٧٩هـ .

هذا هو الكافيجي الذي يقرظ تلميذه ابن الصيرفي فيثني على ما كتبه في السيرة النبوية ويصفه « بالتاريخ الفائق على الأقران » وأنه « أنس الصلحاء ، حب الأكابر الكرام ، مقبول قدوة الأنام » ،ويصف كتابه في ترجمة سيرة الرسول بأنه « قد اعترف بفضله وكماله وبحسن ترتيبه وجودة نظامه : الحاضر والبادي والداني والقاصي، واغترف من بحره العذب الرحب الرائج والغادي ... وأتى بأمر يحيي ذكره في الآخرين أبد الآبدين » ويلاحظ أن هذا التقريظ من الكافيجي كان لابن الصيرفي وقد بلغ من العمر خمسين عاماً ، وهي سن اكتملت له عندها أسباب وقوفه على أرض صلبة في مجال التأليف ، فقد كانت هذه الكتابة في سنة ٨٦٨ هـ .

* * *

---

(١) نشره الأستاذ فرانز روزنتال في كتابه A History of Muslim Historiography وترجمه للعربية الدكتور صالح أحمد العلي ونشرته مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٣، أما «المختصر في علم التاريخ» فقد ورد في تلك الترجمة ص ٣١٧ ـ ٣٧٠ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ٧ / ٦٥٥

بحكر الشامى » ، وكان للفروض أن تضمن هذه الدور له ولأولاده حياة فيها شيء من الطمأنينة على رزقهم ومعاشهم ، لكن يتضح من كلام السخاوى أنه قد « آل أمره إلى أن نفد غالب ماممه » ، وأتت هذه البطون الجائعة على كل مالديه من متاع ومال ودور ، فلم يجد بدأ من النيابة فى القضاء للحنفية بمصر وكان قد بلغ إذ ذاك الثانية والخمسين من عمره ، وكانت نيابته للقضاء عن محب الدين بن الشحنة المتوفى سنة ٨٩٠ هـ ، وهو الذى وصفه ابن حجر فى إنباء الغمر « بالعلامة »، وسماه ابن خطيب الناصرية « بشيخنا شيخ الإسلام » ، ونستدل من مطالعة كتاب « إنباء الهصر » أن ابن الشحنة كان كثير الاصطحاب للجوهرى فى صعوده ـ مع بقية قضاة قضاة المذاهب الأخرى ونوابهم ـ لتهنئة السلطان قايتباى بالأعياد، وأحياناً بأوائل بعض الشهور الكريمة كالمحرم ورجب وشعبان ورمضان .

على أنه يبدو أن ما كان يكسبه من أجر عن نيابة الحكم للقاضى الحنفى ابن الشحنة لم يكن يكفيه هو وأولاده ، ولذلك نراه خلال هذه الفترة بالذات يجلس ببعض الحوانيت، «وصار يكتب الدرر أو الإنباء أو غيرهما من تصانيف ابن حجر وغيره » وذلك كما يقول السخاوى « ليرتفق » ويعيش ؛ ولم يقف الجوهرى عند هذا الحد بل نراه ينسخ عدة من مؤلفات أبى المحاسن و « ذيل رفع الإصر» للسخاوى وغير ذلك من كتب هذه الفترة ، ولسنا ندرى أكانت كتابته هذه النسخ لنفسه أم للبيع،وإن كان الأمر الثانى فى معظمها هو الأرجح، ولعلها كانت لطلبة العلم أو لأصحاب السلطة وذوى الجاه والثراء وعشاق الكتب وأصحاب الخزائن، وليس فى ذلك ما يشينه فما هو إلا طريق شريف لرجل لم يكن له من مورد يستطيع به وحده أن يكفى هذه الأفواه العدة من أبنائه .

على أن لنا وقفة قصيرة عند هـذه الناحية ، ذلك أن النظر فى النسخ التى خطها الجوهرى بيده يبيّن لنا اختلاف بعضها عن بعض فى الرسم ، فنى البعض ينطلق على سجيته فيـكون خطه رديئاً و نرجح أن هذه النسخ هى التى كتبها لنفسه ، ويتجلى لنا ذلك فى نسخته الخاصة من كتابه « نزهة النفوس » وفى الجزء الثانى من « إنباء الغمر » لابن حجر الموجود فى مكتبة الأزهر بالقاهرة[1] ، ومخطوطة أخرى هى مسودة كتاب ألفه عن الفترة الأخيرة من عصر قايتباى ، وتعتبر تـكملة وذيلا لمؤلفه «إنباء الهصر »، أما النسخ التى كان ينسخها للبيع أو لخزائن كتب البعض فـكان ينمق فيها خطه رجاء وجود سوق نافقة لها ، وحتى يقبل عليها المشترون .

* * *

ولابن الصيرفى عدة مؤلفات سلم بعضها من عاديات الزمن فوصلت إلينا ـ أو وصلت أجزاء منها ـ سالمة ، أما البعض الآخر فلا نعرف مكان وجوده حتى الآن لخلو الفهارس المطبوعة من الإشارة إلى مظانها .

وله كتاب ضخم يعرف باسم « نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان »، ألمّ فيه بتاريخ العرب والإسلام منذ الجاهلية وانتهى فيه إلى عهد السلطان جقمق، وقد قسمه إلى أجزاء حسب العصور ، سمّى قسما منه « بالجوهرية » وهو خاص بالسيرة النبوية، وقد تعددت إشارته إلى ذلك العمل الضخم الذى يبدو أنه كان يعتبره أعظم ماقام به حيث غطى به تاريخ الإسلام والمسلمين؛ والـكتاب مقسم

---

(١) يقوم محقق هذا الـكتاب بتحقيق كتابى « نزهة النفوس والأبدان » القسم الخاص بالدولة المملوكية المتأخرة » و « إنباء الغمر بأنباء العمر » ويقوم مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة بنشر الـكتاب الأول كما يقوم المجلس الأعلى لشئون الإسلامية بالقاهرة بنشر الـكتاب الثانى .

إلى أجزاء عدة أشار إلى بعضها ، أما الجزء الأول منه فمفقود أو - على الأقل - غير معروف مكانه حتى الآن ، وأما الثانى ، فموجود بخط يده فى مكتبه رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧ ، وهو فى سيرة الرسول الكريم ، ويقع فى أربعمائة ورقة ومسطرته ٢١ سطراً ، وتوجد منه صورة على فيلم بمكتبة معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم ١٢٨٤، وقد انتهى فيه ابن الصيرفى إلى نهاية حياة الرسول، ثم يتلوه جزء آخر عن الخلفاء الراشدين، نستدل على هذا من قوله فى ختامه : « كمل الجزء الثانى من كتاب نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان ، على يد مؤلفه عام سبع وستين وثمانمائة من الهجرة النبوية ، ويتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الثالث ذكر الخلافة وأيام الراشدين » .

ولقد عرض الجوهرى جزءه هذا الخاص بالسيرة النبوية الطاهرة على طائفة من أبرز رجال عصره لاسيما فى ميدان التاريخ فطالعوه وأثنوا عليه ومنهم - كما أشرنا - محيى الدين الكافيجى والسيرامى وابن تغرى بردى والأمين الأقصرائى وغيرهم ، فنظروا فيه النظرة الجديرة بكل كلمة تقال عن تضمنه .

وقد فقدت الأجزاء التى تلت كتابه عن حياة الرسول العربى الكريم ولكن وصل إلينا منها الجزء الخاص بدولة الجراكسة فى مصر ، والذى نقوم بنشره حاليا فى أجزائه الأربعة باسم « نزهة النفوس والأبدان » فى تاريخ الزمان » والذى صدر منه الجزء الأول المتضمن أحداث عهد السلطان برقوق ووفياته أى منذ سنة ٨٤ حتى ٨٠١هـ

* * *

بقيت ملاحظة أخيرة عن أسلوب الكاتب ، فالمعروف أنه درس فى كبره

على أيدى الكثيرين من علماء عصره ؛ أما فى طفولته ومستهل حياته فلا نكاد نقف على ذكر لمثل هؤلاء فيمن كان يختلف إليهم ابن الصيرفى ، وربما كان لفقر أبيه دخل فى هذه المسألة وفى التقصير فى إتاحة الفرصة للصغير فى أن يتلقى من العلوم ما يتهيأ لمثل من كان فى سنه إذ ذاك من أبناء ذوى الثروة والجاه ومن لديهم فضلة من المال ولهم حظ من الثروة والغنى ، فلم يجد الأب لديه من المال ما يساعده على أن يهيىء لابنه علىّ فراغاً يقرأ فيه الكثير من علوم اللغة وأصولها ، ولكن يبدو أن الجوهرى الفتى أخذ نفسه بالدرس والتحصيل ما وسعه الجهد وإن يكن على غير خطة مرسومة ، وأنه كافح فى سبيل لقمة العيش لنفسه أولاً ثم لنفسه وأولاده فيما بعد مما كفاحاً استلزم منه أن يقضى وقته فيما بين نظر فى كتب التاريخ يستوعبها إشباعاً لرغبته ، أو ينسخها للارتزاق .

ولقد انعكست قلة محصوله اللغوى فى أسلوبه فلم يستقم كما ينبغى أن يكون، ولم يستطع هو أن يرقى إلى مستوى أمثال ابن حجر والمقريزى والعينى ، وعجز عن أن يجارى فى الأسلوب آخرين كالسخاوى والسيوطى .

وهو فى كتابته أقرب فى كثير من الأحيان إلى المصرية الدارجة ، فإن أعوزه اللفظ الفصيح بادر إلى استعمال الدارج المألوف ، بل وربما اشتق منه ما يحاول به شرح مقصوده ، وهذه ظاهرة جديدة بالدراسة عند هذا المؤرخ حاول تقليده فيها — وربما عن غير قصد — ابن إياس، لكن لم يتأتّ لابن الصيرفى السير إلى نهاية الشوط .

ومع استعمال ابن الصيرفى لكثير من الألفاظ العامية وكثرة لحنه وتصحيفه إلاّ أنه كان — على ما يبدو — لا يرى فى نفسه إلاّ ماسكا لمقاليد اللغة والكتابة ، يتمثل هذا فى نقده الشديد لأسلوب ابن تغرى بردى صاحب

كتابَىْ النجوم الزاهرة والمنهل الصافى وغيرها من أمهات المصادر التاريخية ، فهو يقول عنه: « إنه عامى داص ... يكتب كتابة ما تصدر عن صغار الكتاب المتعلمين من تصحيف وزيادة فى الأحرف ونقص ولحن مفرط ، حتى إن الضّاد الساقط يكتبها منشالة وضد ذلك » ؛ وهذه العبارة التى نصرها لا تستطيع الصمود أمام النقد لما فيها من خطأ فى التعبير : على أننا لو غضضنا الطرف عن ذلك فإن مثل هذا النقد ربما كان مقبولاً لو أنه صدر عن رجل غير ابن الصيرفى ، وقد نقبله إلى حد ما حين يقول رجل كالسخاوى فى وصف أحد مؤلفات ابن تغرى بردى إن فيه « الوهم الكثير والخلط الغزير » ، أما أن يقوله ابن الصيرفى فمكابرة ومغالطة وكان أحرى به أن يعتصم بالصمت فى هذا المجال فما هو من فرسانه ، ذلك أنه هو نفسه كثير الأخطاء النحوية واللغوية ، وفى أسلوبه — حين يحاول الفصحى التامة — بعضٌ — إن لم يكن كثير — من الغموض ، ولقد أشرنا فى الحواشى إلى بعض أخطائه التى صححناها فى المتن . ومنها كلها نستدل على ما يمكن أن يُغمَز به من هذه الناحية ، وأنه آخر من يحقّ له أن يضع نفسه من أبى المحاسن موضع الناقدمن المنقود والأستاذ من التلميذ فى هذا الباب ، وغايةُ ما يمكن أن يقال عن ابن الصيرفىّ — كما أشرنا — إن أسلوبه هو بداية أسلوب الكتابة التاريخية التى أخذت فى الظهور بصورة جلية فى مصر والتى يمثلها ابن إياس الحنفى الذى يكاد يكون عامى العبارة كثير الأخطاء اللغوية ، وهذا الضرب من تدهور الكتابة التاريخية يظهر بتوسعه فى استعمال اللهجة المحلية الدارجة بقواعدها الشاذة واشتقاقاتها وتراكيبها ومصطلحاتها التى تكاد تجعل منها لغة غريبة عن الفصحى فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى فى مصر على وجه الخصوص قبل الاحتلال العثمانى ، الذى وجد السبيل أمامه ميسرة فى زيادة الاضطراب اللغوى ، وإن كانت مقومات العربية الفصحى وحفظ القرآن وروايته الحديث — حتى فى عهود الضعف — حافظت

على لغة الضاد من أن تتلاشى ومن أن تفسح المجال للتركية لغة المحتل .

لكن رغم هذه الأخطاء فإن كلا من إنباء الهصر لابن الصيرفى وبدائع الزهور لابن إياس يعد مصدراً هاما من مصادر التاريخ المصرى فى تلك الحقبة الأخيرة قبيل الغزو العثمانى لمصر ، ولكنهما من حيث المادة التاريخية مكملان لأبى المحاسن .

* * *

أما المخطوطة التى ننشرها اليوم وهى : « إنباء الهصر بأبناء العصر » ، فموجودة أصلاً فى المكتبة الأهلية بباريس ومنها صور فوتوغرافية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة تحت رقم ٢٢٨٥ تاريخ كما توجد منها صورة على فيلم بمكتبة معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم ٦٦ ، أما المخطوطة فتقع فى ٢٠٨ ورقة ، وخطها نسخ واضح لكن يكثر فيه الخطأ والتصحيف ، ولقد زاد من صعوبة تصحيح مثل هذه الأخطاء عدم وجود نسخة أخرى منها للمقارنة والاستنباط . يضاف إلى هذا أن هذه النسخة غير كاملة فقد ضاعت منها الأحداث الأخيرة من سنة ٨٧٧ هـ حتى أوائل أحداث ٨٨٥ التى لم يصلنا من وفياتها سوى ترجمة إبراهيم البقاعى ، بل إن هذه الترجمة فى ذاتها لم تسلم من ضياع بقيتها مع بقية وفيات تلك السنة وأوائل العام التالى له الذى لم يصلنا منه سوى جزء من شهر صفر .

* * *

وقد يبدو فى العنوان شىء من الغرابة، ولم نستطع الوصول إلى علة تسميته هذا التاريخ بهذا الاسم إلا أن يكون « الهصر » تحريفاً أو اشتقاقاً من جانب المؤلف لكلمة « الهصر بمعنى الأسد » ويقصد به السلطان قايتباى الذى تفيض صفحات الكتاب بالتغنى به والإشادة بحكمته وسياسته ودينه ، ويبدو لنا أن

ابن الصيرفى أراد أن يجعل لنفسه ذكرى فنهج منهج ابن حجر العسقلانى فى تسمية تاريخه «بإنباء الهصر بأنباء العصر» كما أنه جعل مفتتحه سنة ٨٧٣، كما جعل ابن حجر مستهل تاريخه عام ٧٧٣، ولكن الذى دعى ابن حجر لذلك هو أنه أراد أن يضع تاريخاً منذ «مولده»، وإلا فلو أن الجوهرى أراد أن يجعل هذه المخطوطة لتاريخ السلطان قايتباى لوجب عليه أن يرجع إلى الوزراء سنة فيجعل بدايتها ٨٧٢ وهى سنة توليه الحكم. أما خاتمة المخطوطة فلا نستطيع أن نجزم فيها بشىء نظراً لعدم العثور حتى الآن عليها، كما أن السخاوى لم يشر إلى اسم هذه المخطوطة، وعلى ذلك يبقى سبب ابن الصيرفى فى وضعه هذا الكتاب على هذه الصورة الحالية سراً لعل الأيام تكشفه فنستطيع الحكم عليه.

• • •

وبعد فإننى أشكر تلاميذى السيد/ عبد العظيم خطاب الذى قام بعمل الكشافين، وكذلك السيدين/ أحمد مصطفى عبد السلام وجمال جرجس يوسف فقد قام أولهما بنسخ القسم الأكبر من المخطوطة كما قام الثانى بمراجعتها معى على الأصل أثناء الطبع، والسلام؟

القاهرة فى { ٢٥ شعبان ١٣٨٩
٦ نوفمبر ١٩٦٩ }

حسن حبشى

إنباء الهصر بأبناء العصر

للمؤرخ علي بن داود الجوهري الصيرفي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أعن والطف يا كريم

سنة ثلاث وسبعين وثمانى مائة

أهلّت هذه السنة والخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف[1] العباسى - دام شرفه - وليس له فى الخلافة إلا الإسم وهو مقيم بالحوش السلطانى من قلعة الجبل[2] بسكن الملك المنصور[3] عثمان بن الظاهر جقمق فى حياة والده لما كان سلطاناً، ويجرى عليه من المأكل والمشرب مايليق به كفافا .

والسلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى[4] عز نصره، وهو المحمودى الأشرفى ثم الظاهرى، خلد الله ملكه .

وقاضى القضاة الشافعى الولى الأسيوطى[5] ، والحنفى قاضى القضاة

---

(١) راجع السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٢٤٧ ، وسترد الإشارة فى السنوات القادمة فى هذه المخطوطة الى إقامة ذلك الخليفة الدائمة بالقلعة لا يبرحها منذ أن أمره بذلك الظاهر خشقدم ، راجع فى ذلك ابن إياس : بدائع الزهور (ط . محمد مصطفى) ص ١٨٤ .

(٢) بانيها هو الأمير قراقوش الرومى ، انظر النجوم الزاهرة ٤ / ٤٠ ، والمقريزى . الخطط ٢ / ٢٠٥ ، أما الحوش السلطانى فهو المعروف بحوش القلعة .

(٣) كان قد استقر بعد أبيه فى السلطنة ثم خلعه إينال ، وكان شديد العناية بالدراسات الدينية والفقهية ومات سنة ٨٩٢ هـ ، راجع بدائع الزهور ، ص ١٢ ، والسخاوى : الضوء اللامع ٥ / ٤٥٦ .

(٤) السخاوى : شرحه ٦ / ٦٩٧ .

(٥) تولاها من جمادى الأولى سنة ٨٧١ هـ ، أنظر بدائع الزهور (ط . المعارف) ص ١٧٢ ، والسخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢١٠ - ٢١٣ ، والسيوطى : نظم العقيان ، ص ٣٥ .

محب الدين بن الشحنة[١] ، والمالكى السيد الشريف قاضى القضاة حسام الدين ابن حريز[٢] المنفلوطى ، والحنبلى[٣] قاضى القضاة عز الدين أحمد العسقلانى .

وأتابك العساكر المنصورة جانبك الإينالى الأشرفى برسباى المشهور بقلقسيز[٤] وهو مأسور عند شاه[٥] سوار ، وقدقرّر عليه أربعة وثلاثين ألف دينار بعد القبض عليه ليفتدى نفسه بذلك من القتل . وإمرة سلاح شاغرة من حين قتل صاحبها بردبك[٦] هجين الظاهرى جقمق فى وقعةشاه سوار المذكور . وأمير مجلس قرقماس الجلب[٧] الأشرفى برسباى .

والأمير (أمير آخور[٨]) الكبير جانبك[٩] من ططخ المشهور بالفقيه الظاهرى ؛ ووظيفة رأس نوبة النوب شاغرة أيضا من حين قتل نانق[١٠]

---

(١) تولى ابن الشحنة قضاء الحنفية استقلالا فى ٢١ شوال ٨٦٦ هـ ، راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط . كاليفورنيا) ص ٧٠٩ – ٧١٠ ، وانظر ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ٧٥٥ ، والسيوطى : نظم العقيان ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) راجع ترجمته فى السخاوى : شرحه ٧ / ٤٥٤ ، وأورده السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٤٢ باسم « ابن جريز » ، وذكر أنه مات فى شعبان ٨٧٣ هـ كما سيرد فى وفيات هذه السنة من هذا الكتاب

(٣) كان توليه قضاء الحنابلة فى جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ، راجع النجوم الزاهرة ، ص ٤٣٣ ، والسيوطى : نظم العقيان ، ص ٣١ – ٣٥ .

(٤) وردت شهرته فى الضوء اللامع ٣ / ٥٥ باسم « قلقسين » .

(٥) هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركمانى نائب الأبلستين ومرعش، وقد توفى سنة ٨٧٨ هـ ، راجع الضوء ٣/١٠٤٦ ، وزامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٢ / ٢٣٦ ، ويلاحظ أنه هو صاحب الأحداث التى شغلت هذه الفترة فى تاريخ مصر المملوكية .

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٣٠ .

(٧) الضبط من السخاوى : شرحه ٦ / ٧٢٦ حيث ذكر أنه أقام بدمياط بطالا حتى طلبه الأشرف اينال وأنعم عليه بإمرة مائة ، وجعله أمير مجلس فانحط بذلك درجة .

(٨) مابين القوسين وارد فى هامش المخطوطة .

(٩) السخاوى : الضوء ٣ / ٢١١ .

(١٠) السخاوى : شرحه ١٠ / ٨٤١ .

الأحمدى - بل المحمدى الظاهرى جقمق - فى وقعة شاه سوار .

وحاجب الحجاب تمر[١] من محمود شاه الظاهرى جقمق وهو ضعيف بالبلاد الشامية من حين توجهه لقتال شاه سوار صحبة التجريدة .

وعظيم الدولة ومشيرها ومدبرها وصاحب حلها (١٢) وعقدها يشبك[٢] من مهدى أمير دوادارها الكبير وهو مقيم بالقاهرة ؛ و [أما] بقية الأمراء الألوف فهم سودون[٣] القصروى ، ولاجين[٤] الظاهرى فى تجريدة البحيرة ، وسودون الأفرم الظاهرى [جقمق][٥] ، وتنبك المعلم الأشرفى[٦] برسباى وهو مسافر أمير الحاج فى هذه السنة ، وقراجا[٧] الطويل الأعرج الأشرفى إينال ، وأزدمر الطويل الإبراهيمى الإينالى[٨] وجملتهم أربعة عشر مقدما ، وكانوا فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاون[٩] أربعة وعشرين مقدما ، فعجزوا عشرة . لكن تقدمة الوزير وتقدمة الأستادار وما أضيف من التقادم زيادة الأمراء الأكابر أرباب الوظائف من الأمراء الطبلخانات والعشرات فهم : برقوق[١٠] الناصرى الظاهرى شاد الشراب خاناه على إمرة طلبخاناة ، وتغرى بردى ططر[١١] الظاهرى جقمق نائب قلعة الجبل على إمرة عشرة ، [و] فارس[١٢] السيفى

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ١٧١ .
(٢) السخاوى : شرحه ١٠ / ١٠٧٧ .
(٣) السخاوى : شرحه ٣ / ١٠٨٠ .
(٤) السخاوى : شرحه ٦ / ٨٠٣ .
(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من السخاوى : شرحه ٣ / ١٠٧٦ وذلك تميزا له عن كثيرين ممن اسمهم سودون الظاهرى .
(٦) راجع ابن إياس : بدائع الزهور ، ص ١٩٨ .
(٧) الوارد فى السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٧١٥ ، أنه قرسى الأصل
(٨) السخاوى : شرحه ٢ / ٨٥٤ وإن كان الوارد هناك « جقمق » .
(٩) راجع المقريزى : السلوك (ط . زيادة) ١ / ٧٩٣ وما بعدها
(١٠) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٤٩ .
(١١) السخاوى : الضوء اللامع ١ ص ١٣٦ .
(١٢) وقد مات فى التجريدة على شاه سوار عام ٨٧٥ هـ ، راجع الضوء اللامع ٦ / ٥٤٦ . وترجمة رقم ١٢ من وفيات ٨٧٥ فى هذه المخطوطة .

دولات باى زردكاشا على إمرة عشرة، [و] رسباى[١] قرا الظاهرى جقمق خازندارا على إمرة عشرة، [و] يشبك[٢] الإسحاقى المعروف يشبك جن أمير آخور ثانيا على إمرة عشرة، [و] رسباى السيفى[٣] يونس الدوادار أستادار الصحبة وهو على إمرة عشرة، [و] جكم[٤] الظاهرى خشقدم حاجبا ثانيا على إمرة طبلخاناه، [و] الدوادار الثانى قان[٥] بردى الأشرفى إينال على إمرة عشرة، [و] والى القاهرة ـ أعنى صاحب الشرطة ـ قانباى[٦] الحسنى الأشرفى إينال على إمرة عشرة، [و] قانصوه الأحدى المعروف بالحسيف[٧] الأشرفى إينال إمرة عشرة، [و] نقيب الجيوش المنصورة (٢ ب) الناصرى محمد بن أبى الفرج الزمام، والخازندار[٨] صفى الدين جوهر[٩] التركانى المندى، [و] مثقال الظاهرى الحبشى مقدم المماليك[١٠] السلطانية، ونائبه خالص[١١] التكرورى.

مباشرو الدولة وأركانها: للقر الأشرف الكريم العالى المفوهى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر[١٢] الأنصارى الشافعى كاتب السر الشريف حفظه الله

---

(١) كان موته بأذنة سنة ٨٩٣، انظر الضوء اللامع ٣ / ٤٠.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع ١٠ / ١٠٧٩.

(٣) الوارد فى السخاوى: شرحه ٣ / ٣٩ «الشرفى» وليس «السيفى».

(٤) هو ابن أخت قايتباى وكان فى العشرين من عمره إبان هذه الأحدث وذلك بناء على ما ذكره السخاوى: شرحه ٣ / ٢٩٤ من أنه مات فى سنة ٨٨٣ هـ عن نحو ثلاثين سنة.

(٥) السخاوى: الضوء ٦ / ٦٧١.

(٦) السخاوى: الضوء ٦ / ٦٥٩.

(٧) إزاء هذا فى هامش المخطوطة عبارة «لعله محتسب»، وربما أراد الكاتب بذاك كلمة «الحسيف» التى وردت فى اسمه المذكور بالضوء ٦ / ٦٧٦؛ هذا ويلاحظ أن قايتباى رقاه إلى وظيفة الحسبة وشاد الشربخاناة.

(٨) فيما يتعلق بهذه الوظيفة راجع G. Demombynes : la Syrie, P. Lxi et n. 2

(٩) السخاوى: الضوء اللامع ٣ / ٣٣٣.

(١٠) هو الذى يتولى أمر مماليك السلطان ويكون من الخصيان المعروفين بالطواشية، انظر القلقشندى: صبح الأعشى ٥/٤٥٦

(١١) السخاوى: الضوء اللامع ٣ / ٦٦٨.

(١٢) السخاوى: الضوء اللامع ١١ / ٢٣٣، وراجع أيضا بدائع الزهور (ط. استانبول) ٣ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

للقر الـكمالى(١) ابن المرحوم الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيش، وهو بلا لحية فى وجهه، وسنه دون العشرين عاما .

ووزير الديار المصرية الحاج محمد(٢) الأهناسى الذى كان مقدم الدولة فى دولة الملك الظاهر جقمق .

الأستادارية : بيد شرف الدين موسى(٣) بن كاتب غريب الذى كان مستوفى الجهات فى أيام الصاحب أمين الدين إبراهيم(٤) بن الهيصم فى دولة الملك الظاهر جقمق رحمه الله.

نظر الخاص : بيد القاضى تاج الدين عبد الله بن المقسى(٥) .

وكالة بيت المال ونظر الـكسوة والمشاركة فى تدبير المملكة : بيد القاضى شرف الدين التتائى(٦) الأنصارى .

نيابة كتابة السر : بيد القاضى نور الدين الإنبابى(٧) .

نظر الخزانة : باسم الجناب الزينى عبد القادر(٨) بن الجيعان وليس له فيها إلا مجرد الاسم ، وصاحب الـكلمة النافذة والمعول عليه عمه الجناب العلمى

(١) السخاوى : شرحه ١٠ / ٣٠٦ حيث يطابق ما ورد فى المتن أعلاه من أنه ولد سنة ٨٥٣ هـ.

(٢) السخاوى : شرحه ٧ / ٤٥٥ .

(٣) السخاوى : شرحه ١٠ / ٨١٠ .

(٤) السخاوى : شرحه ج ١ ص ٦٧ ـ ٦٨ ، أبو المحاسن : المنهل الصافى (ط . دار الكتب المصرية) ١ / ٩٣ ـ ٩٦ .

(٥) السخاوى : شرحه ٥ / ٢٦٥ .

(٦) نسبة إلى قرية « تتا » من أعمال محافظة المنوفية بالوجه البحرى بالقطر المصرى ، راجع ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع ١٠/٧٨٠ ، وانظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى (القسم الثانى) ج ٢ ص ٢١٦ .

(٨) كان قد تولى نيابة كتابة السر منذ سنة ٨٦٦ هـ ، راجع ابن إياس : بدائع الزهور (المعارف) ص ١١٨ ، وترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع ٥ / ٦٩٠ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ص ٧١٠ .

(٨) فسر السخاوى : شرحه ٦ / ٧١٣ علة استئثار عمه شاكر بالأمر بأنه لم يحمد مشيه فى نظر الخزانة .

شاكر، و[أما]ولده القاضى تاج الدين عبد الغنى فهو المباشر لها والكاتب لجميع تعلقاتها .

نظر الإصطبل السلطانى : بيد القاضى شرف الدين يحيى بن البقرى[(١)] .

نظر الدولة : بيد شخص عامى لحام[(٢)] زفورى كان مقدّم الدولة فى وزارة البباوى وهو صهره ، والجنسية علة الضيم ؛ وكتابة بالمماليك شاغرة بعد موت القاضى (١٣) علم الدين أبى الفضل بن جلود[(٣)] وكذلك نظر الديوان المقرر[(٤)] بالشرح.

النواب بالبلاد الشامية :

أزبك[(٥)] من ططخ الظاهرى نائب ، دمشق ، [و] برديك[(٦)] الفارسى البجمقدار الظاهرى نائب حلب، [و] إينال[(٧)] الأشقر الظاهرى نائب طرابلس، [و] الناصرى محمد بن مبارك[(٨)] نائب حماه، [و] جكم الأشرفى[(٩)] خال العزيز يوسف بن الأشرف ـ نائب صفد، [و] أرغون شاه الأشرفى برسباى نائب[(١٠)] غزة، [و] تغرى بردى بن يونس نائب ملطية، [و] قانصوه اليحياوى نائب[(١١)] الإسكندرية .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ٩٨٤ ، الشذرات . (٢) يقصد أنه قصاب .
(٣) كانت تولية ابن جلود القبطى كتابة المماليك فى ربيع الأول سنة ٨٦٧ هـ ، راجع فى ذلك أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ، ص ٧١٣ .
(٤) فيما يتعلق بالديوان المفرد ، راجع Ayalon : Structure of The Mamlouk Army .
(٥) السخاوى : الضوء اللامع ٢ / ٨٤٤ .
(٦) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٢٤ .
(٧) ويعرف أيضا باسم « إينال اليحياوى الظاهرى جقمق » ، راجع السخاوى : شرحه ٢ / ١٠٨٤ .
(٨) أبو المحاسن : حوادث الدهور ، ص ٦٠٣ .
(٩) ابن إياس : بدائع الزهور (المعارف) ص ١٥٨ وحاشية رقم ٤ بها .
(١٠) وذلك منذ العام الماضى ، راجع ابن اياس : بدائع الزهور ، ص ١٩٩ .
(١١) كان توليه إياها منذ جمادى الاولى سنة ٨٧٢ هـ ، راجع ابن إياس : شرحه ، ص ١٠٧ ، والسخاوى : الضوء ٦ / ٦٨٧ .

نيابة الوجه القبلى مضافة لعظيم الدولة المقر الأشرف الكريم العالى يشبك[١] من مهدى الدوادار الكبير عز نصره ، وهو ينعم بها على من شاء من أخصائه ومماليكه .

نيابة الرهابيد صاحب[٢] ديار بكر .

فعدة هؤلاء النواب عشرة ، يدعى كل واحد منهم بملك الأمراء على حكم القواعد السالفة ، و[أما]ما عداهم من نواب البلاد والقلاع فلا يطلق عليهم هذا الاسم الذى هو « ملك الأمراء » ، ولا يطلقه عليهم إلا من لم يعرف المصطلح .

و[أما]أمير الحجاز وصاحب مكة فهو السيد الشريف محمد بن بركات الحسنى[٣] .

و[أما]صاحب المدينة الشريفة فهو الشريف[٤] [ضغيم بن خشرم بن ثابت] الحسينى .

وصاحب الينبوع السيد الشريف خنافر[٥] .

وملوك المشرق قدمنا ذكرهم وسردهم فى العام الماضى ، ماخلا ألقان جهان شاه [بن قرا يوسف[٦]] ملك العراقين فهلك،وولى عوضه حسن على أو على حسن ، هكذا الاسمان عليه.

﴿المحـــــرم﴾

أهلّ بالخميس[٧] .

وفيه صعد[٨] قضاة القضاة للقلعة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة ، وكنت فى خدمة قاضى الحنفية ، وقرءوا الفاتحة ودعوا (٣ ب) وأرادوا

---

(١) السخاوى : شرحه ١٠ / ١٠٧٢ .
(٢) هو حسن بن على بك بن قرايلك .
(٣) السخاوى : الضوء ٧ / ٣٧٧ .
(٤) بياض فى الأصل ، والإضافة من الضوء ٣/١ ، وإن كان زامباور : معجم الأسرات ٢/١٧٧ ذكره باسم « ضيغم بن زهير بن أميان » .
(٥) السخاوى : الضوء ٣/٧٧٢ .
(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة السخاوى : الضوء ٣ / ٣١٤ .
(٧) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٧ أنه أهل بيوم الجمعة .
(٨) فى الأصل « صعدوا » .

الانصراف،فأمرهم السلطان بالجلوس بحضرته هيئة عقد مجلس له وسألهم في مباشرة بيع مماليك الظاهر خشقدم ـ رحمه الله ـ ، فاشترى نصره الله زيادة على خمسمائة مملوك ، بعد أن أقاموا وصياحن الظاهر .

واشترى الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ نصره الله ـ كل نفر منهم بعشرة آلاف درهم [1] وصاروا مماليكه . وقال الجمالى يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه «الحوادث» عند ذكر هذه الواقعة «وهذا شراء لا يعبأ [به] الله، وما عرف معنى هذا » .

وفى هذا اليوم المذكور خُلع على أرغون شاه نائب غزة خلعة السفر، وتوجه لكفالته بغزة المحروسة .

وفى ثالثه ـ الذى هو السبت ـ خلع على عبد الكريم [2] بن أبى الفضل بن جلود ، واستقر فى وظيفة كتابة المماليك السلطانية عوضا عن والده بحكم وفاته، وهو يومئذ أمرد لا نبات بعارضيه ؛ وهو فى غاية العرفان والذكاء والحذق فى هذه الوظيفة .

وفى الإثنين خامسه وصل الخبر من نائب دمشق بالقبض على محمد بن عجلان [3] البدوى الخارج عن الطاعة، وسجن بقلعة دمشق .

وفى هذه الأيام تداول حضور المماليك السلطانية الذين كانوا توجهوا للتجريدة لقتال شاه سوار بعد كسرتهم الشنيعة وماقفل معهم من الأمراء

---

(١) راجع فى ذلك ابن إياس ، بدائع الزهور (استانبول) ص ١٦ س ١٩ ـ ٢٢

(٢) راجع فى ذلك الضوء اللامع ٤ / ٨٦٠ ، أما القول بأنه كان أمرد يوم توليته فرده إلى أن عمره فى ذلك الوقت كان حوالى ٢٢ سنة ، راجع أيضا ابن إياس : بدائع الزهور (استانبول) ٣ / ١٦ س ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) ليس بين المراجع المتداولة فى أيدينا هنا ما يكشف صراحة عن شخصية ابن عجلان هذا اللهم إلا إذا كان هو صاحب الترجمة القصيرة الواردة فى الضوء ٨ / ٣٥٦ .

والمماليك وغيرهم ، وحضورهم بغير إذن السلطان إلى القاهرة فى خفية منه، وصاروا يقيمون بدورهم إلى أن تكامل حضورهم ، وبلغ السلطان ـ نصره الله ـ ذلك فسكت على مضض ، وكان قبل هذا التاريخ ورد الخبر إلى القاهرة المحروسة بأن الكفيلى أزبك نائب دمشق وصل إليها وصحبته الأمير تمر حاجب الحجاب (٤ أ) هو وبقية الأمراء المصريين بغير طائل ؛ فما شاء الله كان .

وفى ثامنه الذى هو الخميس برزت المراسيم الشريفة بكتابة مراسيم شريفة بحضور المقر الأشرف الكفيلى أزبك نائب الشام منها وصحبته من بقى من الأمراء المصريين والمماليك السلطانية ، وتوجه بالمرسوم تغرى بردى الأرمنى الخاصكى .

وفى ليلة سَفَر صباحُها عن الأحد حادى عشره سافر الأمير أزدمر الأشرفى ـ أحد الأمراء العشرات ـ وعلى يده مرسوم شريف بالقبض على تنبك [١] المعلم الأشرفى أمير حاج المحمل ، وأن يتوجه به إلى القدس الشريف بطالا لأمرٍ اقتضاه رأى السلطان وحَقَدَه عليه قديما .

وفى هذا اليوم المذكور ركب السلطان من القلعة وسار حتى وصل إلى خليج [٢] السد ، فوجده لم يحفر ، فاحتد السلطان وغضب، ورسم لعظيم الدولة وصاحب حلها وعقدها الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير أن يباشر ذلك بنفسه ، فتوجه فى الحال وفى خدمته خلائق من الناس، واهتم بأمره غاية الاهتمام بحيث إنه عمل فيه بنفسه، وأمر جماعة بالعمل فيه .

وكثر فى هذه الأيام فساد العربان على غالب البلاد القبلية والبحرية حتى أخربوها وكذلك غالب البحيرة ، وذلك لاشتغال السلطان بتجهيز العساكر وتكفيتهم بالنفقة لأجل شاه سوار ، وبسبب ذلك صار لا يلتفت إلى مصالح

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (استانبول) ٣ / ١٧ .

(٢) راجع ما كتبه المرحوم محمد رمزى فى تعليقه الوارد فى النجوم الزاهره ٤ / ٤٣ حاشية رقم ٤ .

البلاد والعباد وهو معذور ، غير أن الناس تعجبوا من السلطان لاهتمامه بهذا الجسر هذا الاهتمام العظيم ، ويكفيك أن من عظم الاهتمام بعمل هذا الجسر المذكور [أنه] اختار لهذا الجسر الأمير سودون القصروهى (١) والامير لاجين الظاهرى (٢) ، وكلاهما أمير (٤ ب) مائة ومقدم ألف وصحبتهما (٣) جمع كبير من المماليك وغيرهم ، فراودهم ـ أعنى من معهما ـ أن يعملوا فامتنعوا من ذلك، فوقع بينهم مخاصمات وضرب، حتى لقد أصيب بعض الأمراء بضربة فى وجهه فشجته فى جبينه حتى سال الدم على وجهه .

وفى ليلة الخميس خامس عشره خسف جميع جرم القمر بالقرب من عقدة الرأس ، وهو فى الدرجة الحادية والعشرين من برج الدلو ، وابتدأ به الخسوف على مضى سبع ساعات ونصف ساعة من الليلة المذكورة ، وكان انتهاؤه من ناحية الشرق للجنوب ، وتم خسوفه عند انتهائه واستغرق جرمه فى السواد على مضى ثمانى ساعات وثلث ساعة ودقيقة ، وانجلى انجلاء تاماً بعد شروق الشمس بأربع درجات ، وكان لونه فى وسط خسوفه أسود تعلوه خضرة ، ثم تغير إلى لون مركب بين السواد والخضرة والصفرة . انتهى .

فائدة : سأل شخص ناصر الدين محمد الأسدى الميولى : « هل يمكن خسوف القمر فى ليلة الرابع عشر أم لا » فأجاب : « قد جرت العادة أن القمر لا يخسف إلا عند تمام نوره وكماله وإبداره ولكن على التمام والكمال منوط بأربعة أيام من كل شهر، وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، وتارة يكون التمام نهاراً وتارة يكون ليلا ، فإن توسط سيره تبع الكمال فى ليلة الرابع عشر أو فى الرابع عشر نهاراً وفى ليلة الخامس عشر ، وإن أبطأ

---

(١) السخاوى : الضوء ٣ / ١٠٨٠ .

(٢) السخاوى : الضوء ٦ / ٨٠٣

(٣) فى الأصل « وصحبتهم جمع كبير من المماليك وغيرهم ،فراودهم أعنى من معهم » .

مسيره فربما يتأخر إلى ليلة السادس عشر وهو الأكثر » . انتهت .

وفى يوم الجمعة سادس عشره الموافق الثانى عشر مسرى القبطى أوفى النيل ستة عشر ذراعاً ، وزاد إصبعين من الذراع السابع عشر ، فرسم للأمير قرقماس (١٥) الجلب الأشرفى[1] - أمير مجلس - أن يتوجه لتخليق المقياس وفتح خليج السد على العادة فى كل سنة ، فتوجه وفى خدمته عدة من خجداشيته وأعوانه وفعل ما أمر به ، وخلع على والى القاهرة ومصر ومعرّفى[2] المراكب والرؤساء ومن له عادة ، وصعد للسلطان فخلع عليه فوقانيا بوجهين بطراز زركش عريض ، وقيد له فرسا بسرج ذهب وكنبوش وزركش، وتوجه لداره .

وفى يوم الخميس ثانى عشريه وصل أمير حاج الركب الأول وهو الأمير تنبك الأشقر الأشرفى وصحبته الحاج ، وخلع السلطان عليه عادته .

ومن الغد وصل المحمل جميعه بغير أمير حاج،فإن تنبك المعلم أميره تقدم توجُّهُه إلى القدس بطالا قبل تاريخه صحبة أزدمر أحد الأمراء العشرات .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشريه قدم الأمير زين الدين عبد الرحمن[3] ابن الكويز من بلاد الروم وصعد القلعة من الغد ، وتمثل[4] بين يدى السلطان فخلع عليه خلعة كاملية سمور بمقلب سمور بعد أن أكرمه وترحب[5] به .

وكان توجهه لبلاد الروم هارباً مما وقع عليه من الظلم فى دولة الظاهر

(١) راجع حاشية رقم ٧ ص ٢ .

(٢) فى الأصل « معرفين » والمقصود بذلك عرفاء المراكب .

(٣) السخاوى . الضوء اللامع ٤/٢٢٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣/١٧ .

(٤) المقصود بذلك « مثل بين يدى السلطان » وقد دأب ابن الصيرفى على استعمال هذا اللفظ ، وسنتركه كما هو فيما يلى .

(٥) المقصود بذلك « رحب به » .

خشقدم وتولية بلباى ثم تولية تمر بغا ثم سلطنة الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره ، فبادر وحضر وأظهر عسكراً عميقاً وفضلا جزيلا وسيا وأمراً عظيماً لمتملك بلاد الروم ، نصره الله وأعز به الدّين . آمين .

وفى هذه الأيام حضر قاصد حسن بك بن على بك بن قرايلك صاحب ديار بكر إلى القاهرة وعلى يده هدية من مرسله لكنها هيّنة كما هى عادة أمراء التركمان ، فقبل السلطان هديته وترحب به وأكرمه ، وسبب ذلك لما بلغه سلطنة السلطان أظهر السرور (٥ ب) والفرح بسلطنة سلطان مصر، وأرسل يترفق له ويحلف أنه على طاعته وعبوديته وممتثل لأوامره ، وأمثال ذلك ، والحمد لله مالك الممالك .

﴿ شهر صفر الأغر الميمون المبارك ﴾

أهل بالسبت لأن المحرم جاء تماماً .

فيه انتشر الطاعون بالثغر السكندرى وأعماله .

وفى ثانيه الذى هو الأحد ركب السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ عز نصره ـ من قلعة الجبل وفى خدمته الأمراء[1] والخاصكية بغير قماش الموكب ، وتوجه إلى جهة العدوية[2] ، فوجد قد نصب له بها خام عظيم بجوار زاوية الشيخ الرفاعى على شاطىء النيل ، ولما قارب السلطان المكان المذكور نزع سلاريه وعباءة فرسه وأطلق لها العنان فسارت به غارة ، وصحبته أعيان عسكره حتى وصل إلى الميصرة فى مشوار واحد، وعاد إلى مخيمه بالعدوية فنزل به ومد له السماط فأكل هو والأمراء، واستمر به إلى بعد الظهر قدم له مدة أخرى من البطيخ والأجبان والمخللات شيئاً كثيراً بحيث إنه كفى العسكر

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ١٧ ، ١٨ .

(٢) انظر ياقوت المعجم ، ٣ / ٦٢٤ ، ومراصد الاطلاع ٢ / ٩٢٤ .

وفضل منه أشياء كثيرة ، وعاد إلى القلعة فوصلها قبيل العصر .

وفى يوم الخميس سادسه خلع على بلباى الظاهرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة واستقر به فى نيابة الإسكندرية[(١)] عوضاً من الأمير قانصوه اليحياوى بعد عزله عنها قبل تاريخه وقدومه القاهرة ليستقر فى نيابة طرابلس .

وفى السبت ثامنه برز المرسوم الشريف لوالى القاهرة بالنداء فى القاهرة ومصر أن الفلوس الجدد كل رطل بأربعة وعشرين درهما.[(٢)]

وفى الإثنين عاشره ورد الخبر من دمياط بوفاة الأمير مغلباى[(٣)] طاز الأبو بكرى المؤيدى بها فى يوم الخميس سادسه ، وحضرت رمته إلى القاهرة فدفنت بالصحراء . وسيأتى ذكره[(٤)] فى الوفيات على العادة .

(ا) وفى هذا اليوم[(٥)] نودى بالقاهرة وظواهرها حسب المرسوم الشريف أن الإردب القمح بأربعمائة درهم ، وهددوا من باع بأكثر من ذلك ، فلم يكترث أحد بهذه المناداة ، وأن القمح كان وصل إلى ستمائة درهم الأردب ، والشعير إلى ثلثمائة ، والفول إلى مائتى[(٦)] درهم ، فأصبح سعر القمح بعد المناداة إلى سبعمائة الإردب ، وكذلك الشعير والفول ، وسبب ذلك أن البحر كان توقف عن الزيادة من يوم الثلاثاء رابع صفر الموافق لآخر مسرى[(٧)] أياماً كثيرة ، فقلق الناس من عدم الزيادة وحصل عندهم هلع وجزع ، ثم جاءت الزيادة فامتنع الناس

---

(١) ابن إياس : شرحه ، ٣ / ١٨ .

(٢) ابن إياس : شرحه ، ٣ / ١٨ .

(٣) الضوء اللامع السخاوى ١٠ / ٦٦٧ .

(٤) راجع ترجمة ٢٤ فى وفيات هذه السنة .

(٥) أمام هذا السطر فى الهامش عبارة « تسعير القمح » .

(٦) فى الأصل « مائتين » ، وسيصحح أمثال هذا الخطأ فيما يلى دون الإشارة إلى ذلك فى الهامش .

(٧) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ ، أن الأحد هو أول صفر ٨٧٣ ، ويوافق الثامن والعشرين من مسرى ١١٨٤ ق .

من بيع القمح والناس محتاجون له ، فزاد سعره ، ثم زاد البحر بعد ذلك ووفى ما كان نقصه ، فلله الحمد .

وفى يوم الخميس العشرين من تاريخه قدم المقر الأشرف الكفيلى أزبك نائب الشام إلى الديار المصرية وصعد القلعة وتمثل بين يدى السلطان ـ نصره الله ـ فرحّب به وأكرمه وخلع عليه بوظيفة الإمرة الكبرى[١] ، واستقر به أتابك العساكر المنصورة عوضا عن جانبك الإينالى قلقسيز الأشرفى برسباى بحكم القبض عليه عند شاه سوار ، وتمنّع الأمير أزبك من الدخول فى الوظيفة تمنعاً زائداً كون صاحب الوظيفة فى قيد الحياة، ثم لبس بعد ذلك ، فشق ذلك فى الباطن على السلطان كونه أرضى العسكر بمراعاة جانبك هذا ؛ وكان لقدوم الأمير أزبك المذكور يوم مشهود[٢] لم يشهد مثله إلا فى النادر ، فإن أعيان المملكة وأمراءها وأماثلها وكبراءها احتفلوا به ولاقوهُ إلى قَطْيا[٣] ومافوقها ومادونها .

وكان الأمير أزبك وصل إلى خانقاه سرياقوس[٤] يوم الثلاثاء ، ثم جاء فى يوم الأربعاء إلى الريدانية[٥] خارج القاهرة فبلغ السلطان ذلك ، فنزل إليه مختفياً فى نحو عشرة أنفس وسلم عليه ، فابتهج به (٦ ب) غاية الابتهاج وجلس عنده ساعة طويلة .

---

(١) راجع ابن إياس : بدائع الزهور ٣ / ١٨ .

(٢) فى الأصل « يوما مشهودا » .

(٣) قرية قرب الفرما فى الطريق بين مصر والشام ، وهى تعتبر الحاجز بينهما ، راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان ٤/ ١٤٤ ، ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ٣/ ١١١١ ، ويذكر المرحوم محمد رمزى فى القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) ص ٣٥١ أنها قد اندثرت ولم يبق منها سوى أطلال فى الطريق بين القنطرة والعريش .

(٤) خانقاه سرياقوس من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان بها مائة خلوة لمائة صوفى .

(٥) وذاك نسبة إلى بستان كان قد أنشأه ريدان الصقلى أحد موالى العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله قرب العباسية بالقاهرة الآن ، راجع المقريزى : الخطط ٢/ ١٣٩ .

وفى هذا اليوم الذى هو العشرون[١] من شهر تاريخه ويوافقه ثامن عشر توت القبطى فتح جسر بنى منجا[٢] والبحرُ يومئذ فى ثمانية عشر ذراعاً واثنى عشر إصبعا إن صدق الأمين ، وهو نهاية زيادة النيل فى هذه السنة ، وليته ثبت بل نقص نقصاً فاحشاً، ولا زال ينقص إلى أن انكشف .

وحصل فى زيادة هذا النيل غريبة هى أن أرباب التقويم أجمعوا أن البحر يعلو إلى أن يصل إلى زيادة عن تسعة عشر ذراعاً وكذلك مراد خوص لما قيست فى يوم عيد ميكاييل جاءت عشرين ذراعاً فأخطئوا أجمعين[٣] ، وجاء الأمر بخلاف ماقالوا، فسبحان من لا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى واختار من رسله وأصفيائه .

وفى الإثنين رابع عشريه خلع على الأتابك أزبك من ططخ خلعة نظر البيمارستان المنصورى[٤] على عادة مَن تقدّمه من الأتابكية ، وتوجه إلى المرستان المذكور فى محفل عظيم وهو تك جسيم ، فكشفه ووصّى على المرضى وضربت رنوكه ، ورجع إلى داره مكرما مبجلا معظما .

وفى يوم الخميس سابع عشريه خلع على الأمير قانصوه اليحياوى الظاهرى المعزول عن نيابة الاسكندرية واستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير إينال الأشقر بحكم انتقاله إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير بردبك الفارسى المشهور بالبجمقدار بحكم انتقاله عنها إلى نيابة دمشق ، عوضا عن الكفيلى أزبك من

---

(١) فى الأصل « العشرين » .

(٢) انظر ابن دقماق : الانتصار ٤٦/٥ ، المقريزى : الخطط ١٥١/٢ .

(٣) فى الأصل « أجمعون » .

(٤) هو المارستان الذى بناه المنصور قلاوون بخط بين القصرين بالقاهرة المعزية ، انظر فى ذلك النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ١٢٨٢ (دار الكتب) ، الخطط ٢٧٩/٢ـ٢٨٠

طططغ بحكم انتقاله عنها إلى أتابكية مصر ، عوضا عن الأمير جانبك الإينالى المشهور بجلقسيز الأشرفى ، بحكم القبض عليه عند شاه سوار.

وفى يوم السبت تاسع عشريه وصلت رمة خوند[١] بنت الملك الأشرف إينال زوجة الأمير يونس-الدوادار الكبير كان[٢] من اسكندرية إلى القاهرة، فحضر السلطان نصره الله (١٧ أ) الصلاة عليها بمصلى الجوينى ، ودفنت بمدرسة أبيها التى أنشأها بالصحراء خارج القاهرة ، وكانت توجهت مع والدتها خوند زينب[٣] بنت ابن خاص بك لزيارة أخيها الملك المؤيد أحمد ولحضور ختان ولده ، فحال وصولهم للثغر مات الولد الذى[٤] يريدون ختانه ، ثم طعنت هى وماتت فحملت رمتها إلى القاهرة . وماتت وسنها دون الثلاثين سنة .

وانقضى هذا الشهر ولم ينفق السلطان الجامكية على أولاد الناس[٥] ولا الفقهاء والمنجمين ولا على مضاف كبار الدولة وعَوّقوا الجميع ، ولم ينفق سوى المماليك ، ووقف له جماعة ممن لم ينفق عليهم فوعدهم أن يصرف لهم بعد فراغ نفقة المماليك السلطانية ، وخاطبه[٦] الأعيان فى ذلك وحذروه قطع الأرزاق ، وخاطبوه بكلام فيه نفع لدنياه وأخراه ،فأجاب أنه ينفق لهم فى ثامن شهر ربيع الأول ، وأخذ يتألم مما الناس فيه من الغلاء ونزول البحر بسرعة وما حصل فى البلاد من الشراق ، والمصيبة العظمى والطامة الكبرى فتنة شاه سوار وماصرف بسبب هذه الفتنة على التجاريد المتوجهة إليه ، ونفود ما فى الخزانة من الأموال، مع القلق الزايد من هذا الأمر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

* * *

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ٣/١٨ ، السخاوى : الضوء اللامع ١٢/٥٥٦ .

(٢) أى الذى كان دوادارا كبيرا ، وهو تعبير شائع الاستعمال فى كتابات مؤرخى مصر المملوكية فى نهاية القرن التاسع الهجرى .

(٣) راجع ترجمتها فى الضوء اللامع ١٢/٢٦١ .

(٤) فى الأصل « الذين » .

(٥) مجموعة حربية فى الجيش المملوكى كانت مقصورة على أبناء أمراء المماليك .

(٦) فى الأصل « وخاطبوه » .

{ شهر ربيع الأول }

أهلّ بالاثنين الموافق له ثانى عشرى[1] توت والأسعار فى نمو وزيادة لا سيما الحبوب ، فإن القمح وصل إلى تسعمائة درهم الإردب ، والشعير لستمائة درهم وهو عزيز الوجود ، والفول إلى أربعمائة درهم لكنه موجود ، وسائر ما يؤكل غلا وعدم .

وأصل هذا الغلاء استيلاء العربان على أسفل مصر من الوجه البحرى وخسة الزروع ونزول البحر بسرعة ، فإنه من يوم فتح سد بنى منجا ـ وكان ثالث[2] عشر توت ـ نقص نقصاً فاحشاً ولم يلبث اليومَ الواحد (٧ب) بحيث إن الناس ازدحموا على ملء الصهاريج بالصحراء وغيرها كما هى العادة للألوفة ازدحاماً شديداً خوفاً أن يفوتهم ذلك لنقص البحر ، مع أن غالب الخلق ملأوا من خليج الزعفران لتقدم الماء من الخلجان ، فإنه هبط هبوطا لا يتدارك ولا يعود ، ووقع الزرع بالقليوبية وغيرها على المحاريث، وحرثوا والوقت فى العشر الثالث من توت ، والمثل السائر « من لم يزرع فى بابه ، لم يأكل لبابه » ، فما بالك بزرع توت ؟ والأمر كله لله يتصرف فى العبيد بما يريد ، وليس لأحد من خلقه أمر إلا بأمره جل وعلا .

وفى الأربعاء ثالثه وصل الخبر السلطانى للملك الأشرف قايتباى عز نصره من الإسكندرية بوفاة الملك الظاهر يلباى[3] الإينالى بالطاعون فى ليلة الاثنين

---

(١) فى الأصل « عشر » ولكن الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ أن أول ربيع الأول يعادل ٢٢ توت ١١٨٥ ق.

(٢) هذا مع أنه وارد فى ماسبق ص ١٥ س ١ ـ ٢ أنه فتح سد بنى منجا يوم ١٨ توت

(٣) راجع ابن إياس : بدائع الزهور ١٩/٣ ، والضوء اللامع ١٠/١١٣١ .

أول شهر ربيع الأول من هذه السنة بسجن الإسكندرية ، بعد أن قاسى الذل ألوانا فى سلطنته اليسيرة وفى خلعه وفى سجنه ، وسنذكر ترجمته[١] فى الوفيات على العادة المألوفة .

وفى يوم الخميس رابع شهر تاريخه كثرت الإشاعة واستفيضت بأن السلطان ـ نصره الله ـ يجهز تجريدة عظيمة لقتال شاه سوار المخذول ، لأنه ـ نصره الله ـ بلغه عنه أنه حاصر قلعة درندة[٢] ثم رحل عنها ، فاهتم السلطان لقتاله ، وقال إنه يتوجه بنفسه اه ، وما طاوعه[٣] أعيان الدولة وقالوا « إيش هو شاه سوار حتى يقابله السلطان أو يقاتله ؟ ولا يقاتل السلطان إلا سلطانا مثله » .

وبلغ السلطان عن حسن بك بن على بك بن قرايلك ـ صاحب ديار بكر ـ أنهما متصافان[٤] للقتال وبينهما مسيرة يوم واحد .

وفى يوم السبت سادسه ركب السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ عز نصره ـ من قلعة الجبل ـ وقت طلوع الشمس ـ فى موكب عظيم من الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية ؛ لكنه بغير (١٨) قماش الموكب ، وسار إلى جهة خانقاه سرياقوس حتى وصل إلى زاوية الشيخ كهنبوش ، فنزل عن الفرس الذى كان راكبه بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وغيره بغيره من الخيول الخاص ، وحال استوائه على ظهر الفرس أطلق عنانه غارة وتنقهلا[٥]

---

(١) راجع ترجمة رقم ٢٤ من وفيات هذه السنة .

(٢) راجع ابن إياس : شرحه ٣/١٩ ، Gaudefroy - Demombynes : La Syrie à l'epoque de Momelouks, P. 68.

(٣) فى الأصل « طاوعوه » .

(٤) فى الأصل « أنها متصافين »

(٥) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

إلى أن عدّى خانقاه سرياقوس بمسافة بعيدة ، وكان توجهه إليها من قلعة الجبل من ناحية بركة الحاج[١] ؛ وترك الأمراء والمماليك السلطانية يسيرون على مهل مع السنجق السلطانى إلى الخانقاه المذكورة ، وصار السلطان معه نفر يسير ، ثم لما رأى أنه بعُد عن الخانقاه عاد إليها واجتاز بقبّة الأتابك ، فإنهم ترجلوا: أصاغر الأمراء والخاصكية مشاة بين يديه أمام فرسه وحولها حتى شق شارع الخانقاه ، وقد اجتمع الخلق وكثر الدعاء له منهم ، فنزل فى وطاقه[٢] الذى نصب له من أمسه ـ وهو غربى خانقاه سرياقوس ـ من جهة القاهرة على الماء . وحال وصوله وصل الأتابك أزبك وجميع الأمراء ، ومد السماط فأكل السلطان وأكلوا ، وكان سماطا ملوكيا ؛ فاستمر السلطان ـ نصره الله ـ يومه كله هناك . وحضرت الأمراء خدمة العصر ، وبات السلطان بمخيمه ، ومشى أمير جندار[٣] حول خيمة السلطان إلى الصبح كما هى العادة فى الأسفار ، وأصبح يوم الأحد سابعه فركب السلطان وسير وعاد إلى مخيمه ودام به بقية نهاره .

وخلع على السيد الشريف نور الدين[٤] الكردى القصيرى ناظر الخانكاه وأحد ندماء السلطان كاملية سمور بمقلب سمور ، وكذلك على محمد بن الأشقر شيخ خانقاه سرياقوس ؛ وسبب هاتين الخلعتين أنهما[٥] تكلفا ، فقدم السيد الشريف للسلطان أشياء كثيرة من الأغنام والأوز والدجاج والحلوى والبطيخ واللبن (٨ ب) ، وبات السلطان ليلة الاثنين بمخيمه أيضا ، وكان السلطان توجه صحبته للخانقاه المذكورة بقاصد حسن بك صاحب ديار بكر وقاصدِ صاحب الهند وغيرهما من الغرباء ، فشاهدوا ما لم يشاهدوه فى بلادهم ، حتى

(١) وكانت تعرف فى بداية الأمر ببركة الجب ، وهى متنزه خارج القاهرة ، ثم تحول اسمها فى القرن التاسع الهجرى إلى بركة الحاج ، انظر المقريزى : الخطط ١/٤٨٩ .

(٢) الوطاق هو الخيمة الكبيرة التى يعدها السلطان لكبار من معه .

(٣) هو الشخص الذى يستاذن على السلطان والأمراء عند الجلوس بدار العدل أيام المواكب واللفظ فارسى الأصل معناه حامل السلاح أو ممسكه ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٢ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٦/١٠٤ .

(٥) يقصد بذلك الشريف نور الدين الكردى ومحمد بن الأشقر .

كادت عقولهم تذهل لرؤية ذلك سيما العساكر وكثرتهم ، والسلطانِ وقوة شجاعته وهمته وعظمته الزائدة .

ولما كان صبح يوم الاثنين ىن شهر تاريخه ركب السلطان من مخيمه وقصد القاهرة ، وفعل كما فعل فى توجهه من إطلاق عنان فرسه وتركه الأمراء والعساكر ، واستمر سابقا حتى وصل إلى تربة عظيم الدولة ومدبرها يشبك من مهدى الدوادار الكبير فنزل بها ، وانتظر الأمراء والعساكر إلى أن وصلوا له ، فمد له المولى المعظم والأسد المفخم عظيم دولته ومدبر مملكته ودواداره الكبير الأمير يشبك من مهدى ـ عز نصره ـ مدة[1] مونقة فى غاية الوصف على حسب الحال ، وأكل السلطان وأمراؤه وغالب من معه ، ثم ركب بأمرائه وعساكره حتى صعد القلعة قبل الظهر .

وفى الثلاثاء تاسعه غضب السلطان ـ نصره الله ـ على الحاج محمد بن الأهناسى الوزير وقبض عليه ، وأسلمه لعظيم دولته ومشيرها وصاحب حلها وعقدها الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير عز نصره ، فرسم[2] عليه وطلب منه المال فاعتذر أنه غرم فى الوزارة جميع ما يملكه وهو مكذَّب ، فأجرى عليه العقوبة وعلقه فى شباك حديد بأصابع يديه ، فحمل ألفى دينار وأطلق ، فتوجه إلى داره وفى نفسه أنه يعود للوزر ، وفى ذلك بُعد فإنه ظهر منه العجز فيها مراراً ، ورشح قاسم جغيته[3] المعزول عن الوزارة قبل تاريخه بعوده للوزر .

وفى يوم الخميس حادى عشره جلس السلطان ـ نصره الله ـ بالحوش

---

(١) المدة هنا بمعنى السماط .

(٢) أى أمر بحبسه وتوقيفه .

(٣) بالشين أو بالجيم ولا اختلاف بينهما .

السلطانى فوق الدكة على العادة ، وفرق الجامكية على أولاد الناس من المماليك السلطانية (١٩) بعد أن أحضر السلطان بجانبه ثلاثة أقواس متفاوتة[١] فى القوة ، أى أحدها أقوى من الآخر ، والآخر دونه ، والآخر دونه . وصار كل من استدعوا اسمه من أولاد الناس للنزلين عنده بديوان المماليك السلطانية لقبض جامكيته ـ قبل أن يقبضها ـ ينادى به السلطان ويناوله قوسا من الثلاثة ، فإن جذبه كتبه فى الحال إلى تجريدة شاه سوار ، وإن لم يجذبه أمره بحمل مائة دينار للخزائن الشريفة ليقوم بها عنه بديلا للتجريدة[٢] ، ولكن هذا إذا كانت جامكيته ألفى درهم ؛ فإن كانت ألف درهم فعليه خمسون ديناراً ؛ وإن كانت دون الألف فلا يوزن شيئا ويقبض جامكيته ويتوجه لحال سبيله ؛ وإن كانت جامكيته ألفا وخمسمائة فعليه خمسة وسبعون ديناراً ، وقس على هذا ماشئت. فلما رأوا ذلك حصل عندهم مشقة زايدة ، وطلبوا رمى الجوامك ليخلصوا من تبعة المائة دينار ، فإن غالبهم ما يملك عشاءه ولا فرسا يركبه ولا بدلة يلبسها ثانية غير ماهو لابسه إن لم يكن استعاره ؛ ورمى بعضهم جامكيته فلم يقبلوا منه ذلك ، والله الحاكم والمالك .

* * *

وفيه عمل السلطان ـ نصره الله ـ المولد الشريف السلطانى النبوى على من هو منسوب له أفضل الصلاة والسلام ـ بالحوش السلطانى من قلعة الجبل على على العادة فى كل سنة ، وكان مولداً عظيما إلى الغاية ، وسماطا ملوكيا ، وعظمة زائدة .

وفيه أنعم السلطان على الأمير برقوق الناصرى[٣] ـ شاد الشراب خاناه ـ

(١) فى الأصل « متفاوتين » .
(٢) راجع ابن اياس : بدائع الزهور ٣/ ٢٠ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٦/ ٨٤٠ .

بمثال[١] : إمرة مائة وتقدمه ألف بالديار المصرية ، وكذلك على الأمير قان بردى[٢] الإينالى بالشرح[٣] ، وكلا التقدمتين عن الأمراء المقتولين فى تجريدة شاه سوار وغيرها .

وفى يوم السبت ثالث عشره فرّق السلطان ـ نصره الله ـ الجامكية أيضاً على أولاد الناس المنزلين بديوان المماليك السلطانية (٩ ب) على الحكم الذى قدّمناه من جذب القوس وتقرير المال إن لم يقدر على جــــذبه ، فلم ينفق للمتعممين فى أول النفقة ثم صرف لهم عند آخرها ؛ وأما أولاد الناس فنهم من وزن المائة دينار ليقوموا عنه ببديل واستمر على جامكيته ؛ ومنهم من ترك الجامكية ولم يوزن شيئاً وهو الفقير الذى لايملك القوت بل كانت الجامكية قوته ؛ ومنهم من وزن وترك ، والطامة الكبرى والمصيبة العظمى عليهم أيضاً أن كل من كان باسمه زيادة عن ذلك يحضر بين يدى عظيم الدولة ومشيرها ومدبرها المقر الأشرف الكريم العالى يشبك من مهدى أمير دوادار كبير وما مع ذلك ـ عز نصره ـ ليحاسب عليه أو يعمل المصلحة .

وفى هذا اليوم أيضاً نودى فى البلد وشوارعها حسب المرسوم الشريف لجميع المماليك السلطانية بالعرض بين يديه ليمين السلطان من اختار منهم لتجريدة شاه سوار .

وفيه غضب السلطان واحتد على قاضى قضاة دمشق العلاء بن الصابونى وضربه بين يديه بقاعة الدهيشة[٤] لعدم وزنه المال الذى طلب منه وهو مائة

---

(١) المثال هو أوراق تكتب للشخص بمنحه إقطاعا أو وظيفة سامية ، وكان خروجه فى الأصل من ديوان الجيش ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٣/١٥٣

(٢) راجع فيما بعد ص ٢٥ حاشية رقم ٣ .

(٣) أى على مثال ما أنعم به على سابقه .

(٤) هى قاعة ضخمة أنشأها السلطان الملك الصالح اسماعيل ملاصقة للدور السلطانية بالقاهرة ، انظر فى ذلك المقريزى : الخطط ٢/٢١٢ .

ألف دينار ، ولم يزل يضرب إلى أن أذعن لوزنها ، فحمل[1] لطبقة الخزندار محتفظاً به كما كان ليقوم بذلك ، والله المستعان .

وأصبح يوم الأحد رابع عشره ولم يعرض [السلطان] أحداً من المماليك السلطانية ، ونودى فيه بالعرض من الغد.

وفيه ـ أى فى الأحد ـ تمت نفقة أولاد الناس ، وتأخر جماعات من الفقهاء والمتعممين والأيتام والموقعين والحوائجية والأطباء ، ثم أنفق[2] عليهم بعد مشقة زائدة .

وفى الاثنين خامس عشره عرض السلطان المماليك السلطانية ، وكتب منهم جماعات .

وفيه خلع على عظيم الدولة ومشيرها ومدبرها وصاحب حلها وعقدها الفحل بل الأسد المعظم المفخم نظام المملكة يشبك من مهدى الدوادار الكبير ـ عز نصره ـ(١١٠) أطلسين ومتمرا وفوقانياً بوجهين بطراز زركش عظيم كخلعة الأتابكية بالديار المصرية ، واستقر فى الوزارة عوضاً عن الحاج محمد الأهناسى بحكم القبض عليه ومصادرته وعزله لعجزه وخموله وظلمه وخسفه ورقاعته ، ولاذا بذاك ولا عتب على الزمن ، وتوجه[3] لمنزله فى موكب جسيم جليل ، وحين جلوسه طلب قاسم جغيته المعزول عن الوزر قبل تاريخه وأمره بالتحدث على الوزر فإنه عرّف الأمير الدوادار ـ نصره الله ـ أنه يوفر من مرتبات أولاد الناس والمتعممين والأيتام وغيرهم فى كل يوم كذا وكذا قنطاراً من اللحم ولا زال يسأله فى ذلك ويلح عليه ويترامى على رجليه حتى وليها ، وفوض له الكلام

(١) يقصد بذلك ابن الصابونى .
(٢) فى الأصل « نفق » وهو لفظ دأب المؤلف على استعماله يريد به ما أثبتناه بالمتن .
(٣) المقصود بذلك يشبك بن مهدى الدوادار الكبير .

فيها وصيره مقام ناظر الدولة ، ولقد زاد منصب الوزارة بهذا القدر وليه رتبة سنية وسطاً مستمراً فإنه أهل السعادة وزيادة ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه «وهذا شىء لم يقع فى سالف الأعصار ، من أن الدوادار الكبير يكون وزيراً » انتهى .

وفى الحال شمر قاسم جغيته ساعده فى قطع رواتب العسكر والأجناد ممن له زيادة على عادته، وكلهم معهم زيادة ، وأما المتعممون فشنع فيهم وقطع ما بإسمهم وليتهم سلموا من المطالبة بما تناولوا قديما ، ووقع الترسيم على جماعات منهم وألزموا بأموال جمة ، وهرب خلق كثير من أولاد الناس والخدام وغيرهم ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه « على أنه وإن كان شنع فى أمورهم فنى الواقع ليس بظالم عليهم ، فإنه ظهر لبعضهم فى اليوم من اللحم ما يزيد على الثلاثين رطلا وأ كثر وأقل ، فلما رآى الناس ذلك صار العاذل عاذراً ، واستمر الحال على ذلك أياماً كثيرة والناس منه فى وجل وخوف من تناول المرتبات الكثيرة ، أما من قنع وعف (١٠ب) وكف عن ذلك فهو فى أمان من الدوادار وغيره » انتهى كلامه .

قلت :أقسم بالله لوقُدّر أن يرتب للجمال المذكور فى راتب اللحم والجامكية والعليق زيادة على مابيده المرتين والثلاثة لقبل ذلك من السلام ، لكنه لم يصل إلى ذلك .

وفى هذا اليوم سافر الأتابك أزبك من ططخ [الأشرفى] [1] بالأمر السلطانى إلى البحيرة لدفع المفسدين من العربان عنها وعمل مصالح الرعية والفلاحين والمزارعين .

---

(١) الإضافة من السخاوى : الضوء اللامع ٢/ ٨٤٤ .

وفيه استقر الأمير سودون القصر وهى فى وظيفة رأس نوبة النوب عوضا عن الأمير نانق [المحمدى][(١)] الظاهرى المقتول فى وقعة شاه سوار ، وخلع عليه أطلسين متمرا على العادة .

وخلع على الأمير تنبك قرا الإينالى[(٢)] واستقر فى وظيفة الدوادارية الثانية عوضا عن قان بردى[(٣)] الإينالى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف .

وخلع على قانصوه الأحدى الشهير بالمسيف محتسب القاهرة واستقر فى وظيفة شاد الشربخاناه عوضا عن الأمير برقوق الناصرى - نسبة لجالبه وإنما هو ظاهرى - بحكم استقراره فى تقدمة ألف .

وخلع على الأمير جانبك الخشن الإينالى ، واستقر فى مِعلمية الأسواق عوضا عن الأمير تنبك قرا المنتقل إلى الدوادارية الثانية .

وفيه رسم لمثقال السودونى[(٤)] الظاهرى الساقى الحبشى باستقراره فى مشيخة الخدام بالحرم الشريف النبوى - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - بحكم

---

(١) الإضافة من السخاوى : الضوء اللامع ١٠/٨٤١ وذلك تمييزاً له عن آخر بنفس الاسم والنسبة .

(٢) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٣/١٧٧ ، ويستفاد من هذا المرجع أن تنبك قرا هذا كان عظيم الإجلال للسخاوى لايقدم عليه أحداً ، ومع ذلك فقد رفض السخاوى الاجتماع به ليقرأ عليه رغم ما قاله السخاوى فى حقه « كثر الله من أمثال الأمير فهو من حسنات أبناء جلسه » .

(٣) لم يقم قان بردى الإينالى فى وظيفة الدوادارية الثانية أكثر من شهر نقل بعدها إلى تقدمة ألف ، راجع ما سبق ص٢٢ س ١-٢) واستمر بها حتى مات بالطاعون فى شوال من نفس السنة كما سيرد فى ترجمته بالوفيات ، راجع أيضا السخاوى : الضوء اللامع ٦/٦٧١ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٣/٤٩ .

وفاة سرور الطرباى[١] ، فلم يقبل ذلك وسعى فى إبطاله وهذا عين الخسران ، والله المستعان .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره تم العرض من المماليك السلطانية ، ثم عيّن عدة من الأمراء العشرات بأنى[٢] ذكرهم عند سفرهم من الديار المصرية لشاه سوار المخذول . وأعقب السلطان ذلك بالنداء فى القاهرة وشوارعها حسب المرسوم الشريف «أن النفقة[٣] فى (١١١) المماليك المسافرين يوم الخميس ثامن عشره وأن السفر من القاهرة فى يوم الاثنين ثانى عشريه » ، على أن الناس فى ألم ووصب وجهد جهيد وتعب ونصب ، فمنهم من هو مجتهد فى تحصيل ماطلب منه حتى تبقى جامكتيه ويريد وزن ذلك لأجل النفقة ، ومنهم من هو مهموم لسبب قطع رواتبه من اللحم السلطانى ، ومنهم - وهو الأهم والأعظم - [من هو] خائف مما يطلب منه مما تناوله فى الماضى وما خصه ومطالبة أصاحب[٤] الحل والعقد ، ومنهم من هو مهتم بعمل احتياج السفر ، فالكل فى هموم وغموم ، فالله المستعان .

وأما غير ذلك فمن قلق الناس بسبب الغلاء وغلو الأسعار مع وجود العيال والأولاد .

وأما أكابر الدولة وأعيانها ومباشروها[٥] فكل منهم خائف من المصادرة ووزن المال ، ومنهم من احتشم ووزن فحمّلوه ما يرضى به بل مايد

---

(١) الوارد فى الأصل « سرقة الطوماى » ، وقد صحح إلى ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ٦/٨٤٠ ، وكذلك ترجمته فى شرحه ٣/٩٢٣ ، انظر أيضا ابن أياس : بدائع الزهور ، ٣/٢١ .

(٢) انظر فيما بعد ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) جملة « أن النفقة فى » مكررة مرة أخرى فى أول ورقة ١١١ من المخطوطة .

(٤) فى الأصل « الأصاحب » .

(٥) فى الأصل « مباشريها » .

به عن المسلمين ، ومنهم من تبعه فى ذلك ، ومنهم من فُعل به كما فعل بابن الصابونى ، وأذكرنى أمره ، فبلغنى عنه أنه أذن له فى النزول إلى القاهرة فى الترسيم ليحصل شيئا مماقرر عليه لأجل تجهيزالتجريدة لقتال شاه سوار، والأمر لله يفعل مايريد ، مع أن جماعة ما طرق قلبهم الهم والغم وهم العوام والفقراء فإنهم يتنزهون ويتفرجون ، فلا بارك الله فيهم ، ما أقبح أفعالهم .

وفى يوم الخميس ثامن عشره خلع على الأمير سودون القصروهى خلعة الأنظار المتعلقة بوظيفة رأس نوبة النوب .

وخلع أيضا على الأمير تنبك قرا الإينالى الدوادار الثانى خلعة الأنظار .

ولم ينفق السلطان على أحد من الجرّدين فى هذا اليوم ، بل أمر بالنفقة لهم فى يوم السبت كما سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى فى محله .

وفى يوم الجمعة (١١ ب) تاسع عشر وصل إلى السلطان كتاب الأمير أبى بكر بن صالح حاجب حجاب حلب يتضمن أشياء ، منها أن المقرّ الناصرى محمد بن عثمان ـ متملك بلاد الروم ـ غضب على وزيره محمود باشاه ـ صاحب الصولة الهاملة والكلمة النافذة والحرمة الوافرة ـ وقبض عليه قبضا شنيعا ، وسبب القبض عليه أن حسّن لأستاذه التوجه لابن قرمان حتى وقع له ما وقع من الكسرة والنهب حتى نهبوا أثقاله ، وسبب النهب أن الناصرى محمدا أطرى عليه الرجوع إلى بلاده ، فتبعه أحمد بن قرمان ، فصار يضرب فى أعقابه حتى قتل من عساكره ثمانية آلاف رجل وشرعوا فى النهب ، حتى إن من جملة مانهبه ابن قرمان سبعمائة عُربة[1] محملة ،والعُربة هى التى تجر على الجمال والخيول والبقر ، فلما وصل ذلك لابن عثمان عظُم عليه واغتمّ واهتمّ، ونسب ذلك لوزيره وأنه المدبر لذلك وأنها مكيدة منه ، وذكر فى الكتاب أن حسن بك بن على

---

(١) بضم العين كما فى الأصل .

بك بن قرايلك صاحب ديار بكر حصل له كسرة شنيعة فظيعة[١] من حسن على أو على حسن ، لكن الأول أشهر ، وما أدرى سبب تسميته بهذين الاسمين العلمين معاً لماذا ، وذكر أيضا أن شاه سوار محاصر[٢] لدرندة ، ولم ينل منها غرضا ولا نائلا ولا طائلا .

وفى يوم السبت العشرين من شهر تاريخه فرّق السلطان ـ نصره الله ـ التفرقة على المماليك السلطانية الذين عينهم لتجريدة شاه سوار بالحوش السلطانى من قلعة الجبل : لكل نفر مائة دينار ، وأوعدهم قبل السفر من القاهرة بجامكية أربعة أشهر معجلة ، وفعل ذلك كما سيأتى .

وفيه نودى بالقاهرة على لسان عظيم الدنيا ومدبرها ومشيرها وصاحب حلها (١١٢) وعقدها ودوادارها الكبير ووزيرها وما مع ذلك أعز الله أنصاره : « من بإسمه من الأيتام فى الدولة مرتب لحم يكتب قصة ويحضر بها إلى منزله فيصرف له مرتبه » فدعى[٣] له الناس .

ونودى فى هذا اليوم من قِبَله ـ أعز الله به الدين ـ أن لا يباع القمح بأكثر من أربعمائة درهم ففرح الناس بذلك ودعوا له ، فإن القمح وصل إلى ثمانمائة درهم الإردب ، ثم إن بعض الناس ذكر أن ذلك معاكسة لابن عمر الهوارى فإنه أرسل كثيراً من القمح لبيعه ومع ذلك ازداد سعره ، ولما نادوا عليه بأربعمائة درهم الإردب نهب[٤] الناس والعوام غالب الحوانيت بباب الشعرية وغيرها ، وعاد الأمر إلى ما كان عليه .

وفى يوم الاثنين ثانى عشريه سافر الأمير قانصوه اليحياوى الظاهرى الذى استقر فى نيابة طرابلس إلى محل كفالته .

---

(١) أورد المؤلف الفاء بلا نقطة مما يمكن قراءتها معها « واوا » .

(٢) فى الأصل « محاصرا » .

(٣) فى الأصل « فدعوا » .

(٤) فى الأصل « فنهبوا » .

وفيه خلع على الأمير يشبك جن[١] الإسحاقى الأشرفى الأمير آخور الثانى واستقر أمير حاج المحمل .

وفى الثلاثاء ثالث عشريه ورد الخبر على السلطان من البلاد الشمالية بضدّ ما تقدم ذكره ؛ وهو أن حسن بك صاحب ديار بكر هو الذى كسر حسن على بن جهان شاه صاحب العراقين واستولى على ممالكه ، ولم يعلم أحد إلى الآن كيفية الوقعة بينهم[٢] ، وكذّب هذا الخبر الثانى أيضا بعضهم واستعظمه على ما يأتى تفصيله فى محله إن شاء الله . ولما بلغ هذا الخبر الأكابر والأصاغر قال بعض الأفاضل : إن هذه السنة طالعها أن الأصاغر من الملوك تكسر الأكابر ، وعلل ذلك بعلة واضحة جداً هى أن عسكر مصر والشام كُسر من شاه سوار ، وأن ابن عثمان كسر من ابن قرمان ، وابن جهان شاه كسر من حسن بن قرايلك .

وفى يوم اثنين خامس عشريه خلع على يشبك الجمالى يوسف[٣] بن كاتب جكم أحد الامراء العشرات واستقر أمير حاج (١٢ ب) الركب الأول .

وفى هذه الأيام وصل للسلطان ـ نصره الله ـ كتاب كان كتبه شاه سوار وأرسله للرعية بحلب والشام ، فظفر بالكتاب بعض خواص السلطان بحلب ، فجهزه للسلطان فى طىّ كتابه فى خاص ورق الفولح[٤] وصورة الكتاب ـ على مابلغنى ـ أنه فى أول الطرة لفظه « هو » ، ثم فوق العلامة « وما النصر إلا من عند الله » ، والعلامة بقلم ثلث « المظفر شاه سوار » مكتوب موضع علامة سلطان مصر ، غير أنه بقلم الثلث كما قدمنا ، والعلامة موشوشة بالرمل

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٧٩ .

(٢) فيما يتعلق بالأحداث التاريخية الواردة فى هذا الصدد راجع عباس العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٣/٢٢٩ ـ ٢٣٣ .

(٣) أورد السخاوى ترجمتين لشخص يحمل نفس الاسم ، إحداهما ـ هى المذكور بالمتن (الضوء ١٠/١٢١٢) أما الأخرى (شرحه ١٠/١٠٨٥) فليست له وذلك بناء على ما جاء فى نفس المرجع ج ١١ ص ٢٦٨ .

(٤) كلمة غير مقروءة .

المذهب ، ثم تحت العلامة السبب الباعث لتسطير هذا الكتاب والمعنى الموجب لتحرير هذا الخطاب : « أن المقر الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى الزينى المظفر – أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره – أشار إلى الأمن والأمان ، بالدليل والبرهان ، بين التجار والقوافل وأبناء السبيل وغيرهم من أرباب البيع والشراء ، والفلاحين والحراثين والصادرين والواردين والمترددين بالمملكة الشامية والحلبية والطرابلسية ، وغيرهم من الغرباء وأهل البلاد بالحضور التام – بين الناس والأنام – إلى المملكة الدلغادرية ، فمن حضروا فيها يكونون آمنين[1] على أنفسهم وأموالهم وذراريهم من غير تعارض ولا تمانع ولا تزاحم ، والله يحرسه بالملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، ومحمد وآله أجمعين ، والله على ما نقول خبير ، ومالنا من دون الله من ولى ولا نصير ، إن شاء الله تعالى ، كتب فى مستهل أول ربيعين من سنة ثلاث وسبعين وثمانى مائة ، الحمد لله وكفى ، وصلى الله على محمد المصطفى » .

وعلى آخره فى حاشية الكتاب « بمقام مدينة الأبلستين »[2] .

انتهى كتابه بفصه ونصه .

* * *

وفى هذه الأيام جهز السلطان إلى الأمراء المسافرين لقتال شاه سوار نفقتهم ، فأرسل (١٣ ا) للأمير أزدمر الإبراهيمى الظاهرى [جقمق][3] – مقدم العسكر – ستة آلاف دينار وليس من الأمراء المسافرين مقدم ألف سواه ، وما عداه من طبلخانات وعشرات ، وكذلك الأمراء الطبلخانات ليس فيهم

---

(١) فى الأصل « آمنون » .

(٢) الأبلستين من مدن الثغور فى أرض الروم وهى تعرف فى المصادر اللاتينية باسم [illegible] ، انظر ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ١ : ١٧ – ١٨ ، لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) الإضافة من الضوء ٢ : ٨٥ ، ويعرف أيضا بأزدمر الطويل .

سوى قجماس[١] الظاهرى وجهز له خمسمائة دينار ؛ وأما العشرات فأرسل لكل أمير منهم مائتى دينار ؛ وأما الأمير أزدمر المذكور فجهز له ضعف ما يرسل للمقدمين الألوف ، لأنه شكى من عدم البرك[٢] والمحصول ، فأنعم عليه بذلك ليكون متجملا فى بركه ومركبه ، ومع هذا فالسلطان يفرق للماليك السلطانية المجردين لشاه سوار جوامكهم ، لكل نفر منهم أربعة أشهر معجلة .

﴿ شهر ربيع الآخرة ﴾

أهل بيوم الأربعاء . فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر فهنوه ودعوا له وانصرفوا .

وفى الاثنين سادسه خرجت التجريدة المجهزة من القاهرة المحروسة لقتال شاه سوار ، وعليها الأمير أزدمر الإبراهيمى الظاهرى أحد المقدمين الألوف بمصر ، ومعه من الأمراء الطبلخانات قجماس الطويل لا غير ؛ ومن الأمراء العشرات عشرة أنفار أو أحد عشر ، ومن المماليك السلطانية خمسمائة مملوك ، وهذا اليوم سابع عشرى[٣] شهر بابه القبطى ، وسار الأمير أزدمر المذكور بمن معه دفعة واحدة إلى خانقاه سرياقوس ، ولم ينزل بالريدانية كعادة من تقدمه ، وسافر من الخانقاه فى ليلة الجمعة عاشره الموافق لأول هاتور القبطى .

ووصلت الأخبار من الثغر السكندرى أن معظم أهلها ذهبوا بموت الطاعون ، وأنه[٤] مقيم بها إلى تاريخه .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٦/٧٠٦ .

(٢) البرك هو ما اصطحبه معه من ثياب وقماش وخام ، انظر Supplementaire Aux Dictionnaires Arabes .

(٣) فى الأصل « عشرين » هنا ويلاحظ أن الوارد فى التوفيقات الإلهامية هو أن أول ربيع الأخر يوافق الثانى عشرين من بابه .

(٤) أى الطاعون .

وأما الغلاء فاستمر بالديار المصرية فى سائر الأقوات ، لأن القمح وصل إلى تسعمائة درهم الإردب ، والشعير إلى ثلثمائة الإردب فأكثر (١٣ ب) ، ثم غلا الشعير والفول بعد ذلك إلى أن زاد الإردب على أربعمائة درهم وخمسين درهما ، بل عدم وجود الشعير بالكلية ، والخبز بخمسة دراهم الرطل لكنه موجود بحوانيت السوقة والباعة ، وأما الجبن الأبيض فوصل إلى عشرة دراهم الرطل ، وقس على هذا سائر المأكولات ، مع أن البلاد الشامية والحلبية طرّشهم الغلاء ، ووصل السعر فى الغلاء بها إلى أزيد من سعر مصر ، وأما بلاد الروم فأكثر غلاء . وطال هذا الغلاء ونمو السعر بمصر وضواحيها وقراها ، فلله الحمد على كل حال .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره قدم المقر الأشرف الأتابك أزبك من ططخ الظاهرى من البحيرة بعد أن وطنها ووطن أهلها وعمل مصالحهم ، فخلع عليه السلطان فوقانيا بوجهين ، وتوجه لداره فى جحفل عظيم زائد ، وأخبر أن الطاعون مستمر باسكندرية ، وأنه انتشر ببلاد البحيرة ووصل إلى مدينة دمنهور ، وأخبر بموت جماعات من عرب غزالة كانوا رءوس الشر والفتنة نحوا من ثمانين نفرا ، فلله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك .

وأشيع فى هذا اليوم أن مات ببيت الصاحب مجد الدين اسماعيل بن[1] البقرى عدة من مماليكه بالقاهرة ، وسألت عن ذلك من أخيه القاضى شرف الدين[2] عبد الباسط فأجاب « بنعم » : « مات عند أخى من المماليك ثلاثة نفر فى الجمعة الماضية بالطاعون » .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره سافر القاضى علاء الدين ابن الصابونى إلى

(١) السخاوى : الضوء ١١/٢٣٨ .
(٢) السخاوى : الضوء ٤/٩٧ .

دمشق بعد عزله ومصادرته وضربه وحبسه بطبقة الخازندار بقلعة الجبل ، والتزم بمائة[1] ألف دينار فوزن بعض ذلك ، وسافر معه السيفى جانبك الخاصكى مرسما عليه حتى يغلق[2] ما التزم به .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره ركب السلطان بغير (١١٤) قماش الخدمة ، وفى خدمته غالب أمرائه وخاصكيته ، وتوجه لجهة طرى والمدوية سائقا سوقا عنيفا ، بحيث أن ساق منها إلى قارب القمازة من بلاد قبلى وهو يسوق الفرس الذى تحته ، بحيث أنه لم يلحقه من أمرائه وخاصكيته إلا من كان راكباً للخيول الجياد ، ولم ينزل عن فرسه فى ذهابه وإيابه إلى أن عاد وطلع القلعة قريب العصر ، ولم يجتمع به غالب أمرائه لشدة سوقه فى الذهاب والإياب ، ولما وصل إلى القلعة أمر فنودى بشوارع القاهرة : « من له جامكية فى بيت السلطان يصعد من الغد ليقبضها » ، ورسم أيضا لقضاة القضاة أن يطلعوا من الغد لعقد مجلس بسبب كثرة جوامك المماليك السلطانية وغيرهم .

فلما أصبح يوم الخميس سادس عشره طلع[3] قضاة القضاة ونوابهم وعدة من مشايخ العلماء . وكنت حاضرا المجلس مع قاضى الحنفية ، وكل ذلك بالحوش السلطانى بقلعة الجبل . وجلس السلطان مع القضاة على العادة تحت الدكة ، والأمراء والمباشرون واقفون فى مواضعهم ، فتكلم مولانا السلطان ـ نصره الله ـ مع القضاة والقاضى كاتب السر كلاما طويلا ، وهو المتكلم والمشار إليه حفظه الله ، وأخذ السلطان نصره الله يقول كلاما معناه أن الجامكية على المماليك السلطانية كانت فى أيام الملك المؤيد شيخ أحد عشر ألف دينار كل شهر ، ثم صارت فى دولة الملك الأشرف برسباى ثمانية عشرة ألف ، ثم زادت فى أيام الملك الظاهر جقمق حتى صارت إلى ثمانية وعشرين ألف دينار فى كل شهر ،

(١) راجع ماسبق ص٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ .
(٢) يغلق هنا بمعنى يسدد .
(٣) فى الأصل « طلعوا » .

وسبب هذه الزيادة أن السلطان الملك الظاهر المذكور فوّض أمر ديوان الأستادارية الأمير زين الدين يحيى الأشقر[1] يتصرف (١٤ب) فيه كيف شاء لأجل السداد ، فصار يبيع الجامكية ويهبها ، ويتقرب بتنزيل جوامك المماليك الأمراء حتى يصير له عندهم منزلة ، ويزيد فى جوامك المماليك السلطانية ويرتب لأولادهم جامكية وإن لم يكن لهم ذلك - يعنى أولادا ، فبمقتضى ذلك زادت الجامكية الثلث عما كانت ، ومع ذلك فالديوان معه فى سداد ونفوذ كلمة وحرمة وجاه عريض ، وكل ذلك من أستاذه ، واليوم صارت الجامكية فى كل شهر ستة وأربعين ألف دينار وخمسة دنانير ، فصار ديوان السلطان لا يفى بالجامكية ولا بثلثيها .

قلت : وسبب عدم السداد أن زين الدين الأستادار لما عزل عن الوظيفة أخرجوا من بلاد الديوان المفرد عدة للخاصكية والمماليك السلطانية ، وصار كلما يموت سلطان[2] أو يغيرونه يخرجون من بلاد الديوان عدة للخاصكية والجلبان ، فحصل هذا الأمر . انتهى .

ثم إن السلطان أخذ فى غضون ذلك يدعو على نفسه ويتبرم من السلطنة ويصرح بالخلع وأشياء كثيرة من هذا النمط ، وصار يقول : « عجزت عن دفع هذا المال وحمله لأربابه فى كل شهر » ، فتكلم بعض القضاة بأن الظلم لا يجوز فى ملة من الملل ، لأنه قصد بذلك السلطان لأنه بلغه عنه أنه يريد [أن][3] يأخذ فائض أموال الأوقاف وأموال التجار ، ثم إن القاضى المذكور أخذ يقول إن السلطان له النظر العام ينظر فيمن يستحق يبقيه فى الديوان ، ومن لم يستحق يمحوه من الديوان .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/٩٨٣ .

(٢) فى الأصل « سلطاناً أو يغيروه يخرجوا » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

وتكلم شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى [١] بكلام ساعد فيه القاضى المذكور وعضّده ، وانفض المجلس المذكور وقام السلطان وجلس على الدكة بالحوش المذكور، وجلس عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومشيرها ومدبرها (١١٥) ووزيرها ودوادارها الكبير - أعز الله به الإسلام والمسلمين - ورئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى [٢] كاتب السر - حفظه الله - وبقية المباشرين وكاتب المماليك ومقدم المماليك ونائبه ، وحضر أيضا معهم القاضى الرئيس علم الدين ابن الجيعان [٣] وولده العالم العلامة الأمة الفرضى الشرفى [٤] يحيى وأخوه الزينى عبد الغنى [٥] ، وكاتب العليق وكاتب الحوائج خاناه ، وسبب هذه الجمعية لضبط مايقطع من الجامكية واللحم والعليق والكسوة والأضحية ، وصار ناظر الخاص والأستادار بكتبان أيضا ، وكان مجلسا حفلا مهولا إلى الغاية . ثم استدعى عبدُ الكريم بن جلود [كاتبُ المماليك [٦]] أربابَ الجوامك : كل نفر على حدة ، وأمر لهم بالنفقة .

هذا وبجانب السلطان - نصره الله - على الدكة ثلاثة قسى ، كل واحد منها أقوى من الآخر بالتدريج كما تقدم ، ليمتحن بذلك أولاد الناس المنزلين ببيت السلطان فى ديوان المماليك ، وأنفق [٧] فى هذا اليوم فى طبقة الرفوف بتمامها ، وقطع جماعة كثيرة من أولاد الناس وغيرهم ، والذى ظهر من الأمر فى هذا اليوم أن

---

(١) ولد الشيخ يحيى فى سنة ٧٩٧ هـ كما ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/١٠٠٨ وليس سنة ٧٩٥ هـ كما هو وارد فى السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٧٨ ، راجع أيضا السيوطى : حسن المحاضرة ١/٢٢٧ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١١/٢٣٣ ، والسيوطى : نظم العقيان ، ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٣/١١٧ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/٩٦٩ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ٤/٦٤٧ .

(٦) الإضافة من الضوء اللامع ٤/٨٦٠

(٧) فى الأصل « نفق » .

٥٩ أنباء الهصر

السلطان ـ نصره الله ـ أبقى لكل واحد من المماليك السلطانية ألفى [١] درهم فى كل شهر ، وقطع من له زيادة على ذلك ، ولو تأخر له زيادة على الألفين وهى مشترى تقطع ويرجع على من باعها ، وكذا إن كانت مقايضة يرجع له بإقطاعه ويقطع جامكيته . ورسم بالصرف لكل من ذكر ، وأن يكون القطع من الشهر الآتى ، وأن يكون لكل نفر من المماليك السلطانية ألفا [٢] درهم جامكية ، وزبدية لحم فى كل يوم ، وثلاثة علائق ، وللخاصكية وأصحاب الوظائف زيادة على ذلك من الجامكية والمليق ، ولم يظلم السلطان ـ نصره الله ـ أحداً بما قطعه لأن العادة القديمة لآخر دولة الملك الأشرف برسباى كانت على هذا النمط الذى فعله السلطان الملك الأشرف قايتباى عز نصره ، وفى الواقع لم نعلم أحداً من المماليك السلطانية (١٥ب) فى القديم له جامكية أكثر من ألفى درهم وزبدية لحم وثلاث علائق ، بل كان [٣] غالب المماليك السلطانية يأخذون عوضا عن الصرة اللحم صرة من الفلوس : مائتى درهم وثلاثين درهما ، ثم نزلت إلى مائة وثمانين درهما ، وأما اليوم فقد صار بيت السلطان همجا ، ودخل فيه خلائق كثيرون من المتعممين وأولاد الناس والتجار والعامة حتى النصارى ، وخرج الأمر عن الغيرة والجد ، وعجز الوزير والأستادار وناظر الخاص لكثرة ذلك ، وصار [٤] الملوك يسعفونهم بالأموال من خزائنهم فى كل شهر ومع ذلك لا يزدادون إلا عجزاً ، فسبب ذلك تحمل الدواوين الكلف الزائدة لمن لم ينتفع بهم ولا يدفعون عدوا ولا ينجدون مظلوما ولا يسدون ثغراً .

وكان ابتداء ذلك من دولة الملك الظاهر جقمق ـ سقى الله عهده ـ فإنه كان ـ رحمه الله ـ إن وقف له تركانى [٥] أو كردى أو بدوى أو صغير أو يتيم

---

(١) فى الأصل « ألفين » .

(٢) فى الأصل « ألفى » .

(٣) فى الأصل « كانوا » .

(٤) فى الأصل « وصاروا الملوك يسعفوهم » .

(٥) فى الأصل « تركانيا أو كرديا أو بدويا أو صغيرا أو يتيما أو بنتا » .

أو بنت صغيرة يكتب باسمه جامكية ولحا عليقا وكسوة وأضحية ، فأتلف[١] نظام من تقدمه وصير الدواوين عبرة ، مع أن السلطان الملك الأشرف إينال - سقى الله ثراه - أراد أن يفعل هذ الصنيع الذى فعله الملك الأشرف أبو النصر قايتباى - عز نصره - فما مكنه من ذلك دواداره المقر الأشرف العالى السيفى بردبك[٢] ، وخوفه عاقبة ذلك ودعاء الناس عليه وعلى ذريته ، وهول عليه أن ربما يحصل بوقوع ذلك إثارة فتنة عظيمة ، وكان الملك الأشرف إينال ينقاد إلى الخير بشعرة ولا ينقاد إلى الشر بالسلاسل الحديد كما سمعت ذلك من لفظ قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة[٣] الحنفى ، وأراد الملك الظاهر خشقدم أن يفعل ذلك فما جسر أيضا ، فلما ضعف أمر هذين[٤] السلطانين : الأشرف إينال والظاهر خشقدم عن ذلك صار الوزير والأستادار يظلمان[٥] العباد لعلمهما (١١٦ ا) أن الدواوين لا تسد ولا تقوم بالكلف إلا بالظلم ، وصار كل من ظفر بشى أخذه وسد به ، فخربت البلاد وظهر الفساد ، وسكت العباد قبلى وبحرى من جور الوزراء والأستادارية وإفشاء ظلمهم وأخذهم مالا يستحقونه[٦] من الرعية ، ومع ذلك فالعجز الفاحش ظاهر عليهم . وأما أمر الكشاف والولاة ومشايخ العربان مع أهل القرى فقس عليهم ، فضلا من الحرامية والمفسدين .

* * *

(١) يقصد بذلك الأشرف قايتباى .

(٢) كانت توليته دواداريةإينال الثانية فى جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ ،انظر أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ، ص ٤٤٩ .

(٣) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٧١ ؛ والسخاوى : الضوء اللامع ٩/٧٥٥ .

(٤) فى الأصل « هازين » .

(٥) فى الأصل « يظلمون العباد لعلمهم » .

(٦) فى الأصل « يستحقوه » .

وأما المكوس فزادها[١] الوزراء أمثال ما كانت حتى كانوا يفعلون[٢] ذلك فى المواريث الحشرية ، فإن الوزير محمد البباوى اللحام فى وزارته صار يطلب الناس الذين صالحوا الوزير الذى قبله وأخذوا وصولا ، ومع ذلك يأخذ منهم المال الجزيل بغير طريق شرعى من عشرين سنة وأكثر ، ويتكلم بكلام لا يجوز شرعا ولا عرفا ولا عادة ولا مادة ولا طبعا ولا مروءة ، وهذا مشهور من الخلائق . ولو كان الأمر على النظام الأول كان كل من الوزراء والأستادارية لا يتعدى طوره وينظر فى مصالح تعلقاته وعمارة بلاده ، والسلطان - نصره الله - ما يظن أن من ولاه من الوزراء والأستادارية والكشاف ومشايخ العربان يصلون إلى هذا الحد الفظيع بل يعمرون البلاد ويرفقون بفلاحى[٣] القرى ويدفعون عنهم المعتدين الخارجين عن الطاعة ، كما كان ذلك فى أيام الملوك السالفة . رحمهم الله قديماً وحديثاً .

ولما فرغ السلطان - نصره الله - من قطع غالب أولاد الناس ، وسلك معهم طريقة الملك المؤيد شيخ والأشرف برسباى ومن كان قبلهم من الملوك شق ذلك على كل من له مرتب وقطع ، وكان زائدا عن العادة ، لأنهم كان فيهم من وصلت جامكيته إلى ثلاثة آلاف وأربعة آلاف وأكثر إلى عشرة آلاف درهم ، ومن له ثلاث زبادى لحم إلى عشرين زبدية فى كل يوم ، ومن له فى العليق ثلاث علائق (١٦ ب) إلى عشر علائق ، ولم يلتفت السلطان إلى ذلك ، وفعل ما رامه وقصده بجنان ثابت وعزم صادق وحزم حاذق وإقدام وقوة وعدم مراعاة إلا فى النادر ، ولم يقبل شفاعة شافع إلا ما رأى فيه خطأ ومصلحة ، وذلك بإشارة عظيم الدنيا ومدبر المملكة

---

(١) فى الأصل «فزادوها» .

(٢) فى الأصل « حتى يفعلوا » وقد صحح المتن لاستقامة المعنى والعبارة .

(٣) فى الأصل « بفلاحين » .

ومشيرها ووزيرها وصاحب حلها وعقدها الأمير المعظم والكهف المفخم يشبك من مهدى دامت سعادته ونعمته .

ولما وفروا ما زاد على العادة نظر الأمير[١] المذكور فى مصالح المسلمين فأمر بإبطال مكس قطيا[٢] ، ومتحصلها فى الشهر ما يزيد على ألف دينار ، وكذلك مكس الخشابين ، وكان المعاملون يصنعون[٣] فيه أشياء لا تعمل إلا فى قبرص من شدة الظلم ، بحيث أنهم يستأصلون جميع الأخشاب ولا يكفيهم ذلك بعد الضرب والسب والبهدلة .

وكذلك أبطل الأمير المذكور ـ حفظه الله على المسلمين ـ مكس الغزل الذى كانوا يبيمونه[٤] النساء وصار ذلك مسطرا له فى التواريخ ؛ وهذا هو الفضل العام إلى يوم العرض والقيام ، فجزاه الله أحسن جزاء ، وحفظه ما ائتلف الفرقدان واختلف الجديدان .

وتوجه السلطان بعد فراغ النفقة بحضرته على أنه يحضر الجامكية فى كل شهر من الشهور ، والملك والأمر بيد الله تعالى يفعل ما يريد .

وقال الجمالى يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه: « قلت العجب أن أرباب التقويم وعلماء النجوم أجمعوا على أنه يكون قطع عظيم فى يوم سابع عشر هذا الشهر ، ولعل ذلك بلغ السلطان فتوجه إلى جهة العمارة من الوجه القبلى ، ومعه شرذمة قليلة من عسكره ، وسافروا خلفه حتى لحقوه ، وانقطع عنه باقى عسكره من الأمراء والخاصكية ، ولم يجتمعوا به إلا بعد عوده إلى القلعة ، وما ذاك إلا استخفافا بمن يستخف به ، ثم أصبح يوم الخميس ففعل ما فعل من

(١) يقصد بذلك الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير .

(٢) بفتح القاف وسكون الطاء وهى تقع فى الطريق بين القنطرة والعريش وكانت محطة تكهس المتنقلين بين مصر والشام ، راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ١/ ٣٥٠.

(٣) فى الأصل « يصنعوا » .

(٤) تحمل هذه العبارة المعنى المفهوم من المتن كما تحتمل أن تكون بالصورة التالية « كانت تبيعه النساء » .

عقد المجلس وقطع ما زاد عن العادة من راتب المماليك السلطانية (١٧ ا) وغيرهم ، ونزل أكثر العسكر ساخطا[١] عليه ، فكأنه أعان المقطع المذكور. فى يوم سابع عشره على نفسه بما فعل من نزوله وقطع جوامك المماليك ، ومع هذا كله فلم يتحرك فى السكون ساكن ، ولم يقع فى هذه الأيام ما شوش عليه ولا كدره بوجه من الوجوه ، فبالله ما أقبح وجه هؤلاء : أرباب التقويم وأكذبهم ، والعجب فى ذلك أن الشخص يقول : أكذب مرة واحدة فى عمرى فيعد كذابا فى الدهر ، ولا يقبل قوله فيما ينقله ، وهؤلاء يكذبون فى الشهر المرة والمرتين ، وهم على ذلك دوام الدهر ، والناس يترددون إليهم ويسألونهم[٢] ، مع عرفانهم بعدم معرفتهم ، وهذا أغرب من الأول » . انتهى كلام الجمال المذكور .

* * *

وفى يوم الاثنين العشرين منه فرقت الجامكية على الصفة التى تقدمت[٣] بحضور السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى نصره الله ، نقد الناس وسيرهم وشرع يعطى كل أحد حقه وينزله منزلته ، فإنه صار إذا رآى شخصا له معرفة بنوع من أنواع الفروسية وغيرها فيصفه بالوصف الحسن بحضرة العسكر وينصفه غاية الإنصاف ، وإن كان الشخص بضد ذلك قطع جامكيته وترك كل شىء بحسب الحال ، ويرسم له أن يكون طرخانا[٤] ، ويصير يأخذ ذلك على وجه البر والصدقة ، فلم يعجب هذا الفعل أحداً[٥] ممن قطع له

---

(١) فى الأصل « ساخط » .
(٢) فى الأصل « ويسألوهم » .
(٣) راجع ما سبق ص ٣٥ - ٣٦ .
(٤) الطرخان هو الذى أعفى من وظيفته غير مغضوب عليه ولكنه مازال يأخذ جامكيته، انظر ابن إياس : بدائع الزهور ، ص ٩ حاشية رقم ٦ .
(٥) فى الأصل « أحد » .

بل نزلوا ساخطين[١] واستمروا على هذا الأسلوب ما خلا أيام[٢] السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء والجمعة ، إلى أن انتهت على خير وسلامة .

* * *

وفى هذه الأيام خلع على الأمير يشبك البجاسى[٣] المعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب وصار أحد الأمراء البطالين ، واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الناصرى محمد بن المبارك بحكم عزله .

(١٧ب) وفى يوم الخميس ثالث عشره خلع على الأمير سودون الأفرم[٤] الظاهرى أحد مقدمى الألوف ، واستقر فى كشف التراب بالشرقية من الوجه البحرى من أسفل مصر .

وخلع على فقيه الترك ومحب الفقهاء ومكرمهم ومعظمهم ومبجلهم الأمير تمراز الشمسى[٥] الأشرفى - أحد الأمراء الألوف أيضا - بكشف تراب الغربية بالوجه البحرى ، وعين السلطان صحبته أميرين من أمراء العشرات ومائتى[٦] مملوك إعانة له على إرداع المفسدين وقمعهم ودفعهم عن البلاد والعباد .

وخلع على الأمير بردبك المشطوب[٧] - أحد الأمراء العشرات ورءوس النوب - واستقر فى كشف تراب البهنساوية[٨] .

وفى يوم الاثنين رابع عشريه خلع على الأمير يشبك الجمالى يوسف

(١) فى الأصل «ساخطون» .
(٢) فى الأصل «يوى» .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٨٣ .
(٤) السخاوى شرحه ٣/١٠٧٦ .
(٥) راجع الضوء اللامع ٣/١٥٢ .
(٦) فى الأصل «مائتين» .
(٧) لم ترد كلمة «المشطوب» فى ترجمته بالسخاوى : الضوء اللامع ٣/٢٣ ، وإنما سماه «بردبك التاجى الأشرفى برسباى الأبرص» .
(٨) قرية من صعيد مصر ، راجع عنها ياقوت : معجم البلدان ١/٧٧١ ، والمقريزى : الخطط ١/١٠٣ ، ومادة «بهنسا» فى دائرة المعارف الإسلامية.

ابن كاتب حكم[1] - أحد الأمراء العشرات وأمير الركب الأول فى هذه السنة - واستقر فى حسبة القاهرة عوضاً عن الأمير قانصوه الأحمدى المشهور بالحسيف بحكم انتقاله إلى وظيفة شاد الشراب خاناه .

وشغرت الحسبة مدة طويلة ، وباشر يشبك المذكور الوظيفة المذكورة ، لم يكشف البلد بنفسه ولا مرة واحدة ، ولا يعرف أحوال الرعايا والمسلمين إلا من أعوانه الذين فى خدمته ، فصاروا أربابَ أموالٍ وأقمشة ودور وخيول وبغال وحمير ، وهو ماسك البقرة وغيره يحلبها فإنه لايتعاطى شيئاً ، لكن ما أحسن ما قال الشاعر :

ورابط الكلب العقور ببابه   فأصل ما بالناس من رابط الكلب

على أن قانصوه الأحمدى [الأشرفى إينال] المشهور بالحسيف الإينالى الذى هو الآن شاد الشراب خاناه لما استقر فى الحسبة قبله كشف البلد بنفسه مرة ، وهذا[2] فى غاية الشماخة والترفع أن يقف على سوق أو وزان أو بياع ويعتبر أوزانهم وسنجهم وحوانيتهم ، وأمثال ذلك من الطبخ وغيره (١١٨) ، بل تحضر أعوانه له بمن لا يعطونهم[3] المعلوم المعهود عندهم فيضربه ثلاث علقات : واحدة على مقاعده وأخرى على رجليه وأخرى على أكتافه ، ويشهرونه[4] بلا طرطور[5] بل يكشفون رأسه ، وهو الذى أحدث كشف الرأس ، مع أن جماعة كثيرين ممن فعل بهم ذلك عَمُيوا وطرشوا ، فإن الواحد يكون ضعيف البصر أو به نزلة فيكشفون رأسه ويدورون به القاهرة فلا يرجع إلا بضرأو أمثال ذلك .

وأما أحكامه فبالبخت والنصيب ؛ وأما أخلاقه ففى غاية الشراسة ، حتى

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١١/٢٦٨ .

(٢) يقصد بذلك الأمير يشبك الجمالى ابن كاتب جكم .

(٣) فى الأصل «يعطوهم» .

(٤) فى الأصل «فيشهروه» .

(٥) الطرطور كما عرفه دوزى قلنسوة عالية كانت من زى بدو مصر فى القرن الخامس الهجرى ، ثم ابتذلت ووضعت على رأس المجرمين أو العدو المغلوب .

إنه يغضب على من قرّبه وجعله أميراً ويستمر على ذلك الأشهر بل الأعوام ، هذا مع دينه المتين ومحافظته على الصلاة والصيام ، ولكن عنده تعصب على الأمر الظاهر الجلى النطقى ، وعرف غالب الفضلاء من أرباب المذاهب وغيرهم ذلك منه ، والله تعالى يعامله بعدله سريعاً .

﴿ شهر جمادى الأولى ﴾

أهل بالجمعة ، ويوافقه من شهور القبط ثانى عشرى هتور .

لبس السلطان القماش الصوف للمعد لبسه لفصل الشتاء وخلع على الأمراء الألوف الفوقانيات الصوف بباب الحريم على العادة كل سنة ، وخلع السلطان الفوقانى ـ الذى هو لابسه ـ لرأس نوبته الكبير ، ثم يصير كل جمعة لمن دونه وهلم جراً إلى أن ينتهى الشتاء .

وفى يوم الاثنين رابعه انتهت نفقة السلطان على مماليكه من الجامكية بعد أن قطع منها جمع توفر منه نزر يسير على ما قيل بالنسبة لمقام السلطان ، وأكثر من قطع من المتعممين وأولاد الناس ، وأما اللحم والعليق فتوفر منهما جانب كبيرا ، ولابد نذكر ما تحرر من متوفر الجامكية واللحم والعليق إذا انتهى ، فإن الأمر إلى الآن ما سكن .

وفى يوم الخميس (١) حادى عشريه سافر الأمير تمراز الإبراهيمى (٢) بل الشمسى أحد المقدمين الألوف (١٨ب) إلى الوجه الغربى من أسفل مصر لمصلحة الجسور وعملها ، وصحبته ماتقدم ذكره من المماليك هيئة تجريدة لردع المفسدين فتوجه للمحلة وأقام بها .

---

(١) فى الأصل «الاثنين» ، على أنه ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ أن أول جمادى الأولى كان يوم الخميس ، الموافق ٢١ هاتور = ١٧ نوفمبر ١٤٦٨ .

(٢) السخاوى: الضوء اللامع ٣/١٥٢ .

وفى يوم الاثنين خامس عشريه وردالخبر على السلطان بأن درندة ملكها شاه سوار عنوة ، وأخذ المدينة والقلعة من نائب السلطان المشهور بابن بلبان ، وذلك بموافقة أهلها مع شاه سوار ، وقتل [١] أعوانُ شاه سوار المذكور ابن بلبان واحتاطوا على موجوده ، ولم يصل إلينا تفصيل أخذها على التحرير ، فشق هذا الخبر على السلطان ـ نصره الله ـ بل وعلى كل من سمعه ، وعظم هذا الأمر على المسلمين ، ولله عاقبة الأمور .

وفيه حضر السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ نصره الله ـ تفرقة الجامكية على المماليك السلطانية ، ففُرقت بين يديه بالحوش السلطانى من قلعة الجبل على حكم الشهر الماضى ، لكنه لم يبد ولا يعيد ، فإنه تنكد وحصل عنده أمر عظيم من خبر درنده ، واستمر يفرقها بحضرته فى كل شهر ، ثم ترك ذلك ، ثم طلب تفرقتها بحضرته .

* * *

وفيه خلع على الأمير جوهر النوروزى [٢] الطويل الحبشى الذى كان استقر فى نيابة تقدمة المماليك ثم فى التقدمة ، واستقر فى وظيفة الزمامية والخازندارية عوضاً عن الأمير جوهر التركانى [٣] المندى ببذل شىء من الحطام .

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه قدم المقر الأشرف المعظم المفخم عظيم الدنيا ومشيرها ووزيرها وداودارها الكبير وصاحب حلها وعقدها من بلاد الصعيد وصحبته عدة من العربان ونسائهم وأولادهم نحو أربعمائة نفر ، ففرقوهم على الحبوس فنال ذنب عقابه فيه ، وقال الجمال(١١٩)يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه عند ذكر قدوم الأمير المذكوردامت نعمته وسعادته : « وصل الأمير

---

(١) فى الأصل « وقتلوا » .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٣/٣٢٢

(٣) السخاوى : الضوء اللامع٣/٣٢٣

يشبك الدوادار من بلاد الصعيد بعد ما نهب أهلها وبدد شملهم وأخرب عدة قرى من شرق بلاد الصعيد، وأحضر معه من نسائهم وأولادهم أكثر من أربعمائة امرأة إلى ساحل بولاق فى المراكب، هذا بعد أن مات منهم عدة كثيرة من الجوع والبرد، وجعلهم فى وكالة الأتابك قانم[1] فاشترى لهم بعض الناس إردبىّ فول صحيح ورماه[2] لهم، فأكلوا فى الحال من شدة الجوع والإجاعة[3] ثم شرع أهل الخير فى الصدقة عليهم بقدر حالهم؛ وداموا على ذلك إلى يومنا هذا، ولا يعرف أحد مقصود الدوادار فى حبس هؤلاء النسوة، وبواسطة تعويقهن شرع أزواجهم فى قطع الطريق وأخذوا بعض مراكب الغلال القادمة من بلاد الصعيد ونهبوا ما فيها ثم أحرقوا المراكب، وقيل إنهم فعلوا ذلك بعدة مراكب. وبهذا المقتضى ارتفع سعر القمح وغيره من الغلات فما شاء الله كان. وفى الجملة فإن سفرة الدوادار إلى الصعيد فى هذه المدة كان فيها مصالح ومفاسد، فمن المصالح قتل ابن جامع وسلخه وجماعة أخر ونهب بنى هلبا المذكورين فإنهم كانوا أشر من كان، ومن المفاسد خراب البلاد التى كانت بنو هلبا تأوى إليها، وحضور هذه النسوة إلى القاهرة». انتهى كلام الجمال.

قلت: ولولا وجود مثل هذا الملك الذى حرمته ملأت الأقطار على رؤوس الأشهاد وسفره إلى الوجه القبلى وتمهيده وتنظيفه من المفسدين وإرداعهم بالقتل والنهب (١٩ب) وأمثال ذلك لرأينا مالا يطاق وصفه؛ ولله الحمد على كل حال.

وفى يوم الخميس ثامن عشريه رسم السلطان بتفرقة الجامكية على المماليك السلطانية بالإيوان[4] على العادة، ثم ركب من فوره بعد الخدمة السلطانية

(١) هو قانم من صفرخجا الشركسى المؤيدى المعروف بالتاجر، وقدمات فى صفر ٨٧١، انظر عنه الضوء اللامع ٦/٢٩٥.

(٢) فى الأصل «أرماه».

(٣) لعلها «الإجاعة» أو «الحاجة».

(٤) وكان يعرف بديوان العدل أيضا وهو الذى أنشأه المنصور قلاون، وقد جرت العادة أن يجلس فيه السلاطين لنظر المظالم، انظر المقريزى: الخطط، ٢/٦.

ونزل فى خواصه إلى جهة بركة الحبش[١] ، وأقام بها لقريب العصر ، فجهز له رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر الشريف حفظه الله — الغذاء والحلوى والفاكهة والمشروب فأكل وشرب وانشرح وعاد إلى القلعة فى أمن وأمان ، والله هو المستعان .

﴿ جمادى الآخرة ﴾

أهل يوم السبت ويوافقه من شهور القبط ثانى[٢] عشرى كيهك .

فيه تزايد السعر فى الحيوانات جداً بعد أن كانت انحطت قليلا ، وأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب بعد أن كان بثمانمائة ، وقس على هذا سائر الغلال من الأقوات .

وفيه أيضا فشى الطاعون بإقليم البحيرة من الوجه البحرى من أسفل مصر وبعض بلاد الغربية ، بل وظهر الطاعون بالبلاد المصرية لكنه غير فاش ، فإنه ظهر ببعض الأماكن ، وبعض الأماكن لم يظهر بها شىء ، والوقت بدرى فإنه خامس يوم من فصل الشتاء ، والأمر لله يفعل مايريد ولا يسؤل عما فعل .

وفى هذا اليوم اهتم السلطان — نصره الله — بتجهيز تجريدة ثانية لقتال شاه سوار ، وذكر أنه يعينها فى أول شعبان .

وفى يوم الأربعاء خامسه ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش الخدمة فى نفر من خواصه وألزامه وقصد بركة[٣] الجب فوصلها ، ثم توجه إلى خانقاه سرياقوس ، ثم رجع إلى مدينة عين شمس[٤] الخراب التى بها العمود المسمى بمسلة فرعون ، فنزل بها وأقام يومه هناك ، وعاد إلى القلعة فى آخر النهار

---

(١) المقريزى : الخطط ٢/٢ ١٥٢

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ ، أن السبت أول جمادى الآخرة يوافق الحادى والعشرين من كيهك القبطى (= ١٧ ديسمبر ١٤٦٨ م) .

(٣) هذا اسم آخر لبركة الحجاج ، راجع ما سبق ص ١٩ حاشية رقم ١ .

(٤) راجع عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى ١ / ٣٣٩ — ٣٤٠ .

للذكور بعد أن ساق السوق الشديد ، والقالة موجودة بإثارة فتنة والركوب على السلطان نصره الله ؛ ويأبى الله ذلك والمسلمون .

وفى الخميس سادسه حضر إلى خانقاه سرياقوس قاصد[1] من شاه سوار المخذول وعلى يده . طالمات ومضمون كلامه « أنه يسأل فى الصلح من مولانا السلطان نصره الله » ، فلم يمكنه السلطان من الحضور لخدمته وأمر برده ، فرُد على أقبح صورة ، لابارك الله فيه ولا فى مرسله ، وخذله وأهانه قريباً .

[وفى] يوم الجمعة سابعه سافر الأتابك أزبك إلى جهة البحيرة فى هوتك عظيم وجحفل جسيم .

وفى السبت ثامنه ركب السلطان ـ نصره الله ـ من قلعة الجبل ونزل من باب السلسلة إلى مصلى المؤمنى ، فصلى على السيفى شاهين[2] الساقى الطواشى رأس نوبة الجدارية ، وتوجه من هناك إلى بساتين الوزير غارة ، واستمر حتى وصل إلى بركة الحبش وأقام بها إلى آخر النهار ، وفى خدمته نويسات قليلون وعاد إلى القلعة فى آخر بومه[3] ، وأصبح من الغد — الذى هو الأحد تاسعه — فركب وتوجه إلى قريب المطرية[4] فنزل بها وأقام إلى آخر النهار وعاد إلى قلعته .

* * *

وفيه ذَكر شخص يسمى يوسف السيفى ليشبك الصوفى أحد المماليك السلطانية أنه وجد حصاة مكتوب على شقها الواحد « قرب الوقت » ، وعلى

(١) فى الأصل « قاصدا » .
(٢) ويعرف بشاهين غزال ، انظر الضوء اللامع ٣ / ١١٢٨ .
(٣) فى الأصل « يوم » .
(٤) المطرية من ضواحى القاهرة وبها الشجرة المعروفة التى يستخرج منها البلسان أو البلسم ، وهى موقرة عند النصارى ، انظر ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٣ /١٢٨٤ .

الشق الآخر « اعتبروا واتقوا الله » ، والخط ناتىء كالعروق بغير نقط ، ولونه فى الحصاة أسمر وهو إلى الصفرة أقرب والخط أغمق من لونها ، ووزنها ستة دراهم ونصف وربع درهم ، وذكر يوسف المذكور أنه رآها تمشى على الأرض بالقرب من دار الضيافة من تحت القلعة ، قال الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه عندما ذكر هذه الحصاة : « وأنا استغفر الله وأقول إنها مصطنعة »[١] .

* * *

(٢٠ ب) وفى يوم السبت خامس عشره جلس السلطان - نصره الله - بالحوش السلطانى على الدكة كعادته ، وعرض المماليك السلطانية الذين يريد تجهيزهم لتجريدة شاه سوار ، وعين منهم جماعات كثيرين للسفر صحبة من عينه قبل تاريخه من الأمراء الذين سنذكر عددهم وتسميتهم عند توجههم من القاهرة لقتال شاه سوار . واتفق فى هذا العرض أمر غريب من السلطان وهو أنه لما عرضهم وصار يعين منهم للسفر صحبة من عينه من الأمراء كما قدمنا سأل من كان له إقطاع فيلزمه بإقامة بديل يسافر عنه أو يقوم بمائة دينار ، وإن كان صاحب جامكية — أعنى ألفى درهم — أخذ منه عشرون دينارا ، وتم له ذلك بعد أن فشر من فشر وظن من ظن ، ولم ينتطح فيها عنزان . وأصبح العرض من الغد ، وفعل فيه كما تقدم .

وفى يوم الاثنين سابع عشره جلس السلطان على الدكة بالحوش السلطانى من قلعة الجبل كعادته ، وفرقت الجامكية بحضرته على المماليك السلطانية .

* * *

وفيه أمر السلطان باعتقال المقر الشهابى أحمد بن [العينى][٢] بالبرج من قلعة الجبل بسبب ما تأخر عليه من المال ، فأقام به إلى يوم الأربعاء تاسع عشره

(١) عبارة « وأقول إنها مصطنعة » مكررة فى أول ورقة ٢٠ ب .
(٢) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣/ ١٢٥ ، س١

[ثم][1] أطلق بعد أن حمل المال ، فخلع عليه السلطان — نصره الله — كاملية بمقلب سمور ، وتوجه لداره مكرما معظما .

* * *

وفى هذا اليوم جهز السلطان نفقة السفر للأمراء الذين عينهم لقتال شاه سوار المخذول ، فجهز للأمير قرقماس الأشرفى الجلب أمير مجلس ثلاثة آلاف دينار ، وحمل إلى الأمير سودون القصير وهى رأس نوبة النوب بالشرح[2] ، وكذلك الأمير تمر حاجب الحجاب ، وكان أنعم عليه قبلها بمثلها لما يعلمه[3] من تقتيره وتبذيره (١٢١) وما حصل عليه . وكذلك وصل لقراجا الإينالى الأعرج الأشرف أحد مقدمى[4] الألوف وهو مسافر بالوجه القبلى لجهة إقطاعه . وهؤلاء الأمراء المذكورون[5] هم المعينون لتجريدة شاه سوار ، ومقدم العسكر المذكور الأمير الكبير الأتابك أزبك من ططخ الظاهرى — عز نصره — مع أنه مسافر لجهة البحيرة .

ثم إن السلطان رسم لكل أمير من الطبلخانات بخمسمائة دينار ، وهم جانبك[6] الزينى المؤيدى أحد رءوس النوب ، وخير بك من حديد[7] الأجرود الأشرفى [برسباى] ، وأرسل لكل أمير من أمراء العشرات بمائتى دينار وعدتهم أكثر من عشرين نفرا ، فلما وصلت النفقة إلى الأمير

---

(١) أضفيت كلمة « ثم » لتستقيم العبارة .
(٢) أى بمثل ما قرر للأمير قرقماس الأشرفى .
(٣) عبارة « من تقتيره وتبذيره » واردة مرة أخرى فى أول ورقة ١٢١ .
(٤) فى الأصل « مقدمين » .
(٥) فى الأصل « المذكورين » .
(٦) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٢٢٥ .
(٧) ذكر الضوء اللامع ٣ /٧٧٨ أنه « من حنيب لا من حديد كما هو على الألسنة » والإضافة منه .

قرقماس الأشرفى المشهور بالجلب أمير مجلس طلع من الغد إلى السلطان يسأله فى عدم السفر ويسأل أن يكون طرخانا ، فلم يلتفت السلطان لكلامه ولا اكترث به وأغلظ عليه فى اللفظ وألزمه بالسفر ، فامتثل ذلك .

ولما نزل قرقماس المذكور إلى داره واجتمع[1] عليه خجداشيته[2] فأشاع اسخيفو العقول أن لابد من ركوب على السلطان ، ويأبى الله ذلك والمسلمون .

ولما أصبح الغد من تاريخه ركب السلطان ـ نصره الله ـ حتى قلعة الجبل فى أناس قلائل جداً من خاصكيته وأعوانه إلى جهة خليج الزعفران واستمر يومه مقيما يتنزه ويتمتع بما أعطاه الله من نفوذ الحرمة والكلمة والعمل الصالح ، وعاد آخر النهار إلى القلعة وهو غير مكترث بما أشيع من الركوب ، فبطلت القالة وعلم كل أحد أنه مستخف بهم ولا يخاف إلا الله جل وعلا .

﴿ شهر رجب ﴾

أهل بيوم الأحد الموافق له من شهور القبط العشرين من طوبة والناس فى أمر مدلج من غلو الأسعار وبوادر الطعن ببيوت بعض الناس بالقاهرة غير أنه قليل ، ونسأل الله السلامة والعفو والعافية فى النفس والأهل والمال والولد .

وفى هذا اليوم وصل المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى أزبك من ططخ من البحيرة بعد أن أصلح أحوالها ووطن أهلها وأردع المفسدين وأجلاهم

---

(١) فى الأصل « واجتمعوا عليه خجداشينه فأشاعوا المسخفين العقول » .

(٢) كلمة فارسية الأصل « خواجه تاش » . والخجداش أو الخشداش مملوك يكون مرافقاً لآخر مثله ، ويكونان ومن معهما فى خدمة أمير كبير .

عن القرى والمدن فحسنت الحال وصعد القلعة بعد عصر يومه المذكور فقبّل الأرض وبات بالقصر الأبلق على العادة لأجل الخدمة والموكب ، وأصبح يوم الاثنين فحضر للموكب وعيّنه السلطان مقدم العساكر المنصورة المجردين لقتال شاه سوار ، فتوقف واعتذر بقلة الموجود وعدّد ما ذهب له من الخيول والقماش والمتاع فى وقعة شاه سوار المقدم ذكرها فلم يقبل منه ، ووعد بكل جميل فى الحال والمآل ، ولا زال به السلطان حتى أذعن للسفر ، والله المستعان .

ومع هذا الأمر الذى للسلطان ـ نصره الله ـ فيه من الاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين وقيامه بنصرتهم لدفع هذا العدو المخذول إن شاء الله عن البلاد والعباد والمسافرين والقاطنين ، فالناس يلهجون بوقوع فتنة من غير تصريح بركوب أحد بعينه ، كما هى عادة فشار العوام .

• • •

وفيه قدم قاصد الأمير حسن بك بن على بك بن قرايلك صاحب ديار بكر وما معها ، فصعد بين يدى المواقف الشريفة شرفها الله وعظمها ، وقبل الأرض وقدم هدية مرسله ، فكانت من الجمال البخاتى[1] خمسة ومن المماليك اثنين ، ومن السلاح زردية[2] وعدة مفاتيح لعدة قلاع استولى عليها من ممالك أذربيجان[3] وتبريز من ممالك جهان شاه بن قرا يوسف ، وكتاب مرسله

---

(١) الجمال البخاتى نوع من الجمال عربى الأم فالج الأب وهى ذات سنامين ولها رقاب طويلة ، انظر Dozy: op. cit. I, 156 وعرفها تاج العروس ١/٥٢٥ بأنها الإبل الخراسانية الناتجة من بين عربية وفالج دخيل .

(٢) السلاح زردية وتعرف فى هذا العصر بالزردخاناه وهى مكان السلاح ؛ والأصل فيها فارسى .

والزردخاناه فيها « جميع أنواع السلاح » التى عددها القلقشندى فى صبح الأعشى ٤ / ١١ — ١٢ ، وما يكون خاصا منها بالثغور . والذى يقصده المؤلف هنا هو أنه أرسل جماعة من صناع الأسلحة .

(٣) راجع الفصل المطول الذى كتبه لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩٣ وما بعدها عن أذربيجان وتبريز ، انظر أيضا مراصد الاطلاع ١ / ٤٧ ، ٢٥٢ .

مضمونه التواضع والدعاء لمولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباى ، وحصل الكتاب أنه من جملة المماليك السلطانية ، وأن كل ما يملكه من البلاد والقلاع إنما هو زيادة فى ممالك السلطان نصره الله وأنه نائبه فيهم ، ويسأل الصدقات الشريفة فى إرسال خلعة يتشرف بها من السلطان ؛ فأجيب سؤاله وأكرم قاصده وأجرى عليه من الرواتب ما يليق به .

• • •

وفى يوم الخميس خامسه ضبط من ورد اسمه ديوان المواريث إلى خمسة وأربعين نفرا ، وهذا يسميه[1] المباشرون « التعريف » فى اصطلاحهم .

• • •

وفى يوم الاثنين تاسعه أضاف[2] السلطانُ قاصدَ حسن بك بن قرايلك المذكور بالحوش السلطانى من قلعة الجبل ضيافة هائلة ملوكية ، وبعد إنهاء السماط والمشروب خلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور وفوقانيا بطراز زركش عريض ، وخلع على ولده كاملية عظيمة ، وأنعم عليه بألف وخمسمائة دينار وأشياء غير ذلك ، وأمره بالسفر فى يوم الخميس مكرما مبجلا بعد أن جمع له أشياء نفيسة وجهزها صحبته : مِن خلع وهدايا هائلة لمرسله حسن بك .

وأرسل إليه عظيم الدنيا ومشيرها ومدبرها ووزيرها ودوادارها الكبير وصاحب حلها وعقدها الأمير يشبك من مهدى ـ أعز الله أنصاره ـ هدية عظيمة ، وأضافه ضيافة هائلة ، وأنعم عليه بخمسمائة دينار وعدة خيول وقماش وسلاح .

وحصل لقاصد[3] حسن من السلطان لما وادعه[4] جبر كبير ، فإنه

---

(١) ل الأصل « يسموه » .
(٢) أى « استضاف » .
(٣) ل الأصل « القاصد » .
(٤) أى « ودعه » .

لـما ودعه خاطبه بكلام فيه تعظيم لحسن المذكور وتحسن ملاطفة ، وأفهمه أنه يحبه وأنه عضده . وحكى لى ذلك كله من لفظه ، وسافر القاصد المذكور من القاهرة فى يوم الخميس ثانى عشره .

وفيه نودى بالقاهرة وشوارعها بالنفقة للمماليك السلطانية المجردين لقتال شاه سوار صحبة مقدم العساكر الأتابك أزبك ـ عز نصره ـ فى يوم السبت رابع عشره .

. .

وفى ليلة السبت المذكور الذى هو رابع عشره خسف جميع جرم القمر ، وكان ابتداء الخسوف بعد الغروب بعشرين درجة وربع درجة ، ثم أخذ فى الانحلال إلى ستين درجة ودقائق .

وفى يوم هذا السبت المذكور فرقت النفقة على المماليك السلطانية المجردين لقتال شاه سوار بحضرته[١] وكذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشره ، وعين السلطان أيضا من المماليك السلطانية عدة يتوجهون فى البحر الملح فى عدة من المراكب موسوقة بالغلال وعليهم بعض الأمراء ليتوجهوا بذلك إلى ساحل بلاد التركية ، تقومة للعساكر المجردين لقتال شاه سوار فى البر لعظم الغلاء فى البلاد الشامية .

وفى هذه الأيام وصلت الأخبار من البلاد الشامية بعظم الغلاء ، وذكروا أن الغرارة القمح وصلت بدمشق إلى عشرين دينارا ، والشعير بأكثر من عشرة دنانير الغرارة ، ووصل عدة من يموت بالقاهرة المحروسة من التعريف من المواريث الحشرية فى يوم الأربعاء ثامن عشره إلى واحد[٢] وستين نفرا ،

---

(١) أى بحضرة السلطان قايتباى .

(٢) فى الأصل « إحدى » .

ثم وصل فى يوم الجمعة العشرين منه إلى مائة نفر ، وفى ضبط أهل الديوان نظر فإن المائة التى ذكروها عن القاهرة كلها جاء عدة من يموت وصلى عليه بباب[1] النصر أكثر من خمسين نفرا ، فما بالك ببقية المصلاة التى بالقاهرة فإن عدتها[2] سبع عشرة مصلاة ، وبهذا المقتضى لا نعتمد على ضبطهم .

وفى الثلاثاء رابع عشره أنفق السلطان للمماليك المجردين لقتال شاه سوار جامكية أربعة[3] شهور لكل نفر وكسوة سنة .

. . .

وفى هذا اليوم والذى قبله أمر السلطان ـ نصره الله ـ القاضى شرف الدين بالتوجه إلى البلاد الشامية لينفق فى العساكر ويخدم[4] المشاة والقواسة ليضافوا للعسكر المصرى المتوجه لقتال شاه سوار ؛ هذا والأخبار ترد فى كل قليل بأن شاه سوار ـ عليه اللعنة ـ فى أقبح حال من اختلاف عساكره ومن عظم ما عنده من الغلاء والقحط والموت فى مواشيه ، فزاده الله من البلا ، وأوقع به البلاء قريبا عاجلا .

. . .

وفى يوم الثلاثاء فرّق السلطان الجمال على المماليك السلطانية المجردين لشاه سوار لكل مملوك جمل ، وحصل فى تفرقة الجمال فى هذا اليوم أمر مهول وحادث غريب هو أن الجمال لما دخلت من الميدان الذى من جهة باب القرافة وازدحم بعضها على بعض مات منها أكثر من مائتين وأربعين جملا فى ساعة ،

---

(١) باب النصر هو أحد أبواب القاهرة المعزية ، انظر المقريزى : الخطط ١/٣٨٠ .
(٢) فى الأصل «عدتهم سبعة عشر»
(٣) فى الأصل « أربع » .
(٤) يخدم هنا بمعنى « يستخدم » .

وما كنى[1] منها إلا حلها ورميها فى الصحارى .

وفى الخميس سادس عشريه الموافق له من الشهور القبطية خامس[2] عشر أمشير نقلت الشمس إلى برج الحوت ، وضبط اسم من يموت بالتعريف بالمواريث الحشرية من الأموات فبلغت مائة نفر وسبعة أنفار ، وقد قدمنا أنه لا عبرة بضبط التعريف .

وفى هذا اليوم أخذ الطاعون فى الزيادة حسبما نذكره بعد ذلك بما ضبط من الأموات بمصلى باب النصر ، فإنها أكثر وارداً من جميع المصلات .

وفى يوم السبت ثامن عشريه سافر المقر الأشرفى الأنصارى لما ندبه له السلطان من النفقة على العساكر الشامية ، واستخدم المشاة والقواسة والتراكين وغيرهم صحبة العسكر المنصور المصرى ، وتوجه معه جماعة من الأعيان ، وصحبته مال كبير يقال إنه مائة ألف دينار من الخزانة الشريفة خارجا عما يأخذه من البلاد الشامية والقلاع والتعلقات[3] السلطانية ، منحه[4] الله السلامة ، فى السفر والإقامة .

﴿ شعبـــــان ﴾

أهل بيوم الاثنين .

فيه صمم المسافرون على خروجهم وعظم اهتمامهم بذلك .

وفيه فشا الطاعون بالقاهرة ومصر وبولاق .

---

(١) جميع الضمائر العائدة هنا على « الجمال » وزادة العاقل .

(٢) الوارد فى التوفيقيات الإلهامية، ص ٤٣٧ أن أول رجب من هذه السنة يوافقه الأحد ٢٠ طوبة (= ١٥ يناير ١٤٦٩ م) مما يختلف اختلافا كليا مع ماهو وارد فى المتن .

(٣) أى المتعلقات .

(٤) المقصود بذلك المقر الأشرفى الأنصارى.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه أرسل السلطان ـ نصره الله ـ إلى المقر (٢٣ ب) الأشرف الأتابكى أزبك ـ أعز الله أنصاره ـ يأمره بالسفر فى يوم الثلاثاء تاسعه فأجاب بالسمع والطاعة ، واعتذر أثناء ذلك أن السلطان إلى يوم تاريخه لم يجهز له نفقة السفر ، فلما بلغ السلطان ذلك أرسل إليه من الغد إثنى[1] عشر ألف دينار .

وفى يوم الخميس رابعه خلع على قاضى القضاة السيد الشريف سراج الدين عمر بن حريز واستقر فى قضاء المالكية عوضا عن أخيه السيد حسام الدين[2] بحكم وفاته لرحمة الله .

وفيه خلع على عظيم الدنيا ومشيرها ووزيرها ودوادارها الكبير وصاحب حلها وعقدها بوظيفة الأستادارية الكبرى مضافا لما ذكر ، وهذا شىء لم يقع لغيره من الأمراء فى سائر الدول ، أعنى من جميع هذه الوظائف السنية .

وقبض السلطان فى هذا اليوم على الأمير زين الدين الأستادار كان ، والصاحب مجد الدين اسماعيل بن البقرى ، وألزم زين الدين المذكور بحمل مائة ألف دينار ، وأما زين الدين لحلف وصمم أنه لا يملك شيئا سوى دوره وأوقافه .

وفى يوم السبت حمل موسى ابن كاتب غريب من بيته من المقسم على قفص حمال إلى القلعة لحبس بالبرج منها ، والذى يظهر لى أن أمر هؤلاء الممسوكين جميعهم راجع إلى رأى الأمير المعظم المكرم عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، فإنه الآن صار مدبر المملكة ومشيرها ونظامها وصاحب حلها وعقدها والمتصرف[3] فيها .

---

(١) فى الأصل « إثنا » .

(٢) راجع عن سراج الدين الضوء اللامع ٦/٢٦٢ ، وعن أخيه حسام الدين نفس المرجع ٧/٤٥٤ .

(٣) فى الأصل « ومتصرف » .

وفى يوم الجمعة وصل عدة الأموات بمصلى باب النصر والبياطرة إلى مائتى[١] نفر : بباب النصر مائة وثلاثون ، والبياطرة سبعون ، وقس على هذا ما بقى من المصلات بالقاهرة ، وهى خمس عشرة مصلاة .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره[٢] ـ الموافق له من شهور القبط سابع عشرى أمشير ـ سافر المجردون من الأمراء وغيرهم لقتال شاه سوار ونزلوا بالريدانية ، ومقدم العسكر ـ كما قدمنا ـ الأشرف العالى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى وصحبته أربعة أمراء من مقدمى[٣] الألوف ، وهم : قرقماس الجلب وسودون القصر وهى رأس نوبة النوب ، وتمر من محمود شاه الظاهرى [جقمق][٤] حاجب الحجاب ، وقراجا الطويل الإينالى الأعرج أحد المقدمين الألوف ؛ ومن أمراء الطبخانات إثنان[٥] هما جانبك الزينى[٦] المؤيدى وخير بك من حديد الأشرفى ؛ وعدة من أمراء العشرات من كل طائفة يزيدون على عشرة أنفار ، وألف وخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية . على أنه[٧] مات منهم جماعة بالطاعون قبل سفر العسكر .

وأقام العسكر المذكور بالريدانية إلى يوم الاثنين خامس عشره : سافر الجميع أرسالا أرسالا ، وذلك بعد أن ركب السلطان من قلعته فى الليل توجه

---

(١) فى الأصل « مائتين » .

(٢) هكذا فى الأصل ، والواقع أنه لو اعتبرنا بما ذكره المؤلف (ص ٥٥) من أن أول شعبان كان يوم الإثنين فإن هذا التاريخ يجب أن يعدل إلى « التاسع فقط » منه ، مما قد يتفق مع ما أورده التوفيقات الإلهامية من أن أوله يوافق العشرين من شهر أمشير القبطى .

(٣) فى الأصل « مقدمين » .

(٤) أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة السخاوى : الضوء اللامع ٣/١٧١ .

(٥) فى الأصل « اثنين » .

(٦) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٣/٢٢٥ .

(٧) فى الأصل : « أنهم »

إلى المقر الأشرف الأتابكى أزبك بالريدانية وسلم عليه وودعه .

وفى هذا اليوم وصل عدة من صلى عليه من الأموات بمصلى باب النصر خاصة مائتين ونيفا وثلاثين نفرا ، ومصلى البياطرة خارج بابى زويلة ما يزيد على مائة وثلاثين نفرا ، وقس عليهما باقى المصلات السبع عشرة المتقدم ذكرها .

وفى يوم السبت العشرين منه خلع المقر الأشرف المعظمى الفخمى المشيرى الوزيرى الدودادار الكبير وأستادار العالية وملك الأمراء بالوجهين القبلى والبحرى وما مع ذلك ـ عظم الله شأنه وأعز أنصاره ـ على الصاحب مجد الدّين اسماعيل بن البقرى واستقر به نائبا عنه فى وظيفة الأستادارية .

وفى يوم الأحد حادى عشريه صلى بمصلى باب النصر على عدة من الأموات (١٢٥) بلغ عددهم أربعمائة نفر وواحدا وأربعين نفرا ، وقس على هذا بقية المصلات التى بالقاهرة وظواهرها ، والناس يقطعون ويجزمون بأن من يصلى عليه بمصلى باب النصر من الأموات يكون عُشر من يموت بالقاهرة ، فعلى هذا تكون عدة من يموت بالقاهرة وظواهرها فى كل يوم أربعة آلاف إنسان وأربعمائة إنسان ، ومعظم الطاعون الآن بأسفل مصر من جهة الحسينية وغيرها إلى بين القصرين ، ومن جامع بابى زويلة الطاعون أخف مما تقدم .

• • •

وفى يوم السبت سابع عشريه كان أول فصل الربيع ، وفيه نقلت الشمس إلى برج الحمل ، وصلى بباب النصر على أربعمائة وسبعة أنفس من الموتى ، وأما مصلاة البياطرة فوصلت إلى مائتين وخمس عشرة نفسا ، و [أما] مصلى المؤمنى فصلوا بها على مائة وخمس وثمانين نفسا .

وفى يوم الاثنين تاسع عشريه توفى ولد الظاهر خشقدم وهو فى السادسة من العمر ، وكانت له جنازة بالفقيرى .

وفى هذا الشهر كان الفراغ من بناء المغسل والربع الذى يعلوه بالرميلة مقابل مدرسة السلطان حسن ، إنشاء عظيم الدنيا على الإطلاق المقر الأشرف الكريم العالى اللاذى مدبر المملكة ومشيرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وصاحب حلها وعقدها يشبك من مهدى أعز الله أنصاره ، وإنشاؤه لهذا المغسل لأجل الأموات الفقراء والغرباء بل وغيرهم كافة ، فحملوا له الخلق الأموات من كل فج ، وأقام به كتابا يضبطون الأموات ، وصار يغسلهم ويكفنهم ويحملهم من ماله ليدفنهم فى المقابر ، فجزاه الله عن المسلمين خيرا دنيا وأخرى ، ما أحسن صنيعه وأكثر بره وخيره . واستمر هذا الخير متواصلا باقيا مستمرا على الدوام .

﴿شهر رمضان المعظم قدره وحرمته﴾

أهل بيوم الأربعاء الموافق له من أيام الشهور القبطية[1] خامس فصل الربيع ، وقد عظم الخطب والمصاب بما دهم الناس من الطاعون بالديار المصرية وظواهرها وضواحيها وقراها ، وذلك مع شدة الغلاء المفرط أيضا بمصر والشام ، غير أن البلاد الشامية كان الغلاء [فيها][2] خارجا عن الحد ، فإن الغرارة وصلت عندهم إلى ثلاثين دينارا ثم زادت بعد ذلك حتى وصلت إلى ستة وثلاثين دينارا ، على أنه بيع بحلب بأزيد من ذلك بكثير ، وتزايد الطاعون فى هذا الشهر .

وفى هذا اليوم صعد[3] قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة .

---

(١) كان أول رمضان من هذه السنة يوافق ١٩ برمهات ، ١٥ مارس ١٤٦٨ ، انظر فى ذلك محمد مختار : التوفيقيات الإلهامية ، ص ٤٣٧ .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين ليستقيم الأسلوب .

(٣) فى الأصل « صعدوا » .

وفيه توفى للسلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ـ عز نصره ـ ولد ذكر وسنه فى الثانية من العمر ولم يكن له ولد ذكر غيره ، وهو من زوجته خوند بنت المجلس العلائى ابن خاص بك ، مع أن السلطان ـ نصره الله ـ لم يتزوج فى عمره غيرها ، ولم يتأخر للسلطان غير بنت أكبر من هذا المتوفى ، سيأتى ذكرها .

وفى هذه الأيام أخذ الأمير زين الدين — الأستادار كان — من بيت مخدومنا رئيس الدنيا القاضى كاتب السر ابن مزهر حفظه الله ، فحبس بالبرج من قلعة الجبل ، وصار هو فى برج ، وغريمه موسى بن غريب فى برج آخر .

وبعد العشر الأول من شهر رمضان أخذ الطاعون فى النقص قليلا بقليل بعد أن كان وصل فى اليوم الواحد إلى خمسة آلاف نفس على قول المكثر ، وفى قول غيره أربعة آلاف ، وكان معظم من يموت فيه من جنس المماليك وأولادهم الصغار والعبيد والجوارى والغرباء .

وفى يوم الأربعاء المذكور توفيت بنت المقام الشهابى أحمد بن الملك الأشرف برسباى ، وأمها أم ولد ، ثم ماتت أمها أيضا فى آخر الطاعون ، وكانت أختها لأبيها ماتت قبل ذلك بأيام . وبموت هذه البنت انقرضت[١] ذرية الملك الأشرف برسباى ـ رحمه الله ـ من الوجود .

ومع نقص الطاعون فالموت موجود بكثرة من أمراء وأعيان .

وفى يوم الخميس ثالث عشريه توفيت بنت السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ـ عز نصره ـ وهى فى الرابعة من العمر ولم يتأخر له ولد غيرها مطلقا ، فإنه لم يرزق غيرها و[غير] الولد الذى توفى قبلها .

---

(١) فى الأصل « انقرض » .

وفيه أيضا توفى الملك الظاهر خشقدم ولد آخر ذكر وصلى عليه مع ابن السلطان ، وأنزلا جميعا من القلعة ، وسبب ذكر هذه الأطفال هنا لأننا لم نذكرهم فى الوفيات فى هذه السنة مع من يذكر من الأعيان ، إذ لا طائل لذكرهم فى الوفيات لصغر سنهم وعدم المعرفة بحالهم .

وفى هذه الأيام انحطسعر الغلال فأبيع الإردب القمح بستمائة درهم ، والشعير والفول بدون الثلثمائة .

وفى يوم السبت المبارك خامس عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل فى عدة خواصه ، وتوجه لبيت عظيم الدنيا ومشيرها ومدبرها ووزيرها وأستادارها ودودادارها الكبير ، وما مع ذلك حفظه الله على المسلمين ، فعاده لوجع اعتراه ورجع إلى القلعة .

* * *

﴿ شـــوال ﴾

أهل بيوم الخميس(١) ولله الحمد وقد قل الطاعون بالديار المصرية ، ووصل عدد من يموت بمصلى باب النصر إلى ثمانية وثلاثين نفرا ، وبمصلى المؤمنى سبعة عشر نفرا ، غير أن العلة موجودة كثيرا ، والموت فاش .

وفيه خلع على الأمير قانباى آص الساقى الظاهرى واستقر فى الحجبة الثانية عوضا عن جكم [الظاهرى خشقدم](٢) ابن أخت السلطان الملك الأشرف قايتباى ـ عز نصره ـ بحكم وفاته .

وفى يوم السبت ثالثه قدم الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق

(١) فى التوفيقات الإلهامية ،ص٤٣٧ أن أوله الجمعة الموافق له ١٩ برمودة و١٢ أبريل ١٤٦٨ م .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من السخاوى : الضوء اللامع ٣/٢٩٤ وإن جعل تاريخ وفاته فى سنة ٧٣٣ ه .

من ثغر الاسكندرية إلى القاهرة بسؤال منه للسلطان ـ نصره الله ـ فى ذلك ، وإذنه له ليحج حجة الإسلام ، وطلع المنصور من فوره إلى القلعة ونزل عن (١٢٦) فرسه من باب[١] المدرج ودخل إلى السلطان بالدهيشة ، واستمر السلطان جالساً[٢] على مدورته[٣] إلى أن قاربه المنصور ، ووصل إلى تلثي الإيوان قام [السلطان[٤]] إليه وأراد السلطان بعتنقه ، فأهوى المنصور إلى ركبة السلطان ليقبلها والشباك عن يمينه ، وجلس المنصور تجاهه والمرتبة[٥] خلفه والشباك عن يساره ـ وتكلما ساعة ، فخلع عليه كاملية مخمل أحمر بمقلب سمور وعليها فوقانى[٦] بوجهين بطرز زركش ؛ ولما تم لبسه ومشى إلى نحو السلطان خطوات قام له السلطان فقبّل المنصور الأرض فنهاه السلطان عن ذلك بعد أن فعله ، وعاد المنصور إلى منزله بعد أن عين له السلطان فرساً خاصاً أدهما بسرج ذهب وكنبوش زركش ركبه من باب الساقية ، وتوجه إلى باب الحريم فوقف هناك وأرسل السلام لخوند جهة السلطان ـ نصره الله ـ ، فلما عاد عليه السلام توجه لمنزله الذى نزل فيه ـ وهو ببيت صهره زوج أخته المقر الأشرف الأتابكى أزبك من ططخ ببين الصورين وهو مسافر مقدم العساكر لقتال شاه سوار المخذول .

---

(١) هو أحد أبواب القلعة الثلاثة وأعظمها ، ويعرف أيضا بباب الدرفيل وهو بجانب خندق القلعة ، وكان يعرف قديما بباب سارية ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣٧٢ ، والمقريزى : الخطط ٢/٢٠٥ .

(٢) فى الأصل « جالس » .

(٣) عرفها القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٥٢٣ بأنها مائدة من فضة تنصب على الكرسى وعليها الأوانى الذهبية والصينى الحاوية للأطعمة الفاخرة .

(٤) الإضافة للايضاح .

(٥) عرفها دوزى Supp. Dict. Arabes, I, 508 بأنها العرش .

(٦) فى الأصل « فوقانيا » .

ورسم السلطان للأمراء والأعيان بالركوب فى خدمته[١] وبين يديه ، فهرعوا له زمراً زمراً وأفواجاً أفواجاً ، ومع هذا كله لم يكن لحضور المنصور ودخوله القاهرة كبير أمر باعتبار أنهم ما احتفلوا بقدومه ولا بملاقاته بالنسبة لمقامه ، فإنه فى الحقيقة أستاذهم وابن استاذهم ، فانظر لهذه الدنيا وفعلها بملوكها والمغرمين بها ، فسبحان الخالق المعطى الذى يؤتى الملك من يشاء ، لا إله إلا هو جل وعلا .

(٢٦ ب) وفى الواقع فما رأينا سلطاناً أعظم ولا أضخم ولا أشهم ولا أفرس ولا [أكثر[٢]] توكلا على الله من هذا السلطان الملك الأشرف نصره الله كونه يحضر من كان سلطاناً وابن سلطان بل أستاذه وابن أستاذه إلى القاهرة ويصعد إليه لقلعة الجبل ، وغالب من بالبلد من الأمراء والمماليك من عتقاء أبيه ومماليكه بعد أن خُلع من الملك من سابع شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين وثمانى مائة كما هو مسطور فى تاريخنا[٣] المقدم ذكره . وما رأينا فى الدول الماضية من وقع له مثل هذا إلا إن كان الملك العادل كتبغا المنصورى ، فإنه أيضاً خلع من السلطنة ثم ولى بعد ذلك نيابة طرخد[٤] ثم نيابة حماه بعدها ، ثم دخل بعد ذلك وفى أثنائه مسلماً على الملك الناصر محمد بن قلاون فى سلطنته الثانية فى نيابة سلار وتحدث بيبرس الجاشنكير ثم عاد إلى حماه ، وقد تقدم لنا أمر كتبغا هذا مفصلا فى تاريخنا الكبير المسمى « بنزهة[٥] النفوس والأبدان فى تواريخ الأزمان » فمن أراد الوقوف فليراجعه .

وفى الاثنين خامسه خلع على الأمير يشبك[٦] من جندر الأشرفى إينال

---

(١) أى فى خدمة الملك المنصور عثمان بن جقمق .

(٢) أضيفت هذه الكلمة لتستقيم العبارة .

(٣) يقصد بذلك نزهة النفوس والأبدان .

(٤) هى قلعة حصينة وولاية واسعة ملاصقة لبلد حوران ، انظر مراصد الاطلاع ٢/٨٣٨
Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 866 et seq.

(٥) يقوم محقق هذا الكتاب بنشر نزهة النفوس (الأقسام المتبدلة برقوق) .

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٨٠ .

أحد الأمراء المشرات ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضاً عن خجداشه قانباى[١] الحسنى الأشرفى إينال بحكم وفاته بالطاعون .

وفيه خلع على الأمير خشقدم [الظاهرى[٢] جقمق الرومى اللالا] الأحدى الطواشى رأس نوبة الجدارية عوضاً عن خجداشه شاهين[٣] الساقى بأشهر ، وهى شاغرة .

وفيه خلع على مرجان[٤] التقوى الطواشى الحسنى شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوى - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - عوضاً عن سرور الطرباى[٥] الحبشى الخصى بحكم وفاته ، ولها أيضاً أشهر شاغرة .

وفى يوم السبت عاشره سافر عظيم الدنيا ومشيرها ومدبرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها (١٢٧) الكبير وما معذلك يشبك من مهدى الظاهرى - مهد الله له البلاد وحفظ وجوده على المسلمين - إلى البحيرة ، وصحبته عدة من أنياته ومماليك السلطان ومماليكه لقتال العربان بها الخارجين عن الطاعة وإرداعهم[٦] .

وفى هذا اليوم أضاف[٧] السلطان الملك الأشرف قايتباى - عز نصره - المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق عنده بالقلعة ضيافة ملوكية ، وكيفية[٨]

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٦/٦٥٩ .
(٢) الإضافة من السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٦٨٢ .
(٣) السخاوى : الضوء ٣/١١٢٨ .
(٤) السخاوى : الضوء ١٠/٦٠٧ .
(٥) أورد السخاوى اسمه فى ترجمة مرجان (الضوء ١٠/٦٠٧) برسم الطاربيهى ثم عاد مرة أخرى ، شرحه ٣/٩٢٢ فرسمه بالصورة الواردة فى المتن أعلاه ، هذا وقد مات سرور الطرباى فى صفر من هذه السنة .
(٦) يقصد بذلك ردعهم .
(٧) يقصد بذلك « استضاف » .
(٨) وردت هذه العبارة فى الأصل على الصورة التالية « وكيفية الإضافة أو الأتابك أن السلطان أرسل يعرف . . . الخ » وقد عدلناها إلى ما هو بالمتن تصحيحا للجملة .

الضيافة أن السلطان أرسل يعرّف المنصور بذلك، فركب المنصور من دار صهره الأتابك أزبك من بين السورين [1] وصعد لباب [2] القلّة فنزل هناك عن ظهر فرسه ، ودخل ماشيا إلى باب الحوش السلطانى فجلس فيه قليلا إلى أن طلبه السلطان وجاءه الإذن بالدخول الى البحرة التى جددها الملك الظاهر خشقدم ، فجلس قليلا وطلبه السلطان إلى أعلى البحرة القديمة ، فبمجرد وقوع بصر السلطان — نصره الله — على المنصور قام له وجلسا بغير مرتبة ، غير أن كلا منهما جلس على مقعد ، ثم حضر الفطور من الأشربة وغيرها فتناولا منه المعتاد ، ثم حضر السماط الملوكى المفتخر فأكلا ، ولم يحضر السماط أحدٌ من الأمراء المقدمين الألوف غير الأمير جانبك من ططخ الأمير آخور الكبير وبعض أمراء عشرات وبعض خاصكيته ، ولما انتهى السماط وقدّموا المشروب من السكر وغيره رسم السلطان بكاملية مخمل أخضر بسمور بمقلب سمور ليلبسها الملك المنصور ، فحضرت ولبسها وقاما واعتنقا وانصرفا ، وفى الحال رسم السلطان للملك المنصور أن المركوب الذى طُلب له يركبه من باب البحرة من الحوش السلطانى ، فركب كما رَسم وتوجه إلى منزله . ثم إن السلطان أرسل إليه يخبره فى المجاورة بمكة أو العود مع الحاج إلى الإسكندرية ، فاختار العود إلى الإسكندرية ، واعتل (٢٧ ب) بأن الإمام الأعظم أبا [3] حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفى — رضى الله عنه — كره المجاورة بمكة .

ثم إن المنصور شرع فى تجهيز نفسه للسفر ، فأرسل إليه جميع الأمراء المقدمين [4] الذين بالقاهرة — كل نفر — ألفا وخمسمائة دينار ، وأرسل

---

(١) انظر تعليقات المرحوم محمد رمزى فى النجوم الزاهرة ٣٩/٤ حاشية رقم ٣ .

(٢) هو أحد أبواب القلعة ، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى قلة كان الظاهر بيبرس قد بناها ، راجع ذلك بالتفصيل فى القلقشندى : صبح الأعشى ٢١٢/٣ ، المقريزى : الخطط ٢٢٢/٣ .

(٣) فى الأصل « أبى » .

(٤) فى الأصل « المقدمون الذى » .

إليه عظيم الدنيا ورئيسها ومشيرها وصاحب حلها وعقدها ومدبرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير ألفى دينار وأشياء أخر من سكر وغير ذلك .

وفى هذه الأيام رسم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — عز نصره — للملك الظاهر[1] تمربغا بفرس خاص مسروج يركبه عند توجهه للجامع ولغيره إذا أراد أن يسير أو يتنزه — بسؤال عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله على المسلمين له فى ذلك .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره طلب السلطان — نصره الله — الشيخ[2] كمال الدين بن إمام الكاملية وخلع عليه واستقر به فى تدريس المدرسة المجاورة لضريح سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه من غير سعى منه فى ذلك بنفسه ، غير أن العلائى ابن خاص بك[3] وجوهر المعينى الساق وغيرهما تكلموا عند السلطان فى ولاية الكمال ، فإنه من أعز أصحابهما وجارهما ويترددون إليه ويتردد إليهما عوضا عن زين العابدين[4] ولد قاضى القضاة شرف الدين يحيى[5] المناوى الشافعى بحكم وفاته .

وفى يوم الإثنين تاسع عشره خرج أمير الحاج — بالحجاج من القاهرة — [illegible][6] يشبك الإسحاقى الأشرفى الأمير آخور الثانى المعروف

---

(١) [illegible] الضوء اللامع ٣/١٦٧ .

(٢) السيوطى: نظم العقيان ، ص١٦٣ ، السخاوى: الضوء اللامع ٩/٥٤٨ ، أما الكاملية فهى المدرسة المعروفة بدار الحديث الكاملية بخط بين القصرين ، وقد أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى الشريف ثم من بعدهم على جماعة الفقهاء الشافعية ، انظر المقريزى : الخطط ٢/٣٧٤ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٣/٣٣٠ .

(٤) هو محمد بن يحيي المناوى نسبة إلى منية ابن خصيب ، راجع الضوء ١١/٢٢٨ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٣٣ .

(٦) السخاوى : شرحه ١٠/١٠٧٩ .

والمشهور بيشبك جن بعد أن خلع عليه الخلعة المعتادة ، وخلع على أمير الأول[1] - وهو يشبك الجمالى[2] - محتسب القاهرة .

وحج المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق فى هذه السنة كما قدمنا ذكر ذلك فى تقدمة الركب الأول بعودين ، وقبل توجه المنصور للسفر صعد لمولانا السلطان — نصره الله — فاستضافه السلطان ثانيا وخلع عليه كاملية السفر ، وتوجه بها لبركة الحاج صحبة الحجاج ، فكان طلوعه إلى السلطان فى هذه السفرة ثلاث مرات .

(١٢٨) وفى يوم الإثنين سادس عشريه الموافق له من أيام شهور القبط[3] ثالث عشر بشنس لبس السلطان الملك الأشرف — نصره الله — القماش الأبيض ، المعد لبسه للصيف على العادة فى كل سنة ، من غير موكب ، وهذا بخلاف عادات الملوك ، فإن العادة لا يلبس السلطان ذلك إلا فى يوم الجمعة عند دخوله إلى الصلاة بموكب وبمطعم[4] الطير خارج القاهرة عند الريدانية بموكب عظيم ، فلم يكترث السلطان بذلك ولا التفت إليه ، ولبس سلاريا بعلبكيا فى قاعة الدهيشة وخرج به إلى الحوش السلطانى .

وفى يوم الخميس تاسع عشريه وصل إلى القاهرة من البلاد الشامية المقر الشرفى الأنصارى ، وتمثل بين يدى السلطان نصره الله ، وأخبره أنه استخدم الرجال من البلاد الشامية من العشرات والمشاة والتركمان وغيرهم : نحو خمسين ألفا ، وقيل أقل من ذلك والله أعلم ، وأنفق عليهم الأموال وسيرهم صحبة

---

(١) أى أمير الركب الأول من الحجاج .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٨٥ .

(٣) الثالث عشر من بشنس ١١٨٤ يوافق ٢٥ من ذى القعدة حسب الجدول الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ .

(٤) وكان يقع بالريدانية ، ومكانه اليوم - حسب تحقيق محمد رمزى فى النجوم الزاهرة ١٢/٦٤ حاشية ٢ - جبانة العباسية بقرافة الغفير بمصر .

العسكر المنصور المتوجه لشاه سوار المخذول ، فشكره السلطان وأكرمه وسأله عن حال البلاد والعباد فذكر له ما شاهد وسمع ورأى ، فطلب له السلطان كاملية صوف وفرجية سمور بمقلب سمور ، فخلعها [1] وتوجه لداره وفى خدمته أعيان الدولة ورؤساؤها ، وهرع إليه الناس يهنئونه [2] بسلامته وعافيتـــه .

{ ذو القعـــدة }

فيه صعد قضاة القضاة ونوابهم وكنتُ معهم للقلعة لتهنئة السلطان نصره الله بالشهر على العادة ، فهنّوا ودعوا وانصرفوا .

وفى يوم الأحد ثانيه ركب السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — أعز الله أنصاره وأدام ملكه أبد الآبدين — من القلعة فى جمع يسير من خواصه بغير قماش الخدمة ولا سلاح ، وتوجه إلى قليوب ثم إلى غيرها ، ثم توجه إلى جسر بنى منجا فرآه وعاد إلى قبة [3] النصر (٢٨ ب) فنزل بقبة عظيم الدنيا ومشيرها ووزيرها وأستاداراها المعظم المفخم يشبك من مهدى الدوادار الكبير ـ مهد الله له البلاد والعباد وحفظه على الإسلام والمسلمين ـ وأقام بها إلى العصر وصعد إلى القلعة ، فتعجب العسكر السلطانى من جنان هذا الملك وقوة قلبه وعزمه وحزمه وإقدامه : كيف توجه إلى هذه الأماكن ولم يستعد بسلاح ، والصحيح عندى أن هذا السلطان ـ نصره الله ـ متوكل

(١) هكذا فى الأصل ، ولعلها « فلبسها » أو لعل المؤلف أراد أن يقول « فخلعها عليه » فسقطت كلمة « عليه » سهواً .
(٢) فى الأصل « يهنوه » .
(٣) كانت قبة النصر خارج القاهرة ، وقد ورد فى خطط المقريزى ٢/١١١ أنها كانت زاوية يسكنها فقراء العجم ، انظر أيضا نفس المرجع والجزء ، ص ٤٣٣ .

على الله فى جميع أموره ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه عند ذكره لركوب السلطان : « ولم يشكر أحد فعل السلطان لتوجهه إلى هذه المسافة البعيدة من غير استعداد ولا مماليك » انتهى .

وفى يوم الخميس سادسه ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه فى نفر يسير جدا ، فسير إلى جهة من الجهات البعيدة ثم عاد إلى القلعة ، وعندى أن مولانا السلطان ـ نصره الله ـ ليس عنده أعز من الركوب والتنزه ولا يبالى بأحد ولا يخاف إلا الله وهو حافظه ومعينه ، وسبب هذا الركوب أن السلطان فى أمر عظيم بسبب هذا الخارجى [1] الوضيع الذى ليس له ذكر فى القديم ولا لآبائه ، وقد صدر منه [2] كسرُ العسكر المصرى والشامى وبهدلته ونهبه وقتل جماعات من أعيانه ، فما شاء الله كان .

وفى يوم الجمعة سابعه وصل هجانى من الأتابك أزبك من طططخ مقدم العسكر المنصور للسلطان ـ نصره الله ـ مضمونه على ما بلغنى بالمعنى « بعد تقبيل الأرض والدعاء للسلطان أن العساكر المنصورة فى استظهارٍ على عسكر شاه سوار المخذول ، وأنهم ملكوا باب الملك وغيره من بلاد سوار ، والنصر والظفر يكون عن قريب إن شاء الله تعالى » .

وفى يوم الاثنين عاشره قدم إلى الديار المصرية الطواشى الحبشى المدعو مرور (١٢٩) رسولا من ابن قرمان الذى هو الأمير شهاب الدين أحمد وعلى يده كتابُ مرسله ، مضمونه « الدعاء للسلطان ، وأنه من جملة مماليكه ، وأنه لا غنى له عن ملاحظة السلطان نصره الله » ، وقدم هدية من مرسله ، فقبِلها السلطان وأكرم القاصدَ ورحب به وأنزله فى دار وأجرى عليه ما يليق به ،

---

(١) يقصد بذلك شاه سوار .

(٢) أى من شاه سوار .

واستمر مقيماً بالقاهرة إلى بعد عشر شهر الله المحرم من سنة أربع وسبعين وثمانى مائة ، [ثم] جهزه[١] مولانا السلطان ـ نصره الله ـ إلى مرسله بعد الإنعام عليه ، والهدية السنية لمن أرسله .

* * *

وفيه وصل للسلطان كتاب من نائب قلعة حلب يتضمن أنه ورد عليه الأمير إينال [اليحياوى][٢] الأشقر الظاهرى [جقمق][٢] يخبر فيه أنه واقع شاه سوار هو وجماعة من النواب وبعض عساكر المصريين ، وحصل بينهم وقعة عظيمة هائلة ، قتل[٣] فيها الأمير خيربك البهلوان الأشرفى — أحد[٤] أمراء دمشق ـ وجماعة من المماليك السلطانية قليلون ، وانهزم شاه سوار ، وقتل معظم أصحابه وعوّق[٥] بعضهم فى نهر جهان[٦] ، وأخبر أيضا بالقبض على أخيه مغلباى وسليمان بن دلغادر ، وأن شاه سوار لما هرب قطع الجسر الذى كان على النهر المذكور ، وأن العسكر مهتمون بأمره ولحاقه حيث ذهب ، ثم وصل كتاب المقر الأشرف العالى الأتابكى أزبك من ططخ مقدم العساكر يذكر فيه معنى ما ذكر مع اختلاف اللفظ ، والمعنى متحد .

وفى يوم الأربعاء عاشره ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش الموكب، مع أن السلطان ـ نصره الله ـ من يوم جهز العساكر لقتال شاه سوار لم يعمل

---

(١) فى الأصل « جهزه السلطان جهزه مولانا السلطان » .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٢/١٠٨٤ .

(٣) مكررة فى الأصل .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٣ /٧٧٩ أنه صار من مقدمى دمشق.

(٥) لعلها « غرق » .

(٦) المقصود بذلك نهر جيحان (بفتح الجيم وسكون الياء) وهو نهر بالمصيصة . انظر مراصد الاطلاع ١/٣٦٤ ، وكلمة « جهان » هى اللفظ الجارى على ألسنة العامة ، كما يشير إلى ذلك أبو الفداء ، ص ٥٠ .

موكبا بالقصر إلا فى كل حين لأمرٍ من الأمور ، وتوجّه إلى ناحية طرى[١] ، وأقام هناك ساعة كبيرة ثم عاد إلى القلعة .

وفى يوم الخميس ثالث عشره وصل من الأتابك أزبك ـ مقدم العساكر ـ نجابان[٢] (٢٩ ب) وصحبتهما رأس مغلباى الأقطع أخى[٣] شاه سوار ، وأخبرا أن صاحب الرأس المحضرة صحبتهم مات من جراحات أصابته ورأسين أيضا معه ، فطيف بها وعلقوا الثلاثة رءوس بباب النصر أياما كثيرة ، وسأل السلطان ـ نصره الله ـ من النجابين عن العسكر فذكرا أنهم تبعوا شاه سوار حيث توجه ، وأنهم ينهبون بلاده ويخرّبون ضياعه ومنازله وقراه .

وفى يوم الأحد المصبح[٤] عن سادس عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وسافر لجهة البحيرة على حين غفلة ، ولم يُعلِم أحدا بنزوله ولا بسفره إلى بعد عشاء الآخرة ، فعدّى النيل بعد العشاء من بولاق وسافر من فوره ، وصار[٥] الخلق يتبعونه أفواجا أفواجا وأرسالا أرسالا ، ولم يعلم أحد من المسافرين والمقيمين أين يقصد السلطان ولا أين يريد ، ومجموع من توجه من العسكر على قدر الثلث من القاهرة ، فإن السلطان ليس معه من الأفراد المقدمى[٦] الألوف غير الأمير برقوق الناصرى ، واستمر السلطان سابقا بعسف وسوق وسرعة حتى وقف بل هلك كثير من الخيول والركاب ، حتى وصل

---

(١) ناحية قريبة من القاهرة فى شرق النيل قرب الفسطاط ، انظر مراصد الاطلاع ٢ / ٨٨١ .

(٢) فى الأصل « نجابين » .

(٣) فى الأصل « أخو » .

(٤) فى الأصل « المصبحة » .

(٥) فى الأصل « وصاروا الخلق يتبعوه » .

(٦) فى الأصل « المقدمين » .

إلى التجيلة حيث أقام عظيم الدنيا ومشيرها ووزيرها وأسعادارها المقر الأشرف الكريم العالى يشبك من مهدى حفظه الله على المسلمين ، فدخل عليه ليلا وهو نائم على غفلة ، فذُعر الأمير يشبك المذكور لما رآه ثم سكن خبره وأقام[1] عنده يومين وتوجه إلى جهة الغربية وقُدمت له التقادم فقبلها ، وأقام دون الثلاثة أيام ثم رجع إلى جهة الشرقية ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه : « ولم يظهر لسفره فى هذه الأقاليم الثلاثة نتيجة بل شمل الخراب غالب قراهم من النهب والكلف ، ولم يفتكوا بمفسد ، ولاردعوا[2] قاطع طريق ، بل كان دأبه أخذ التقادم والانتقال من بلد إلى آخر[3] (١٣٠) من غير فائدة بل الضرر الشامل ، فلما علم[4] المفسدون منه ذلك طغوا فى الناس وزاد شرهم وقطعوا الطريق وخافوا السبيل حتى أن بعضهم كان يفعل ذلك بقرب وطاق السلطان مع بعض حواشيه وأعوانه ، وهو فيما هو فيه ، فوقع بذلك غاية الوهن فى المملكة وأيس[5] الناس من ظلم العرب لهم وقالوا « إذا كان السلطان ما أزال ذلك عنا فمن يقى يزيله ؟ » انتهى كلام الجمال يوسف .

قلت هذا الذى ذكره الجمال مردود من وجوه ، لأن السلطان — نصره الله — إذا توجه بنفسه إلى بلد أو قرية ضرورة أن أهل تلك البلاد من المفسدين وغيرهم يفرون[6] منه ، فإن الكاشف أو الوالى إذا قصدهم يفرون منه فضلا عن السلطان ، بل سفره طمن البلاد والعباد نصره الله . هذا والعسكر الذين صحبة السلطان يرسلون قصادهم للقاهرة بطلب الأقوات . وطالت إقامة

---

(١) يعنى السلطان .

(٢) فى الأصل « أردعوا » .

(٣) فى الأصل « أخرى » .

(٤) فى الأصل « علموا » .

(٥) فى الأصل « أيسوا » .

(٦) فى الأصل « يفرو » .

السلطان نصره الله بالشرقية .

وفرغ الشهر والسلطان غائب عن القاهـــرة نصره الله .

﴿ ذو الحجة ﴾

أهل بالأحد (١) .

ففى يوم الأحد بل الثلاثاء ثالثه حضر المرسوم الشريف السلطانى عز نصره إلى القاهرة المحروسة بطلب قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى (٢) الشافعى ليصلى بالسلطان عيد الأضحى بمدينة فارسكور (٣) ، فبادر قاضى القضاة وسافر وحمل معه للسلطان من السكر أربعة قناطير ، ومن الحلوى أشياء أكثر من السكر .

وفى عاشر ذى الحجة الذى هو يوم عيد الأضحى أخذ أمين النيل أبى الرداد قاع البحر فجاءت القاعدة (٤) — أعنى الماء القديم وما أضيف إليه من زيادة هذه السنة — خمسة أذرع واثنين وعشرين إصبعا ، وعيد

---

(١) الوارد فى جدول ترتيب السنوات بالتوفيقات الإلهامية ص ٤٣٧ ، أن أوله الإثنين ويوافقه ١٨ بؤنة (= ١٢ يونيو ١٤٦٩) .

(٢) انظر السيوطى : نظم العقيان ، ص ٢٣٥ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢١٠ ـ ٢١٣ .

(٣) قرية من قرى محافظة الدقهلية ، راجع الخطط التوفيقية ١٤/ ٦٤ وما بعدها ، وقد رسمها مراصد الاطلاع ٣/١٠١٣ « بفارسكر » وقال إنها قرية بين مصر ودمياط .

(٤) أشارت التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ ، إلى غاية فيضان النيل بمقياس الروضة فقالت إنه غير معلوم ، ثم ذكرت أن النيل وقف عن الزيادة أياما فقلق الناس وارتفعت الأسعار وقل القمح ثم « بعث الله الزيادة ووفى ثم هبط سريعا » .

السلطان بفارسكور وخطب به قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى كما تقدم ذلك ، هذا والناس بالقاهرة فى أمر مريج وقلق عظيم لمظم الفلاء ومخافة السبل والطرق ، والمصيبة العظمى حزنهم على من مات لهم بالطاعون (٣٠ ب) قبل تاريخه ، والزيادة على ذلك قطع أضاحى الناس لسفر السلطان لأن المباشرين قطعوا غالب الأضحية ، ولم يفرّق أحد [1] فى هذه السنة من الرؤساء والأمراء شيئاً من الأضاحى اقتداءاً بغيبة السلطان نصره الله ، وكان هذا العيد أشبه الأشياء بالمـأتم لمـا طرق الخلق من الحزن والـكآبة وقبض الخاطر ، وافتقر بسبب هذا الفلاء خلائق من الأعيان وغيرهم لطول مكثه بالديار المصرية ؛ وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه : « هذا والسلطان دائر بتلك الأقاليم فى هوى نفسه ، وأنه أخذ الأموال والتقادم من الناس حتى من كبار فلاحى البلاد ، ويتوجه بنفسه إليهم حتى يأخذ تقدمتهم ، ولم يـكن فى سفرة السلطان هذه مصلحة من المصالح بل المضرة الزائدة ولا سيما على الفلاحين وأهل القرى ، فإنهم شملهم ضرر الأعوان والضرّبة لأخذ الأحطاب ، وكانوا إذا لم يجدوا حطبا أخذوا أبواب البيوت ، وفعلوا ذلك بغالب الأرياف والطواحين وبالغوا حتى قالوا فعلوا ذلك بأبواب المساجد » انتهى كلامه .

قلت أقسم بالله لولا وجود هذا السلطان — نصره الله — فى الوجود وحرمته التى ملأت الأقطار والأمصار ودوسه البلاد وإرساله التجاريد ويقظته التامة لرأى الناس — والعياذ بالله — الموت عيانا .

وفى يوم الاثنين سادس عشره وصل الخبر للسلطان على جناح الطائر بأن قاصد حسن بك بن قرايلك الواصل إلى القاهرة صحبته رأس بوسعيد [2] ملك

---

(١) فى الأصل « أحدا » .

(٢) انظر العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ٣/ ٢٣٠ - ٢٣٤ .

العجم والتتار ، فتعجب الناس لذلك لعظم مقام بوسعيد وكثرة عساكره . وكان بوسعيد هذا قد جاء نجدةً لحسن بن على بن جهان شاه لينصره على حسن بك بن قرايلك ، ووصلت الرأس بعد ذلك مع القاصد وعرضت على السلطان وأراد المشاعلى أن يطوف بها فى شوارع القاهرة فمنعه السلطان من ذلك وأمر بدفنها ، فدفنت .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره عاد السلطان من سفره (١٣١) ونزل بالمطرية وتغدى بها ، وركب فى آخر النهار وتوجه إلى الريدانية وبات بها ، وقد تقدم قول الجمال (١) أن السلطان لم يبتّ أمرا فى هذه السفرة ولاردع قاطع طريق ولا زجر مفسداً فيكذبه الحس والنقل ، فإن السلطان — نصره الله — سلخ ابن سعدان قُبض عليه بمدينة فوة قبل تاريخه بأشهر ، ثم إن السلطان نصره الله لما عاد إلى جهة القاهرة ونزل على قرية جنبين قبض على مهنا بن عطية وحمزة القرقاوى وضربهما بالمقارع ، ووعد البلاد وأهلها أن يولى عليهم الأمير برقوق الناصرى أحد مقدمى الألوف كشفَ التراب بالشرقية ويضيف له كشف الدم ، وأن برقوق يقيم له نائبا فى كشف الدم ، ووفى لهم بالوعد بعد حضوره القاهرة .

وتوجه برقوق إلى الشرقية فأقام له نائبا فى كشف الدم يسمى جانم ، فمهد له البلاد وأقمع المفسدين وصنع مع المسلمين ما ينفعه عند الله - عز وجل - دنيا وأخرى ، كما سيأتى ذلك مفصلا فى محله إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن السلطان لما أصبح بالريدانية فى بكرة يوم الخميس ركب بقماش الخدمة والموكب ، وكان له موكب عظيم إلى الغاية والنهاية ، وحمل على

---

(١) يقصد بذلك أبا المحاسن يوسف بن تغرى بردى صاحب كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

رأسه القبة (١) والطير الأمير برقوق أحد للقدمين الألوف ، ولبس السلطان فوقانيا أبيض (٢) بعلبكيا بطراز أسود ، وتقلد بسيف مسقط بالذهب ، وركب فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش، ورقبة الفرس عليها الزركش على العادة ، وحملت الغواشي (٣) بين يديه وركب معه قضاة القضاة الأربعة ونوابهم وكنت صحبتهم ، وسار في هذا الموكب العظيم الضخم حتى دخل من باب النصر ففرشت له الشقق الحرير تحت رجل فرسه ونثر على رأسه الذهب والفضة ، وكان لدخوله يوم (٤) مشهود (٣١ ب) وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى في تاريخه « وكان الدعاء له قليلا ، وإنما غالب ازدحام الناس للفرجة » . قلت : أنا شاهدت الركبة وركبت فيها مع نواب قاضى الحنفية المحب ابن الشحنة ورأيت العالم يبتهلون ويدعون للسلطان بدوام البقاء والعلو والارتقاء ، ووافق أن قاصد حسن بك بن على بك بن قرايلك وصل إلى الريدانية ، فبلغ السلطان ذلك فأمر أن يتوجه به إلى مدرسة الأشرفية برسباى التي بخط العنبرانيين ليجلس بها وينظر موكب السلطان ليخبر به أستاذه وعسكره ففعلوا به ذلك ، وحين صعود السلطان إلى القلعة وجلوسه على الدكة بالحوش السلطانى وافاه قاصد حسن المذكور فقبل الأرض بين يديه وأخرج رأس بوسعيد المقدم ذكره فرآها السلطان فأمر بمواراتها التراب إجلالا لأبى سعيد وكونه من ملوك الإسلام العظماء ومن ذرية ملوكها . وكان كتاب حسن بك بن قرايلك مكتوبا

---

(١) يقصد بذلك المظلة التي عرفت بمصطلح ذلك العصر بالجتر وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب وبأعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، وتحمل على رأس السلطان في العيدين ، راجع القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٧ — ٨ .

(٢) في الأصل « أبيضا » .

(٣) جمع غاشية وهى سرج من أديم مخروزة بالذهب حتى يظن أنها كلها من الذهب وهى تحمل بين يدى السلطان عند ركوبه في المواكب ويحملها الركاب دارية رافعا إياها على يديه يلفها يمينا وشمالا ، راجع القلقشندى في : صبح الأعشى ٤/٧ .

(٤) في الأصل « يوما مشهوداً » .

بالفارسية وفيه ألفاظ مكتوبة بالذهب تتضمن أمره مع بوسعيد ، وأوسع وأرعد وأبرق ، وغالب ألفاظه كذب ، غير أن قتل بوسعيد صحيح .

وأما كيفية قتله على الحقيقة فلم أقف عليها لا أنا ولا غيرى لبعد المسافة ، لكننا نذكر فى ترجمته عند الوفيات ما وصل إلينا علمه .

ثم خلع السلطان على القاصد المذكور كاملية سمور بمقلب سمور بعد أن رحّب به وأكرمه وأنزله فى دار عيّنها له وأجرى عليه الرواتب . ثم بادر وخلع على الأمير برقوق بكشف تراب الشرقية وكشف الدم وقد قدمنا ذلك ، والله المولى والمالك .

وفى يوم الاثنين ثالث عشريه وصل الخبر من البلاد الشامية على يد ساعى ونجاب بوصول العسكر المصرى والشامى وغيرهما من بلاد شاه سوار (١٣٢) إلى حلب ، فاضطرب الخلق أجمعون وكثر الكلام فى ذلك ، فلما أصبح يوم الثلاثاء رابع عشريه قدم الأمير تنبك الظاهرى أحد أمراء العشرات والرؤس النوب ، وهو أحد من كان بالتجريدة صحبة العسكر ، وأخبر بوصول العساكر إلى حلب وبقتل جماعات كثيرين من الأمراء المصريين والشاميين والخاصكية وغيرهم ، يأتى ذكرهم فى وفيات هذه السنة إن شاء الله تعالى .

و [أما] رجوع العسكر إلى حلب ففيه أقوال ، والقريب منها هو أن العسكر المصرى لما خرج من حلب وتوجه إلى بلاد شاه سوار حصل منهم إتلاف الزروع وخراب البلاد والضياع من رعى المراعى ، ثم إنه بعد أيام كثيرة واقع شرذمةً من العسكر المصرى والشامى أعوانُ شاه سوار بل [واقعهم] هو بنفسه فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب شاه سوار فنجى بنفسه ، وقبضوا على أخويه مغلباى وسليمان بن دلغادر الأقطع ، ولو كان ثم أحد تبع سوارا فى هربه لمحقه ، غير أن القوم تقاعدوا عنه لأمر أراده الله

فى الأزل ، ثم تبعوه بعد ذلك فلم يقفوا له على خبر ولا أمر ، وقالوا إنه دخل إلى جبل القرص[١] وقيل دخل إلى الروم ؛ وشرع[٢] العساكر بعد ذلك يفعلون فعلهم الأول من خراب البلاد والضياع ورعى المرعى وأخذ أموالهم . وانتقالهم من موضع إلى آخر ، حتى شمل الخراب غالب بلاده ، ووقع الغلاء والقحط فى العسكر فجهدوا وأبيعت البقسماطة بثلاثة دراهم فضة ، والعليقة من الشعير بأشرفى من الذهب ، ووصل نعل الفرس إلى دينارين ، ومات من الشاة عدد كثيرون فى كل يوم ، فعند ذلك اجتمعت آراؤهم على عود العسكر إلى حلب فعادوا منصورين مؤيدين إلى أن (٣٢ ب) وصلوا إلى مكان فيه طريقان[٣] : طريق سهلة واسعة فيها بعيض بعد ، وطريق ضيقة وعرة لا تسلك إلا شدة وفيها مخارج كثيرة يعرفها شاه سواه وعساكره ، فاختار الأتابك أزبك التوجه من الطريق الضيقة فنهوه فلم ينته ، وسار بقية القوم من الطريق الواسعة فلم يلقوا شراً .

وأما الأتابك أزبك والعساكر فأول من اجتاز منهم الطريق الضيقة إينال[٤] الأشقر نائب حلب وسلم ، وانجرّت العساكر بعده شيئا بعد شىء ، وبينما هم فى المضايق دهمهم شاه سوار على حين غفلة فعرقب الجمال السائرة بأحمالها ، فاستدت الطرق وقاتل ، وقاتل من بقى من العسكر يوما وليلة ، وتوجه الأتابك أزبك إلى إحضار نجدة ممن ساروا فى الطريق الواسعة فلم يعودوا ، وقاتل من بقى مع الأمير قرقماس أمير مجلس حتى قتلوا ، وقتل الأمير قرقماس

---

(١) ربما كان المقصود بذلك الناحية الجبلية التى درست واسمها « جبل قارن » من أعمال طبرستان ، انظر لى سترانج : بلدان الخلافة ، ص ٤١٣ .

(٢) فى الأصل « شرعوا » .

(٣) فى الأصل « طريقين » .

(٤) هو إينال اليحياوى الظاهرى جقمق ، وكان شديد الجور على الناس فى ولايته ، راجع السخاوى : الضوء اللامع ٢/١٠٨٤ .

المذكور ومعه جماعة من الأمراء المصريين والشاميين يأتى ذكرهم فى وفيات هذه السنة إن شاء الله .

ثم انهزم شاه سوار وسدّ الطريق بينه وبين من بقى معه من العسكر وكانوا شرذمة قليلين[1] حتى لا يتبعوه ، وأقام من بقى من العسكر هناك يوما أو يومين ثم توجّه الجميع إلى حلب وقد سلم من لا قاتل ، ودخل العسكر إلى حلب فى غاية القلة والجهد والتعب والنصب والوصب ، فلم يطيقوا الإقامة بهـا — أى بحلب — ، وخرجوا منها بغير إذن السلطان وعادوا إلى مصر خفية بل جهاراً ، وكان السلطان أراد يرسل رأس نوبة الجمدارية إلى حلب لينفق فى العسكر جامكية أربعة شهور وعليق أربعة شهور ، فتوجه[2] إلى حلب فلم يجد بها غير أمراء الألوف لا غير ، فرسم على لسان السلطان بالإقامة بحلب ، وعاد مكس المذكور فوصل إلى القاهرة فى أواخر المحرم بعد أن ناله من العساكر سب كثير ولعن جزيل كونه أمرهم بالإقامة ، فما (١٣٣) شاء الله لا قوة إلا بالله .

وانقضت هذه السنة بعد أن قاسى الناس فيها شدائد وبلاء ومحنا وإحنا من عظم الغلاء وكثرة الطاعون والفتن وخوف السبل والطرق والأراجيف بكل لسان ، بحسب مقامه وحاله .

. . .

أمر النيل: الماء القديم فى هذه السنة خمسة أذرع واثنان وعشرون إصبعا ، ومبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثمانية أصابع ولله الحمد والشكر على ذلك .

---

(١) فى الأصل « قليلون » .

(٢) المقصود بذلك رأس نوبة الجمدارية واسمه مكس — كما سيأتى فى السطر بعد التالى — ولعله « مكى » .

ذكر من بلغتنا وفاته فى هذه السنة من الأعيان

١ — بيبرس بن عبدالله الأمير سيف الدين الأشرفى برسباى ، خال الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباى ، وكان قد بلغ الستين من العمر تخمينا ، وهو غير شقيق[1] خوند جلبان والدة العزيز المذكور ، لأن صاحب الترجمة أخوها لأمها ، وقرّبه الأشرف فى دولته فجعله خاصكيا فمشى مشيا حسنا مع الناس[2] فلم يمتحن بعد أستاذه لعدم شره ، وقربه الظاهر جقمق مع بُعْد الأشرفية ونفيهم والتنكيل بهم من السجن والضيق ، واستقر به فى إمرة عشرة ثم نقل منها إلى إمرة طبلخاناه فى دولة الأشرف إينال ، ثم ترقى فى دولته أيضا الى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، ثم ولى حجوبية الحجاب فى سنة أربع وستين وثمانى مائة عوضا عن برسباى[3] البجاسى بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الكبرى بعد موت يونس العلائى [الناصرى فرج[4]] بالطاعون ، فاستمر فى الحجوبية الى أن توفى الملك الأشرف إينال وتسلطن الملك المؤيد أحمد ، ثم خلع وتسلطن بعده الملك الظاهر خشقدم فنقله إلى وظيفة رأس نوبة النوب عوضا عن الأمير قانم[5] من صفرخجا المؤيدى بحكم انتقاله إلى إمرة مجلس عوضا عن الأمير قرقماس الجلب الأشرفى المنتقل إلى إمرة سلاح عوضا عن الأتابك (٣٣ ب) جرباش[6] المحمدى المنتقل إلى الأتابكية عوضا عن الملك الظاهر خشقدم ، فلم تطل مدته وقُبض عليه فيمن قُبض عليه من

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل ، والتصحيح من السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٣٠١ ، أما فيما يتعلق بخوند جلبان المتوفاة سنة ٨٣٩ . فانظر الضوء ١١ / ٨٩

(٢) عبارة « فلم يمتحن بعد أستاذه لعدم شره » من نص عبارة السخاوى فى الضوء ٣ / ١٠٣ .

(٣) الضوء اللامع ٣ / ٣٤

(٤) الإضافة من السخاوى ، شرحه ١٠ / ١٣٢٣

(٥) السخاوى : شرحه ٦ / ٦١٥

(٦) وقد مات فى شوال ٨٧٧ هـ

(٧) السخاوى . الضوء اللامع ٣ / انظر الضوء ٣ / ٢٧٠ . ١١٦ ، وأمام هذه الترجمة فى الأصل « ثم صوفى كان » وذلك بخط يخالف خط المؤلف .

من الأشرفية برسباى بواسطة جانبك القصير شاد بندر جدة الذى استقر دواداراً كبيراً فى دولة الظاهر خشقدم فلم تطل مدته ، وكان القبض على صاحب الترجمة فى يوم الخميس سادس عشرى ذى الحجة سنة خمس وستين وثمانى مائة ، وحبس بالاسكندرية مدة ثم أفرج عنه ورُسم له بالإقامة بالقدس بطالا ، فدام إلى أن مات فى أواخر شهر رمضان من هذه السنة .

وكان أميراً ساكنا عاقلا شكلا حسنا لا يعرف الشر أصلا ، غير أنه كان منهمكا فى الملذات الدنيوية التى تهواها النفوس ، وهـذا دأبه فى عمره كله ، وأسف عليه خجداشيتهُ وغيرهم وذكروه بكل خير وجميل . رحمه الله تعالى .

٢ — تنم[١] بن عبدالله الحسنى الأشرف برسباى نائب حماة ، أحد الأمراء المقدمين الألوف بحلب ، وكان من خواص الملك الأشرف المذكور وسقاته وحصل عليه بعد موت أستاذه محنة فسُجن وأطلق ، ثم عاد أمره إلى أن تأمّر عشرةً فى أوائل دولة الملك الأشرف إينال وصار من جملة رؤس النوب ، ثم استقر فى وظيفة رأس نوبة ثانيا فى دولة الملك الظاهر خشقدم ، ثم نقله إلى نيابة حماة ، ثم نقله منها إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بحلب ، وياله من عمل صالح يدفعه الله إلى أسفل ، فلم تنتج له إمرتها وتمرّض فطالت علته ، ومات — عفى الله تعالى عنه وهو[٢] فى عشر السبعين ، وقد أنقى شعر لحيته — بحلب فى عشر جمادى الآخرة ، وكان أميراً جليلا قليل الشر بل عديمه ، كثير الخوف على نفسه فمشى مشيا حسنا ، عفا الله عنه .

٣ — (٣٤ ب) حسن بن بغداد بدر الدين ، شيخ العربان ببعض إقليم

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٨٦/٣ ، وأمام هذه الترجمة فى الأصل « تنم خونى كان » وذلك بخط يخالف خط المؤلف .

(٢) العبارة « وهو فى عشر السبعين » هى نص عبارة السخاوى فى الضوء ، شرحه .

الغربية ببلده المسماة بمحلة المرحوم ، [مات](1) فى جمادى الأولى من هذه هذه السنة بعد ما عمر وخلف عدة أولاد ، و يُتّهم بمال جزيل ، وأخذ السلطان منهم ما أرضاه وترك لهم الذى(2) لا يعرف له أصلا ، واستراح وقدم على ما قدم ، عفا الله عنه .

٤ — حسين بن محمود بدر الدين الأصبهانى العجمى الشافعى الرافعى(3) ، الشيخ الصالح الملك القدوة الربانى نزيل مدينة النحرارية من الوجه البحرى من أسفل مصر ، وكان قد أنشأ بها زاويةً واجتمع عنده بها مريدون(4) وفقراء ، وهَرَع إليه خلائق ومعتقدون ، وهو أحد الأفراد الذين أدركناهم ، [كان] عفيفا صالحا جميل السيرة قليل التردد لأكابر البلد وأصاغرهم وأوساطهم ، منقطعاً إلى الله تعالى مع ملازمته العبادة والأوراد والأذكار ، كثير التواضع سَخِىّ النفس ، ويُحكى عنه فى بداية أمره سياحات وأحوال ، وطاف البلاد شرقها وغربها حتى دخل بلاد الكفر والحبشة وجال فى الأقطار ودخل الهند وركب بحر الظلمات وبلاد الترك ، وكان أقل غيبته عشرون سنة . وكان حلو النادرة حسن المحاضرة والمفاكهة والمذاكرة ، لطيفا كيِّسا رضىّ الأخلاق ، وله مكارم أخلاق ، وكان يروى لمن يحضر عنده ويذاكره عن أعاجيب ما اطّلع عليه فى البر والبحر والأسفار بالجملة وبالتفصيل ، فكان عظيم الشأن ، شامةً فى أبناء جنسه ، نفعنا الله به وبأوليائه . آمين .

٥ — جوهر بن عبد الله ، الأمير صفى الدين اليشبكى المعدى المعروف

---

(1) أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .

(2) فى الأصل « الذين » .

(3) « الرفاعى » فى الضوء اللامع ٣/٦٠٢ وابن إياس : بدائع الزهور ٣/٢٣ .

(4) فى الأصل « مريدين » .

بالتركمانى الزمام[١] والخازندار ، وفى مُعْتِقِه أقوال : ادعى هو أنه عتيق الأمير يشبك[٢] الجكمى الأمير آخور الكبير ، لكن المشهور أنه عتيق أخت يشبك المذكور زوجة الأمير آقبغا[٣] التركمانى ، ولذلك عرف بالتركمانى ، ثم قاسى الدهرَ ألوانا حتى اتصل بخدمة بيت السلطان ، وانتقل حتى صار شاد الحوش السلطانى من قلعة الجبل ، ثم (٣٤ ب) نقل إلى وظيفة الزمامية والخازندارية عوضا عن لؤلؤ[٤] الأشرفى على مالٍ بَذَلَه فى ذلك واستقر وعظم وضخم ، ودام على ذلك إلى أن مات بعد تمرّضه أشهراً فى ليلة الجمعة المصبحة عن مستهل جمادى الأولى من هذه السنة .

وكانت له جنازة حافلة ، وحضر السلطان — نصره الله — الصلاة عليه بمصلى المؤمنى ودُفن بالصحراء ، كل ذلك قبل صلاة الجمعة ، وقد ناهز الستين من العمر ، وكان إلى الطول أقرب من القصر ، وكان قد دهمته السعادة فإنه ليس له أصل ببيت السلطان ، وكان كثير الجوارى والنسوان ويشتريهن[٥] فيصرن فى بيته هيئة الزوجات . وقال الجمالى يوسف بن تغرى بردى : « ولم يكن فيه فضيلة فتذكر ، ولا أصل ببيت السلطان فتعرف أحواله ، ولكنه من صغار الخدام فنالته السعادة بهاتين الوظيفتين إلى أن مات ، وما أظنه خلّف كثير مال ، وإنما خلّف البستان الذى أنشأه بقرية دُموه[٦] من أعمال الجيزية ، وكان يحب المنادمة والبسط والمدام » . عفا الله عنه .

---

(١) الزمام كما عرفه Dozy: op. cit I, 601 فى الأصل وظيفة المشرف على الخياة ، أما صاحب الزمام فهو المشرف على دار الصرف ، ثم تطورت الوظيفة وتعددت صورها فهناك زمام الدار والآدر وهو الطواشى المسئول عن الحريم .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٨٤ .

(٣) انظر ابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر ، وفيات سنة ٨٤٣ هـ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٦/٨٠٨ .

(٥) فى الأصل « ويشتريهم فيصير فى بيته » .

(٦) صحح هذا اللفظ بناء على ما جاء فى الضوء اللامع ٣/٣٣٢ .

٦ — جكم بن عبد الله الأمير سيف الدين الظاهرى [خشقدم[١]] ، أحد أمراء الطبلخانات والحاجب الثانى الذى يسمى أيضاً حاجب ميرة وابن أخت السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره . أصله من مماليك الظاهر خشقدم وأمّره وصار من الأمراء العشرات ، وكان له اسم فى دولته وصولة ، وارتقى فى دولة قريبه الملك الأشرف إلى ما تقدم ذكره ، وصار له سمعة وكلمة ، ومات بالطاعون فى يوم الخميس ثالث عشرى شهر رمضان وسِنّهُ نحو ثلاثين سنة ، وصلّى السلطان عليه والعسكر بمصلى المؤمنى . وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه فى تاريخه فى الحوادث : « كان من مساوىء الدهر ، وفى الجملة لا تقل مات الأمير بل قل نفق الحمار » . انتهى كلامه . سامحه الله .

٧ — جان بلاط بن عبد الله الأشرفى أحد أمراء العشرات ، وكان بلاط هذا من مماليك الملك الأشرف إينال وخواصّه وجلبانه الخوارج ، وصيّره ساقيا فى أيامه ، وفتك وصنع صنيع أغواته[٢] وخجداشيته ، وامتُحِن بعد أستاذه ونُفى من (١٣٥) الدّيار المصرية ، وخرجت إمرته واستمر إلى أن تسلطن الملكُ الأشرف قايتباى فأنعم عليه بعد أن طلبه لحضرته الكريمة بإمره عشرة ، فدام عليها إلى أن مات بالطاعون فى يوم السبت سادس عشرى رمضان من هذه السنة ، وكان طوالا مليح الشكل جميل الهيئة ، عنده بعض حشمة وآداب بالنسبة لخجداشه[٣] وأغواته .

---

(١) الإضافة من الضوء ٣/٢٩٤ تمييزاً له عن حكم الظاهرى برقوق ، على أنه جعل موته سنة ٨٨٣ هـ .

(٢) الأغوات جمع أغا وهو لفظ تركى الأصل واصطلح معناه فى هذا العصر على الخصيان الطواشية ، وقد جمعه دوزى op. cit., I,82 على « أغاوات » وقال إن مفرده « أغاه » أو أغه » .

(٣) فى الضوء اللامع ٣/٢٥٢ « خجداشيته » ولعله الأصح ، إذ على الرغم من أن خجداش ذات معنيين فى السيادة والرفقة إلا أن تعظيم المؤلف للسلطان الأشرف قايتباى يجعل كلمة « خجداشه » أبعد ما تكون عن مقصده لما فيها من مساس بالسلطان .

٨ — سرور بن عبد الله الخادم الطواشى الحبشى الطرباى ، كان خادم الأمير طرباى الأتابكى [الظاهر برقوق[١]] كما ذَكر لنا ، وقال الجمال يوسف ابن تغرى بردى : «أصله من عتقاء شخص يسمى طرباى لا أعرفه ، لعله كان من الأجناد ، ثم اتصل بخدمة بيت السلطان وصار جدارا من جملة الجدارية وغيرهم ، وتنقل وترقى إلى أن ولى مشيخة الحَرَم النبوى — على ساكنه أفضل الصلاة والسلام — واستمر به سنينا إلى أن كبر سِنّه ، وكان له سنين ببيت السلطان» انتهى كلامه . قلت : كان تبع جدارا من سنة خمس وعشرين وثمان مائة ، وكان دينا خيّرا محافظا على الصلوات المفروضات وسننها ، وله أذكار ، ويدعى عفة وصيانة ورأينا منه ذلك ، وكان بينى وبينه صحبةٌ باعتبار أن والدى رحمه الله كان له عليه حوالات من جهة ديوان الدولة ، فإنه كان يستأجر من الوزير بلاداً بالجيزية ويعجل بإجارتها فى وزارة الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ والصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الهيصم[٢] ، وكانت معاملاته حسنة ، زهرا فى نفسه وملبسه ومركبه وبيته ، ويواظب التوجه لجامع الأزهر ، واستمر شيخ الحرم فدام به إلى أن تُوفى يوم الخميس العشرين من صفر فى هذه السنة وبه دفن ، وتعصب عليه الجمال يوسف بن تغرى بردى فقال : « مات لوالدى خادم حبشى من خدام الحرم الشريف ، وذكر الخادم فى وصيته ما عليه من الديون وذكر أنّ له عند سُرور هذا مائة دينار قرضا هذا كلامه ومن خطه نقلت ، فأنكر سرور ذلك وقال : ماله عندى شىء ، وكان الخادم غير كذوب لاسيما (٣٥ ب) الشخص يريد عند موته خلاص ذمته وكيف يدعى بما ليس له » . انتهى كلامه فليتأمل .

٩ — شاهين بن عبد الله الطواشى الرومى الظاهرى جقمق المعروف بشاهين

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٤/١٩
(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ — ٦٨ .

غزالى ، الأمير سيف الدين رأس نوبة الجدارية ، وأصله من خدام الأمير فارس[1] نائب قلعة دمشق ، فلما سافر الأمير جرباش المحمدى المشهور بكرد[2] الناصرى إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وأربعين وثمان مائة ، وعلى يده تقليد بعض نواب البلاد بدمشق رآى صاحب هذه الترجمة عند فارس المذكور فابتهج به ، وأعجبه جماله وحسن صوته وشكالته وقامته وهيفه ، وصار ذلك فى نفسه ، فلما عاد إلى القاهرة أعلم الملكَ الظاهرَ جقمق — رحمهما الله — به فطلبه من سيده. فأرسله مع تقدمة معه ، فقبله الملك الظاهر وأعتقه واستقرّ به خازنا ، ثم صيّره ساقيا فدام على السقاية إلى دولة الملك خشقدم رأس نوبة الجدارية بعد عزل خجداشه خشقدم الأحمدى ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف ـ عز نصره ـ فناله منه بعض خوف فى الباطن» . انتهى كلامه .

وتوعّك صاحب الترجمة ومرض فى شهر ربيع الآخر ، وطال مرضه إلى أن مات فى ليلة السبت ثامن جمادى الأول[4] ، ودفن من الغد ، وحضر السلطان الصلاة عليه هو وغالب العسكر ، وكان قد قارب الخمسين من العمر .

وكان صاحبُ هذه الترجمة من أجل أبناء جنسه وجها ، وأطولهم قداً ويداً وأعذبهم لفظا ، وأكثرهم أدبا وتواضعا ، وأفصحهم لسانا وأحسنهم تذكرة ، وبالجملة فإنه عديم النظير سيما على مايقال إذا انشرح وانبسط ، وكان منهمكا فى

---

(١) كان أحد أمراء الحملة التى خرجت لغزو رودس وقشتيل الروج ومات سنة ٨٤٧هـ ، انظر الضوء ٦/٥٤٨ .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولكنها وردت برسم « كرت » مرتين فى ترجمته بالضوء ٣/٢٧٠ ، وفسرها بقوله « قيل له كرت لكونه كثير الشعر » ثم عاد مرة أخرى ، شرحه ٣/١١٢٨ فكتبه بالدال .

(٣) يستدل من هذه الكلمة على أن المؤلف كان ينقل الترجمة ، ولكن فاتته الإشارة إلى اسم المنقول عنه .

(٤) الوارد فى ابن إياس: بدائع الزهور ٣/٢٤ أنه مات فى جمادى الآخرة .

اللذات النفسانية ويحب السماع الحسن ، وقد هـام[١] فيه الشعراء ومدحوه وقالوا : « شاهين غزالى »[٢] فصار لا يُعرف إلا بذلك وترنموا فيه ؛ وكان فى الواقع كل من رآه يكاد أن لا يفارقه لحسن مداعبته ، وكان يعاشر ابن رمضان الذى استقر (١٣٦ ا) فى التحدث على مكوس جدة وغيرَه ، ويحب البسط ولا يفارقه ، عفا الله عنه .

١٠ — شاذبك بن عبد الله الأمير سيف الدين الأشرفى [برسباى] ، أحد الأمراء المقدمين الألوف بدمشق وأمير حاج المحمل الشامى المشهور والمعروف بشد بك بشق ، وأصله من صغار مماليك الأشرف برسباى ، وأخرج بعد موت أستاذه إلى البلاد الشامية ، وتنقل فى عدة ولايات بالعالى والنازل ، و[صار] يتعطل أمره فيما بينهما غير مرة ، ويصير بطالا ثم يرجع إلى وظيفته ، إلى أن استقر أمره فى آخر عمره على إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، وأميراً على المحمل[٣] الشامى ، ودوادارية السلطان أيضاً بها[٤] ؛ ومات وهو عائد من الحج بالقرب من مدينة الكرك[٥] فى أواخر المحرم وقد ناف على الخمسين عاما ، وكان متوسط السيرة فى ولايته وأحواله ، وخير الأمور الوسط .

١١ — عبد القادر بن محمد الوفائى[٦] المادح والواعظ للنشد المطلوب ،

---

(١) فى الأصل « تهيموا » .

(٢) أورد ابن إياس فى بدائعه ٣/٢٤ قول القائل فيه :

أيها العشاق أصغوا ... واسمعوا حسن مقالى
كل عاشق لو غزالو ... وأنا شاهين غزالى

(٣) فى الأصل « لحمل » .

(٤) أى بدمشق .

(٥) الكرك قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء ، انظر ياقوت : معجم البلدان ٤/٢١٢ ومراصد الاطلاع ٣/١١٥٩ ، Demombynes : La Syrie, p. 125 et seq; Dussaud : Topographie Histor., p. 856, (n. 12)

(٦) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٧٨٧ أن ذلك نسبة لبيت بنى وفا حيث انتمى اليهم ثم عاد فانحرف عنهم .

كان آية من آيات الله وعجيبة من عجائب الله فى شبيبته من حسن الصوت والنغمة حتى يُضرب بحسن صوته المثل ، وشاع ذكره بذلك غربا وشرقا ، فلما بلغ الحلم انقطع صوته بالكلية ، ثم بعد حين فتح الله عليه وصار قطيما داخلا من كثرة الطرب الذى يأتى به وحسن الأصول ، وكان له نظم سافل ، وإذا طرب صفق بيديه وتتحرك جميع أعضائه ، وله تنسّك يخالطه بعض[1] تهتك ، مع ثقل فى مجالسته لاسيما لما يتصبرف ، ومع هذا كان نادرة[2] بعد شهاب الدين أحمد بن القرداح[3] ولم يخلف بعده مثله ، ووعظ الناس مرة بقبة[4] المنصورية فصدر منه سقطات ، فأرادوا القيام عليه فرجع واستغفر .

مات فى ذى القعدة من هذه السنة ، وكان لنا به صحبة أكيدة . رحمه الله تعالى .

١٢ — قانم بن عبد الله الأمير سيف الدين الأشرفى المعروف بقانم طاز ، أحد امراء الألوف بحلب ودوادار السلطان بها ، وهو من عتقاء الملك الأشرف (٣٦ ب) برسباى وخاصكيته الصغار بعد أن طالت أيامه فى الجندية والخاصكية ، إلى أن توفى الملك الظاهر جقمق وتسلطن ولده الملك المنصور عثمان أنعم عليه[5] بحصة القصر ، فلما وثب الأتابك إينال على المنصور كان صاحبُ الترجمة من حزب الأتابك إينال ، فلما تسلطن قرّبه وأنعم عليه بإمرة عشرة وجعله من جملة رءوس النوبة ، ثم بعد مدة نقله إلى إمرة طبلخاناة ، ثم انتقل فى دولة الظاهر خشقدم إلى الخازندارية الكبرى ، فلم تطل مدته بها ، وقبض عليه مع من

---

(١) فى الأصل « بعد » .
(٢) فى الأصل « نادر ح » .
(٣) بضم القاف نقلا عن الضوء ٢/٤٠٧ .
(٤) هى التى أنشأها المنصور قلاون (خطط ٢/٣٧٩) .
(٥) بعد هذا كلمة غير مقروءة فى الأصل .

كبعض من الأشرفية برسباى بممالأة الأمير جانبك الظاهرى القصير الدوادار الكبير وسجن مدة ثم نفى إلى البلاد الشامية ، وآل أمره بعد ذلك إلى أن صار دوادار السلطان بحلب ، وتجرّد لقتال شاه سوار صحبة العساكر المجهزة له ، فقبض عليه شاه سوار فى الوقعة وسجنه إلى أن مات فى شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وكان قام المذكور مترفعا على غير شىء ، وله أخلاق سىء التصريف فيها من وحاشتها ، وعنده بُخل زائد مفرط إلى الغاية على ما ينقلونه[1] عنه ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه : « كان عاديا ذا خلق سىء ، مع بخل وشح وتكبر وخفة وطيش » ، عفى الله عنى وعنهما .

١٣ — قوزى[2] بن عبدالله الظاهرى ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة من جملة رءوس النوب ، وأصله - كما قدمنا - من مماليك الملك الظاهر جقمق أيام إمرته ، فلما ركب[3] التخت استقر به بعد مدة طويلة خاصكيا لصغر سنه ثم استقر به ساقيا ، ثم جعله من جملة الأمراء العشرات ولده الملك المنصور عثمان ثم إسحاق ، ونُفى إلى البلاد الشامية إلى أن تسلطن الملك الظاهر خشقدم فاستقدمه إلى الديار المصرية وأنعم عليه بإمرة عشرة كما كان ، وجعله من جملة رءوس النوب ، وتجرد لقتال شاه سوار صحبة العسكر ، فعاد مريضا إلى القاهرة ومات فى يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى من هذه السنة ، وحضر السلطان - نصره الله - الصلاة (١٣٧) عليه بمصلى المؤمنى .

كان وصل إلى الكهولية ، وهو كثير الأدب والحشمة والرياسة والسكون والعقل والهدوء ، مع حسن الشكل وجمال الصورة واللحية والتواضع ولين الجانب وحسن الأخلاق ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل « ينقلوه » .

(٢) وردت ترجمته بإيجاز شديد فى الضوء اللامع ٦/٢٥٨ .

(٣) يقصد بذلك السلطان جقمق .

١٤ — قانباى بن عبد الله الحسنى الظاهرى أحد أمراء العشرات ووالى القاهرة المحروسة ، أصله من عتقاء الملك الأشرف إينال ، وله الوقائع المعلومة الصادرة عنه من الظلم والأذى إلى غير ذلك ، ومات — وهو متولى الحرب السعيد — بالطاعون فى ليلة الخميس سادس عشر رمضان ودفن من الغد. وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه فى تاريخه: «وأما أفعاله فسيئة ، وباشر الولاية أقبح مباشرة ، وحسابه على الله تعالى » انتهى كلامه . عفا الله عنهما .

١٥ — قان بردى بن عبدالله الأشرفى إينال ، الأمير سيف الدين ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وأصله من عتقاء الملك الأشرف إينال ومن جملة الدوادارية الصغار ؛ قال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه فى تاريخه : « كان من رؤوس الفتن والظلم والعسف فى أيام ممتقه » انتهى كلامه .

ولما مات أستاذه امتحن ونفى وحبس ودام بتلك البلاد - أى الشامية - إلى أن قدم الديار المصرية فى دولة الملك تمربغا[1] ، فلم يلتفت إليه ولا أهّل لشىء ، فلما تسلطن الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — عز نصره — أمّره عشرة واستقر به دوادارا ثانيا دفعة واحدة من قبل أن تسبق له مباشرة أو ولاية ، فباشر الدوادارية أشهرا ثم نقل منها إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية واستمر عليها إلى أن مات فى يوم الجمعة سادس شوال بالطاعون وحضر السلطان الصلاة عليه[2] بمصلى المؤمنى (٣٧ ب) قبل صلاة الجمعة ، والعسكر مشاة فى جنازته ودفن فى تربته التى أنشأها بالريدانية عند الحوض الخراب ، وكانت سنه يومئذ دون الثلاثين أو لعله جاوزها تخمينا . وكان قد بدأ فى عمارة تربة عظيمة هناك وشرع فى ذلك أياما يسيرة ، قال الجمال يوسف

---

(١) راجع السخاوى . الضوء اللامع ٣/١٦٧ .
(٢) فى الأصل « عليها » .

ابن تغرى بردى المؤرخ عنه : «ومع هذا ظلم الظلم الزائد وعسف الناس وأبادهم بالضرب واستعمالهم بغير أجرة ؛ وما عف عن ذلك ولا كف ، إلى أن عاجله الله وأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وكان شكلا طوالا نحيفا مسترسل اللحية دقيق الوجه غزير الشوارب . غير بهى الشكل مع ما عنده من التكبر والتجبر ، وما ذاك إلا لأنه لم توجهه عصاة معلم ولا أزعجه توبيخ مؤدب ؛ وعلى كل حال فستراح منه » انتهى كلامه عفا الله عنه .

١٦ — لؤلؤ بن عبد الله ، الأمير زين الدين الطواشى الرومى ، أصله من عتقاء الملك الأشرف برسباى ومن جدارّيته ، ثم صار بعد ذلك — فى غير دولة أستاذه — ساقيا ، ثم استقر فى تقدمة المماليك السلطانية فى دولة الملك الأشرف إينال ، ثم عزل بواسطة جارية حسناء كانت له تضرب بالجَنْك[1] ، طلبها منه المقام الشهابى أحمد — ولدُ السلطان المذكور — فامتنع وشمخ ، فأضمرها فى نفسه عليه فعزله ، فاستمر بطالا إلى دولة الملك الظاهر خشقدم طلبه واستقر به زماما وخازندارا كبيرا ، فباشر الوظيفتين يسيرا وصرف عنهما فلزم داره بطالا وذلك بعد أن صودر غير مرة ، وكان فى غاية من الحشمة والأدب والرياسة ، وله حرمة وبوقره[2] أهل الدولة ، إلا أنه كان مسرفا على نفسه ، يعفو [الله] عنه ويسامحه .

توفى فى ليلة الجمعة سادس عشرى شعبان بعد مرض طويل وقد قارب الستين من العمر تخمينا ، وكان إلى القصر أقرب من الطول . عفا الله عنه .

---

(١) الجنك بفتح الجيم وضمها وسكون النون آلة موسيقية تشبه العود ، وبكسر الجيم طبقة من الراقصات والراقصين الصغار ، وهم فى الأصل من اليهود والأرمن واليونان والترك يلبسون ملابس الرجال والنساء معا وشعورهم طويلة مرخاة .

(٢) فى الأصل «يوقروه» .

١٧ — محمد بن [إبراهيم(١)] الشروانى الشافعى ، العالم العلامة فريد دهره ووحيد عمره وأعجوبة زمانه ، الصّينّ الدين العفيف الحجة الأمة ، (٣٨ ب) وأصله من شروان(٢) وبها نشأ واشتغل ودأب ، ثم رحل بعد ذلك كله فى طلب العلم وطاف البلاد وقرأ على علماء عصره ، فبرع فى الفنون العقليات وانتهت إليه الرياسة فى ذلك وفى غيره من التصوف والتفسير ، ودخل إلى الديار المصرية بعد سنة ثلاثين وثمانى مائة عالما مستحضرا ، فتأهب للإقراء والتدريس فانثال(٣) عليه أكابر الطلبة بالديار المصرية من كل مذهب وانتفعوا به وأكبّوا عليه فحصلوا منه علما كثيرا ، مع جلالة قدره وكثرة وقاره وعفته الزائدة وعدم تردداه إلى أحد مطلقا لا من أعيان الدولة ولا من غيرهم ، غير أنه نزل بدار القاضى محب الدين ابن الأشقر(٤) كاتب السر الشريف كان ، فإنه كان له وبأقاربه معرفة من الحجاز الشريف ، وعاد من البلاد الشامية ثم عاد إلى الديار المصرية فى دولة الملك الظاهر جقمق ، ونزل بمدرسة(٥) المرحوم السعدى إبراهيم بن الجيعان التى أنشأها على شاطىء النيل المجاورة للبرانحية .

وطلبه الملك الظاهر جقمق إلى عنده مرات وهو يمتنع من ذلك ، وكذلك أعيان الدولة كانوا يودون ألا يفارقوه لما يرونه(٦) منه من الخير والصلاح

---

(١) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين ، ولكن بمراجعة السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٣٥ ، وابن إياس : بدائع الزهور ٣/١٧ لم نجد ما يشغل هذا الفراغ سوى كلمة « إبراهيم » .

(٢) شروان مدينة وإقليم ، أما المدينة فمن نواحى الباب والأبواب ، أما الإقليم فقيا يلى نهر الكر على بحر قزوين وقصبته الشماخية أو شماخى ، وفى أقصى شماله باب الأبواب وهو الاسم العربى لدربند ، انظر مراصد الاطلاع ٢/٧٩٣ ، ٨١٠ ولى سترانج : بلدان الخلافة ص ٢١٤ — ٢١٥ .

(٣) فى الأصل « فانثالوا » .

(٤) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٥٣ .

(٥) لم نجد لهمدرسة إلا ما ذكره الضوء اللامع ج ١ ص ٦٨ س ١٤ من أنه أسس جامع بولاق « بالقرب من منظرة الحجازية » كما أوقف عليه منظرة .

(٦) فى الأصل « يروه » .

والدين المتين والصدق فى الأقوال والأفعال ، وصار هو كلما زادوا فيه حبا يزيد عنهم بعدا ، ووقعت له محنة وأى محنة . وهو أنه سعى فى وظيفة تدريس المدرسة الطيبرسية [١] الملاصقة لجامع الأزهر ودرّس بها ، فسعى عليه فيها القاضى ولى الدين أحمد الأسيوطى وأخذ الوظيفة منه ، وهو الذى استقر بعد هذا فى قضاة القضاة الشافعية فى دولة خشقدم فى سنة اثنتين وسبعين وثمانى مائة بعد شغور المنصب أياما عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين أبى السعادات البلقينى [٢] (٣٨ ب) واستمر فيها إلى هذا التاريخ — أعنى إلى سنة ثلاث وثمانين وثمانى مائة ، مع أن صاحب الترجمة سئل من القاضى عبد الباسط أن يستقر فى مشيخة مدرسته فامتنع من ذلك ، وكان عظيمُ الدولة فى عصره إذ ذاك — الصاحبُ جمال الدين يوسف بنُ كاتب جكم [٣] ناظرُ الجيش والخاص — يعظمه ويكرمه ويود لو يقبل منه شيئاً من الدنيا ، وأرسل إليه بعدة أشياء من ثياب ونقد وضحايا وغير ذلك على يد القاضى نور الدين البرقى الحنفى الذى كان فى خدمته فلم يقبل منه شيئا ورده إليه ، وقد أشيع ما اتفق له مع أبى الخير النحاس وهو فى أوج عظمته لما توفى شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة ابن حجر وخلّف عدة وظائف من جملتها تدريس فى التفسير بالقبة [٤] المنصورية ، ورسم السلطان بها لصاحب الترجمة فامتنع على لسان المقر الكمال ابن البارزى [٥] كاتب السر رحمهما الله ، فعرف السلطان ذلك فاحتدّ من الكمال ، وبادر

---

(١) هى من إنشاء الأمير علاء الدين طيبرس الخزندارى نقيب الجيوش وجعلها مسجدا وقرر بها مدرسا ودروسا للفقهاء الشافعية ورخمها أحسن ترخيم وفرغت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ ، راجع المقريزى : الخطط ٢/٣٨٢ .

(٢) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٦٤ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٢١٢ .

(٤) هى من إنشاء الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى ، وهى تجاه المدرسة المنصورية داخل باب المارستان المنصورى وهى معدة لإقامة الخدام المماليك المعروفين بالطواشية ولهم كل يوم ما يكفيهم من الخبز واللحم المطبوخ ، انظر الخطط ٢/٣٧٩ - ٣٨١ .

(٥) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

أبو الخير النحاس وقال: « ضمان الشيخ علىّ ، أنا أخليه يقبل» وتوجه إلى عند الشيخ بالمدرسة الظاهرية[1] القديمة بيبرس البندقدارى بعد المغرب، وكنت حاضراً عند الشيخ فإنى كنت ملازما لخدمته تارة أقرأ وتارة أحادثه فى أحوال التاريخ والأمم الماضية وحوادث الأيام والشهور والأعوام ، حتى لما يريد يتنزه لا يفارقنى ، وكنت فى صحبته وخدمته كما يحب وينبغى ، فكان يأمرنى إذا ابتعت له من السوقة وغيرهم أن ابْتاعه له بلفظ « بُعت واشتريت » ، وكان الشيخ عنده تواضع زائد للكبير والصغير والحقير والفقير والجليل ، وبمجرد يدخل عليه أحد يقف له ويعظمه ، وكان قد بلغ الشيخَ أن السلطان احتد على المقر الكمالى بسبب أنه نقل عن الشيخ أنه ما قبل الوظيفة ، وأن أبا الخير التزم للسلطان بقبولها له ، فلما رآه الشيخ — وكان فى وسطه كران[2] — تحرك له وجلس وتكلم معه فى توليته لوظيفة (١٣٩ ا) التفسير بعد أن وعده أن يزيد معلومه بالجوالى فى كل شهر كذاوكذا دينارا وأشياء من هذا النمط ، فأجابه بأنه لو أعطى ملء هذه المدرسة ذهبا ليُكذّب صاحبه — ويعنى به المقر الكمالى — ما فعل ذلك ، وقام ، ولم يقبل الشيخ شيئا .

ووليها الشيخ أبو الفضل المغربى المالكى ، وقضيته أيضا لما عزم إلى سفر دمشق وشاوروا السلطان عليه امتنع وقال: « لابد أن يحضر إلى ويدعو لى » ، فنصبه المقر الكمالى على صعوده للسلطان ، فطلع إليه يوم سفره وهو مكره ، فقام له الملك الظاهر وعظمه وبجله وأكرمه ، ودفع له مائة دينار فأخذها

---

(١) ابتدأ الظاهر بيبرس البندقدارى بعمارتها سنة ٦٦٠ وفرغ منها ٦٦٢ هـ وكانت بها خزانة كتب وبنى بجانبها مكتبالتعليم أيتام المسلمين وأجرى لهم الجرايات والكسوة ، انظر الخطط ٢/٣٧٨ .

(٢) بفتح الكاف والميم حزام من جلد يشد حول الوسط، وقد ذكر Dozy : op. cit., 1, 488 بناء على عبارة واردة فى المقريزى بالسلوك ، أنه كان — فى الدولة الأيوبية — يلبسه الأمراء والعسكر والسلطان نفسه « من فوق القباء كمران بحلق وإبزيم » .

ودعى له وتوجه مسافراً ، فلما وصل إلى خارج القاهرة عند رأس الحسنية إلا وبفرس لعب به فسقط فانكسرت رجله ، فاستمر منقطعا ورجله فى صندوق والأطباء يلاطفونه ، حتى نفد ما أعطاه له الظاهر جقمق ولم يأكل منه فى جوفه لقمة واحدة .

وأما غير ذلك ممن قرأ عليه فمخدومنا رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، والقاضى نجم الدين يحيى[1] ابن حجى وغيرهما من الأماثل والأفاضل والأعيان الذين صاروا شيوخاً ومدرسين بالديار المصرية وغيرها . ومن محاسنه أنه ما وُجد فى دار أحد من الأغنياء والرؤساء ، وكان يودنى ويعظمنى ، وقرأت عليه شرح العمدة للنسفى فى الأصول ، وقرأت عليه العبرى وحضرت عليه قراءات كثيرة مفيدة بحضور الشيخ العلامة جمال الدين عبد الله الكورانى[2] فإنه ما كان عند الشيخ أعظم منه ولا أمثل فإنه كان يبحث معه ويدقق ويشهد له بجزيل الفضل ، وطار صيت صاحب هذه الترجمة بهذه الأوصاف الحسنة الجليلة فى الأقطار والأمصار ، وفى الواقع فكان بوجوده فى الوجود تجمل[3] زائد . وكان صاحب هذه الترجمة رحمه الله يعظم شيخنا شيخ مشايخ الإسلام المحيوى الكافيجى ـ رحمه الله ـ تعظيما جزيلا ويذكر أنه من أربعين سنة رأى (٣٩ ب) حلقة طلبته بالبلاد أكثر من خمسين نفراً ، وكذا كان الشيخ محيى الدين المذكور يعظمه ويصفه بالعلم الغزير والدين المتين ، وما رأيت أنقى من ثيابه ولا أنظف منها ولا أبهى منها ولا أجل من هيئته فإنه كان نحيفاً لطيفاً ظريفاً عنده اصفرار من العبادة وكثرة الآلام ، وكوسجا[4] نقى الشيبة حسن اللفظ فصيح العبارة ، وخادمه

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ١٨٥/٥ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٨٥/٥ .

(٣) فى الأصل « تجملا زائدا » .

(٤) الكوسج هو الأمرد الذى لا لحية له ، انظر Dozy:op.cit. II, p. 498 ، وفى تاج العروس ، نقلا عن شفاء الغليل « الكوسج عجمى معرب » وقال « قالوا من طالت لحيته تكوسج عقله » ، انظر أيضا (كسبج) Lane : Lexicon, 7, p. 2609.

السيد الشريف كان كبير اللحية، واتفق أن بعض الغرباء دخلوا لزيارة الشيخ فوجدوا الشريف بلحية عظيمة وهيئة جسيمة والشيخ نحيفا لطيفا، فبادروا الشريف وقبلوا أياديه ظناً منهم أنه الشيخ فقال لهم: «هذا هو الشيخ»، فلما سمع الشيخ كلامه قال الشريف: «هؤلاء يسلمون على ذقنكم».

توفى رحمه الله تعالى بعد قدومه من مجاورته بمكة المشرفة فى ليلة السبت مستهل شهر صفر، ودفن من الغد بتربة سيدى عبد الله المنوفى بالقرب من ضريحه وقد ناهز الستين تخمينا، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته، وجمعنا عليه فى مستقر رحمته. آمين.

١٨ — محمد بن [أحمد بن عمر][(١)] الشلشى الشافعى الشيخ الإمام شيخ مدرسة زين الدين الأستادار، وكان من علماء الشافعية القدماء وهو آخر من حضر دروس شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى وغيره من طبقته، وأقرأ ودرس سنينا كثيرة وانتفع به الطلبة، وفى آخر عمره اختلط وكبر فإنه جاوز المائة سنة من العمر، وعلى ما كان فهو معدود من فقهاء الشافعية. توفى فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى وكان بيننا وبينه صحبة ومودة أكيدة ومداعبات لطيفة. رحمه الله وعفا عنه.

١٩ — محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبى بكر القاضى معين الدين ابن القاضى تاج الدين ابن قاضى القضاة شمس الدين الطرابلسى الحنفى أحد نواب الحكم الحنفية بالديار المصرية. مولده فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة (٨١٢) وثمانى مائة ونشأ تحت كنف والده فقرأ القرآن العظيم وعدة متون فى مذهبه وناب فى الأحكام زيادة على ثلاثين عاما، وحج غير مرة آخرها فى موسم سنة اثنتين وسبعين وثمانى مائة فى الرجبية صحبة رئيس الدنيا القاضى

---

(١) فراغ فى الأصل وقد أضيف بعد مراجعة ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٧/٦٤.

زين الدين بن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين . ولما عاد من الحج تنزّه عن ذلك وتعفف وكف ، ولزم العبادة من صوم الفريضة وصلواتها على طريقتها الحسنة ، فكان صاحب الترجمة قد عين للاستبدالات سيما لما ولى قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى القضاء فعوض له ذلك من غير تعيين لحصّل الأموال الجمة . لكنه كان كثير الإنفاق على عياله كريم النفس و ا لمك ركبه الدين ، وخدم الأميرَ زين الدين الأستادار وصار فى بابه ومن خواصه وندمائه سفرا وحضرا ، وحصل له ولولده لتقاضى كمال الدين منه الجامكية واللحم والعليق والكسوة والأضحية وغير ذلك ، وكان إذا عزل من الأستادارية فيرسم عليه بسبب أنه من خواص أصحابه ولاسيما لما ولى منصور الأستادارية ، وما رأينا عليه إلا خيرا سوى أن شهادته هو وولده القاضى كمال الدين على منصور على ما بينهما من المخاصمات بما أوجب عند القاضى حسام الدين ابن[1] حريز سفك دمه فشاعت فى الأقطار والأمصار ونسأل الله تعالى الغفران ؛ وكان بينى وبينه محبة ومودة وصحبة ومداعبة وملاطفة . مرض بالقولنج أو بغيره فمات وهو غير قاض فى ليلة الأربعاء رابع شهر رجب ودفن من الغد بتربة الصوفية ، وكانت له جنازة مشهورة حافلة وكان انقطاعه فى مرضه نحو سبعة أيام ، ووفاته كانت بحارة[2] برجوان عند ولده القاضى جمال الدين ، أعزه الله تعالى . والله تعالى أسأل أن يعفو عنى وعنه بفضله ومنه وجوده وكرمه للمسلمين .

٢٠ — محمد بن [أبى بكر بن[3] محمد] المعروف بابن حُرَيْز السيد الشريف

---

(١) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٤٢

(٢) تنسب هذه الحارة إلى الأستاذ أبى الفتوح برجوان أحد خدام القصر الفاطمى زمن الخليفة العزيز بالله نزار وكان خصيا أبيض ، وقد ترجم له المقريزى فى الخطط ٢/٢ — ٣ ترجمة مطولة .

(٣) فراغ فى الأصل ، وقد أضيف مابين الحاصرتين من ترجمته فى السيوطى : نظم العقيان ١٤٢ ، والضوء اللامع ٧/١٥٤ .

قاضي القضاة حسام الدين المالكي . أخبرني بمولده ثم نسبته وأنه [illegible](1) في عشر السبعين ، وكان له يدٌ طولى في معرفة القراءات ومشاركة تامة في الفقه واطلاع زائد في التاريخ ومعرفته ، ذاكرني كثيرا رحمه الله في التاريخ فرأيته فيه بحراً لا يجارى ، ووقف على تاريخي الكبير المسمى « نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الأزمان » ، وكتب لي عليه كتابة بليغة تنبيء عن عرفانه بفن التاريخ ، وأجرى عليَّ فضلا جزيلا من الضحايا في كل سنة ، ومن الإنعام أيضا في شهر رمضان ، ومن القمح والعسل وغير ذلك رحمه الله ، وكان يودّني كثيراً وبيني وبينه صحبة أكيدة من أيام الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ، وبعده الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم(2) ، فإنه في بداية أمره كان نائبا في الحكم بمنفلوط وغيرها مدة سنين ، واشتغل بالزراعات والمستأجرات في ديوان الدولة والمفرد حتى صار له في كل سنة من متحصل الغلال والأعسال والأقصاب شيء كثير جداً ، وتجمّد عليه من الديون جمل(3) كثيرة أيضا ، وتوغل في الديون توغلا زائداً حتى صار لا يحصى ما عليه من الديون ومع ذلك يخدم السلطان وأمراءه(4) ووزراءه بالأموال الجمة والخيول العظيمة الجياد وغير ذلك ، وهو في عز شامخ ، وفضل باذخ ، وكرم وافر ، وعقل باهر ، واستمر على ذلك إلى أن توفي قاضي القضاة ولي الدين السنباطي(5) المالكي بالديار المصرية وتكلم الأمير يونس(6) الدوادار الكبير مع الملك الأشرف

---

(1) أشار السخاوي ، شرحه إلى أنه ولد في العشر الأخير من رمضان سنة ٨٠٤ ، وقد خلت الشذرات من ترجمته .

(2) راجع الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ – ٦٨ .

(3) في الأصل « جملا » .

(4) في الأصل « أمرائه » .

(5) كانت وفاته في رجب سنة ٨٦١ هـ ، راجع السيوطي نظم العقيان ، ص ١٦٤ .

(6) راجع الضوء اللامع ١٠ / ١٣٢٠ .

إينال فى ولاية قضاء المالكية للشيخ شمس الدين[١] القرافى فأنعم له بها ، ورسم للصاحب جمال الدين يوسف عظيم الدولة ابن كاتب جكم أن يصمد غد تاريخه بخلعته يوم السبت . فبمجرّد ما بلغ الصاحبَ جمال الدين ذلك نهض نهضة الأسود ، وقلت بالسلطان عن ما أمر به وتكلم لصاحب الترجمة فى ما رسم له به ، وطلبه لحضرته ، وخلع عليه بقضاء القضاة المالكية وكان له يوم مشهود ، وكانت خلعته طرحة خضراء لكونه شريفا . ولما ولى قضاء القضاة بالديار المصرية صار له حرمة وضخامة وعفة زائدة . غير أنه يتكلم فى بلاد السلطان التى بالوجه القبلى ويحمل مالها فى كل سنة للخزانة الشريفة ، فخلع عليه عندما[٢] يغلق المال ، وعرف[٣] الحكام طريقه ، ولا زالوا به حتى تدرك[٤] البلادَ السلطان وغرم فيها أموالا جمة ، ثم مرض فطالت علته إلى أن مات .

وكان له كلمة نافذة فى الوجه القبلى بل وفى القاهرة ، فإنه كان هو القائم فى عزل على بن الأهناسى[٥] لما تخاصم وهو وإياه بسبب بلاد الدولة الشريفة ، وآخر الأمر عزله وقبض عليه وأخذ السلطانُ أمواله ، واستقر بابن صنيعة[٦] وزيراً عوضا عنه ، وغرم بسببه جملا من الأموال ومع ذلك لم يسد الوظيفة وعُزل ، وصار الإسم على صاحب الترجمة متكلما فى الوزارة ومكوسها واحتمل وتحمل الديون ، وكان مع ذلك على ما بلغنى لا يمس دينارا ولا درهما بيده مع الكرم الزائد والعطاء المتصاعد ، وكان المقر الأشرف السيفى عظيم الدولة

---

(١) راجع الضوء اللامع ٧ / ٥٦ ، السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٣٦ .

(٢) يغلق المال ، أى يستوفيه ، راجع Dozy : Supp. Dict. Ar I. 224

(٣) فى الأصل « عرفوا » .

(٤) تدرك لها فى هذا الوضع معنيان أحدهما أنه أدرك البلاد ، أما الآخر — وهو فى الغالب — ما يقصده المؤلف أن السلطان التزم بما على هذه البلاد من الأموال .

(٥) الضوء اللامع ٥ / ٩٩٦ .

(٦) هو يحيى الأشرف القبطى ، انظر الضوء اللامع ١٠/١٠٦١ ، ونفس الجزء ص ٢٥٥ .

ومدبرها ومشيرها ووزيرها وأستادارها الكبير عز نصره شكى[1] أنه أن الوجه القبلى من صاحب الترجمة من أعوانه ، وأنهوا عنه أنه وضع يده على عدة بلاد وجزائر واستولى عليها وما أشبه ذلك ، فوقع بينهما نفرة ووحشة . وولى عوضه أخوه القاضى سراج الدين عمر القضاء ، والتزم عنه السلطان بمال ، وسنذكر ما اتفق له ولورثة القاضى حسام الدين صاحب الترجمة من الشرور والغوغاء .

قال الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه عنه مع أن بينهما صهارة[2] وهو أن الحسام كان تزوج بأخت الجمال ثم طلقها فقال عنه : « كان حسام الدين يسلك فى لبسه غير زى القضاة من تصغير العمامة وركوب الفرس فى الغالب من غير بغلة ولا طيلسان ، (٤١ ب) فكان الذى يراه ولا يعرفه يحسبه بعض التجار أو من مدركى[3] البلاد ، ومات ودخله كبير ودَيْنه كثير وحسابه على الله تعالى » انتهى كلامه .

قلت : كان جميلا فى لباسه ، ويركب الخيول الجياد التى ثمن كل فرس [منها] ما يزيد على الألف دينار ويركب البغلة والكنبوش[4] ، واشترى الجوارى الحسان البيض والحبوش الملاح وهم عنده بكثرة ، ويبتاع العبد الواحد منهم بمائة دينار ويكسوه بمثلها ، ولما يكثرون[5] يجعلهم فى البلاد .

وتوفى فى ليلة مباركة وهى مستهل شعبان بمصر القديمة ، وصلى عليه بجامع

---

(١) فى الأصل « شكوا » .

(٢) صهارة أى مصاهرة ، وقد ورد فى Freytag : Lexicon Arabico Latinum صهارة « بضم الصاد » وعرفها بأنها Liquamen: Segmentum adipis quod

(٣) فى الأصل « مدركين » .

(٤) الكنبوش بفتح الكاف قماش لتغطية الكفل أو الصورة Dozy, op. cit., p. 491 - 2 وقيل إنها قطعة من قماش كتان أو خام توضع على صدر الطفل Bocthor : Dict. Fr. Ar. Rev. par A. C. de Perceval أما بالضم فهى الطراحة تلقى على المصان أو غطاء المائدة.

(٥) فى الأصل « يكثروا » .

عمرو بن العاص ، وكان له جنازة حافلة مشهودة جدا حضرها رفقته قضاة القضاة وأعيان الدولة ورؤساؤها وغالب أمرائها ودفن بالقرافة ، وأثنوا عليه خيرا ، وهو الذى أمر بسفك دم منصور الأستادار فضربت عنقه بشهادة القاضى معين الدين الطرابلسى وغيره . وندم على ما قدم . والله يعفو عنه ويغفر لنا وله وللمسلمين .

٢١ — محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العقيلى النويرى المكى الشافعى الشيخ كمال الدين ، أبو الفضل ابن الشيخ زين الدين أبى الفضل ابن قاضى قضاة مكة محب الدين خطيب مكة وابن خطيبها وابن قاضيها ، مولده فى سنة سبع وعشرين تخمينا ، ونشأ يتيما هو وأخوه أبو القاسم ، وأبو القاسم هو الأكبر ، رأيته وهو بصير ، ونشأ بمكة المشرفة فحفظ القرآن العظيم وعدة فنون فى مذهبه واشتغل يسيرا ، وباشر خطابة مكة وهو صغير وأخوه للذكور شريكهن لابن عمهما أمين الدين قاضى القضاة بمكة النويرى ، ثم انفرد بها مدة ثم عزلا عنها غير مرة[1] وبطول عزلهما وولايتهما سنينا ، فقدر الله أن وقع بين صاحب الترجمة وبين قاضى مكة برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة[2] وبين أمير مكة السيد الشريف محمد بن عجلان[3] ، وقدم صاحب الترجمة إلى مصر فأقام بها عدة سنين فاشتغل بالعلم على شيخنا الشيخ أمين الدين (٤٢ ا) الأقصرائى وشيخنا شيخ مشايخ الإسلام محيى الدين الكافيجى فى عدة فنون ، وحصل له بالديار المصرية عز وقبول زائد من أعيان ملوكها سيما جانم الأشرفى أخو[4] السلطان الملك الأشرف برسباى ، فإنه كان عنده فى أوج العظمة والكمال ويرجع إليه ويصغى لقوله ،

---

(١) عدد السخاوى فى الضوء ٩/٩٢ مرات عزلهما وولايتهما .
(٢) راجع الضوء اللامع ج١ ص٨٨ — ٨٩ .
(٣) راجع الضوء اللامع ٨ / ٢٠٥ .
(٤) اكتفى الضوء اللامع ٣ / ٢٥٥ بقوله عنه « إنه قريب برسباى » .

وصار كلما أمره بشىء لا يخالفه ، وخدمه بالجوارى الحسان والأموال الكثيرة سيما وهو فى السجن ، وكان بشّره بأنه يصير إليه الأمر أى يتسلطن ، فلما خلص من السجن وولى نيابة حلب ازداد حبه له جدا وخدمه الخدمة التامة ، وكان صاحب الترجمة اجتمع على حبه الخدام الأكابر ببيت السلطان كتنال[1] الحبشى — الذى هو الأمير سابق الدين مقدم المماليك السلطانية — وعدةٌ من السقاة وغيرهم ، وكان رحمه الله يذكر أنه يجتمع بالقطب الغوث وغيره من الأبدال ، فصار له اسم وسمعة عند الأتراك ، واجتمع عليه الجم الغفير من مجاورى جامع الأزهر بواسطة جواره للجامع المذكور وصار يدرّس الفقه ، وقرىء عليه صحيح البخارى فى الأشهر الحرم ، وكان يختم البخارى به[2] ويصنع يوم الختم أمورا كثيرة من الخلع والإحسان للطلبة خارجا عن للأكل والمشرب ، وكذلك كان يفعل بمكة المحروسة : ومع هذا المال الذى كان يصل إليه من الأتراك وغيرهم ، كان عليه الديون الجمة الوافرة من كثرة جوده وكرمه الذى كان يصل الشارد والوارد ، وكان يرى نفسه كبيرا ويصفها بعلوم زائدة لا يعرفها قط ، وكان له اعتقاد كبير عظيم جدا فى الصلحاء والفقراء ويعظمهم ويزورهم ، فلهذا طار صيته واشتهر ذكره .

وكان جميل الشكل حسن الهيئة متجملا فى ملبسه ومركبه ومأكله ، كثير البشاشة والقرى والتواضع ، فصيح العبارة مفوها مشداقا[3] محببا للناس ، عفا الله عنه . (٤٢ب) توفى صبيحة يوم الخميس ثالث عشرى رمضان المعظم قدره ، ودفن من يومه بالتنكزية خارج باب القرافة بسفارة برواح ابنة إسماعيل بن

---

(١) انظر الضوء اللامع ٦ / ٨٣٩ .
(٢) أى بالجامع الأزهر .
(٣) لم يرد فى اللغة «مشداق» إن كان المقصود به البليغ المنطق المفوه ، انظر تاج العروس ٦ / ٣٩١ ، Freytag : op. cit., p. 810. وقد تكتب بالدال انظر Dozy : I, p. 787

الخازن البكتمرية بعلة الطاعون ، وكان أوصى أن يدفن بقبة سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وتعصب له الأمير منقال مقدم المماليك السلطانية وشاور السلطان على ذلك فأذن(١) له ، فارتجت القاهرة لذلك وشق عليهم كيف يحفرون فى القبة عند قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فنهض رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر حفظه الله على المسلمين ـ وصعد للسلطان وعارضه فى ذلك وقال : « هذا لا يحل » — يعنى لا يجوز أن ينبش على قبر الإمام ؛ فرجع السلطان عن ذلك والله الولى والمالك .

ولام الناس أبا الفضل صاحب الترجمة على هذه الوصية ، وتفرقت العلماء وظائفه من بعده ، ومن جملة من أخذ من وظائفه الشيخ العلامة زكريا(٢) أخذ تدريس السابقية وسكن البيت المجاور لها الذى كان سكن ابن الملقن ، وهو وقف المدرسة . وكان بيننا وبينه صحبة أكيدة ومجالسة ومذاكرات . عفا الله عنه .

٢٢ — محمد بن يحيى الشيخ الإمام العالم البارع الدين الصين أبو السعادات ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شرف الدين يحيى(٣) المناوى الشافعى شيخ الصلاحية(٤) ـ ومدرسها ـ المجاورة لقبة الإمام الشافعى رضى الله عنه . وُلد بالقاهرة ونشأ بها تحت كنف والده(٥) على سمت حسن ، فحفظ القرآن العظيم

---

(١) يستفاد مما أورده السخاوى : شرحه فى ترجمة له أن السلطان كان كبير التقدير له ، عظيم الاعتزاز به .

(٢) راجع عنه الضوء اللامع ٣ / ٨٩٢ .

(٣) الضوء ١٠ / ١٠٣٣ .

(٤) وتعرف أيضا بخانقاه سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر (أو عنبر) أحد الأستاذين المحنكين عتيق الخليفة الفاطمى المستنصر ، ثم أصبحت بأمر صلاح الدين الأيوبى خاصة بفقراء الصوفية الواردين من خارج مصر ، راجع الخطط للمقريزى ٢ / ٤١٥ .

(٥) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٢٣ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧ / ٣١٢ .

عدة متون فى مذهبه ، واشتغل على والده وغيره ، فبرع فى الفقه والنحو والأصول وغيرها ، وأفتى ودرّس فى حياة والده ، ورُشح لقضاء القضاة بالديار المصرية فى حياة والده ، فلما مات والده ـ رحمه الله ـ أكبّ على الإقراء والتدريس والإفتاء ، وكان لما عزل والده عن القضاء بصلاح الدين بن بركوت المكينى[1] وقع من صلاح الدين حكم فى مسألة ، فأفتى صاحب الترجمة ببطلانه وتعصب له جماعة ، وتعصب لصلاح الدين قوم ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وكان زهرا لطيفا بشوشا مطبوعا على الخير محافظا على الصلوات ، وشرع بعد موت والده — رحمهما الله — فى تكملة كتاب والده الذى كتبه على المزنى ، وسلك فى ذلك أحسن مسلك ، ولم يزل على خير ودين وعفة وصيانة وأمانة إلى أن مرض أياما قليلة فمات فى يوم الثلاثاء سادس شوال ، ودفن بالقرافة من الغد وهو فى الكهولية . وكان بينى وبينه وبين والده صحبة زائدة وتردد ، ويترددنى كثيرا هو ووالده رحمهما الله ، وأسكنهما رياض جنان فضله ، وكرمه الهامنة بفضله .

٢٣ — محمد بن عبد الرحمن بن حسن القاضى فتح الدين ابن وجيه الدين ابن بدر الدين ابن سويد ؛ أحد التجار ونواب الحكم المالكية بمصر القديمة حيث كان سكنه ، وكان معدودا من فقهاء المالكية ولديه فضيلة وينعت بمال وافر ، حتى إن السلطان أخذ من ولده بعد وفاته جملةً من الأموال بنحو ستة آلاف دينار ، وكان مع هذا المال الجزيل ساقط المروءة مبهدلا فى الدول ، وقضيته مع كسباى [الدوادار][2] مشهورة فى الضرب والحبس والبهدلة ، كل ذلك لشح كان فيه وبخلٍ زائد وتقتير على عياله ونفسه مع اجتهادٍ كبير فى تحصيل المال .

---

(١) فى الأصل « الأمنى » والتصحيح من ترجمة أبيه فى النبوه ١٠ / ١٠٣٣ .
(٢) الإضافة من النبوه اللامع ٦ / ٧٨٢ .

وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ : « وطباعه تشبه الأقباط حتى قيل لى إن جد أبيه سويداً باشر دين النصرانية فعند ذلك تحققت ُ ماتشككت فيه ، وعلى كل حال فهو من لا يتأسف أحد على موته . توفى بمصر القديمة ـ حيث كان سكنه ـ فى يوم الاثنين سابع[١] عشر ذى القعدة ودفن من الغد بالقرافة ومات وهو فى آخر الكهولية وكان قد عظم وضخم عند مستغنيه .

٢٤ – مغلباى طاز ابن عبد الله ، الأمير سيف الدين المؤيدى [شيخ] الأبو بكرى ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وهو من عتقاء المؤيد شيخ فصار خاصكيا بعده ودام على ذلك سنينا (٤٣ب) إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال فجعله من الأمراء العشرات ، فاستمر على ذلك إلى أن تسلطن خجداشه الملك الظاهر خشقدم نقله إلى إمرة طبلخاناة وجعله أمير الحج بالمحمل ، ثم استقر به أمير مائة ومقدم ألف ، ودام على ذلك حتى كانت الفتنة التى خلع فيها حوه وصيره الظاهر بلباى من المملكة ، نفى مغلباى هذا إلى ثغر دمياط بطالا ، فدام به إلى أن مات بالثغر المذكور فى العشر الأول من شهر صفر فى هذه السنة .

وكان شجاعا ديّنا خيرا كريما قوالا بالحق فيما لا ينفعه ولا يضره بل مجرد هذيان يصدع الأدمغة ، مع سلامة الباطن وصفاء الخاطر وحسن العشرة وقول الحق مع الخفة الزائدة . عفا الله عنه .

٢٥ – يلباى بن عبدالله الملك الظاهر المشهور والمعروف بيلباى تلى أى المجنون[٢] وأصله من عتقاء الملك الظاهر جقمق بواسطة قبضه على الملك العزيز يوسف[٣]

---

(١) الوارد فى الضوء ٧ / ٢٤١ ، ص ٢٨٨ أنه مات يوم الاثنين ١٩ ذى القعدة .

(٢) فى الأصل « مجنونا » ، وقد نعت هنا النعت لجرأة كانت فيه وحدة مزاج ، راجع الضوء٣/١١٣١

(٣) السيوطى : نظم العقيان ، ص١٧٩ .

ابن برسباى لما تسحب من قلعة الجبل فى شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانى مائة ، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه واستمر عليها إلى أن قبض عليه الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق ، وقبض عليه مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدية وسجنه بثغر الإسكندرية ، فدام به إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال فى أوائل سلطنته هو ورفقته ، وأعاد عليه إقطاعه بعد موت سونجبغا[1] الناصرى ، ودام على ذلك دهرا إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف فى أواخر سنة أربع وخمسين وثمانى مائة .

وكان شرس الأخلاق سريع الانحراف ، فلما مات الأشرف إينال وتسلطن ولده المؤيد أحمد ، وخلع وتسلطن بعده خجداش صاحب الترجمة الملك الظاهر خشقدم استقر به[2] حجوبية الحجاب عوضا عن بيبرس خال الملك العزيز يوسف ابن برسباى ، ثم نقله إلى الأمير آخورية الكبرى عوضا عن بيبرس البجاسى بحكم استقراره فى نيابة طرابلس ، فدام فيها إلى أن استقر فى أتابكية العساكر دفعة واحدة عوضا عن خجداشه قانم من صفر خجا المؤيدى بحكم وفاته لجأة فى الليل وهو ببيت الراحة ، ودام فيها[3] إلى أن تسلطن بعد وفاة خجداشه الملك الظاهر خشقدم سنة اثنتين وأربعين وثمانى مائة فى آخر يوم السبت عاشر ربيع الأول .

وكانت سلطنته هينة وضيعة بالفقيرى فإنه لم يركب فرسا على قاعدة الملوك وأبهتهم ، وقد قدمنا ذكر ذلك فى حوادث هذا الكتاب عند سلطنته فلا حاجة إلى إعادته[4] .

---

(١) كان قد تأمر فى أوائل دولة جقمق ، انظر الضوء اللامع ٣ / ١٠٩٣ .
(٢) فى الأصل « فاستقر » .
(٣) أى فى الأتابكية .
(٤) هذه إشارة إلى جزء سابق من هذا التأليف ولكنه مفقود حتى الآن .

ولما تسلطن ضعف أمره عن تدبير المملكة وظهر عليه ذلك ، وركبه المنصب العظيم وصار ليس له فى السلطنة إلا الاسم وكل من سأله فى شىء قال: «قل له» ، ويعنى [بذلك] الأمير خيربك الدوادار ، إلى أن كانت الفتنة التى قدمناها فى الحوادث بين الأمير يشبك[1] من سلمان شاه الفقيه المؤيدى وجماعته وبين الأجلاب الخشقدمية وغيرهم ، وانكسر يشبك المذكور وحزبه ، وخلع صاحب الترجمة من السلطنة بالأتابك تمربغا فى يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وثمانى مائة ، فكانت مدة سلطنته بعصر ستة وخمسين يوما ليس له فيها إلا مجرد الاسم لاغير ، ولم نعلم فيها مضى أحدا من أكابر الترك فى هذا السن ممن مسه الرق أقام أقل مدة منه ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه فى تاريخه : « وفى الجملة أنه كان غير أهل السلطنة لعدم أهليته ، فإنه كان مهملا نحيلا ، وترق إلى الرتب السنية بواسطة سعده الذى كان يخدمه ويوافيه إلى يوم سلطنته ، فزال سعده كأنه لم يكن وصار أمره فى إدبار وخلع ، وحبس بالبرج بثغر الإسكندرية إلى أن توفى بعد أن قاسى شدائد فى خلعه وحبسه ، ولم نر سلطانا وصل إلى سنه وخلع مثله من بهدلة ومقت وازدراء من الناس ، وضاع جميع ماحصله فى عهده من الأموال ، ومن يوم حبس إلى يوم مات لم يذكره أحد وكأنه لم يكن شيئا مذكورا » . وكانت وفاته فى ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الأول بمحبسه بثغر الإسكندرية بعلة الطاعون شهيدا ، وقد جاوز السبعين . عفا الله عنه .

٢٦ — يحيى بن المرحوم السكفيلى جانم بن عبد الله[2] نائب دمشق وهو

---

(١) هو الأمير يشبك من سلمان شاه ، انظر الضوء ١٠ / ١٠٧٦

(٢) ويعرف بالأشرف برسباى ، انظر الضوء ١٠ / ٩٦١ .

أحد المقدمين الألوف بدمشق ، وكان شجاعا باسلا دهقانا[1] ، ولوح[2] لوالده بالسلطنة وكاتبته العساكر المصرية بذلك ولم يتم له . توفى فى شهر رجب فى حد الكهولية بل فى حدود الثلاثين سنة من العمر . رحمه الله .

٢٧ — يشبك بن عبدالله الأمير سيف الدين المؤيدى — أعنى من مماليك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال وخازنداره وتأمر عشرة قبل موته بأشهر ، وكانت وفاته فى ليلة الخميس خامس عشرى شعبان من السنة ، ودفن من الغد ، ولولا تلبسه بالإمرة لما ذكرته فى تاريخى . عفا الله عنه .

ذكر من قتل بوقعة شاه سوار

وبلغنا وفاته من أمراء مصر والشام ، وبلغنا وفاته فى هذه السنة وهذه المصيبة العظمى والطامة الكبرى .

٢٨ — أحمد ولد الكفيل تنم[3] من عبدالرزاق نائب الشام وأحد أمراء الطبلخانات صاحب القرجة بدمشق ، توفى فى هذه السنة فى واقعة شاه سوار .

٢٩ — إبراهيم[4] الأمير صارم الدين ابن الأمير بيغوت حاجب حجاب دمشق ، وَليها بعد والده . قال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه تاريخه : « كان عارفا بأمور دينه عاريا من الفضيلة » ، توفى بوقعة شاه سوار رحمه الله .

---

(١) الدهقان (بكسر الدال) هنا بمعنى العاقل الحكيم ، وقد أورد Dozy: op. cit., I,467 عبارة جاء بها « ينبغى أن تكون ماهرا حازما دهقانا ضابطا لامورك » وفى قاموس فريتاج (ص ١٩٣) Regionis pagive praefectus

(٢) فى الأصل « نوج » ولعل ما أثبتناه بالمتن هو المقصود ، وذلك بعد مراجعة الأحداث التاريخية إذ ذاك .

(٣) الضوء اللامع ٣ / ١٨٢ .

(٤) راجع ترجمته فى السخاوى : شرحه ، ج١ ص ٣٣ ، انظر أيضا نفس المرجع ٣/١١٦ .

٣٠ — جانبك بن عبد الله الأمير سيف الدين ، أحد الأمراء الألوف بدمشق ودوادار السلطان بها ، وأصله من عتقاء الأمير تغرى برمش التركمانى نائب حلب ، وتنقّل بعده حتى صار دوادار السلطان بدمشق كما قدمنا . قال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه عنه : « وكان يتمعقل وهو أجهل من الحمار » ؛ مات قتيلا فى واقعة شاه سوار المخذول . رحمه الله .

٣١ — قانصوه[1] بن عبد الله الأمير سيف الدين . أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق والحاجب الثانى . مات قتيلا بوقعة شاه سوار رحمه الله تعالى .

٣٢ — عبد الرحمن[2] الحزاوى أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق ، كان يدعى أنه أستاذ فى الفنون وما رأينا له شيئا . مات قتيلا فى وقعة شاه سوار المخذول رحمه الله .

• • •

هذا ما وصل إلينا علمه من وفيات أمراء دمشق الطبلخانات بدمشق ، وأما العشرات والخمسات بحلب والشام فكثير لا تحضرنى أسماؤهم .

وأما من قتل فى وقعة شاه سوار من الأمراء المصريين فهم :

٣٣ — سودون بن عبد الله الأمير سيف الدين القصروى[3] رأس نوبة النوب جرح فى الواقعة المذكورة وحمل إلى قريب حلب فأدركته المنية فمات وحمل إلى حلب فدفن بها ، وأصله من مماليك الأمير قصروه من تمراز نائب الشام

---

(١) يبدو أن المؤلف نقل هذه الترجمة من الضوء اللامع ٦ / ٦٨٨ إذ تكادان تتشابهان إلى حد بعيد .

(٢) اكتفى السخاوى شرحه ٤/ ٤٣٠ بذكر اسمه ووظيفته وسنة وفاته .

(٣) نسبة إلى الأمير قصروه راجع الضوء ٦/ ٧٣٩ ، أما خير بك القصر وى فراجع عنه ، شرحه ٣ / ٧٨٣ .

وخدم بعده ببيت السلطان حتى صار خاصكيا ، ثم صار من جملة الدوادارية الصغار فى دولة الملك الأشرف إينال ، ثم تأمر عشرة فى دولة الظاهر خشقدم ، ولما ولى خجداشه خيربك (٤٥ ب) النصرى وهى نائبُ قلعةِ الجبل نيابةً غزة استقر سودون هذا فى نيابة قلعة الجبل عوضا عنه ، ودام فيها فى غاية الزهارة إلى أن سعى فى دولة الظاهرى يلباى أن يكون أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية ، وبذل فى ذلك نحو عشرة آلاف دينار ، واستقر فى التقدمة الألف بالديار المصرية ، ثم نقله الملك الأشرف أبو النصر قايتباى إلى وظيفة رأس النوب عوضا عن الأمير نانق [المحمدى] الظاهرى [جقمق] المقتول بواقعة شاه سوار فاستمر صاحب الترجمة فى الوظيفة إلى أن عينه السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى - عز نصره - إلى تجريدة شاه سوار صحبة الأتابك أزبك وغيره، فتوجه إليها وقتل وسنه يقارب السبعين عاما . وكان شكلا حسنا بلحية نقية جدا ، ولباسه زهرة أيضا ، وفيه الخير والمعروف ، وأنشأ بجوار بيته المجاور لبيت السلطان الملك الأشرف قايتباى - نصره الله - مدرسة ومكتبا للأيتام ، وأوقف عليها أوقافا بقدر حاله ، وكان جماعة للأموال . قال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ عنه فى آخر ترجمته له : «وكان ممن يأكل ما كان، وامتحن فى أهل بيته ولكنه طلقها وأخرجها وصارت الآن تستكدى وذاك ذنب عقابه فيه ، ولا يظلم ربك أحدا » . عفا الله عنه ورحمه .

٣٤ — فارس بن عبد الله الأمير سيف[1] الدين البكتمرى ، أصله من عتقاء الأمير بكتمر[2] السعدى وصار بعده بخدمة الملك الأشرف إينال ، فقرره من جملة الدوادارية الصغار ، ثم امتحن بعد موت الأشرف وبعد خلع ولده المؤيد ، ولزم داره إلى أن تسلطن الملك الأشرف أبو النصر قايتباى - عز

---

(١) الضوء اللامع ٦/١٤١٥ .
(٢) الضوء اللامع ٣/٧٧ .

نصره ـ وطلبه لخدمته ، وأمّره عشرة ، ثم عينه لتجريدة شاه سوار المخذول صحبة من عُين فقتل بها ، وكان كريما جوادا بشوشا متواضعا كثير البشر والقِرى . عفا الله عنه .

٣٥ — (١٤٦١) قرقماس بن عبد الله ، الأمير سيف الدين الأشرفى المشهور والمعروف بالجلب ، أمير مجلس بعد كان أمير سلاح كا سنبين ذلك ، مات قتيلا بوقعة شاه سوار الأخيرة التى ذكرناها فى حوادث ذى الحجة . وكان قرقماس هذا من أقارب[(١)] الملك الأشرف برسباى لجلبه[(٢)] من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية بعد سلطنته فجعله خاصكيا دفعة واحدة ، ثم أمَّره عشرة فدام عليها إلى أن مات قريبه[(٣)] المذكور فتسلطن ولده الملك العزيز يوسف ثم خلع ، و [لما] تسلطن الملك الظاهر جقمق نقله إلى إمرة طبلخاناة فدام بها إلى أن تسلطن الملك المنصور عثمان فأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن الأمير دولات باى المحمودى الدوادار الكبير بحكم القبض عليه[(٤)] ، فاستمر عليها إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال وجاء بعده سلطانا ولدُه المؤيد أحمد جعله رأس نوبة النوب ، ثم صار أمير مجلس بعد جرباش المحمدى بحكم انتقاله إلى الأتابكية بعد سلطنة المؤيد أحمد فلم تطل مدته بها ، وانتقل إلى إمرة سلاح بعد جرباش المذكور بحكم انتقال[(٥)] جرباش إلى الأتابكية عوضا عن الملك الظاهر خشقدم ، وولى وظيفة أمير مجلس الأمير قانم مَن صفر خجا المؤيدى ، ودام صاحب

---

(١) الوارد فى السخاوى : الضوء اللامع ٦/٢٢٦ أنه كان من « معارف » أستاذه برسباى ، قال « ونظن أنه رضيعه » .

(٢) فى الأصل « فجلب »

(٣) يقصد بذلك السلطان برسباى.

(٤) كان القبض عليه فى صفر ٨٥٦ هـ .

(٥) وكان ذلك فى رمضان ٨٦٥ هـ ، راجع بدائع الزهور لابن إياس ص ٩٨

هذه الترجمة فى إمرة سلاح وينتقل مَن دونه إلى الأتابكية خمسة أنفار ، والحق له وهو لا ينطق ببنت شفة لعدم شره .

وأول من تقدم عليه للأتابكية من إمرة مجلس قانم المذكور من صفرخجا المؤيدى فوليها بعد نفى جرباش كرد المحمدى إلى دمياط ، ثم لما مات قانم فجأة وليها الأمير يلباى لإينالى المؤيدى من الأمير آخورية الكبرى دفعة واحدة ، ثم لما تسلطن يلباى المذكور استقر تمربغا أمير مجلس أتابكيا ، وكان قرقماس المذكور مسافراً ببلاد الصعيد ، ثم قبض عليه يلباى فى سلطنته وسجنه بالاسكندرية فاستمر بها (٤٦ ب) إلى أن أطلقه الملك الظاهر تمربغا ، فلما وقع لتمربغا ما وقع وتسلطن الملك الأشرف أبوالنصر قايتباى — عز نصره — طلبه من دمياط وأنعم عليه بإمره مائة وتقدمة ألف ، ثم جعله أمير مجلس — درجةً إلى أسفل — هذا وقد صار جانبك قلقسيز الأشرفى برسباى أتابك العساكر عوضا عن الملك الأشرف قايتباى ، فجلس قرقماس تحته ولم يتكلم بكلمة واحدة ، فلما تجرد جانبك قلقسيز لشاه سوار وقُبض عليه وقرر الأمير أزبك من ططخ الظاهرى أتابكا عوضه [استمر] صاحب الترجمة باقيا على إمرة مجلس . وأزبك هذا هو السادس ممن تخطى قرقماس إلى الأتابكية . كل هذا وهو قانع بما هو فيه إلى أن عينه الملك — عز نصره — لتجريده شاه سوار فاستعفى من ذلك فلم يعف ، وسافر فقتل هنالك رحمه الله ، ولم يجدوا له رمّة .

وكان صاحب هذه الترجمة ملكا عظيما جليلا عادلا ساكنا حسما وقوراً الشر بالكلية : حافظا لما يسمع ، كثير الحياء ، خائفاً من الله ، ولولا خوف الإطالة فى ترجمته لأوردت فى ترجمته أشياء من محاسنه وأدبه . رحمه الله .

٣٦ — قانم[١] بن عبد الله الأمير سيف الدين الظاهرى المعروف بقانم

---

(١) أمام هذه الترجمة فى هامش المخطوطة وردت العبارة التالية « قانم المذكور عتيق الأشرف برسباى » .

نعجة[١] ، وقيل « نبصا » ، وقيل نبصا لفظة جاركسية . أصله من عتقاء الظاهر جقمق ، واستمر على الخاصكية إلى أن تأمّر عشرة فى هذه الدولة الأشرفية ، وعُين إلى التجريدة السوارية فقتل فيها ، وكان من الأشرار الظلمة ، كثير الفسق والزنا ، وإن سكر عربد حتى إنه فى بعض سكره عض أنف إنسان فأكله ، وأراح الله المسلمين منه ومن ظلمه وشؤمه وأذاه وافترائه ، وجعل الجحيم مأواه .

٣٧ — نوروز بن عبد الله الأمير سيف الدين [ويعرف بنوروز شكال][٢] أحد الأمراء العشرات ، الأشرفى برسباى فإنه عتيقه ومن خاصكيته ، واستمر على الخاصكية زمنا طويلا إلى أن تأمر فى دولة الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عشرة ، ثم عينه لتجريدة (١٤٧ ا) شاه سوار فقتل بها ، وكان رحمه الله من محاسن الدهر ويكفى هذا الوصف له . رحمه الله .

٣٨ — نوروز[٣] ابن عبد الله الأمير سيف الدين أحد الأمراء العشرات ، مات قتيلا فى وقعة شاه سوار ؛ وأصله من عتقاء الأشرف برسباى وصار بعده من جملة الدوادارية الصغار زمنا طويلا إلى أن تأمر فى هذه الدولة الأشرفية ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى عنه : « كان لا للسيف ولا للضيف » ، انتهى كلام الجمال يوسف ، عفا الله عنهما ، وغفر لهما بمنه وطوله .

٣٩ — وتوفى[٤] ألقان بوسعيد ملك التتار ابن قرايلك فى أسر حسن

---

(١) لم يرد فى ترجمته بالضوء اللامع ٦/٦٩١ لقب « نعجة » بل « نبصا » ولكن هناك « نانم نعجة » آخر وهو الأشرف برسباى وقد مات فى جمادى الأول ٨٧١ هـ كما هو وارد بالضوء ٦/٦٩٦ ، وبدائع الزهور لابن إياس ص ١٧٢ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ص ٨١٨

(٢) أضيف مابين الحاصرتين من الضوء اللامع ١٠/٨٦٨ تمييزاً له عن اثنين آخرين بنفس الاسم ، انظر عنهما نفس المرجع ١٠/٨٦٩، ٨٧٠ .

(٣) الظاهر أنه هو صاحب الترجمة الواردة فى الضوء اللامع ١٠/٨٦٩ ، إذ يتفق المرجعان فى أن المترجمين صارا من « جملة الدوادارية الصغار » .

(٤) أمام هذه الترجمة فى المخطوطة « أبو سعيد المذكور بن تمرلنك من ذريته » .

ابن قرابك . وفى قتله ومجيئه إلى حسن أقوال كثيرة ، والأصح أنه قتل قهراً .

وقيل « بوسميد» اسم غير كنية ، وقيل بوصميد بالصاد . وكان بوسعيد ملكا عظيما جليلا مهابا سلطان المراقين، والذى بلغنا من قتله فيه اختلاف كثير ، وقد قُتل وانتهى فما حالنا به ، رحمه الله .

• • •

وانقضت هذه السنة والناس فى أمر جهيد وبلاء عظيم من كثرة الفتن وشتات العسكر المصرى بالبلاد الحلبية وقد قُتل أكثرهم فى واقعة شاه سوار ، ثم منهم طائفة بالطاعون وغيره ، فإن المماليك السلطانية لما عادوا إلى الديار المصرية اعتراهم فى الطريق مرض ، فمات من المماليك السلطانية خلائق كثيرون وصار الموت معهم طوال الطريق إلى أن وصلوا إلى القاهرة ، وأيضا الطاعون الذى وقع بمصر ثم بالبلاد الشامية إلى الآن .

وعظم الغلاء بالديار المصرية حتى وصل الإردب القمح إلى ألف درهم ، ووقع الغلاء بالديار الشامية أعظم من الديار المصرية ما خلا[1] غزة والرملة والقدس فإن الأسعار فيها رخية بالنسبة لغيرها .

وأما الظلم الموجود من بعض[2] الناس فلا فائدة فى ذكره وعدم الأمن فى السبل والطرقات ، والحق أقول إنى لم أر فيما رأيت منذ عمرى أبشع ولا أفظع حالا من هذه السنين الثلاث : سنة اثنتين وسبعين وسنة (٤٧ ب) ثلاث وسبعين وسنة أربع وسبعين التى سيأتى ذكرها إن شاء الله ، فما شاء الله كان .

---

(١) فى الأصل « لاغلا» .

(٢) فى الأصل « بعد » .

سنة اربع وسبعين وثمانى مائة

أهلت هذه السنة بيوم الثلاثاء الموافق لسادس عشر أبيب[1] القبطى لأن شهر ذى الحجة جاء تماما ، مع أن الأخبار وصلت من البلاد الحجازية بأن الوقفة كانت عندهم الثلاثاء ، والأسعار رخيّة والعساكر مجردون لشاه سوار ، وهم المقر الأتابكى أزبك ومن تقدم ذكرهم من الأمراء فى حوادث السنة الماضية بما فيه كفاية ممن توفى منهم وممن بقى منهم ، والخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف العباسى - دام شرفه - وهو مقيم بقلعة الجبل لا يتوجه منها إلى موضع منذ سلطنة الظاهر خشقدم وإلى تاريخه وليس له فى الخلافة إلا الاسم .

والسلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره .

وقضاة القضاة الأربعة على عادتهم فى السنة الماضية ، ما عدا قاضى المالكية فإنه سراج الدين عمر بن حريز[2] ، استقر فى الوظيفة عوضاً عن أخيه حسام الدين محمد[3] بحكم وفاته .

وأتابك العساكر : الأمير أزبك من ططخ الظاهرى وهو مقيم بحلب .

وإمرة سلاح شاغرة بعد موت الأمير بردبك هجين[4] بوقعة شاه سوار من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وثمانى مائة .

وإمرة مجلس شاغرة أيضاً من حين قتل الأمير قرقماس المذكور - أمير الجلب - الأشرفى بوقعة شاه سوار .

---

(١) يتفق ماجاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٧ مع ماورد بالمتن من تحديد بداية الشهر العربى ، لكنها تشير إلى أن ذلك التاريخ يوافق ١٧ أبيب ١١٨٥ ق (١١ يوليو ١٤٦٩) .
(٢) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٢٦٢ .
(٣) انظر عنه السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٤٢ .
(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٣٠ .

والأمير آخور الكبير : جانبك من ططخ الظاهرى .

ورأس نوبة النوب شاغرة من حين خرج سودون القصروى بوقعة شاه سوار فمات من جراحته بحلب .

والدوادار الكبير عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومدبر مملكتها ووزيرها وأستادارها يشبك من مهدى الظاهرى عز نصره .

وحاجب الحجاب تمر من محمود شاه الظاهرى وهو مقيم بحلب .

وبقية مقدمى الألوف : لاجين[1] الظاهرى وقراجا[2] الأشرفى (١٤٨ ا) الإينالى الطويل الأعرج وهو مقيم بحلب ، وتمراز[3] الشمسى الأشرفى العزيزى وهو كاشف تراب الغربية ، وأزدمر الظاهرى من ناصر الدين وهو كاشف الشرقية .

نواب البلاد الشامية وغيرهم

برْدبك[4] البَجْمِقدار الظاهرى ، وإينال[5] الأشقر الظاهرى نائب حلب ، وقانصوه[6] اليحياوى الظاهرى نائب طرابلس ، ويشبك[7] البجاسى نائب حماه ، وجكم الأشرفى — خال الملك العزيز — نائب صفد ، وأرغون شاه الأشرفى نائب غزة ، وقرقماس الأشرفى نائب ملطية ، ويلباى الظاهرى نائب الإسكندرية ؛ وملك الأمراء بالوجه القبلى مضافةً لعظيم الدنيا ومشيرها

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٨٠٣ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٧١٥ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ١٥٢ .

(٤) السخاوى : شرحه ٣ / ٢٤ وستأتى ترجمته فى وفيات سنة ٨٧٥ هـ .

(٥) السخاوى : شرحه ٤ / ١٠٨٤ .

(٦) السخاوى : شرحه ٦ / ٦٨٧ .

(٧) الوارد فى السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٣ أنه نقل لنيابة حماة فى سنة ٨٧٠ هـ ثم لنيابة حلب فى صفر ٨٧١ هـ .

ومدبرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير يشبك من مهدى ، مهد الله له البلاد والعباد ، وجعل أمره مطاعا فى كل واد وناد ، إلى يوم التناد .

وأمراء الحجاز على حالهم كما كانوا فى السنة الماضية .

وأما ملوك المشرق ففى غاية الاضطراب من قتل جهان شاه[1] وقتل بوسعيد ، ومن كثرة الفتن .

مباشرو الدولة : المقر الأشرف القاضوى الزينى زين الدين بن مزهر الأنصارى رئيس الدنيا وكاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، والقاضى كمال[2] الدين محمد بن الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة .

والأستادار والوزير كما قدمنا مضافان لعظيم الدنيا يشبك من مهدى عز نصره .

وناظر الخاص القاضى تاج الدين عبد الله بن المقسى .

﴿ شهر الله المحرم ﴾

أهلّ بالثلاثاء كما قدمنا .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر والعام ، وكان كاتبه ومؤلفه صحبة قاضى القضاة الحنفية الذى هو المحب ابن الشحنة فسلموا عليه وجلسوا بالحوش تحت الدكة ، ودعوا له (٤٨ ب) وانصرفوا ، ولم يتكلم فى المجلس إلا قاضى القضاة الحنفى أن قال : « هذا عام أربع وسبعين ، وقد استقرىء أن يكون عاما مباركا فإن العام الذى قبله حصل للناس فيه عدة شدائد » .

---

(١) هو جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد ، انظر عنه السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٣ ، الغزاوى : العراق بين احتلالين ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ – ٢٣٠ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ٣٠٦ .

وفيه زاد الله من فيضه[١] المبيم فى النيل أربع أصابع ، وكانت زيادته فى العام الماضى كذلك .

وأما خبر ذلك من البلاد الشامية والقدس وما حولها فقد فشا الطاعون فيهم وكثر ، ويصير الميت ثلاثة أيام لا يجد من يحمله إلا على سلم أو باب[٢] وأمثال ذلك ، وتزايد الغلاء جدا عندهم فبلغ المكوك القمح ألف درهم شامية وأربعمائة درهم مصارفةً عن ثمانية وعشرين دينارا .

وأما العسكر المصرى فهو بالبلاد الشامية فى أضيق الحال بسبب غلوّ الأقوات والعليق ، فجهز السلطان نصره الله إليه مكس السيفى تمرباى أحد الخاصكية بمبلغ للأمراء والعسكر ، والله المستعان .

وتقدم قبل هذا فى طلوع السلطان القلعة ودخوله المدينة من غيبته التى سرح فيها بالوجه الغربى والشرقى ، وبرقوق حامل القبة والطير على رأسه ، فخلع عليه وأنعم له بألف دينار .

وفيه دخل الوالى القاهرة وكان له أيام غائبا[٣] ، وصحبته عدة من مماليك السلطان بالقبض على المفسدين من العربان ، وبين يديه أربعة رجال ماشون فى الحديد ، ومع أعوان الوالى عدة رماح وعدة خيول ليس لها أصحاب .

وفيه رسم بعمل ضيافة لقاصد حسن بك ، ورسم له بألف دينار خارجا عما[٤] تحصّل له ولمرسله من الهدايا والخلع والتحف وغير ذلك وخارجا عما أنعم عليه به عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، حفظه الله على المسلمين .

---

(١) راجع أمين سامى : تقويم النيل .

(٢) ربما كان يقصد بذلك أن غاية ما يمكن عمله إزاء موتى الطاعون هو نقلهم إلى السلم أو إلى الباب .

(٣) فى الأصل « غائب » .

(٤) فى الأصل « عن ما » .

وفى يوم السبت خامسه أرسَل المقرُّ الأشرف العالى السيفى برقوق ـ أحدُ المقدمين الألوف الذى استقر فى الشرقية ـ للسلطان من خيول العرب المفسدين مائة وثلاثين[١] فرسا بعد أن وَسّط أصحابها ، وأرسل عدةً منهم[٢] فى (١٤٩) الحديد ، وجهز أربعة رءوس آدميّين مقطوعين ، فعُرضوا[٣] على السلطان فضربهم بالمقارع وسجنهم فى سجن الجرائم ، وأشهَروا الرءوس بالقاهرة ، وحصل بذلك أمان واطمئنان .

وفى يوم الأحد سادسه ركب السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ عز نصره ـ من قلعة الجبل وتوجّه فى نفرٍ قليلٍ من خواصه إلى خانقاه قوطقوس[٤] ورجع آخر النهار .

وفى يوم الاثنين سابعه وصل عظيم الدنيا ومشيرها ومدبرها ووزيرها وأستادَارها وما مع ذلك من الدوادارية الكبرى وكشف الوجه القبلى وغيره يشبك من مهدى ـ أدام الله جوده ووجوده ولا خل سعوده ، وحفظه فى نفسه وماله وأهله وجنوده ـ وصعد بين يدى السلطان فخلع عليه خلعةً سنية وقدم له فرسا خاصا بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وتوجّه إلى داره مكرما مبجلا معظما ، وفى خدمته الأمراء والأعيان والمباشرون ، وأهل المملكة بتمامها وكمالها الموجودون بالقاهرة ، وذلك بعد[٥] أن كان [قد] توجه لخدمته وملاقاته الأعيانُ من الأمراء والرؤساء والمباشرين ووجم غالبهم لقدومه ، فالله ينصره .

* * *

---

(١) فى الأصل « وثلاثون » .

(٢) يقصد بذلك جماعة عرب الشرقيةالمفسدين بها .

(٣) يقصد بذلك جماعة العرب الذين جىء بهم أحياء مكبلين فى الحديد .

(٤) هكذا فى الأصل ولم نجد ما نسترشد به فى تعريف هذه الخانقاه .

(٥) فى الأصل « كانوا جهوا » .

وفى هذا اليوم أيضا خلع على الجناب[1] التقوى أبى بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط واستقر فى نظر الجوالى عوضا عن أحمد[2] بن يوسف ابن كاتب حكم أخو ناظر الجيش بحكم عزله ، ونعم ما فعل السلطان نصره الله من عزله له .

* * *

وفى هذه الأيام وقفتُ على كتابٍ وصل من المقر الأشرف الأتابكى أزبك من ططخ للمقر الأشرف عظيم الدنيا يشبك من مهدى الدوادار الكبير ـ عز نصره ـ ملخصه « إنا نحن وصلنا إلى مدينة مرعش[3] وحصل لنا النصر على العدو المخذول وتتبعنا آثاره وأخربنا قصره وأحرقنا القرى وقطعنا الأشجار ونهبنا الحواصل التى كانوا أخفوها فى المطامير ، ووجدنا العدو المخذول قد بنى الدروب بالحجارة وسدّها ، فنزلتُ بنفسى وحملت (٤٩ ب) الأحجار على ظهرى ، وأخذنا عدة قلاع واستقرّينا فيهم بنواب ، واستقرينا بابن ذلغادر عوضه ، وذلك بعد أن توجهتُ إلى جبل يسمى السكركى[4] ، ثم رجعنا من شدة الجوع والعطش والغلاء ، وذلك بعد أن سأل السلطان العسكر السلطانى فى الرجوع فرجعوا من درب[5] سبس ، وكنتُ قلت للعسكر أن لا يتوجه

---

(١) الجناب لفظ تقدير يستعمل فى العادة لقبا على كبار رجالات الدولة من أرباب السيوف والأقلام وذلك فيما يكتب به عن السلطان . أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ٥ / ٤٩٥ ، أما الجوالى فهى ما تؤخذ من الجزية المفروضة على أهل الذمة ، انظر نفس المرجع ٣ /٤٥٨ .

(٢) هو سبط الكمال محمد البارزى ، انظر الضوء اللامع ٢ / ٦٩٣ ، أما أخوه المشار إليه فهو الكمال محمد الظاهرى ، راجع عنه نفس المرجع ١٠ / ٣٠٦ .

(٣) مرعش مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم ، انظر عنها مراصد الاطلاع ٣/١٢٥٩ ، لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، Dussaud : Topographie Histor., pp. 446,478.

(٤) لم نقف على جبل بهذا الاسم وإنما الوارد فى لى سترانج ، شرحه ص ٢١٢ أن هناك سوقا تعرف بهذا الاسم ومعناها سوق الحرب .

(٥) من أكبر حصون الأرمن ، انظر لى سترانج ، ص ١٧٣ ، ومراصد الاطلاع ٢ / ٧٦٦ .

من هذه الطريق الضيقة فما وافقونى على ذلك ، فلما وصلوا إلى الدربند[1] خرج التركمان الذين مع شاه سوار لنا وحصل قتال معهم ، وقتل منهم عدة لا يحصون ، وآخر الأمر أنهم قطعوا أصحاب الجمال والبغال ، ولم يسلم المملوك بغل ولا جمل من الأحمال ، فلما رجعنا تملكنا ابن ذلغادر بلادَ العدو المخذول وأبقينا عنده نائبَ حلب وعدةً من الأمراء وطمنا العسكر وهو الآن مقيم بحلب ، وبها فناء زايد وغلاء ، وجراد أكل الزروع ، والمرسوم مرسوم السلطان » .

• • •

وفى يوم الثلاثاء ثامنه وصل من الوجه القبلى من عند ابن عمر هدية للسلطان وهى مائتا فرس ، وقصدُهم بهذه التقدمة أن يقوموا بخراج البلاد السلطانية وغيرها فى هذه السنة مثمنا .

وفيها أنفق المقرّ الأشرف العالى السيفى عظيم الدنيا الدوادار الكبير على للشاة القوّاسة النفقةَ لأجل السفر ، وعدتهم مائتان وأربعون نفرا .

وفى يوم الأربعاء تاسعه رسم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ عز نصره ـ بالإفراج عن الأمير شرف الدين ابن كاتب غريب ـ الأستادار كان ـ ، من البرج بقلعة الجبل ، ونزل إلى بيت القاضى شرف الدين التتائى ، فتوجّهوا به لبيت عظيم الدنيا يشبك من مهدى أمير دوادار كبير على يد الشرف المذكور ، وذلك بعناية المقر الأشرف العالى الدوادار الكبير ومساعدته ، فإنّ ابن غريب ارتمى عليه وأخبره أنه يكون نائبه فى الديوان

---

(١) الدربند هى اللفظ الأعجمى لما يطلق عليه العرب « باب الأبواب » وهو من أعظم موانى بحر قزوين ، انظر لى سترانج ، شرحه ، ٢١٢ وما نقله عن ابن حوقل والبلاذرى .

المفرد ويُظهر له فيه أموراً ويحصل له المال ، فنال ذلك ، والله الولى والمالك .

* * *

وفيه نودى فى البلد على لسان المقامى الشريف بين يدى صاحب الشرطة : « معاشر العسكر المنصور : العرض يوم السبت » وأكّدوا فى ذلك ، « ومَن تأخر لا يلومَنّ إلا نفسه » .

* * *

وفى هذه الأيام حضر شخص من الفقراء الصلحاء بالوجه القبلى إلى عظيم الدولة وسأله فى إطلاق شخص من أولاد ابن عمير ، له مدة مسجون وهو فى الخشب فأطلقه لأجل سؤال الفقير ، فجزاه الله خيراً دنيا وأخرى .

(١٥٠) وفى يوم السبت ثانى عشره أخرج السلطان لجماعة من أجلابه خيولا وقماشا وهم نحو مائتين وأربعين نفراً ، وهذا أول خرج أخرجه السلطان فى مملكته[1] .

* * *

وفى هذه الأيام تداول حضور العساكر الذين تجرّدوا لقتال شاه سوار إلى الديار المصرية بغير إذنٍ من السلطان لهم فى ذلك ، وصار السلطان يبلغه ذلك فيتغافل عنهم تجاهل العارف ، ثم فشى ذلك مع أنه لم يتأخر بحلب غير الأمراء الألوف وبعض طبلخانات وعشرات .

وفى يوم السبت تاسع عشره عرض السلطان — نصره الله — المماليك السلطانية وعَيّن منهم عدةً كثيرة ليسافروا صحبة عظيم الدنيا الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير .

وفى يوم الاثنين حادى عشره وصل الركب الأول على يد أميره يشبك[2]

(١) انظر ابن إياس ٣ / ٣٥ س ١٤ ـ ١٥ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٥ .

الجمالى يوسف ناظر الجيش والخاص المحتسب ، فخُلع عليه بعد تقبيله الأرض للسلطان نصره الله .

ووصل أيضا الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق بعده بنحو ساعة فعظّمه السلطان وأكرمه وأجلّه وخلع عليه كاملية مخمل سمور بمقلب سمور وفوقانيا بطراز زركش ، وركب من عند باب السّتارة وحضر المحمل من الند ، وأمير حاجّه الأمير يشبك[(١)] الإسحاقى الأشرفى الأمير آخور الثانى ، وخلع السلطان عليه على عادته .

وفى يوم الجمعة خامس عشريه عُقِدَ عقدُ صاحب الحل والعقد ومشير الدولة ومدبرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وما أضيف لذلك من ملك الأمراء بالوجه القبلى والبحرى وما مع ذلك ، أعزّ الله أنصاره ، على بنت[(٢)] السلطان الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال بحضرة مولانا السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره بالجامع الناصرى من قلعة الجبل ، وحضر قضاة القضاة ورئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى وغيره من الأعيان ، وكان عقدا عظيما وكيف لا ، وحُمل لهذا العقد أشياء عظيمة كثيرة من سكر وحلوى وفواكه وأغنام ومشروب وغير ذلك (٥٠ ب) ، والله الولى والمالك .

وفى يوم السبت سادس عشريه توجه عظيم الدنيا ودوادارها الكبير وما مع ذلك وفى خدمته جمع من العسكر والمماليك السلطانية إلى سفر الوجه القبلى . انتهى[(٣)] .

• • •

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٧٩ ويعرف بيشبك الإسحاقى الأشرفى برسباى أو يشبك جن .

(٢) وتعرف بخوند فاطمة ، راجع عنها السخاوى : شرحه ج ١٢ ص ٨٩ ــ ٩٠ ، وابن إياس : شرحه ٣ / ٣٥ .

(٣) ليس لكلمة « انتهى » هنا وضع إلا إذا كان ما سبق اقتباساً وهو ما لم ينص عليه المؤلف ولا تشير إليه العبارات .

وتقدم استقرار بن عبد القادر شيخ جبل نابلس فى المشيخة عوضا عن والده بحكم قتله فى وقعة شاه سوار ، والملك لله الواحد القهار .

وورد الخبر فى هذه الأيام من البلاد الشامية أن نائب حلب وابن دلغادر الذى تولى بلاد شاه سوار أبلغا(١) أن جماعة من أعيان شاه سوار رجعوا إلى موضع يسمى كذا ، فنزلوا عليهم ونهبوهم ومسكوا منهم عدةً ، وقطعوا رءوس جماعة منهم ، وسجنوا بقيّتهم بسجن قلعة حلب ، ولله الحمد .

* * *

ومما وقع من الحوادث فى هذه الأيام أن شخصاً شريفاً أكفانيا فى المواريث تزوج بامرأة من عشر شهور كانت زوجاً لعبد العظيم بن الدرم(٢) ونصف اللحام والمصرانى ، ويقال إن الشريف كان يهواها قبل التزويج ، فدخل ابن الدرم ونصف وشكى حاله إلى عظيم الدنيا الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير — أعز الله أنصاره — وأنهى إليه أن الشريف [أ] فسد زوجته حتى طلقها وتزوجها ، فأرسل فى الحال له النقباء والطواشية وهجموا على المرأة [فى] دارها وحضروا بها بين يديه هى وزوجها الشريف ، والمرأة المذكورة قريبةٌ لبيت البارزى ولبيت رئيس الدنيا المقر الأشرف الزينى ابن مزهر حفظه الله على المسلمين ، فركب من فوره وصحبته المقر العالى ابن خاص بك صهر مولانا المقام الشريف — عز نصره — إلى عظيم الدنيا الدوادار الكبير وصاروا على يديه ورجليه حتى صفح عنهما ، وقيل إنهما غرما ألف دينار للزوج الذى هو ابن الدرم ونصف ولغيره ، وذاك ذنبٌ عقابه فيه .

---

(١) فى الأصل «أبلغهم» .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٤ / ٦٢٢ أنه كان من الأقباط المتمولين بالدواليب .

(٣) كانت عائلة البارزى من العائلات ذات الصدارة فى هذه الحقبة فى مصر والشام .

وفيه حصل من مولانا (٥١ ا) السلطان — نصره الله — استياء[١] من عرب غزالة فإنهم شُكِيَ عليهم أنهم يفعلون أموراً شنيعة الفساد والنهب وأمثال ذلك ، فرسم للكشاف إذا وقع له[٢] منهم أحد بمعضلة تقطع رأسه .

ووصلت الأخبار من الوجه القبلى أن القمح وصل ثمنه بها إلى ستمائة درهم الإردب وأنه عزيز الوجود ، وأن النصل[٣] كان موجوداً فى الآدميين ثم انتقل إلى البقر حتى إن البلاد جافت من ذلك ، وشاع وذاع أن الأمير قانصوه[٤] الشاد بالشراب خاناه حصل له فى مخرج الغائط ألم شديد فتحوه بالفولاذ وهو فى غاية الضرورة ، وتوجه إليه الأمراء والعساكر للسلام عليه .

وفى يوم السبت تاسع عشره أرسل الأمير برقوق — أحد الأمراء المقدّمى الألوف الذى توجّه للشرقية لدفع المفسدين من العرب وغيرهم — تسعين رأساً من الخيول ، فأرسل السلطان منها أحدى[٥] وعشرين رأساً لبيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، فإنها أُخذت من بلاد السلطان .

* * *

وضُرب جماعة من السوقة الذين هم تجار العنب ضربا مفترحا وأُشهروا بالقاهرة كونهم لم يقوموا بمكس العنب ، وضُرب رسول من رسلهم كونه أخفى غريما من السوقة عن الضرب والإشهار .

* * *

وتقدم قبل هذا بأيام أن السلطان — نصره الله — جهّز للمنصور عثمان ابن الظاهر جقمق فرسا خاصا بسرج ذهب وكنبوش زركش وكاملية سمور

(١) فى الأصل « أشيلا » ولم نجد لها معنى فعدلناها إلى ما هو ماوارد بالمتن .

(٢) فى الأصل « لهم » .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) هو قانصوه الأشرفى إينال المعروف بالخسيف الذى تقدمت الإشارة إليه ، فقد ذكر السخاوى (شرحه ، ٦ / ٦٧٦) أن قايتباى رقاه إلى حد الشرابخاناه كما فى المتن ، وكما سيرد فى ص ١٢٨ س ٩ — ١٠ .

(٥) فى الأصل « أحد وعشرون » .

بمقلب سمور ومدةً عظيمة ؛ وقد قدّمنا ذِكرَ صعوده للسلطان ولبسه الكاملية الثانية والإنعام عليه بالفرس والسرج والكنبوش .

وأما أخت[1] المنصور - جهة المقر الأشرف الأتابكي أعزّ الله أنصاره - فاهتمت بحضوره[2] وخلعت على المبشرين بقدمه خلعاً سنية ، وخلع السلطان على المبشر بقدومه كاملية بسمور ، وأنعمت أخته عليه بمائة دينار .

ووصل سيدى أبو السعود[3] - ولد شيخنا شيخ الإسلام الأمين الأقصرائى من الحجاز ، وخلع عليه من السلطان ، وكذا على شيخنا قاسم الحنفى .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى[4] شهر تاريخه سافر عظيم الدنيا - ومدبرها ومشيرها ووزيرها وأستادارها الكبير وملك الأمراء بالوجهين القبلى والبحرى وما مع ذلك : يشبك من مهدى مهّدَ الله له السعادة مهاداً ، والبلادَ والعبادَ على وفق مطلوبه السعيد ، وبلّغه ما يريد - إلى الوجه القبلى فى ضخامةٍ عظيمة وأبهة زائدة وحرمةٍ وافرة كما هى عادته ، وفى خدمته من المماليك السلطانية خمسمائة نفر خارجا عن مماليكه المشتروات والخدّام والمشاة الذين استخدمهم ، وعدّة المشاة خاصة مائتان وأربعون نفراً .

﴿ شهر صفر الأغر ﴾

أهلّ بيوم الخميس ، ففى سحر هذا اليوم صعد[5] قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة فوجدوه ركب من قلعة الجبل وتوجّه إلى الخانقاه

---

(١) أى أخت المنصور عثمان بن جقمق .

(٢) أى حضور أخيها المنصور عثمان بن جقمق

(٣) هو يحيى بن محمد بن إبراهيم ، وأمه أمة فرنجية من سبى قبرس ، وقد مات فى حياة أبيه فى ذى الحجة ٨٧٩ هـ : ومات أبوه فى السنة التالية ، وبذلك ختم بيت الأقصرائى ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٠٨ ؛ ج ١١ ص ١١٤ - ١١٥ .

(٤) فى الأصل « عشرين » .

(٥) فى الأصل « صعدوا » .

السرياقوسية[1] فلم يجتمعوا به وعادوا ، وصعدوا من الغد إليه فهنؤه[2] على العادة ، وعاد السلطان فى يومه فتغدّى فى تربة عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله على المسلمين ورجع إلى القلعة فى صحة وأمن ، نصره الله .

وفيه رسم السلطان ـ نصره الله ـ بشنق حرامى وهو مستحق لذلك ، فإنه سرق فقطعوا يده وأطلقوه فسرق ثانيا فقطعوا أرجله وأطلقوه ، فسرق ثالثاً فرَسم بشنقه فشُنق .

وقطعت يد صغير سرق وهو غير مكلف .

وفى يوم الأحد رابعه الموافق له من أشهر القبط العشرون[3] من مسرى أخبر أمينُ النيل ابنُ أبى الرداد[4] بوفاء النيل ستة عشر ذراعاً وبزيادة أربعة أصابع من الذراع السابع عشر ، فأمر السلطان ـ نصره الله ـ الأمير لاجين[5] الظاهرى أحد مقدمى الألوف بتعدية للنيل وتخليق المقياس وفتح فم الخليج الذى هو عند السد ، فبادر وفعل ما أمر به على العادة فى كل سنة ، وخلع عليه وأركب فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش على عادة من تقدمه .

وفى الأربعاء سابعه صعد المنصور عثمان إلى السلطان (١٥٢) الملك الأشرف قايتباى ـ عز نصره ـ فسأله فى السفر وودعه[6] ـ وكان تقدم إرسال القاضى

---

(١) أشار المقريزى فى الخطط ٢/٤٢١ وما بعدها إلى أنها خارج القاهرة وتعرف بسرياقوس وقد أنشأها الناصر محمد بن قلاون ، وكانت معالمها من أسمى المعالم بديار مصر وبها خزائن السكر والأشربة والأدوية وبها الطبائعى والجرائحى والكحال ومصلح الشعر ، ثم بطل الطعام وأصبح يصرف لساكنها النقد .

(٢) فى الأصل « فهنوه » .

(٣) يتفق التاريخان العربى والقبطى مع ما هو وارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٦ ، وإن كانت قد ذكرى أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة هذه السنة غير معلومة ، ولكن ورد فى تقويم النيل لأمين سامى ١ / ٢٢٧ أن الوفاء كان فى ٢٤ مسرى ١١٨٥ .

(٤) أورد السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٧ جماعة يسمون بابن الردادى وابن الرداد ثم قال « إن ابن الرداد ـ بدون ياء النسبة وبزيادة أداة الكنية ـ جماعة يقيسون النيل » .

(٥) انظر الضوء اللامع ٦ / ٨٠٣ ، وأمين سامى : تقويم النيل ١ / ٢٢٧ ، ٨

(٦) أى ودعه .

نور الدين الإنبابى[1] له بذلك ، وخلع عليه وتوجه من يوم تاريخه لساحل بولاق بالبارزية وذلك بعد أن أضافه المقر الأشرف العالى السيفى برسباى[2] قرا أحد المقدمين الألوف ضيافةً هائلة على مابلغنى ، وسافر من الغد إلى الثغر السكندرى بعد إكرامٍ مزيدٍ من السلطان وضيافاتٍ وإنعامات من خلعٍ ونقدٍ وغير ذلك .

وفيه وصل القاضى عبد الرزاق بن فخيرة[3] أحد كتاب المماليك السلطانية من البلاد الحلبية وهو ضعيف فى محفة .

وفيه ركب السلطان وتوجه للمتنزه على عادته لمكانٍ يختاره .

وفى هذه الأيام خُلع على قانصوه الأحمدى شاد الشراب خاناه كونه ضعُف وانقطع عن الخدمة أياما ثم عوفى وصعد للسلطان ، والله المستعان .

وفى خامسه توفيت والدة المقر العلائى على بن خاص بك صهر مولانا السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره ، وهى جاركسية الجنس ، وكان السلطان يعظمها ولها مدة ضعيفة ملقاة على تخت مقور ، وصلى عليها السلطان والأمراء والعساكر ، وتوجه قضاة القضاة معها إلى الريدانية وكذلك الأعيان ، والله المستعان .

ووصل كتاب عظيم الدنيا ورئيسها وصاحب حلّها وعقدها الأمير الدوادار الكبير حفظه الله على المسلمين ، وفيه[4] أن المماليك السلطانية الذين عينوا فى خدمته للوجه القبلى ـ وعدتهم خمسمائة نفر ـ لم يتوجه صحبته منهم النصف .

وفى عاشره عرض السلطان المماليك الذين توجهوا للقتال صحبة المقر الأتابك

(١) السخاوى : شرحه ٥ / ٦٩٠ .

(٢) السخاوى : شرحه ٣ / ٤٠ .

(٣) مصغر « فخره » . انظر الضوء ٤ / ٤٩٣ .

(٤) أى فى الكتاب الذى بعث به الدوادار الكبير للسلطان .

الأتابك أزبك لشاه سوار وطلع غالبهم ضعيفا محمولا على الأقفاص وأمثال ذلك ، فأنفق لهم الجامكية واللحم والعليق ، وتأخر جماعة لم يحضروا .

واتفق فى هذه الأيام أن المقر العالى السيفى برقوق — أحد المقدّمين الألوف الذى استقرّ كاشفا (٥٢ب) لأجل دفع المفسدين عن البلاد والعباد — له موقِّع يعرف بالقاضى « هانى » وهو من جملة الموقعين بالدست السلطانى بلغه عنه أنه مدّ يده وبلص [١] من الخولية والمشايخ نحو خمسمائة دينار ، فطلبه وسأله عن ذلك فأجاب بعنف ، فطلب غلامه فأنكر فضربه فأقرّ ، وأُحضر المال فى الحال ، فبعد ذلك ضَرب هانى المذكور وبهدله ووضعه فى الحديد وطلب منه ثلاثة آلاف دينار ، والأمر لله الواحد القهار .

* * *

وأما المقرّ الأشرف الأتابك أزبك ورفقته من الأمراء المقيمين بحلب فكُتب لهم مرسوم شريف أن يستمروا مكانهم إلى بعد الربيع ، إما يحل الركاب الشريف أو يرسل لهم بجدة ، وأشيع أن الجوالى تتفرق بحضرته ليبقى من يستحق ويمنعَ غير المستحق .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره وصل الخبر من البلاد الحلبية للمسامع الشريفة — نصرها الله — أن الأمير قرقماس الأشرف نائب ملطية حصل له الظفر على جماعة من عساكر شاه سوار فأوقع بهم وأسرَ جماعةً من أقاربه وأخصائه ، ولذلك سبب هو أن بعض عسكر شاه سوار توجهوا إلى ملطية وضياعها لطلب الميرة ، فلما نزلوا على ملطية اختفى قرقماس المذكور فأشيع هروبه فاطمأن الشاه سوارية وأحاطوا بالمدينة ، فخرج عليهم قرقماس المذكور على

---

(١) أى اختلس .

حين غفلة فأوقع بهم قتلا وأسرا ، وفاز مَن فرَّ منهم ، ولله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك .

وفى يوم الثلاثاء العشرين منه خُلع علَى الشهابى أحمد بن المأمونى واستقر فى حجوبية الحجاب بطرابلس عوضا عن العلائى على بن الأزبكى بحكم عزله عنها ، وبذل المستقر(١) فى الوظيفة عشرة آلاف دينار .

* * *

يوم الجمعة سادس عشره وصل الخبر من الوجه القبلى بوصول عظيم الدنيا الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى — مهد الله له الوجود — إلى منفلوط وأخبروا (١٥٣) أن جماعة قاسوا مشاقا شديدة وأشرفوا على الغرق ، وغَرِق للمقر الأشرف المذكور — حفظه الله من كل محذور — مركبُ قمحٍ ضِمْنَها ثلاثة آلاف إردب ، وهى فداؤه ، فإنه ركن الإسلام .

وبلغنى أن شخصاً من العربان — يسمى ابن زعازع — غضب عليه عظيم الدنيا المذكور — ختم الله له بالخير — لما بلغه عنه من الجرائم والمفاسد فأمر بتوسيطه ، فضربه المشاعلىُّ بين يديه نحو سبع عشرة مرة فلم يقطع فيه السيف بل ينقلب، فأغلظوا على المشاعلى ، فقال: «هذا معه شىء يمنعنى من توسيطه» ، فأطلقه عظيم الدنيا وحلف له إنْ أعلمه بصورة الحال فإنه يطلقه وأكد له اليمين ووَدى فيها ، فأخبره أن فى لحم ذراعه خوذةً فأخرجوها منه وأعطوها للمقر الأشرف المذكور ، فقال له صاحب الخوذة :«هذه لاتنفعك فإنها مرقية باسمى» ، فلم يلتفت لمقاله وأمر المشاعلى بتوسيطه ، والعمدة على الناقل .

* * *

وشاع وذاع أن برد بك(٢) الفارسى نائبَ الشام وقع منه أمور تفضى إلى أنه خارج عن الطاعة .

---

(١) يعنى ابن المأمونى .

(٢) لعله بردبك البجمقدار الواردة ترجمته فى الضوء اللامع ٣ / ٢٤ .

ووصل فى هذه الأيام كتاب المقر الأشرف الكريم العالى عظيم الدنيا الدوادار الكبير وما مع ذلك ، يتضمن « أن العربان ما قصدهم وزن الخراج ، وقد عم البلاء البلادَ والعباد ، وإذا ذهب المال يردعهم إرداعا غليظا حتى يستخرج منهم ؛ وبلغنا أن المقام الشريف ــ نصره الله ــ أرسل العساكر لشاه سوار ولم يظفروا بشىء ، وحصل بذلك غاية التشويش ، والمسئول من الصدقات الشريفة إن كان المقصود حضور المملوك ليتوجه للعدو المخذول شاه فيحضر المملوك ويعبّى برقه [1] وأموره ، وإلا فالأمر أمرُ السلطان » فأجيب بالإكرام والاحترام والثناء والشكر ، « وإنك تقضى تعلقاتك وحوائجك ، وبعد ذلك نفعل ما يريده الله تعالى » .

* * *

يوم الأربعاء حادى عشريه الموافق له ثانى توت القبطى ، ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى بركة [2] الحبش وساق نحو الجبل ورجع إلى القلعة فاستمر راكبا إلى أن دخل البحرة ، فإن إقامته (٥٣ ب) الآن بها لأنّ الدهيشة رسم بعمارتها وترخيمها وتنميقها وتبييضها ، ففعلوا ذلك .

* * *

وفيه توفيت خوند [3] فاطمة بنت الملك الظاهر ططر ، وعاشت بموتها كما قال الشاعر :

---

(١) البرق كلمة تركية الأصل يقصد بها الأسلحة ، انظر Dozy : op. cit, II, 851 .

(٢) كانت بركة الحبش من أجل متنزهات مصر وبها حدائق تعرف بالحبش نسبة الى قتادة بن قيس بن حبشى .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ١٢ / ٥٧٢ .

فالموت فيه حياتى وفى حياتىَ قتلى

ولما مات عنها الملك الأشرف برسباى لم يتزوج بها الملك الظاهر جقمق بعده ، ونزلت من القلعة ومعها جهازٌ بنحو مائة ألف دينار ، فسكنت بباب سر البيمارستان بجوار بيت والد كاتبه بقاعة المرحومة مرحبا أخت المقر المرحوم الزينى عبد الباسط ، وصار على بابها طواشية وعندها عدة عجائز ، ومن جملة مَن على بابها القاضى « هانى » الموقِّع الآن ، وكان إذ ذاك شابا من مجاورى جامع الأزهر يتردد للطواشية ، فسأل أن يكون كاتبها فكان كذلك واستمر حاله ينمو ويزيد وركب الخيول واشترت له الوظائف والتواقيع ، ولبس الأقمشة ، ولبس الخف والمهماز ، وجعل فى رقبته طوقا بعد أن كان من الفلاحين المجاورين بالجامع المذكور ، وفى يده دَقٌّ أخضر شاهدْتُه ، وصارت خوند المذكورة تبيع من قماشها وترهن وتقترض وتبذر وتبيع الغالى والعالى بالرخيص السافل وتقترض الدرهم بمثله ، حتى ضيَّعت جميع ما ملكتْه وصارتْ تقترض وتعطِى ، ثم صارت تقترض فلا تعطى ، ثم صارت لا ترى أحداً يقرضها شيئاً ، وتزوجت بالقاضى شرف الدين التتائى الأنصارى وكانت تهواه وكان [هو] بضد ذلك ، وهذا من الشقاوة عملا بقول الشاعر المجيد البليغ :

ومن السعادة أن تُحِبَّ وأن تُحَبّ وأن يحبَّك من تُحِبّ
ومن الشقاوة أن تُحِبّ فلا تُحَبّ ولا يُحِبُّك من تُحِبّ

وأنفقت عليه أموالا فى مانصنعه له من المآكل المفتخرة والمشارب المعطرة ، ومع ذلك (١٥٤) لم يفدْها ذلك وطلّقها فكادت تِتْجَنّ(١) وشكَتْه إلى الأشرف

(١) تعبير مصرى عامى .

إينال لما تزوج بعدها بخوند[١] مطلقة الملك الظاهر جقمق بنت الأمير جرباش[٢] الكريمى الشهير بماشق ، فغضب عليه وخرَّج وظائفه وباع أملاكه ببولاق وورقه الذى يحمل بتنيس وبالمنية وغير ذلك ،فصبر وأعيدوا له بعد ذلك فى دولة خشقدم الظاهر .

ولقد كانت[٣] تستحل أخذ أموال المسلمين حتى إنها كانت تستعير من الرؤساء والمحتشمين المتاع ثم تجحده ثم تعترف به وتكتب عليها به الوثيقة ولا يصل أصحابه إلى شىء من ثمنه ، وتراكمت عليها الديون ، وقام الظاهر جقمق رحمه الله معها وأعطاها خمسة آلاف دينار ، ورَسم للمقر المرحوم الجمالى يوسف — ناظر الجيش والخاص كان — أن يصالح عنها أربابَ الديون ففعل ذلك ، وما مضت سنة حتى عاد الحال على ما هو عليه ، وصارت النقباء ورسل الشرع على أبوابها والتجار والسماسرة والدلاَّلات الذين تشترى منهم البضائع يستغيثون منها ومن معاملتها ، وتقرَّبَتْ فى أيام الملك الأشرف إينال لحريمه فصارت تخدمهن فى المهمات ، وزعمت أنها تقضى حوائج الناس ، وصارت تتكلم عندهم للناس وتساعد من تختار وتحمى بالقوة وتركب وتدور ، ولا تتأخر عن فرح ولا كره[٤] لأحد من الأكابر ، وكانت مشهورة باللباقة فى المأكل والمشرب ، وصارت مُثْلَةً فى العالم من هذه الأفعال الرذيلة والأحوال التى لا يقدم عليها غيرها ، وصار التجار والعوام لا يقدرون على الخلاص منها ، ولا تفكر فى نقيبٍ ولا رسولٍ ولا غير ذلك ، وقيل إن منصور الأستادار

(١) هى زينب بنت جرباش وقد ماتت سنة ٨٩٤ هـ ، راجع عنها الضوء اللامع ١٢/٢٣٧.

(٢) الضوء اللامع ٣ / ٢٧٢ .

(٣) يعنى بذلك خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر .

(٤) مضبوطة فى الأصل بفتح الكاف والراء .

المقتول بسيف الشرع بباب الصالحية [1] تزوج بها وأقام معها قليلا وطلّقها ، ولما بلغ السلطانَ وفاتُها أرسل لها أربعين دينارا وثوبا بعلبكيا ، وطلبها ليصلى عليها فما وافقت أمها فى سرعة تجهيزها حتى تفعلَ الأمور الكفريات التى ترتكبها [2] النساء من أعمال الجاهلية من اللطم على الخدود وشق (٥٤ ب) الجيوب والنياحة ودعوى الجاهلية ، فلما كان يوم الخميس — ثانى عشربه صُلى عليها بسبيل المؤمنى فلم يحضر السلطان الصلاة عليها بل صلى عليها قضاة القضاة وبعض الأمراء والرؤساء ، ودفنت بجوار الإمام الليث ابن سعد — نفعنى الله به — بتربة والدها الظاهر ططر ، وطلع الدائنون ووقفوا للسلطان بسبب مالهم و [طالبوا] أن يأخذوا عوضه من أوقاف أبيها فرُدوا ردا شنيعا وهُدّدوا ، وأخرج السلطان أوقافها وتعليقاتها لمستحقيهم ولمن يختار ويروم ، وإلى الله عاقبة الأمور .

وكانت تعصبت على الشيخ سرى [3] الدين عبد البر — ولد شيخنا قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة — فيما ثبت له بالطريق الشرعى من النظر على وقف جدّه قاضى القضاة ولى الدين السفطى [4] بعد حكم المالكى وتنفيذ بقية القضاة له ، وصمدَتْ إلى السلطان وسبقَته بالأقوال والأفعال ، وإلى الله المرجع والمآل .

* * *

وفيه توفى الأمير طومان باى [5] الظاهرى ـ أحد أمراء العشرات ورؤوس

---

(١) ربما كان المقصود بذلك المدرسة الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب ، راجع المقريزى : الخطط ٢ / ٣٧٤ .

(٢) فى الأصل « يرتكبوهن » .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٤ / ١٠١ .

(٤) السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٣٩ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ٤ / ٤٩ .

النوب - وكان مسافراً صحبة الأمراء المتوجّهين لقتال شاه سوار ، فوصل إلى القاهرة من مدة يومين وهو ضعيف فى محفة ، وصلى عليه السلطان ودُفن بمقابر المسلمين ، وكان ظلوماً غشوماً منهمكا فى اللذات ، وكان على قول صاحبنا الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ لمّا يذكر ترجمة من يكون غير شجاع وغير كريم فيقول « لا للسيف ولا للضيف » ، ولقى عمله والله تعالى يغفر لنا وله .

* * *

ووصلت الأخبار من البلاد الشامية أن قرقماس الصغير - نائب ملطية - اجتمع هو وابن رمضان التركمانى وكبسوا على شاه سوار فقر ، ومسكوا أخويه وأقاربه وأمراءه وأعوانه ، ونهبوا منه ما لا يحصى ولا يحصر ، ويحصل أنه عن قريب يحضر رأسه إن شاء الله . وشكر السلطان - نصره الله - قرقماس نائب ملطية على فعله وأوعده[1] بنيابة عظيمة وخير (١٥٥) كثير .

* * *

وتوفى تنبك البواب الأشرفى برسباى الذى كان أمير [الركب] الأول فى السنة الماضية ، واستقر كاشفاً بالجسور فى يوم السبت خامس عشرى صفر سنة أربع .

وفى يوم الثلاثاء المبارك سابع عشريه خُلع على الشيخ برهان الدين الكركى[2] - إمام المقام الشريف - واستقر فى كتابة البيوتات واستيفاء الصحبة ، والله أعلم .

* * *

(١) أى وعده .
(٢) أفرد السخاوى : شرحه ، ج ١ ص ٥٩ - ٦٤ ترجمة مطولة له .

﴿ شهر ربيع الأول ﴾
المصون المبارك

أهل بيوم الجمعة الموافق له من شهور القبط[1] حادى عشره .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر فوجدوه قد ركب وتوجّه للقرافة ، فانتظروه بالجامع الناصرى حتى عاد وطلبهم فدخلوا إليه بالدهيشة وكان قد فُرِغ من ترخيمها وتذهيبها وتدهيتها و بياضها ، ولما جلسوا بين يديه — وكنتُ حاضراً جالساً معهم — قال له قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى ، عامله الله بلطفه الخفى[2] :

تهنَّى بكم كلُّ أرضٍ تنزلون بها ... كأنكم لبقاع الأرض أمطارُ

فقال له السلطان : « الله يحفظكم » أو ما أشبه ذلك ؛ ودعوا له و انصرفوا.

* * *

ووصل الخبر بقدوم الأمير أزدمر[3] الإبراهيمى الطويل الظاهرى — أحد المقدمين الألوف — إلى الخانكاه وهو ضعيف فى محفة ، وكان بلغ السلطانَ قدومه قبل هذا وضعفُه ، فرسم له بالعود ولو يموت فى الطريق — فلم يمتثل المرسوم الشريف على ماقيل وحضر وما يزداد إلا شدة — مادام المخذول شاه سوار فى قيد الحياة ، و لذى صحّ أن أزدمر عاد إلى صفد وحضر جماعته كلهم ولم يتأخر سوى مملوك واحد وبواب وشربتلى وطباخ .

وانفق من بويميات[4] أن مولانا السلطان ـ نصره الله ـ أمر بعرض جوامك

---

(١) هو شهر توت ، ويوافقه ٨ سبتمبر ١٤٦٩ ، راجع محمد مختار : التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٧ .

(٢) بعدها فى الأصل « فقال له » .

(٣) الضوء اللامع ٢ / ٢٥٤ .

(٤) دأب الصيرفى على استعمال هذه الكلمة « بويميات » ويعنى بها أياما قلائل .

الإصطبل السلطانى فمُرضوا ، فقَطع من المتممين نحوا من مائة ألف درهم فى كل شهر أو أقل ، والله أعلم .

ووعده السيفى جانم[1] دوادار عظيم الدنيا ومدبرها المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير وما مع ذلك حفظه الله على المسلمين ، وحصل له فهاق وطرف فالج ، وأوصى بثلث ماله صدقة ؛ تقبل الله منه .

• • •

(٥٥ ب) وحضر قبل تاريخه بيومين قاصد نائب جزيرة قبرص وصحبته ثياب صوف ونقد ذهب فقدّم ذلك للسلطان ، فقبل والله المستعان .

• • •

وفيه وقف للسلطان شخص من الأمراء المشرات الإينالية يسمى قانصوه[2] الإسحاقى وشخص آخر من مقولته يسمى شادنك انطه ، وطلبا منه إقطاعين : أحدهما إمرة طبلخاناة والآخر إمرة عشرة ، فغضب وشاط وقطع ثيابه ورمى النمجاة[3] ، وقام إلى الدوادار الثانى فقيل إنه لكمه ، فوقعت عمامة السلطان وتوجه إلى البحرة وغلق الباب . والسبب فى غضبه من الدوادار الثانى أنه رسم له بمسك أحد الذين[4] وقفا له فإنه كلم السلطان كلاما خشنا ، فلما لم يقبض عليه قام له بالنمجاة فرده عنه الداوادار فوقع ما وقع وحصل غوغاء بين المماليك الإينالية وصارت عيطة[5] ، وطلع جانبك حبيب فخفّض على السلطان فما رَجع

(١) الضوء اللامع ٣ / ٢٥٨ .

(٢) السخاوى : شرحه ٦ / ٦٢٧

(٣) النمجاة كلمة فارسية الأصل « نيمجة » ومعناها الخنجر المقوس ، انظر :
G - Demombynes : La Syrie, p. 171.

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل بالصورة التالية « أحد الذين وقفوا له » .

(٥) العيطة بالتعبير المصرى الدارج : ضوضاء .

ولا قَبِل ، وهُمْ فى أمر كبير ، وإلى الله المصير ، والسلطان نصره الله ما يفكر فى أحد وإنما هو متكل على الله وهو حسبه ويكفيه محمد وآله .

وفيه حضر نوروز دوادار المقرّ الأشرف العالى الأتابكى أزبك من حلب إلى القاهرة ، وصعد بين يدى السلطان وأخبره بقضية شاه سوار وما حل بإخوته وأقاربه من القبض عليهم ، فلم يلتفت لذلك ولا خلع عليهم ، ونزلوا مكسورين منكوسين إلى دورهم .

وفيه كسر سد[1] بنى منجا ، كَسَرَهُ متولى الحرب السعيد ليشبك الدوادار الكبير - حفظه الله على المسلمين ؛ وحضر الأمير تغرى بردى الخازندار ، وكان له يوم عظيم .

ووصل الخبر عن شاه سوار أنه أصيب بسهم لما قُبض على إخوته وأقاربه وأنه هلك ، ولم يصح ذلك .

* * *

وفى يوم الخميس سابعه نُقل المقر الأشرف العالى السيفى قانصوه الأحمدى الإينالى - شاد الشراب خاناه - إلى إقطاعٍ وتقدمةِ ألفٍ كانت باسم سودون القصر وهى ، وصار (١٥٦ ا) من المقدّمين الألوف .

وخُلع فى يوم الخميس سابعه - بل أنعم - على الأمير يشبك الإسحاقى الأشرف الأمير آخور الثانى المعروف والمشهور بيشبك جن بتقدمة ألفٍ بالديار المصرية من التقادم التى توفّرت من قتل أصحابها فى واقعة شاه سوار المخذول ، بلغ الله المسلمين فيه كل مأمول .

---

(١) كان بحر أبى المنجا قناة تخرج من النيل قرب شبرا الحالية وتمر ببلبيس وتتصل بالفرما ، وقد حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى ، وكانت العادة قد جرت قبل هذا التاريخ أن يفتحه السلطان وفى صحبته كبار الأمراء والناس ، انظر المقريزى : الخطط ١/٧١، ٤٨٧.

وخلع على الأمير دولات[1] باى حمام ، الأشرفى برسباى واستقر فى شادية الشراب خاناه عوضا عن قانصوه الأحمدى بحكم انتقاله إلى التقدمة الألف .

وفى يوم السبت تاسعه خلع على الأمير بردبك المشطوب اليشبكى أحد أمراء العشرات ، واستقر رأس نوبة ثانيا عوضا عن دولات باى حمام بحكم انتقاله إلى شادية الشراب خاناه .

وفى يوم الخميس رابع عشره خلع على الأمير جانبك حبيب الأشرفى إينال ـ أحد الأمراء العشرات ـ واستقر أمير آخور ثانيا عوضا عن يشبك الإسحاقى بحكم انتقاله لتقدمة ألف .

ووصل كتاب عظيم الدنيا ومدبرها ومشيرها المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير السلطان نصره الله ، يروم منه أن يستخرج المال المتأخر من الديوان ، المقرّر من جهة مَن يُذكر فيه كالمجدى ابن البقرى[2] وغيره من مباشرى[3] الديوان المذكور ، فطلبهم السلطان ورسم للسيفى تغرى بردى ـ خازندار عظيم الدنيا المذكور ـ بالترسيم على الأمير مجد الدين ابن البقرى ، فرسم عليه حتى يقوم بما عليه ، ورسم على يحيى[4] ابن البقرى ـ ناظر الاصطبل ـ ورسم له أن يحضر بأخيه ولا يوزن عنه ، فقال إنه يسافر ويحضره ، فرسم له بذلك .

وورد الخبر أن المقر الأشرف الكبير العالى عظيم الدنيا الدوادار الكبير

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٨٢٦ .

(٢) نسبة لدار البقر من الغربية ، واسمه شاكر بن غربيل ، وقد أنشأ مدرسة قرب جامع الحاكم .

(٣) فى الأصل « مباشرين » .

(٤) راجع عنه السخاوى ، شرحه ١٠ / ٩٨٤ ، وهو ابن عم مجد الدين المشار إليه فى حاشية رقم ٢ .

ظفر بشخص من المفسدين المجرمين العصاة من مشايخ بنى عدىّ فضربه بالمقارع ورسم أن يُشْوَى بين يديه فى النار وهو حى ، فصار يستغيث ولا يغاث ، وآخر الأمر أطلقه وقيل للأمير ، « لا يعذب بالنار إلا خالقها » .

ليلة الاثنين حادى عشره ركب السلطان من قلعة الجبل (٥٦ ب) وتوجّه إلى بركة الحبش ، وتوجه صحبته الخام[1] والمطبخ والمأكل والمشرب ، فأقام به إلى آخر النهار ورجع فى خير وسلامة .

وشاع وذاع أن مولانا السلطان ـ نصره الله ـ يعين عدة الأمراء والمماليك السلطانية تجريدةً لقتال شاه سوار : غضب الله عليه ولعنه فما[2] أكثر [ما] قاسى المسلمون بسببه من البوار والدمار .

وفيه عمل المولد السلطانى بالحوش على العادة ، وصعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام ، وحضر الأمراء المقدمون الذين تجدّدوا كالأمير يشبك جن الظاهرى جقمق ، والأمير قانصوه الأحمدى ، و [حضر] غيرُهما من الندماء كالأمير جانبك أمير آخور كبير والأمير لاجين والأمير سودون تستز ، و [حضر] غيرهم من الطبلخانات والعشرات وغيرهم ، ومُد السماط العظيم على العادة .

وعند الفراغ من صلاة المغرب توجه[3] قضاة القضاة وللمشايخ وخُلعت الشقق[4] على القراء والوعاظ ، وكان مولداً عظيما جليلا .

---

(١) عرف دوزى (op. cit. I, 419) الخام بأنه قماش من القطن .

(٢) وردت هذه العبارة فى الأصل على الصورة التالية « فما أكثر قاسوا المسلمين » .

(٣) فى الأصل « توجهوا » .

(٤) هى قطع من القماش جرت العادة بأن تكون من الكتان أو شعر الماعز انظر : Dozy : op. cit.

يوم الأربعاء العشرين منه ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى بركة الحبش وصعد نحو الجبل ورجع إلى القلعة قريب الظهر ، ولا عنه خبر ولا أثر .

وأشيع أن السلطان ـ نصره الله ـ رسم أن يكون نظر جامع طولون تحت نظر المقر الأشرف العالى السيفى تانبك[١] قرا و[أن] يخرج[٢] من نظر الشافعى ، فساعده المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر رئيس الدنيا وكاتب السر الشريف الأنصارى حفظه الله على المسلمين ـ حتى عاد إليه ، وسبب ذلك أن المستحقين كان يُصرف لهم فى السنة ثمانية شهور وأكثر وأقل ، فصاروا تصرف لهم فى أيامه فى السنة ثلاثة شهور ، وفى الواقع فهو عقد ودين فى الأحكام ، لكن الأوقاف فى أيامه أكلها[٣] المباشرون .

يوم الثلاثاء سادس عشر به عُقد مجلس بالقلعة بحضور السلطان بقضاة القضاة بسبب السيد الشرف نقيب الأشراف وأخيه[٤] الذى كان إمامَ المقرّ الشهابى ابن العينى ، فإن الأشراف شكوا منهما أنهما أخربا البلاد ، وكان استعيض عن الشريف المذكور من نقابة الأشراف (١٥٧) واستقرار الشريف نور الدين على الكردى صاحب السلطان نصره الله ، فسعى الشريف المقدم ذكره عند السلطان بالأمير برقوق وغيره حتى عقد لهما هذا المجلس ، وغضب السلطان ـ نصره الله ـ من نقيب الأشراف وحطّ عليه ونقم عليه سوء مباشرته فى بلاد الوقف وعدم التساوى بين المستحقّين فى النفقة ، ونسب ذلك إلى صنيع أخيه ، وأساء عليه بلفظ : « ياشيطان أنت نحس » ، فصار يرعد ويقول : « السلطان

---

(١) أطنب السخاوى : شرحه ٣ / ١٧٧ فى مدحه والثناء عليه وعده من حسنات أبناء جنسه حيث قام ضد السيوطى .

(٢) أى نظر جامع ابن طولون .

(٣) فى الأصل « أكلوها » .

(٤) فى الأصل « وأخوه » .

يعرفنى » ، وحرجت أخلاق السلطان وعنّف الشريفَ نقيبَ الأشراف ووبخه ، فكان جوابه : « يامولانا السلطان ، أنا أتوب إلى الله وأستغفر الله » .

وانفصل المجلس على أن يعمل حساب الوقف بحضور نواب قضاة القضاة ، من كل مذهبٍ نائبٌ ، ويعملون ما يقتضيه الشرع ، وأن يكون السيد الكردى ناظرا على البلاد والمال والمصرف ، ونقيبُ الأشراف يصل إليه معلومه ولا يتكلم فى شىء ، وهذا مع جوار السلطان لنقيب الأشراف عدة سنين واتحاده بصحبته ؛ وأذكر قول الشاعر :

إذا كان هذا فعله فى مُحِبِّــــه　　　فياليت شعرى فى العِدَى كيف يصنع ؟

ونصر الله مولانا السلطان فإنه قائم مع الحق .

* * *

يوم الخميس ثامن عشربه ، خُلع على الأمير يشبك[١] الجمالى الذى توجّه فى السنة الماضية أمير الركب الأول واستقر فى حسبة القاهرة عوضاً عن قانصوه ، وقيل إنها شاغرة واستقر أمير المحمل .

وخلع أيضا على آقبردى المجنون زوج بنت يشبك[٢] الأعرج واستقر أمير الأول .

وفيه خلع على نقيب الأشراف المقدم ذكره واستقر على عادته .

وخُلع على السيد الشريف علاء الدين الكردى واستقر ناظرَ الأشراف .

وسأل السلطانُ عن متحصل الأشراف فقيل له ثمانية آلاف دينار ، فقال : « كم تصرفوا للأشراف ؟ » فقيل له : « النصف من ذلك » ، وسأل عن المتأخر فذكر المباشرون أن عدتهم عشرون نفرا ، فرسم باستقرار أربعةٍ وإبطال

(١) الضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٥ .
(٢) الضوء اللامع ١٠ / ١٠٨٨ .

ماعدام، وأن يضاف المتأخر ويصرف على الأشراف بالسوية ؛ فنصره الله .

* * *

(٥٧ ب) وفيه نودى على الفلوس العتق[1] المنتقاة من الرصاص والحديد بأربعة وعشرين درهماً الرطلُ على عادتهم ، وضربت فلوس جدد ، كل أربعةٍ بدرهم ونصف ، والرطلُ بستة وثلاثين درهما ، وهذا فيه ضياع أموال المسلمين ليحصل للشياطين أهل دار الضرب مقصودُهم من جمع المال ، فإنهم يأخذون من الناس الفلوس بأربعة وعشرين ويخرجونها بستةٍ وثلاثين ، فيُخسِّرون المسلمين الثلث فى أموالهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وفيه توفى الأمير يحيى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج[2] بقلعة الجبل ، وله من حينِ مباشرةِ عظيم الدنيا المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى فى الأستادارية وهو بسجن البرج ، وهُدِّدَ وخُوِّف وضُربَ ضربا فظيعا حتى طار لحم جسده عن بدنه ، ونزلوا به من القلعة فى تابوت وعلى رأسه طاقية كشفٍ ، وتوجهوا به إلى منزله فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ، وحضر صلاتَه المباشرون وبعض الأعيان وصُلّى عليه بالجامع الأزهر ، ودفن بمدرسته[3] المجاورة لمنزله بالقرب من قنطرة الموسكى .

وكان رأساً فى الرياسة وصار فى أيام الملك الظاهر جقمق صاحبَ الحل والعقد، وعمّر عدة مدارس وجوامع وربط ، و[عيّن] خطباء، وأوقف عدة أوقاف عليها وعلى ذريته ، وصار لمّا يُنكب فى دولةٍ من الدول يستبدلون غالب أوقافه ودوره ، ثم لما[4] يعيدونه يعيدونها ، وله بهذه النكبة عشرون مرة .

---

(١) الفلوس العتق كما عرفها القلقشندى : صبح الأعشى ٣/ ٤٤٠ فلوس من نحاس مكسر من الأحمر والأصفر .

(٢) فى الأصل « الفرج » والتصحيح من الضوء اللامع ١٠ / ٩٨٣ .

(٣) ذكر السخاوى : شرحه ، أنه أنشأ مدرسة بالقرب من المدرسة الفخرية بين السورين .

(٤) فى الأصل « لما يعيدوه يعيدوها » وهو تعبير مصرى دارج .

وكان أصله كاتبا ثم تقرّب لخدمة المقر المرحوم الزينى عبد الباسط ، فلما تولى عبد الرحمن بن الكويز(١) الأستادارية استقر صاحبُ الترجمة ناظرَ الديوان المفرد ، ثم ولى الأستادارية منه وباشرها مباشرةً عظيمة فى الدولة الظاهرية جقمق ، وساعدته الليالى والأيام ، وعمر المدارس والجوامع كما قدّمنا والبيوت والربوع ، واشترى المماليك حتى بلغ عدتهم مائتى مملوك (١٥٨) وخمسين مملوكا ، وفرّق الخبز والقمح الكثير فى الغلاء على الفقراء فى كل يوم ، وعمّر المغاسل والأكفان للأموات فى الفصول ، فصاروا يُغسّلون ويُكفّنون ويدفنون مِن وقفه ؛ وعمر بدرب الحجاز الشريف أبياراً على سلالم ينزلون إليها وساق إليها الماء ، وهو الذى أنشأ أولاد البقرى وابن جلود وابن غريب وغيرهم ، ولقى ماقدم وأمره إلى الله ، ونُفِى إلى مكةَ المشرفة والمدينة المشرفة مرتين ولم يقدر أن يحج .

وكان أشقر اللون أزرق العينين ، له سطوة وإقدام ، وإذا غضب لا يطاق ، وكان كريماً جواداً ، له سماط هائل إلى الغاية يجمع فيه بين اللبن والسمك وغير ذلك من المآكل العظيمة ، وبلغ الأوج فى دولة الظاهر وانخفض بعده إلى الحضيض وصودر وأهين وضرب وسجن ، فأراح واستراح بموته . فالله يعفو عنه بفضله .

﴿ شهر ربيع الآخر ﴾

أهل يوم الأحد لأن ربيع الأول جاء تماماً ، ويوافقه من شهور القبط عاشر بابه .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة الجبل بسبب تهنئة السلطان

---

(١) السخاوى : شرحه ٤ ، ٢٢٤ .

بالشهر وانتظروه بالحوض حتى حضر من الميدان وطلبهم ، فجلس معهم ولم يتكلم معه سوى قاضى الحنفية ودعوا وانصرفوا .

وفيه أنعم السلطان على الأمير قرقماس الأشرفى — نائب ملطية — بخلعة بطراز زركش ورَسم له بخمسة آلاف دينار ليتقوى بها على العدو باستخدام الرجال والسلاح وما أشبه ذلك ، فنصره الله نصراً عزيزاً وفتح له فتحاً مبيناً .

• • •

يوم الاثنين ثانيه أشيع الخبر أن المرسوم الشريف توجه للأمراء بالحضور من حلب بعد أن حضر بعضهم من العشرات .

وفى يوم الخميس خامسه رسم السلطان باستقرار الأمير قانصوه[1] اليحياوى نائب طرابلس فى نيابة حلب عوضاً عن الأمير إينال الأشقر الظاهرى بحكم عزله عنها وقدومه إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف ، وأنعم عليه بثمانية آلاف دينار يستعين بها على كلفه ومصالحه وبرقه وبركه[2] .

وفيه خلع على الأمير لاجين الظاهرى ـ أحد مقدّمى الألوف ـ بكشف الجسور بالبهنساوية من الوجه القبلى ، وخلع على الأمير يشبك الإسحاقى ـ أحد المقدمين الألوف ـ بكشف الجسور بالبحيرة من الوجه البحرى ، ورُسم له بالتوجّه من فوره لإزالة المفسدين من البلاد والعباد سيما العربان الخارجين عن الطاعة والقادمين إليها فى طلب الميرة ، وعين صحبته تجريدة من المماليك السلطانية فسافر من يومه .

---

(١) أمامها فى هامش المخطوطة « قانصوه نائب حلب » .

(٢) البرك بالفتح هو المتاع ، أما البرق فكلمة تركية الأصل معناها السلاح ، أما البرك فارسية الأصل .

وفى الأحد ثامنه قدم الأمير علان[١] الأشرفى - أحد الأمراء العشرات الذى كان أسر عند شاه سوار وخلص منه - فلم يُلتفت إليه .

وفيه أنعم السلطان - نصره الله - على الأمير يشبك البجاسى - نائب حماة - باستقراره فى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير قانصوه اليحياوى المنتقل لنيابة حلب عوضاً عن تمراز بحكم انتقال تمراز إلى تقدمة ألفٍ بدمشق .

ورسم للناصرى محمد بن المبارك أن يستقر فى حجوبية حجاب دمشق عوضا عن إبراهيم[٢] بن بيغوت الأعرج .

وفى يوم الأحد الخامس عشر منه حضر إلى بيت السلطان مملوكُ الأمير الكبير الأتابك أزبك من ططخ ، وعلى يده كتابُ مرسلِه يتضمن أن ابن رمضان أخذ قلعة سيس من أعوان شاه سوار .

وفى هذه الأيام وصل المقر الزينى عبد الرحيم[٣] بن البارزى من سفره من حلب وهو موعوك جداً ، ونزل بمنزل القاضى كمال الدين .

وجهز[٤] للسلطان هدية على يد المقر الزينى أبى بكر[٥] بن المقر المرحومى عبد الباسط قيمتها بنحو خمسمائة دينار فردّها عليه وقال: «أنا ما أقبل منه أو أريد منه إلا فاكهة حلوى مشموم» ، وكان بلغ عبد الرحيم المذكور أن السلطان قال : «عند من يهرب منى ؟ هذا هو وقع فى القفص» فبلغه ذلك فازدادت علّته واستمر منقطعاً إلى أن توفى فى يوم الإثنين المبارك تاسعه بعلة الصرع ؛ وكان رحمه الله بشوشاً متواضعاً (٥٩ ا) أصيلا عريقاً زهراً فى مأكله وملبسه ومركبه ،

---

(١) هو علان من ططخ الأشرف برسباى ، راجع الضوء اللامع ٥ / ٥٢١ .

(٢) مات فى تجريدة شاه سوار سنة ٨٧٣ هـ، انظر الضوء ج ١ ص ٣٣ ، ١١٦/٣ .

(٣) السخاوى : شرحه ، ٤٤٣/٤ .

(٤) يعنى بذلك ابن البارزى .

(٥) السخاوى : شرحه ، ١١ / ١١٠ .

وباشر استيفاء الصحبة عدة سنين ، وخرجَتْ عنه الوظيفة فى هذه الدولة قريباً باسم الشيخ الإمام برهان الدين الكركى إمام مولانا السلطان الأشرف أبى النصر قايتباى — عز نصره — ، ومات وسنه نحو الأربعين تخمينا .

وكان قصير القامة طلقَ اللسان كريم اليد ، ورُشح لكتابة السر مراراً فلم يتفق له ، وحَضر جنازته والصلاة عليه الأعيانُ من قضاة القضاة وللباشرين والرؤساء ، ودفن بالقرافة بعد الصلاة عليه بالجامع الأزهر ، وكان عَرِيًّا من العلم ، سيء المعاملة لا سيما ما يستحره من السوقة برسم للأكل ، وخلف ذكرين وبنتاً ، وانقطع بموته بيت البارزى، ولم يتخلف من البيت سوى بنت المقر الكمالى زوج المحتسب الأمير يشبك الجمالى مملوك زوجها الصاحب جمال الدين بن يوسف والبهائى نجم الدين بن حجّى، وخلّف دنيا عريضة ولكنها بالبلاد الشامية والحلبية من أوقاف عمه وأبيه ، وعليه ديونٌ نحو سعة آلاف دينار والله يرحمه . آمين .

• • •

وفيه توفى الأمير قانصوه[1] الساقى المصارع الأشرفى برسباى ، وكان شكلا حسنا شجاعا ، وتوجّه السلطان للصلاة عليه وكذلك غالبُ الأمراء ومَن حضر .

ووصل الخبر إلى الديار المصرية بوفاة الأمير الأجل قانبك[2] المؤيدى الذى كان مقدما على ألف فى دولة الظاهر خشقدم واستقر أمير مجلس وأمير سلاح فى دولة الظاهر يلباى ، وكان أميرا مباركا عديم الشر والخير ، وهو كما قال مخدومنا الجمال يوسف عين المؤرخين « لا يصلح للسيف ولا للضيف » .

• • •

(١) الظاهر أن كلمتى « الساقى المصارع » قد جاءتا سهواً من الكاتب ، ذلك أن هناك اثنين باسم « قانصوه » أحدهما يعرف بالمصارع وقد مات قبل هذا التاريخ بفترة تقرب من عشرين سنة أى أنه مات سنة ٨٥٦ هـ ، (انظر السخاوى : الضوء اللامع ٦/ ٦٧٨) أما الآخر فاسمه قانصوه الأشرفى برسباى (شرحه ٦/٦٧٩) وكانت وفاته فى ربيع الآخر ٨٧٤ هـ .

(٢) السخاوى : شرحه ٦ / ٦٧٥ .

وحصل فى هذا الشهر أمور ، منها أن قاسم الوزير — نائب عظيم الدولة الدوادار الكبير — كبسه الوالى بالجزيرة ومعه امرأة وأطلقت ، ومنها أن المقر الأشرف العالى السيفى قانصوه أحد الإينالى وصل له غنم من الوجه القبلى فأراد[1] أخذها بغير مكس فعوّقها قاسم (٥٩ ب) الوزير فأرسل إليه قانصوه يطلبها فامتنع ، فهمّ قانصوه بالركوب إليه ليبهدله ويضربه ، فبلغ قاسم ذلك فركب وحضر إليه ليصالحه على شىء ، فضربه ضربا مؤلما ومع ذلك فلم يُطلِق له قاسم الغنم ، وصار يقبل بأمر عظيم الدنيا المقر الأشرف الدوادار الكبير ، وآخر الأمر أقول كما قال الشاعر : « أوسعتُهم سبًّا وفازوا بالإبل » ، وهذا بالغنم .

وفى هذه الأيام وصل المقر الأشرف العالى المولوى السيفى تمراز الشمسى أحد المقدمين الألوف الذى كان كاشف المحلة وكاشف التراب بها ليقيم فى هذه البلدة شهراً واحدا ويعود إلى محل ولايته .

واستقر فى كشف البحيرة والنخضير المقر الأشرف الكريم السيفى يشبك جن أحد المقدمين الألوف ، وخُلع عليه بذلك ويسافر قريبا .

وطالع عظيمُ الدنيا المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير المسامعَ الشريفة ـ نصرها الله ـ فى طلب السيد الشريف سراج الدين قاضى المالكية إلى الوجه القبلى ليحاسبه على ما فى جهته من أموال الدولة ، فأجيب أنه يرضيه فى المال والحال والمآل .

وفى ثامن عشره ركب السلطان — نصره الله — من قلعة الجبل وتوجه إلى القرافة بمفرده ومر على «صبحة المحيا» التى يصنعها[2] ساداتنا بنو الوفا ، ثم

---

(١) فى الأصل « فأراد أخذهم . . . فعوقهم قاسم . . . يطلبهم فامتنع » .

(٢) فى الأصل « يصنعونها ساداتنا بنى الوفاء » .

خلفه العسكر أفواجاً أفواجا ، واستمر إلى آخر النهار حتى صعد القلعة .

ووقع فى هذا اليوم أو قبله أن شخصا من العدول الجالسين عند أحد نواب الحكم العزيز الحنبلى بباب الصالحية قتل برحبة[1] الأيدمرى ، وألقوه فى بئر وقبضوا غلاما ومملوكا اتهمهما[2] ورثته بقتله ، ووقفا للسلطان ، ورسم — نصره الله — بالفحص عن أمرهما .

وفى هذه الأيام عرض السلطان الجوالى المرتّبة للناس على البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وقطع منهم جماعة كالصدر البهوتى[3] والشيخ إبراهيم القادرى[4] وأمثالهما .

وفى يوم الثلاثاء (١٦٠) رابع عشريه الموافق لرابع هتور القبطى ركب السلطان وتوجّه إلى التربة التى أنشأها بالصحراء عظيم دولته المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير فأقام بها وعاد بعد ذلك إلى القلعة .

وفى هذا الشهر رسم السلطان — نصره الله — القاضى علاء الدين ابن الصابونى بالتّوجه إلى المدينة الشريفة على هيئة المنفى ، فشفع فيه إلى القدس والخليل فخرج مقهوراً ، وسبب ذلك أنه سأل بعضُ أركان الدولة السلطانَ له فى شىء يقوم بحاله فغضب ورسم بذلك ، وقيل — وهو الصحيح — إن ابن المُزَلّق[5] كاتبَ السلطان فيه « ما يِنْهَضْ بِيبَاشر » والقاضى علاء الدين

---

(١) وهى منسوبة إلى أيدمر البدرى أحد المماليك الناصرية الذى أسس مدرسة عرفت بالبيدمرية أو المدرسة البدرية كما سماها المقريزى فى الخطط ٢ / ٣٩١ ، انظر أيضا نفس المرجع ٢/٤٨، ٧٥ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ١ / ٥١٣ ، والطباخ : إعلام النبلاء ٢ / ٤١٩ .

(٢) فى الأصل « اتهموهم » .

(٣) بضم أوله نسبة لبهوت بالغربية ، انظر الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٠ .

(٤) السخاوى شرحه ، ج ١ ص ٨٠ ــ ٨١ .

(٥) الضبط من الضوء اللامع ٦ / ٣٨٩ وإن لم نكن ترجمته

المذكور موجود عند السلطان ، وأنه أشاع أن السلطان ـ نصره الله ـ وعده بأن يقرره فى وظيفة عظيمة ، وثار[1] عليه خصومه ، فحصل ما حصل .

وفى يوم الأحد المبارك ـ تاسع عشريه ـ ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى جهة القرافة ، فسير على عادته وعاد بعد ذلك ، والله الولى والمالك .

وتقدم فى الخامس عشر من هذا الشهر حضور مملوك المقر الأشرف العالى السيفى الأتابكى أزبك مقدم العساكر السلطانية من البلاد الحلبية بين يدى السلطان ـ نصره الله ـ ، وعلى يده كتابُ مرسله يتضمن أن ابن رمضان أخذ قلعة سيس من أعوان شاه سوار ، والأمر لله الواحد القهار .

﴿ شهر جمادى الأولى المبارك ﴾

أهل بيوم الاثنين[2] ، ويوافقه من أيام الشهور القبطية عاشر هتور. وفيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر ، وكنتُ ممن حضر من نواب الحنفية فجلسوا بين يديه بالحوش ودعوا له وانصرفوا .

وفيه سافر السيد الشريف علاء الدين بن الصابونى إلى القدس أو الخليل منفيا كما قدمنا[3] ذلك ، وذكر له السلطان وقائع ، والمحب ما يبغض وضده .

وفيه سافر السيد الشريف علاء الدين القصيرى الكردى الذى استقر ناظر الأشراف وشيخ الخانقاه السرياقوسية (٦٠ ب) إلى البلاد الشامية حسب المرسوم الشريف له فى ذلك ، واختُلف فى توجهه فقيل لقبض أموال السلطان ، وقيل بخلعة من السلطان لنائب الشام ، وقيل غير ذلك والله أعلم .

---

(١) فى الأصل « ثاروا » .

(٢) ويوافقه السادس من نوفمبر ١٤٦٩ ، انظر التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٧ .

(٣) راجع ما سبق ص ١٤٩ س ١٢ وما بعده .

يوم الجمعة خامسه ركب السلطان ـ نصره الله ـ من قلعة الجبل على عادته وتوجه إلى القرافة فى نفرٍ يسير من مماليكه .

يوم الأحد سابعه قدم الأمير قراجا السيفى جانبك ـ نائب جدة أحد أمراء العشرات الذى كان استقر فى نيابة جدة عوضا عن مخدومه ـ من حلب ، وأخبر بوصول المقر الأشرف العالى السيفى جانبك قلقسيز الأتابكى ، وقايت بن أخت المقرّ المرحوم السيفى قرقماس أمير مجلس وصحبتهما بعض أمراء ، وحضرت أمه وبعض أمرائه إلى حلب ، وصحبتهم مفاتيح القلاع التى أخذها من معاملات السلطان ويعتذر عما صدر منه ، ويقول إنه مات من عنده أكثر ممن[(١)] بقى ، وقيل إن شاه سوار مر عليهما يوما فتضرعا له وتخضعا فأطلقهما وسيرهما إلى حلب ، وندب شاه سوار الأتابك جانبك أن يكون سفيراً بينه وبين السلطان فى الصلح والرضى عنه ، وما علم أحدٌ الصلحَ يكون على أى وجه .

وفيه توفى القاضى علم الدين أبو الحسن ابن الصاحب تاج الدين ابن الميصم مستوفى الخاص وله مدة ضعيف يعالَج ، وكان عريا من الإسلام كثير الميل إلى دين النصرانية ، مدمنا على السكر لا يكاد يوجد صاحياً لحظة ، ولما ولى البباوى[(٢)] الوزر طلبه وضربه ثلاث علقات فى مجلس واحد بسبب أنه لم يشهد صلاة الجمعة، ودفن فى يوم العاشر وحضر جنازتَه المباشرون وقاضى القضاة ولىّ الدين الأسيوطى الشافعى لأن المقر الكمالى ناظر الجيش قريبُه من أمه ، وصلى عليه بباب النصر ودفن بمقابر المسلمين ، والله أعلم بما هو عليه .

وفى ليلة الأربعاء عاشره ركب السلطان الملك الأشرف ـ نصره الله ـ من

---

(١) فى الأصل « من » وجوازها ضعيف .

(٢) تولى الوزارة فى ربيع الأول ٨٦٨ هـ ، وقد ذكر ابن إياس : شرحه ص ١٣٦ فى معرض توليته إياها أنه أول زفورى تولاها بمصر ، وقد انحط قدرها منذئذ ؟ وكان البباوى فى الأصل طباخا من معاملى اللحم وكان أميالا يقرأ ولا يكتب .

قلعة الجبل إلى[1] بركة الحجاج قبل أن يلبس الصوف ، وعاد فى يومه .

وفى الجمعة ثانى عشره (٦١ ؛) الموافق له من أيام شهور القبط حادى عشرى هتور لبس السلطان القماش والصوف اللون المعد لبسه للشتاء فى كل سنة عند دخوله لصلاة الجمعة ، وتأخر عن العادة أكثر من عشرة أيام ، هكذا قال الجمال يوسف ابن تغرى بردى فى تاريخه ، وعندى إنما هو متأخر عن عادته بخمسة أيام ، وقيل سابق بخمسة أيام ، والأول أصح .

وفى هذه الأيام ارتفع سعر الغلال فأبيع الإردب القمح بألف درهم ومائتى درهم الإردب ، والفول والشعير بدون السبعمائة ، والحمل التبن بثلثمائة ، والرطل الخبز بسبعة دراهم ، لكن الأشياء موجودة ، فلله الحمد على ذلك .

وتقدم قبل هذا بأيام أن السلطان - نصره الله - خَلَع على شرف الدين موسى ناظر حبس[2] طرابلس .

وفيه خُلع أيضا على تاج الدين بن القاضى أبى الحسن بن الهيصم واستقر فى استيفاء الخاص عوضا عن والده بحكم وفاته ، ووزن على ذلك من الذهب ألف دينار ، وقد استقر فى هذه الوظيفة إسماً لا غير ، ذلك لأنه ما يحصل له منها غير المعلوم ، وأما المباشرة فتعلقة بولى الذلة النصرانى الكاتب المشهور .

يوم الأربعاء سابع عشره ركب السلطان من قلعة الجبل واتجه إلى ناحية الخانكاه ، وأمطرت السماء مطراً غزيراً واستمرت الترحة منهمكة عليه وعلى أهل مصر وما حولها مدة ليلتين ويومين آخرهم يوم الخميس مع ليلته المصبحة عن التاسع عشر من شهر تاريخه حتى دلفت البيوت ووَهى بنيانُها من كثرة الهواء والمطر ، وحكى غالب النّاس أن لم سنين عديدة ما رءوا مثلها ، وأخبر

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

(٢) غير منقوطة فى الأصل مما يحتمل معه قراءتها على الوجهين « حبس » و « جيش » .

الفلاحون وأهلُ البلاد أن [قد] حصل لهم بهذا خيرٌ كثير فى مزارعهم وزرعوا الأراضى العلوَ التى ما وصل إليها البحر ، وحصل لهم بها فرحٌ وسرور ، ومع هذا فالأمطار قد ملأت الأسواقَ والدروبَ ، والناسُ يخوضون فى ذلك إلى قريب أوساطهم : والُخبز لا يوجد والناس يزدحمون عليه فى الأفران وهو أسود كسكم ، والرطلُ بسبعة ونصف فلوس . وأما الفقراء (٦١ ب) وللساكين ففى أمرٍ عظيم ، والأمر إلى الله العلى العليم ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه وهو على كل شىء قدير .

ووصل الخبر عن المقرّ العالى السيفى يشبك جن أحدِ المقدمين الألوف الذين توجّهوا للبحيرة بأن العربان وثبوا عليه ، وأنه رجع منهم إلى دمنهور بعد أن قُبل من مماليكه عدّة ، فلما بلغ المسامعَ الشريفة ذلك عُيّن له عدةٌ من المماليك السلطانية لينصروه ، ويكونون فى خدمته على العادة .

وفيه ورد الخبر عن عظيم الدّنيا المقرّ الأشرف الكريم العالى المولوى النصيرى البصيرى يشبك من مهدى الدوادار الكبير - حفظه الله على المسلمين - أن العربان وثبوا فاقتتل معهم ، وقُتل من الفريقين ما الله أعلم بذلك ، إنه المولى والمالك .

وتقدم فى يوم الأربعاء سابع عشره أن شخصاً من نواب الحنفية يُسمى محمدا ويُلقب بمحيى الدين ويَنتسب للحلبيين وليس منهم ، وإنما هو من كفر كَنا[1] والناصرية من عمل صفد ، وكان قد سعى عند المحب بن الشحنة لمدةٍ من الناس ولازم السعيَ حتى قُرّر قاضيا ، فصار يصول ويطول ويعزّر ، وعمل له سوقا فصار نافقاً ، ولقبه أهل مصر « بكبش العجم » حتى قال بعضهم:

---

(١) ورد التعريف بها فى مراصد الاطلاع ٣ / ١١٧١ بأنها بلد بفلسطين وبه مقام يونس عليه السلام .

« هوما تأدّب بالحروف الذى تقدّمه فى دولة الظاهر خشقدم » ، وفتح له صاحب هذه القضية مجلساً فى رحبة الأيدمرى بجوار مدرسة الأمير برد بك الذى كان دويدارَ الملك الأشرف إينال ، وعندما جلس به منع شهوده وعجزوا فيه أن يعيدم ، حتى إن عظيم الدولة فى عصره المقر الأشرف العالى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف أرسل له رسالةً بسببه على يد صاحبه وخصيصه الشيخ نجم الدين بن عون الشافعى فلم يقبل الرسائل وردّها رداً شنيعاً ولم يلتفت لأحد ، وصار ساكناً بالحارة المذكورة يَضرب ويُرْشَى ويكشف الرءوس ويَسجن ، ويبلغ مستنيبَه ذلك فلا يكلّمه ببنت شفة ، بل لما بلغه أن المقر الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى سأل فى الشهود وامتنع كتب لهم بعدم المنع ورفع التعزير ، ومع ذلك فلم يمتثل له أمراً .

واتفق فى غضون ذلك أن امرأةً — [كانت] زوجا لشخص صاجاتى بالبنْد قانيين[1] تحتمى عند شخص من الأمراء العشرات يسمى أزدمر من إخوة المقر الأشرف العالى قانصوه الأحدى الخسيف (١٦٢) أحد المقدمين الألوف ـ وقفت لهذا القاضى وطلبت زوجها من عنده فأرسل إليه رسولين ، فلما وصلا إليه توجه معهما إلى بيت أزدمر المذكور واحتمى به ، ومباشر أزدمر أخو نور الدين بن عرب فكتب بخطه ورقةً إلى القاضى يعلمه أن هذا المطلوب من جهة الأمير ، وأن زوجته لها ثلاثة أيام غائبة من بيتها ، وأنهما تقدم لهما دعاوى ببيت قاضى القضاة سراج الدين بن حريز المالكى ، وأن المصلحةَ إرسال هذه المرأة ، فلما وصلت إليه الورقة قام وقعد وزبد وأرغى وتوجه إلى مقدّم المماليك السلطانية الأمير سيف الدين مثقال وأعلمه بصورة الحال ، ووافق أن الأمير مقدم المماليك بينه وبين ابن عرب وقفة بسبب أوقافٍ تحت نظره ، وأولاد [ابن]

---

(١) ويعرف بسوق البند قانيين وكان يعرف قديما بسوق بير زويلة بالقاهرة ، وكان من من أكبر أسواقها راجع المقريزى : الخطط ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤ .

عرب كثيرون ، ثم توجه القاضي إلى بيت مستنيبه المحيي بن الشحنة وكان مطواعا له ، فإني رأيته مرةً أخذ خصما من بيته بحضوري وتوجه به إلى منزله ليقضي فيه ، فحكى له حكاية جميلة أنه طلب شخصا واحتمى عليه وأنه بلغ خبره إلى مقدّم المماليك ، « وأنه يريد إشارتكم للتقدم بنصرة الشرع » وأن يطلب المحيي ، فأمر برسولٍ يتوجّه صحبته له ، فلما وصل الرسول إليه أخذه وتوجه به إلى السلطان وأخبره الخبر ، وأن قاصدَ قاضي القضاة الحنفي أرسله بسبب ذلك .

وأوقف السلطانَ على الورقة التي بخط ابن عرب وحط عليه ، فغضب السلطان ورسم بطلب أزدمر وابن عرب والصاجاتي فنزلوا في طلبهم ، فهرب الصاجاتي ومسكوا أخا ابن عرب وأزدمر فصعدوا بهما للسلطان ، ووافق نزول المطر الغزير في ذلك الوقت ، فعُرضا على السلطان فأنكر عليهما وقال لابن عرب : « هذا خطك ؟ » ؛ قال : « لا وإنما هذا خط أخي ويحضر بين يدي السلطان » .

فرسم السلطان للمحتسب أن يكونوا عنده وينظر في أمرهم (٦٢ ب) ويحرر أمرهم ويطالع السلطان به .

فقام أزدمر – وهو من كبار الإينالية – وتعصّبَ معه الأمير الدوادار الثاني ويشبك المحتسب ، وبهدلوا المقدم وعرّفوا السلطان أن المرأة التي طلبت زوجها لها ثلاثة أيام مقيمة عند القاضي ، فبمجرد وصول ذلك للمسامع الشريفة غضب وهو معذور . ثم إن بعض أركان الدولة شرعوا يقولون : « حَدث قضاةٌ جدد وهذا منهم » ، وقام بعض الأتراك يشكون في بعض نواب الشافعي السوهاجي وغيره ، فرسم أن يكون في كل مذهبٍ عشرة ، وإذا قطعوا ماعداهم فيحصل لهم ضرر كبير بواسطةِ تَقدمِهم ، وعيّنوا من العشرة محيي الدين الطوخي والبدر

ابن القطان[١] من الشافعية ، ومن الحنفية شمس الدين الأمشاطى[٢] وبدر الدين ابن الغرس[٣] من الحنفية ، والمذكورون لهم مدة لم يحكموا عن أحد .

وقال رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله : « القضاة المتبرون الذين تقدم ذكرهم ما يرضوا[٤] أن يكون أحدهم رفيقاً لهؤلاء القضاة » ؛ وهذه القضية - أى منع القضاة - وقعت كثيرا ولم ينتج منها شيء ، كلما نقصوهم عادوا وزادوا ، فالله يقطع رزق من يتسبب فى قطع أرزاق المسلمين ، بمحمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وكانت حادثة هذا النائب فيها مشقة زائدة على رفقته بل وسائر نواب المذاهب ، ولولا أن الخواجا ابن الزِّمِن[٥] صاحب السلطان - نصره الله - أرسل حريمه إلى خوند وأعلَمْنَها[٦] أن المرأة التى اشتكت زوجها كانت مقيمةً فى بيتهن مدة غيبتها ، وأن القاضى برىء مما نسب إليه : ما كان حصل له خير .

واستمر القاضى وابن عرب فى الترسيم فى بيت المحتسب ثمانية أيام حتى أطلقا معزولين ، وسكت الأمر عن بقية النواب حتى استمر كل أحدٍ على حاله ومنهاجه ، فما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

* * *

---

(١) هو محمد بن محمد بن عيسى السمنودى الأصل ، انظر ترجمته المفصلة فى السخاوى : الضوء اللامع ٩ / ٦٠٠ .

(٢) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٦/٤ ١٠٠ .

(٣) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٩ / ٥٤٠ .

(٤) هكذا فى الأصل ، وقد أبقينا النص على صورته باعتباره منطوق ابن مزهر .

(٥) هكذ ضبطه معاصره السخاوى فى الضوء ١١ /٢٤٩ ، وكان أول اختصاص ابن الزمن بقايتباى وهو أمير ، فلما تسلطن عينه لمشارفة العمائر الملكية ، انظر نفس المرجع ٨ / ٧٠٣.

(٦) فى الأصل « وأعلموها . . . . فى بيتهم » .

﴿ شهر جمادى الآخر ﴾

أهل بيوم الأربعاء .

ففى يوم السبت ثامن عشره ركب السلطان (١٦٣) من قلعة الجبل وتوجّه إلى خليج الزعفران « ستمر به إلى آخر يوم الاثنين العشرين منه وهو فى لعب وبسط وأكل وصلاة وعبادة ومسايرة ورمى سهام وأمثال ذلك ، وعاد إلى القلعة فى صحةٍ وأمنٍ ، نصره الله .

وكانوا فى أول الشهر المذكور صعد قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر فهنئوه ودعوا له على العادة وانصرفوا .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه قدم الأمير إينال الأشقر الظاهرى [جقمق] المصروف عن نيابة حلب إلى الديار المصرية وصعد لخدمة مولانا السلطان نصرهُ الله ، فخلع عليه ونزل بدار الأمير تانق المتوفى فى وقعة شاه سوار المعروف ببيت الأمير قرقماس(١) الشعبانى .

يوم الأحد سادس عشريه ركب السلطان نصره الله من قلعة الجبل وسير على عادته وعاد فى أمن وسلامة ، ثم أصبح من الغد فركب أيضا فى نفر من خواصه وتوجه إلى الخانقاه السرياقوسية وعاد فى آخر يومه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه خُلع على القاضى فتح(٢) الدين أبى الفتح

---

(١) ويعرف أيضا بقرقماس أهرام ضاغ لتكبره ، انظره فى وفيات إنباء الغمر لابن حجر ، سنة ٨٤٢ ، والضوء ٦ / ٢٢٩ .

(٢) ذكر السخاوى : الضوء ج ٢ ص ٢٨ س ١ – ٢ اسمه وقال إنه يأتى فى الكنى ، فلما جاء فى باب الكنى (شرحه ، ج ١١ ص ٢٢٩ ، س ٢٣ – ٢٤) لم يضف إلى اسمه سوى قوله « قاضى المحمل » .

للموفق الذى كان فى خدمة مولانا السلطان نصره الله وهو أمير قبل مخدومه جانبك النصير الدوادار الكبير وهو الآن أحد أعيان كتاب المماليك السلطانية أعنى ثانى قلم ، واستقر فى نظر المرستان[١] المنصورى ونظر الأوقاف المبرورة عوضا عن القاضى شرف الدين عبد الباسط بن البقرى[٢] بحكم عزله عنهما . وأراد أبو الفتح المذكور أن يجعل له نائبا بالمرستان المذكور بل طلب القاضى تاج الدين الإخميمى[٣] المعروف قديما بنفقته بيت القاضى بدر الدين ابن نصر الله ، وحديثا بخدمة الأمير زين الدين الأستادار وقرره فى نيابته ، وتوجه إلى المرستان كما كان الذى قبله وهو ابن البقرى وجعل نائبه الشيخ جلال الدين ابن الأمانة[٤] ، فبلغ السلطان ذلك فأرسل إليه غلاما من الطشتخاناه[٥] بمنع القاضى تاج الدين المذكور من التكلم فى المرستان ، فحصل له بذلك نوع كسر .

• • •

(٦٣ ب) ﴿ شهر رجب ﴾

المفرد الحرام الأصب . أهل بيوم الخميس .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر فهنوه ودعوا وانصرفوا على العادة ، ولم يتكلم السلطان مع أحد منهم ببنت شفة ، وتوجهوا لحال سبيلهم .

---

(١) انظره بالتفصيل فى أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ص ٨٣ ومابعدها.
(٢) انظر السخاوى : الضوء اللامع ٤ / ٩٧ .
(٣) السخاوى : شرحه ٦ / ٨٩٣ .
(٤) السخاوى : شرحه ٤ / ٣٢١ .
(٥) ومعناها بيت الطشت ، إذ يكون فيها الطشت الذى تغسل فيه الأيدى والأقمشة ، وفيه أيضا ما يلبسه السلطان من الكلوتة والأقبية والخف والسرموزة ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ٩ ـ ١٠ .

هذا والغلاء موجود فى سائر المأكولات لاسيما سعر الغلال ، فإن القمح وصل إلى ألف درهم ومائتى درهم الإردب، والشعير والفول بنحو ذلك ، وقد طال هذا الغلاء بمصر والقاهرة وضواحيها نحو ثلاث سنين ، فلله الأمر .

وفى يوم الخميس ثامنه خُلع على الأمير لاجين الظاهرى أحد المقدمين الألوف واستقر فى إمرة مجلس عوضاً عن الأمير قرقماس الجلب المقتول فى وقعة شاه سوار بحكم شغورها بعد قتله أشهرا .

وفى يوم السبت عاشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه لبيت المقر الأشرف السيفى إينال الأشقر ليعوده فإنه تمرّض بعد مجيئه من حلب ، فقدّم للسلطان خيولا وغير ذلك فردّها ولم يقبل منه شيئا .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره قدم الأمير الأتابك جانبك الإينالى المشهور بقلقسيز إلى القاهرة وتمثّل بين يدى السلطان نصره الله ، فقبّل الأرض فأكرمه ورحّب به وقام له وخَلعَ عليه كاملية بمقلب سمور ، وقيّد له فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ورسم له بالركوب من عند باب البحرة ، فركب وتوجه إلى داره مكرما ، وهذا من الفرج بعد الشدة ، وإلا فما قال أحد بإطلاقه وحضوره إلى القاهرة بعد القبض عليه وسِجْنِه وأسْرِه ، فسبحان القادر على كل شىء ! واستمر فى داره وهو فى التهانى والأفراح والأسمطة وغيرها بعد ما عمل له بيته العزاء عليه أياما وقطعوا وجزموا بموته إلى يوم الخميس ثانى عشريه طلبه السلطان ـ نصره الله ـ وخلع عليه بإمرة سلاح عوضاً عن الأمير بردبك هجين الظاهرى المقتول فى واقعة (١٦٤) شاه سوار بحكم شغورها عنه سنةً وسبعة شهور تخميناً .

وخلع على الأمير إينال [اليحياوى][١] الأشقر الظاهرى [جقمق] أحد

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من الضوء ٢/١٠٨٤ .

المقدمين الألوف ، واستقر في وظيفة رأس نوبة النوب[1] عوضا عن الأمير سودون القصروي بحكم قتله في واقعة شاه سوار ونفي الوظيفة بعد قتله شهورا ، وأنعم عليه بإقطاع جانبك الدوادار الفقيه الذي كان شاد بندر جدة ، وكان هذا الإقطاع مضافا للذخيرة الشريفة ؛ وما فرح أحد بولاية إينال هذا للحكم بين المسلمين فإنه نُقل عنه في نيابته أحكام لا تحل ولا تجوز .

وفي يوم الثلاثاء سابع عشريه طلب السلطان ـ نصره الله ـ الأمراء المقدمين الألوف لحضرته وخدمته فصعدوا بين يديه واستشارهم في أمر شاه سوار وفي طلب من بقي من العساكر والأمراء بحلب وفي إعفاء قاصد شاه سوار ، واتفق أن الأتابك أزبك خرج من حلب بمن معه من الأمراء وغيرهم إلى القاهرة بغير طلب من السلطان لهم وقبل أن يصل إليهم المرسوم الشريف بأيام ، ثم كتب المرسوم الشريف لنواب البلاد الشامية أن التجريدة تخرج من مصر في أول شوال من هذه السنة لقتال شاه سوار المخذول ، فتعجب الناس هل الأمر راجع إلى الصلح أم إلى القتال ؟

وفيه خلع على جمق المسخرة المضحك المعروف والمشهور [illegible] ، واستقر في نيابة دمياط عوضا عمن كان بها من الأمراء .

* * *

(١) رأس النوبة [illegible] على مماليك السلطان ، أما [illegible] « رأس نوبة النوب » [illegible] « أمير رؤوس النوب » انظر القلقشندي : صبح الأعشى [illegible]
G - Demombynes : La Syrie. Introd. [illegible]

﴿ شعبان المكرم ﴾

أهلّ بالسبت .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة فهنوا ودعوا وانصرفوا .

وفى الاثنين رابع عشر يه قدم عظيم الدنيا وصاحب حلّها وعقدها ومشيرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير يشبك من مهدى - مهّد الله له السعادة وبلّغه الإرادة - من الصعيد بعد أن غاب به نحوا من سبعة أشهر ، وصعد بين يدى السلطان ، فخلع عليه خلعة عظيمة تليق بمقامه ، و قُيِّد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وتوجه لداره فى موكب جسيم عظيم جليل ، وفى خدمته الأمراء والمباشرون والأعيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

وبعد أيام قدّم[1] للسلطان نصره الله تقدمة بنحو مائتى ألف دينار : النقد خاصة مائة ألف دينار وثلاثة عشر ألف دينار ، وشعير نحو عشرين ألف إردب - والشعير ثمنه يوم ذلك أشرفيان الإردب - وغير ذلك ؛ ومن جملة ذلك بواقى تزيد على خمسة آلاف دينار بالبلاد البحرية ؛ وهذا شىء لم يسمع بمثله ، فحفظه الله .

﴿ شهر رمضان ﴾

أهلّ بالأحد .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة ، فهنوه ودعوا له وانصرفوا ولم يتكلم معهم .

---

(١) ضمير الغائب هنا عائد على الأمير يشبك من مهدى .

وفيه صعد المحتسب وشكى إلى السلطان من القمح وأنه وصل إلى ألف وثلاثمائة الإردب ، فرسم أن ينادَى عليه بألف درهم وفتح شونته وباع بهذا السعر ، فهرع الناس وابتاعوا ودعوا للسلطان ، فمشى الحال قليلا وصار الخبز بستة دراهم الرطلُ وكان وصل إلى تسعة الرطل ، والشعير وصل إلى تسعمائة درهم الإردب فأبيع فى هذا اليوم بدون الستمائة .

وفيه برز المرسوم الشريف ـ نصره الله وأدام دولته ـ بردّ ما أخذ من أولاد الناس وغيرهم الذين كانوا يقدمون به عن البديل الذى يتوجه عنهم لتجريدة شاه سوار ، فتعجب الناس من ذلك لأنه مالٌ كبير ، كيف سمح السلطان به نصره الله .

وفى يوم الخميس خامسه قدم المقر الأشرف العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى بمن معه من الأمراء من حلب من تجريدة شاه سوار والأمراء الذين حضروا صحبته من مقدمى الألوف وهم : تمر من محمود شاه الظاهرى حاجب الحجاب وقراجا الأشرفى الإينالى وأزدمر الإبراهيمى الظاهرى وبعض أمراء عشرات وبعض مماليك ، وجهز صحبته أيضا شاه بضع بن دلغادر المعزول عن نيابة الأبلستين بشاه سوار . وصعد الجميع لحضرة خدمة مولانا السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ـ عز نصره ـ وقبلوا الأرض ، فخلع السلطان على أمير من المقدمين الألوف فوقانيا بوجهين (١٦٥) بطراز زركش عظيم عريض ، كل ذلك والسلطان جالس على الدكة ، ونزلوا إلى دورهم وذلك بعد أن عرضوا على السلطان الأسرى وفيهم إخوة شاه سوار ، وأمر السلطان بسجنهم ببرج القلعة بالقاهرة .

وفى يوم السبت سابعه وصل إلى القاهرة قاصدُ ابن قرمان وصعد بين يَدَىْ السلطان فقبّل الأرض وأظهر كتاباً معناه الشكاية مما لقيه من متملكّ

بلاد الروم ابن عثمان ، فطيّب السلطان ـ نصره الله ـ خاطره وأكرمه وأحسن نزله .

وفى يوم الأحد ثامنه جلس السلطان ـ نصره الله ـ على الدكة بالحوش السلطانى، واجتمع فى خدمته أولادُ الناس الذين كانوا وزنوا عن جوامكهم لكل بديل فأعاده[1] إليهم ولم يُعِد لأصحاب الإقطاعيات شيئا .

وفى يوم الخميس ثانى عشره خلع على الزينى عبد الرحمن بن الكويز[2] واستقرّ فى وظيفة نظر الخاص عوضا عن القاضى تاج الدين عبدالله بن المقسى[3] بحكم عزله وهروبه . وهذه ولايته الثانية بعد حضوره من بلاد الروم مع أن الناس فرحوا بولايته وبعزل ابن المقسى لسوء مباشرته فى هذه الوظيفة .

وفيه استقر الجمالى يوسف المتكلم على الأغوار أسعادارُ السلطان بدمشق فى نيابة القدس عوضا عن دمرداش العثمانى بحكم انتقال دمرداش هذا إلى نيابة سيس .

وفى يوم الاثنين ثالث عشريه حضر إلى القاهرة قاصد شاه سوار فصعد بين يدى السلطان وعلى يده كتاب مرسله وهديته وهى جمال بخاتى وبعض مماليك وجوار ، وكان وصل من مدة فلم يأذن له السلطان بإحضار الهدية .

وقرئت كتبه فكانت متناقضة منها أنه يطلب الصلح ، ومنها أنه يشترط

(١) فى الأصل « فعاده » .

(٢) تصغير « كوز » ، انظر الضوء اللامع ٤ / ٢٢٤ .

(٣) وردت فى الأصل بالصاد ، ثم عاد فكتبها بالسين فى السطر التالى ، على أن السخاوى: شرحه ، ج ١١ ص ٢٢٧ ذكر أنه يقال له « المقسمى » نسبة لناحية « المقسم » بالقرب من باب البحر ، وهو المكان الذى قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء العرب على مصر .

على السلطان شروطا ، منها أنه ينعم عليه بإمرة التركمان وتقدمة ألف بحلب وهو يسلم عينتاب للسلطان. وطال الكلام بينهما في ذلك وانفض المجلس على (٦٥ ب) غير شيء.

ولما عاد القاصد بغير خلعة علم كل أحد أن الشر باق على ما هو عليه.

وفى خامس عشر برمهات القبطى نقلت الشمس إلى برج الحمل فى الساعة الرابعة من الليل.

﴿ شوال ﴾

أُهلّ بيوم الثلاثاء ويوافقه من أيام الشهور القبطية ثامن[١] برمودة.

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة، وكنتُ صحبةَ نواب الحنفية ودعونا له وانصرفنا ولم يقع كلام.

وفى يوم الخميس سابع عشره خُلع على بدر الدين ابن الـكُوَيْز[٢] قريب سيدى عبد الرحمن[٣] الذى استقرّ فى وظيفة نظر الخاص، واستقر فى مِعلّميّة المعلمين[٤] عوضا عن المعلم بدر الدين[٥] حسن بن الطولونى بحكم عزله عنها.

وفى يوم السبت تاسع عشره خرج المحمل إلى بركة الحاج بعد ما خُلع على أميره يشبك الجمالى الذى هو محتسب القاهرة وله كشف القاهرة بنفسه،

---

(١) هنا يطابق ما جاء فى مختار: التوفيقات الإلهامية، ص ٤٣٧، وهو يوافق الثالث من أبريل ١٤٧٠ م.

(٢) هو محمد بن سليمان بن داود الشوبكى الأصل، راجع الضوء اللامع ٧ / ٦٥٢.

(٣) المقصود بذلك عمه الزين عبد الرحمن بن الكويز الوارد فى ص، س ٨.

(٤) سماها السخاوى: الضوء ٢ / ٢٥٩ « معلمية الصناع ».

(٥) راجع الضوء ٣ / ٢٩٦.

وخُلع على أمير الركب الأول ـ وهو آقبردى ـ ، ورحل فى يوم الاثنين حادى عشره أمير الحاج الأول من البركة ، ومن الغد رَحل أمير المحمل بالمحمل من بركة الحاج بعد طلوع الشمس .

﴿ شهر ذى القعدة ﴾

أهلّ بيوم الاربعاء . فيه ركب السلطان بعد صعود قضاة القضاة له وتهنئتهم بالشهر .

وكان السلطان فى هذا اليوم قد لعب الصولجان التى يسمونها[1] الكرة ، ولَعِبَ معه الأمراء المقدمون الألوف .

وأما ركوب السلطان ـ نصره الله ـ فقد تزايد جدا ولا يكاد ينحصر لكثرته ، وهذا دالٌّ على شجاعته وفطنته وصحته .

﴿ شهر ذى الحجة المبارك ﴾

أهل بيوم الجمعة .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة ، وكنتُ فى خدمة قاضى الحنفية .

وفى يوم السبت ثانيه انتهى لعب السلطان من الكرة .

وفيه أرسل مولانا السلطان ـ نصره الله ـ كتابا من الطبلخاناه إلى الشيخ تقى الدين الحصنى[2] بطلبه لِيَبْن يديه ، فلما حضر لخدمته قام إليه وأكرمه

---

(١) فى الأصل « يسموها » .

(٢) نسبة لقرية من قرى حوران ، أما الحصنى فهو أبو بكر بن محمد بن شادى ولد بمدينة حصن كيفا ، راجع عنها مراصد الاطلاع ١ / ٤٠٧ ، انظر الضوء ١١ / ٢١٢ ، والشذرات ٧ / ٣٣١ .

وقرره فى تدريس الإمام الشافعى رضى الله عنه عوضا عن الشيخ (١٦٦ ا) كمال الدين إمام الكاملية وابن إمامها بحكم وفاته فى هذه السنة مع الحاج بثغرة[١] حامد ، وركب معه القضاة والأعيان والشيخ الإمام برهان الدين الكركى إمام المقام الشريف .

وفى يوم الاربعاء عشريه[٢] الموافق له من أيام شهور القبط سادس عشرى بؤنة أخبر أمين النيل ابن أبى الرداد[٣] القيّاس بيشارة النيل وأن القاعدة ستة أذرع وعشرون إصبعا ، وكانت زائدة فى هذه السنة عن الماضية ذراعا واحدة ، وزاد من الغد ـ الذى هو الخميس ـ خمسة أصابع .

وفيه ركب السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ نصره الله ـ من القلعة وتوجه إلى خليج الزعفران وللطرية وغير ذلك ، واستمر إلى آخر النهار وعاد إلى القلعة فى غاية الصحة والسلامة ، نصره الله .

---

(١) الوارد فى مراصد الاطلاع ١/٣٧٢ « حامد : موضع فى جبل حراء المطل على مكة » ، ولم يورد ثغرة حامد ، وإنما أشار إلى تل حامد ، شرحه ١ / ٢٧٠ ، لكنه بالمصيصة وليس بمكة .

(٢) فى الأصل « تاسع عشريه » والصواب ما أثبتناه بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ، ومطابقة أول الشهر العربى بالسابع من بؤونة .

(٣) هو أحمد بن على المصرى ، راجع الضوء ٢ / ١٢٩ .

ذكر من بلغتنا وفاته

فى هذه السنة المباركة من الأعيان والأمراء وغيرهم

١ — بتخاص بن عبدالله الأمير سيف الدين العثمانى الظاهرى ، أحد أمراء العشرات والحاجب الثانى ، كان بالقاهرة وأصله من مماليك الظاهر برقوق ، ودام فى الجندية نحو الخمسين عاما إلى أن تأمَّر عشرة فى دولة الظاهر جقمق ، ثم صار حاجباً ثانياً واستمر فى الوظيفة مدة سنين فكبر وعجز عن الحركة والخدمة ، فأَخْرَجَ السلطانُ الظاهر خشقدم إقطاعَهُ ووظيفته وأنعم عليه بإقطاع حلقةٍ يكفيه بأ كله طرخانا بلا نصب ولا تعب ، واستمر على ذلك ملازما لإقامة فى داره إلى أن مات فى شهر ربيع الأول وقد ناهز المائة سنة من العمر ، وكان لا بأس به . عفا الله عنه .

٢ — تمرباى بن عبد الله الأمير سيف الدين ألماس الأشرفى نائب قلعة حلب ، وأصله من مماليك الأمير ألماس[1] الأشرفى أحد الأمراء بحلب، وسعى هو بعد موت أستاذه فى نيابة قلعة حلب فى هذه الدولة بالبذل فوليها ، ولولا أنه ولى نيابة قلعة حلب ما ذكرْته مع الأمراء والأعيان ، لأن أستاذه دون القليلين فما بالك به ، وإن كان لا يصلح للسيف ولا للضيف . عفا الله عنه .

٣ — (٦٦ ب) تمرباى [التمرازى] بن عبد الله الأمير سيف الدين الحزاوى، أحد الأمراء العشرات والمهمندار ، توفىّ بمدينة حلب فى ثالث عشرى جمادى الآخرة وهو فى الكهولية ، وكان وَجَّهَهُ السلطان إلى حلب بتقليد نائبها فمات بها ، وكان إنساناً حسناً لا بأس به وعنده حذقٌ ونهضةٌ ومعرفةٌ تامة ، وهو

(١) راجع الضوء ٢ / ١٠٣٦ .

من عتقاء الأمير تمراز[1] القرمشى الظاهرى أمير سلاح ، وكان عندما حصل له الأرب أدركه الأجل كما قدّمنا . عفا الله عنه .

٤ — جانبك بن عبد الله الزينى المؤيدى [شيخ] الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخاناة ورءوس النوب وصهر الأمير الأجل تمرباى التمربغاوى رأس نوبة النوب فى الدولة الظاهرية جقمق ، كان تمرباى المذكور زوجا لأخته فإنّ السلطان كان عيّنه لتجريدة شاه سوار فتوجّه إليها وعاد مريضاً فلزم الفراش والوسادة إلى أن مات بعد أشهر فى يوم الأربعاء مستهل رجب من هذه السنة وقد ناهز السبعين من العمر ؛ وأصله من عتقاء الملك المؤيد شيخ ، وصار خاصكيا فى دولة الملك المظفر أحمد وَلَد معتقه واستمر عليها دهراً طويلا إلى أن تسلطن الظاهر خشقدم فأمّره عشرة ، ثم نقله بعد ذلك إلى إمرة طبلخاناه ودام عليها إلى أن سافر إلى شاه سوار وعاد مريضا ومات بعد ذلك كما قدمنا ، وكان أميراً عاقلا ساكناً هيناً ليناً متواضعاً عديم الشر كثير البِشْر حسن المعاشرة . عفا الله عنه .

٥ — خوند فاطمة بنت السلطان الملك الظاهر ططر وأخت الملك الصالح محمد بن ططر المذكور وزوج السلطان الملك الأشرف برسباى ، وكانت من الخوندات المعظمات فى دولة الملك الأشرف المذكور ، فلما مات الأشرف برسباى المذكور ـ رحمه الله ـ نزلت من القلعة وسكنت بباب سر المرستان بسكن مرحبا أخت المرحوم المقر الزينى عبد الباسط الذى صار[2] بعد ذلك ملْكا للمقر المرحوم السيفى دولات باى المؤيدى الدوادار الكبير فى دولة الملك الظاهر جقمق وأوقفه وهو الآن وقفٌ على (١٦٧) ورثته ، وكان معها

---

(١) كانت وفاته فى صفر سنة ٨٥٣ هـ ، انظر الضوء ٣ / ١٥٣ .

(٢) القصد بذلك باب سر المارستان .

ثروة كبيرة من جواهر وقماش فبذّرت وتصرفت تصرفاً سيئا ، ودخل فيها شخص من تجار القميصات يسمى « ابن قضاة » فصار يعاملها ويستفيد عليها ويبتاع منها ماقيمته مثلا الدرهم بنصفه ، وصار هذا شأنها ودأبها حتى تجمّدت عليها الديون الجزيلة ، وصالح عنها الظاهرُ جقمق أصحابَ الديون على يد عظيم الدولة يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيش والخاص مراراً وهى لاترجع، مع أن لها متحصلا من جوامك ورزق وغيرذلك ، ومع ذلك فباعت حتى ثياب بدنها، كل ذلك بواسطة تصرّفها السيء ، وكانت تزوجت بالمقر المرحوم الشرفى الأنصارى[١] وحُسد عليها ، فصارت تطبخ له أحسن الأطعمة وأفخرها وتكسوه من أجمل الثياب والقماش وتساعده فى الأمور للمهمة العظيمة حتى أنفقت عليه عينها ودينها[٢] وهو لايميل إليها ، بل تزوّج عليها بخوند جهة الملك الظاهر جقمق بنت الأمير جرباش عاشق[٣] أمير مجلس ، فكادت تهلك وشَكَتْه للسلطان فمَن دونه فما رضى بها وقهرها ، وكان هذا شأنه وشأنها ؛ وافتقرت واحتاجت إلى السؤال وصارت فى حكم الذين يَنْصبون على أموال الناس ، وضعفتْ فماتت فى يوم الخميس ثانى عشرى شهر صفر ودفنت على والدها عند ضريح الإمام الليث ابن سعد ، نفعنى الله به والمسلمين ، وقد جاوَزَتْ الستين عاماً أو قارَبتها ، وتركت عليها من الديون ماشاء الله فضاع على أصحابه ، والله يعفو عنها بمنّه وكرمه .

٦ — قان بك[٤] بن عبد الله المحمودى المؤيدى أحد أمراء المقدمين الألوف ، وأصله من مماليك المؤيد شيخ ومن خاصكيته الصغار ، ودام على

---

(١) يعنى ملك القاضى شرف الدين الثانى الأنصارى ، راجع ما سبق ص ١٣٤ سطر وما بعده .

(٢) ضبطت فى الأصل بفتح الدال .

(٣) فى الأصل « قاشق » .

(٤) الضوء ٦ / ٦٧٥ .

الخاصكية إلى أن أنعم عليه السلطان الملك الأشرف برسباى بإمرة طبلخاناه بدمشق، فاستمر بها إلى أن تسلطن الظاهر جقمق استقدمه إلى مصر وأنعم عليه بإمرة عشرة (٦٧ ب)، ثم نقله إلى تقدمة ألف بدمشق فى الدولة الأشرفية إينال واستمر بها إلى أن تسلطن خجداشه الظاهر خشقدم فقدم الديار المصرية فصار بها أمير مائة ومقدَّمَ ألف، ودام على ذلك إلى أن كانت وقعة الظاهر يلباى إلى أن خُلع فيها من السلطنة قبض على جانبك[1] هذا وهو إذ ذاك أمير سلاح وحُمل إلى الإسكندرية وسُجن بها أكثر من سنة ثم أطلق من السجن، ورُسم له أن يسكن الاسكندرية فسكن بها بطالا إلى أن مات بها فى شهر ربيع الأول من هذه السنة وقد جاوز السبعين.

وكان عنده طيش وخفة، سريع الغضب حتى إنه غضب من السلطان الظاهر خشقدم الذى هو خجداشه مرة فاستمر أشهرا لا يصعد إليه بسبب مخاصمة مماليكه مع مماليك السلطان، ووثب الأجلاب عليه ففر منهم وسكن بتربة بالقرب من القرافة حتى توجه إليه الأتابك قائم خجداشه فطلع به إلى السلطان.

وكان جماعاً للمال بخيلا، مقترا على نفسه ومماليكه، وأراد[2] مماليكه الوثوب عليه غير مرة ليقتلوه فما قدَّر الله، ونُهبت أمواله لما قبض عليه حتى وجدوا عنده أشياء كثيرة من مال وفلوس وأعسال وغير ذلك من متاع الدنيا وزينتها، وندم على ما قدم. عفا الله عنه.

٧ — عبد الرحيم[3] بن الأمير شهاب الدين أحمد بن القاضى ناصر الدين محمد بن كمال الدين محمد المشهور بابن البارزى الجهنى الشافعى، الحموى الأصل،

---

(١) فى الأصل «جان بك» ويلاحظ أن جانبك المحمودى المؤيدى شيخ مات سنة ٨٧٠ هـ وهو أخو صاحب الترجمة أعلاه، كما يستفاد من الضوء ٣ / ٢٤١، كما أن هناك «جانبك المحمودى المؤيدى شيخ» ويعرف «بجانبك شيخ» ولكنه لم يصل إلى هذه الوظيفة الكبيرة، ومات فى محرم ٨٧٣ هـ، راجع الضوء ٣ / ٢٤٤.

(٢) فى الأصل «وأرادوا».

(٣) انظر الضوء ٤ / ٤٤٣.

المصرى المولد والدار والوفاة . ولد فى حياة جدّه القاضى ناصر الدين[١] المذكور ، وتولى أمرَ صاحب الترجمة وتربيته عمُّه القاضى كال[٢] الدين المذكور سيما لما تزوج بوالدته ، ونشأ صاحب الترجمة فى كنف عمه فى سعادةٍ ونعمة وحشمة زائدة ، وأقرأه [عمه] القرآن الكريم وجعله شافعىَّ المذهب فرأس وضَخُم وعظم وعُدَّ من الأكابر والأعيان وصار هو المتكلم عن عمه فى كتابة السر الشريف بالقاهرة وغيرها فى جميع الأمور ، وولى استيفاء الصحبة ، وكان كريما جوادا ، ورئيسا (١٦٨ ا) شكلا لطيفا ظريفا قصيرا طويلا[٣] يركب الخيول الحسان ، ويلبس الثياب الفاخرة الزاهرة الضَّوِيَّة ويُنْعم بها على من يقصده ومن لم يقصده ، وكانت عمامته لا يزال فيها الذهب صفوفا بين اللفات ليعطى من يشاء من يختار منهم ، وكان يأكل طيبا ويحب من يحضر عنده ويأكل معه ويصرف أكثر متحصله ، فتجمدت عليه الديون بسبب ذلك ، وصاروا يطالبونه[٤] فيمطلهم لكثرة ما عليه من المصروف ، وصار هو بعد موت عمه القاضى كالِ الدين رجلَ بيت البارزى والقائمَ بأمورهم ، وعَمَّرَ داراً هائلة على شاطىء النيل مجاورة لدار جده ولدار رئيس الدين ابن مزهر الأنصارى الشافعى كاتب السر الشريف حفظه الله ، وحصل بينه وبين رئيس الدنيا ما حصل من الغوغاء لما برز على داره ، وقد ذكرتها مفصلة فى محلها . ومن محاسنه أن هذه الدار التى أنشأها[٥] عديمة النظير من البناء المتقن والرخام الهائل الملون والذهب واللازورد والأبواب المطعّمة وغير ذلك ، وعند انتهائها سألتُه فى التفرّج فيها أنا وعيالى فرسم لى بذلك وأرسل إلىّ ما يُحتاج إليه من المبرة من غنم

---

(١) انظر عنه الضوء ٩ / ٣٥٠ .
(٢) انظر الضوء ٩ / ٥٨٣ .
(٣) هكذا فى الأصل .
(٤) فى الأصل « يطالبوه » .
(٥) فى الأصل « أنشأها فهى عديمة النظير » وقد حذفت كلمة « فهى » ليستقيم المعنى .

وأوز ودجاج ونفقة ، فرحمه الله تعالى .

توفى رحمه الله فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقد جاوز الخمسين من العمر ، وكان قدم من دمشق ضعيفا فمات بالقاهرة كما ذكرنا وخلّف ولدين وبنتا ، فأنجب الولدين وأكبرهما القاضى زين الدين أبو البقاء وهو الآن عالم فاضل رئيس مشتغل مفنن موصوف بكل فضيلة، وكذلك أخوه .

والبنت تزوجها مخدومنا القاضى نجم الدين يحيي بن حجى ثم طلقها وتزوجت بعده بأحد أخى القاضى ناظر الجيش بن كاتب جكم فى سنة ثلاث وثمانين وثمانى مائة ، وصَنع لها عقداً هائلا بالمدرسة المستجدة الأزبكية بحضرة المقر الأشرف العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ ، وفى الواقع كان[1] صاحب هذه الترجمة من الرؤساء المعتبرين الأعيان . رحمه الله تعالى .

٨ — (٦٨ب) يحيى[2] بن عبد الرّزاق الأمير زين الدين الأستادار ، ويُعرف بالقديم بزين الدين الأشقر وبقريب ابن أبى الفرج، مولده بمصر وبها نشأ، وباشر الخدم الديوانية صحبة الكتبة الأقباط ، وباشر فى عدة جهات ـ منها نظر الاصطبل السلطانى ونظر ديوان المفرد غير مرة ـ ولا ينتج له أمر بل يُعزل بعد قليل منها، وهو يتحمل الديون ماشاء الله ، ولم يزل على ذلك إلى أن تحرّك سعده وتولى نظرَ ديوان المفرد رفيقاً للأمير قزطوغان[3] لما ولى الأستادارية ، ثم لما أنفصل قزطوغان الأستادار رافق الزينى عبد الرحمن بن الكويز ، ثم استقل

---

(١) فى الأصل « فكان » .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ٩٨٣ .

(٣) أورده الضوء اللامع ٤ / ٣٨ باسم « طوغان قيز » العلائى ، ثم أورده مرة أخرى شرحه ١٠ / ٩٨٣ س ٢٦ باسم « قيز طوغان » .

بالأستادارية فى دولة الملك الظاهر جقمق بعد استعفاء ابن الكويز منها فى سنة ست وأربعين وثمانى مائة عوضا عن ابن الكويز المذكور ، ومن يومه نالته السعادة وأثرى و حصل من الحرمة الوافرة والكلمة النافذة والجاه العريض مالا نهاية له ، وجمع من الأموال والأملاك والخدم مالم يتفق لأحد من أستاداريته فى عصره ، بحيث أنه حاز(١) من المماليك مائتى مملوك وخمسين مملوكا، وباسم كل منهم جامكية ببيت السلطان ولحم وعليق وكسوة وأضحية ، وغالبهم خاصكية وباسمهم الإقطاعات ، وفيهم من صار أميرَ مائة مقدمَ ألف ، لأن فيهم من تولى [وظيفة] ملك الأمراء بالوجه القبلى ، وفيهم من عمل كاشف البحيرة .

وعمّر الجوامعَ العظيمة منها الجامع المجاور لبيته بالقرب من قنطرة الموسكى ، ومنها الجامع الذى بالحبّانية ، ومنها الجامع الذى ببولاق ، وعدة أخر بالقرى والنواحى والضواحى والبلاد ، وعمّر الحمامات الهائلة والدور المفتخرة العظيمة ، وعمل معروفا زائدا فى الفضل من مغسل وأكفان ومواراة الميت برسمه من الحالين والحَفارين وغير ذلك ، وصنع أيضا صنيعاً جيلا فى الغلاء للفقراء من تفرقة خبزٍ ودقيقٍ وقمحٍ لكل أحد بقدر مايلائمه ، وكان يحسن (١٦٩) لذوى البيوت ويتفقدهم ، ووصوله التى يكتبها بخطه إذا كانت بمائة ألف أو بدرهم واحد لاتعوق الذرة الواحدة ، ودانت له الدنيا وأقبلت عليه ، وتاه وصال ، وصار السلطان معه مسلوب الاختيار ، ومَن عارضه يصير السلطان خصمَه وتروح روحه ، وصار كل مارامه بلغه ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات السلطان الملك الظاهر جقمق وولى السلطنةَ بعده ولدُه الملكُ المنصورُ عثمان طلب منه شيئاً ينفقه على العسكر فصمم على الامتناع فقبض عليه وصادره وأخذ منه ذهباً نقداً

---

(١) فى الأصل « حوى » ولعلها تصحيف « حوى» ، وقد أثبتناها بالمتن ليستقيم المعنى .

نحواً من مائة ألف دينار خارجا عن غلال وأعسال وغير ذلك ، ومن ثم أخذ أمره فى الانحطاط وصودر غير مرة . وولى الأستادارية مرات ولم ينجح فيها بعد الملك الظاهر ، ولا وَجد له مخلصا غير الهرب والتسحب والاختفاء . ويتولى عوضه أستادار فيعجز ثم بطلبونه[1] فيولونه ثم يعزل ويضرب ويحصل عليه من الإهانة والبهدلة والنكاية من أعدائه مالا مزيد عليه . أذكر من لفظه أنه صودر تسع عشرة مرة ، واحتاج حتى باع حوائج بيته وقماش خيوله بعد بيع أملاكه . ولم يتأخر له غير بقية أوقاته فإنه حَلّ غالبها وغالب ما يملك ولزم داره على أقبح صورة ، واستمر على ذلك إلى أن صادره الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — عز نصره — أول مرة وثانية وهو معذور فيه فإنه يدعى فقرا .

وعمر بداره — وهو بطال — حماما عظيما وكذلك ببولاق ، وفى الثانية حبسه بالبرج من قلعة الجبل وطلب المال فلم يوزن شيئاً فأجرى عليه العقوبة إلى أن أشرف على التلف ، وحُمل إلى البرج المذكور فدام عليلا يتداوى إلى أن مات فى يوم الخميس ثامن عشرى شهر ربيع الأول وقد جاوز الثمانين من العمر.

وكان — عفا الله عنه — له سماط عظيم إلى الغاية والنهاية يجمع فيه بين الأوز والدجاج واللحم الضانى والبورى والبطارخ والنشطة والكركى وأمثال ذلك ، وكان أكولا يحب من يأكل (٦٩ ب) عنده ؛ وتمتع بملاهى الدنيا المغرورة وقضى نحبه ولحق بربه ، وكان قد أخرب دور أمر المدركين والفلاحين والمباشرين ، وأتلف خلقا من المفسدين وأرباب الجرائم وغيرهم ، وقال الجمال يوسف بن تغرى بردى المؤرخ فى تاريخه عنه : « كان زين الدين هذا غالب أحواله بالضد طرف نقيض الشيء وعكسه ، وهو أنه عاش أول أمره فى بحبوحة

---

(١) فى الأصل « بطلبونه فيولوه » .

فقير خاملا فى ولايته ، لا ينتج له أمر فى شىء من الأشياء ، ولم يتحمل الديون بسبب ذلك إلى أن ولى الأستادارية ونال فيها من السعادة وقوة الحرمة ونفوذ الكلمة والجاه العظيم والمال الجزيل مالم ينله غيره ، ثم تغيّر ذلك بعد موت الملك الظاهر جقمق ،وقاسى من الأهوال أمورا عظيمة من المصادرات والضرب والنكال والحبس إلى أن مات بالبرج تحت العقوبة ، فكان أوله بضد آخره ، وأما أفعاله فى مباشرته فكانت أيضاً بالضد ، وهو أنه كان كثير الظلم والجور والعسف وأخذ الأموال الخبيثة ، ثم يعمر من ذلك الجوامع والمساجد والأوقاف على البر ويرسل السحابة[١] إلى الحجاز فى كل سنة لأجل الفقراء والمساكين، فهذا أيضاً بالضد ، وأما مبتدأ أمره فكان أوله فقيرا مملقا لا يملك الثوب إلا بالجهد ، ورأس بآخره وتمول حتى صار يُضرب به المثل ، فهذا أمره من الأول إلى الآخر » . انتهى كلام الجمال يوسف المذكور — تغمده الله برحمته — فى ترجمته بفصه ونصه . عفا الله عنه .

٩ — يوسف[٢] بن تغرى بردى من يشبغا الظاهرى برقوق الأتابكى ، والده والكفيلى بدمشق أيضاً . مولده بدار الأمير منجك[٣] اليوسفى الملاصقة لجامع السلطان حسن خارج القاهرة فى العُشر الأخير من شوال سنة ثلاث عشرة وثمانى مائة تخمينا[٤] ، فى الشهر لا فى السنة . ونشأ تحت كنف والده إلى أن

---

(١) السحابة — كما جاء فى أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢ / ١٠٨ حاشية رقم ٢ هى الطائفة ممن يرافقون الحاج للمحافظة عليه .

(٢) أمامها فى الهامش بخط غير خط الناسخ عبارة « سيدى يوسف » .

(٣) راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ / ٩٨٥ .

(٤) الوارد فى شذرات الذهب ٧ / ٣١٧ أنه ولد سنة ٨١٢ هـ ، ويؤكد الصيرفى أن ولادته كانت فى السنة التالية ، على حين أن السخاوى قال فى الضوء اللامع ١٠ / ١١٧٨ « ولد فى شوال تحقيقا سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريبا » .

انتقل والده من الأتابكية إلى نيابة دمشق فصحبه معه وأقام بدمشق إلى أن توفى والده فى سنة خمس عشرة وثمانى مائة ، فأخذه صهره زوج أخته قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى وعاد به من الشام إلى القاهرة وتولى تربيته فأقرأه القرآن الكريم ، ثم توفى ابن العديم زوج أخته وتزوجت بعده (١٧٠) بقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى الشافعى فصار تحت كنفه وختم عنده القرآن وجوّد عليه غالبه وأخذ عنه أشياء ، وحضر سماع البخارى غير مرة عليه ، واستمر على ذلك إلى أن توفى الجلال المذكور فى سنة أربع وعشرين وثمانى مائة فصار[1] تحت كنف جماعة من أكابر مماليك والده ، وذكر أنهم علموه أنواع الفروسية فتعلم منها طرفاً جيداً على ما قال ، ثم حفظ بعد ذلك من العلم الشريف كتاب «مختصر القدورى» فى الفقه ، و «ألفية ابن مالك» فى النحو و «إيساغوجى فى المنطق» بذكره ، وذكر أيضاً أنه قرأ قطعة جيدة من «المختار» على الشيخ محمد ، وهذا الشيخ محمد لا أعرفه ، وذكر أيضاً أنه قرأ «القدورى» على العلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى كاملا ، وحضر دروس العلامة علاء الدين الرومى الحنفى فى «تقسيم الهداية» كاملا بذكره . وذكر أنه قرأ «شرح ألفية ابن مالك» لابن عقيل على العلامة تقى الدين الشمنى الحنفى ، وقرأ «علم المعانى والبيان» على شيخنا شيخ الإسلام محيى الدين الكافيجى ، وقرأ عليه «شرح العقائد» لسعد الدين ، وذكر أنه قرأ أيضا «مقامات الحريرى» على العلامة قوام الدين حسن القمى الحنفى ، وذكر أنه قرأ عليه قطعةً جيدة من «علم الهيئة والرياضيات» وغير ذلك ، وقرأ علم العروض أيضا بذكره على الشيخ شمس الدين النواجى ، وذكر أيضا أنه أخذ علم النغمات والموسيقى وأدوار صنى

---

(١) يعنى بذلك صاحب الترجمة المؤرخ ابن تغرى بردى .

الدين عبد المؤمن عن الشيخ الإمام فتح الدين المجمى وعن غيره . قال عفا الله عنه : « وأخذتُ علم الفروسية عن خلائق يطول الشرح فى ذكرهم » ، وذُكر أنه سمع الحديث كثيرا ، وأعلى ماسمعه «سنن أبى داود» و«الترمذى» و « الشمائل » ، و « ومسند ابن عباس » على المشايخ بقراءة الحافظ تقى الدين عبد الرحمن القلقشندى الشافعى فى مجالس مضبوطة ، وذكر أنه سمع « كتاب فضل الخيل » للحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى بقراءة الحافظ العلامة الحجة المحقق المدقق شيخ السنة وناصرها قاضى القضاة قطب الدين محمد الخيضرى الدمشقى (٧٠ ب) الشافعى فى مجالس مضبوطة — عامله الله بخفى لطفه — على شيخنا العلامة الأستاذ آخر من أدركناه حاوى فضيلة التاريخ وعلمه بل والحديث أيضاً تقى الدين المقريزى الشافعى ، وعنه أخذ علم التاريخ وبه تخرج ، ومن فوائده استفاد ، وعلى منواله صنّف وكتب .وهكذا ذكر . انتهى ما ذكره بفصه ونصه .

وأما نظمه فنى الطبقة السفلى ، وادعى هو أيضاً أنه من الطبقة الوسطى ، و [أما] مصنفاته « فمورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة » مختصر إلى آخر دولة الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق فى مجلد لطيف ، ثم صنف « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » فى ستة مجلدات ضخمة مرتبة على حروف المعجم من الدولة التركية إلى آخر دولة الملك الظاهر جقمق ، ثم اختصر المنهل الصافى فى كتاب لطيف الحجم وسماه « الدليل الشافى على المنهل الصافى » وسلك فيه على ترتيب أصله ، وله « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » فى سبعة مجلدات ضخمة ، وافتتح فيه بفتح مصر ثم من وليها فى الإسلام إلى يومنا هذا ، ثم اختصره فى مجلد لطيف أيضاً وسماه « الأنوار الظاهرة من الكواكب الطاهرة » . وذكر أن له كتاباً سماه « نزهة الألباب فى اختلاف

الأسماء والألقاب » ، وله « حلية الصفات فى اختلاف الأسماء والصناعات » ، مرتب أيضاً على الأبواب والحروف فى مجلد يشتمل على نحو ثلاثة آلاف مقطوع من الشعر غير القصائد المطولات ، ثم كتاب « البشارة » ذيّله على كتاب الحافظ شمس الدين الذهبى ، وله « الإشارة » مختصر فى مجلد لطيف من سنة سبعمائة إلى سنة سبعين وثمانى مائة ، وله « حوادث الدهور فى الأيام والشهور » ذيّله على كتاب السلوك من تاريخ المقريزى ، ابتدأ فيه من أول سنة خمس وأربعين إلى ثالث عشرى شهر رمضان المعظم قدره سنة أربع وسبعين وثمانى مائة ، وهو مرتب على السنين والشهور والأيام ، وذكر أن له كتابا فى « الرياضى والموسيقى » وكتابا[1] فى « بيان معانى اللغة التركية » على نوع علم البديعية . هكذا ذكر وسماه (١٧١) « الانتصار للسان التتار » ، وله الكتاب الذى سماه « البحر الزاخر من الأول إلى الآخر » الذى ذكر أنه ألّفه عندما بلغه أنى ألفت كتابى الكبير فى التاريخ الذى سميته « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الأزمان » من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى[2] تاريخه .

وذكر أنه كان يطلع إلى القلعة فى أيام الملك الأشرف برسباى ويسوق المحمل ويسوق البرجاس ، وصار فى أيام الملك الظاهر جقمق يطلع القلعة فى كل جمعة مرة لاشتغاله بالعلوم ، وفى أيام الأشرف إينال لم يطلع القلعة إلا فى السنة مرة واحدة أو مرتين وذلك عن حاجة ضرورية . وصحب فى الدولة الظاهرية خشقدم الأميرَ جانبك القصير شاد بندر جده ، بل فى دولة الأشرف إينال لحصل له منه غاية المـلاء والقدرة والجاه والمـال حتى أمره بالصعود

---

(١) فى الأصل « وكتاب » .
(٢) فى الأصل « وإلى » .

فى غالب الأيام إلى القلعة فى سلطنة الظاهر خشقدم بسفارة الأمير المذكور لما صار دواداراً كبيرا ، وكان زين الدين الأستادار قد قطع جامكية صاحب الترجمة وعليقه ولحمه وعضده ..... [1] حتى صار فقيرا مملقاً فأعانه الله بصحبة الأمير جانبك فَرَدّ له جميع ما ذكر ، وأنعم عليه بالجمل من الأموال والخلع وغير ذلك ، ثم لما مات أخو صاحب الترجمة المسمى « قاسم » كان بينه وبينه إقطاعُ شركةٍ فأخذ الأمير جانبك المذكور له الإقطاع فحَسُن حاله . وهذا ما أخبر به مع زبلدات لا طائل تحتها حذفْتُها قصد الاختصار ، والله تعالى هو الواحد القهار .

•

ولا بأس بالتعريف بما نعرفه من حاله مفصلا فى غير مين ولا إطناب ولا إسهاب ، فحاصل الأمر فيه أنه عامى داس ، ومصداق ما قلته يشهد به خطه فى كتبه التى سردناها ، فإنه يكتب كتابةً ما تصدر عن صغار الكتاب المتعلمين من تصحيفٍ وزيادة فى الأحرف ونقص ولحن مفرطٍ حتى إن الضاد الساقط يكتبها منشالة وضد ذلك . ووصل فى الأمور المضحكة حتى أنه إذا كتب « حتى » يكتب آخرها « هاء » ، وأمثال ذلك فى كتبه المسطورة بخطه (٧١ ب) لا يسع أحد إصلاحها لكثرة ما فيها من اللحن المفرط البشع المغير لمعانى الألفاظ ، وأما إذا نقل حكاية فتجد غالبها تصحيفاً ولحناً وما أشبه ذلك، وأما الذى يستحسن مما نسبه إليه فهو تسميته الكتب المذكورة ، وقد ثبت عندى بالطريق الصحيح الذى لا يزول من اعتقادى أن سيدنا وشيخنا الشيخ قاسم [2] بن قطلوبغا الحنفى — عفا الله عنه — هو الذى سماهم له ، ولقد سألت

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

(٢) ويلقب بالعرف السودونى نسبة لمعتق أبيه سودون الشيخونى نائب السلطنة ، ولد فى محرم ٨٠٢ هـ وحفظ القرآن وأقبل على الاشتغال واهتم بالحديث والفقه ، وكان من أبرع رجال الحنفية ، راجع ترجمته بالتفصيل فى الضوء اللامع ٦ /١٣٥ .

الشيخ المذكور عن ذلك فتغافل عن الجواب ، فألزمْتُه والححتُ عليه فأخبرنى بذلك من لفظه ، ولعمرى فهذه العلوم التى سردناها والشيوخ الذين حضر عليهم ما استفاد منهم مسألة وسلمنا أنه ما استفاد ، فلعمرى هذا الصنيع الصادر منه فى تاريخه وغيره من اللحن والتصحيف والزيادة فى الحروف المكتوبة والنقص ما استيقظ أنه كلما فرغ من تصنيفٍ يتوجه به إلى مَن يعرف العربية فيصلحه له ويصير له به مزية ، لكن إذا أراد الله أمراً بلغه ، وقد ذكر غيرى ممن هو مشتغل بهذا الفن نحو ما ذكرت ونقل عنه أشياء مفصلة من التصحيف والتبديل والتغيير ، بحيث أن كتبه إذا نظر فيها من له أدنى معرفة يرميها من يده لما يمجّه الطبع المستقيم مما يراه واقعاً فيها من اللغط والخباط المتقدم ذكره .

وأما تعصبه فى تاريخه فهو خارج عن الحدّ لأن منصور[1] بن صفى الذى كان كاتباً فى بيت الأمير قانم من صَفَر خَجا صاهرَ الأميرَ زينَ الدين الأستادار فقرّبه وأكرمه وزوجه ابنته وجعله ناظر الديوان المفرد فرافعه وأخذ وظيفته وفعل به مالا يجوز ، وهذا دأبُ المباشرين ، غير أنه كان يطنب فى وصف منصور ويرقيه إلى الأوج ويبالغ فى الحط على زين الدين حتى يبلغ به إلى الحضيض كون زين الدين قطع معاليه وكونُ منصور أعادها[2] له ، وعندى أن هذا ليس تحته طائل فإن الحقّ أحقّ أن يتبع والصدق جدير بأن يستمع ، وكان عفا الله عنه مفرِضا فى مثل هذه الأمور فإنه بالغ فى التعصب أيضا (١٧٢) مع الأمير جانبك الظاهرى

---

(١) هو منصور بن الصفى القبطى ، كان أبوه من الكتبة فنشأ الابن على طريقته ، راجع ترجمته بالتفصيل فى السخاوى : شرحه ١٠/٧١٦ ؛ أما قانم الذى يشير إليه الجوهرى فى المتن فيعرف بالتاجر ، وهو الذى أرسله الأشرف برسباى إلى بلاد الجركس لإحضار أقاربه ، وقد أنشأ مدرسة على ظهر الكبش قرب جامع ابن طولون ، راجع الضوء اللامع ٦ / ٦٩٥ .

(٢) فى الأصل « أعادهم » .

الجداوى سيما لما استقر فى الداودارية الكبرى ، وحطّ على أقوام يستحق أن يمدحهم بلسانه وجنانه ، وهكذا دأبه مع طائفة الأتراك والقبطة .

وأما الفقهاء فغيّر أسماءهم وألقابهم وجعل الشيخَ طالباً والطالبَ شيخاً ، ومع ذلك فكان له حظٌّ وافر ، وانتهت إليه الأمورُ من جهة العطايا الجزيلة حتى إنه خُلِعَ عليه بكامليّة مخمل أخضر بسمور بمقلب سمور لما ضعف مرة وصمد للسلطان ولكن بسفارة الأمير جانبك المذكور ، وترجم المقرّ الصاحبيّ الجمالىّ يوسفَ بنَ كاتب جكم[1] بترجمة ادعى أنه كذا وكذا وَ بلّغ بها إليه ، فأرسل له جملةً وافرةً من الذهب ، وكذا ترجم غيرَه ، وهكذا كان دأبه وسمته وصفته.

ولقد حاضرتُه مرات فإنه كان يحضر مخدومنا وصاحبنا وجارنا المقرّ الزينى فرج أمير حاجب بن المقر الأشرف العالى السيفى بردبك أحد المقدمين الألوف أعزّه الله ورحم سلفه الكريم ، فكنت أمشى معه فى الحوادث فلم يمشى ، وأتكلم معه فى شىء من الفقه فأجده عاريا منه ، وكذا فى النحو والعروض من حين عرف أنى اشتغلت بفن التاريخ لم أعارنى كتابا من كتبه ولا أوقفنى على شىء من مصنفاته ، فأوقفته أنا على عدة مصنفات لى منها[2] : « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الأزمان » المقدم ذكره ، وأوقفته أيضا على تأليفى للسيرة الشريفة النبوية الملقبة « بالجوهرية » على من هى منسوبة له أفضل الصلاة والسلام ، فكاد أن يتجنن وصار يحلف لى أنه ماوقع بصره على تأليفٍ فى هذا الفن مثل هذا التصنيف فى الانسجام والاختصار مع المعانى الجمة الوافرة ، وسألنى أن يستوعبها مطالعة فأذنت له وأعادها بعد ذلك، وقد كتب عليها تقريظاً مع جملة من كتب من السادة المشايخ والأعيان كالشيخ محيى الدين الكافيجى الحنفى والشيخ أمين الدين

---

(١) cf. Wiet : les Biographies du Manhal Safi, No. 2710.

(٢) فى الأصل « منهم » .

الأقصرائى الحنفى والشيخ عضد الدين السيرامى[1] وقاضى القضاة عز الدين أحمد الحنبلى والشيخ قاسم الحنفى وغيرهم من العلماء والفضلاء ، وأردت كشط ما كتبه لى (٧٢ ب) فما كان ذلك ، والله الولى والمالك .

توفى رحمه الله تعالى فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة سنة تاريخه بعد العصر ودُفن من الغد بتربته التى أنشأها بالصحراء المقابلة لتربة الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم ، وأوقف عليها أوقافاً ، وجعل فتاه الذى كان فى خدمته المعروف بزين الدين مالكها وجعل مافيها من الوظائف باسمه وغالبَ الوقف له ، فجحف ذلك بأخوته البنات وورثته . عفا الله عنه .

* * *

وانقضت هذه السنه على ماسمعْتُ ورأيْتُ وشاهَدْتُ ، والحمد لله على ذلك ، إنه الولى والمالك .

* * *

---

(١) راجع السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٢٧ .

سنة خمس وسبعين وثمانى مائة

الميمونة المباركة

أهلت بيوم السبت المبارك لأن الشهر جاء ناقصاً و نقل[١] أربابُ التقويم أنه لا يُرى إلا عسرا لأنه على ثمانى درجات وشيء ، ولم يثبت له نور ، ويوافقه من الشهور القبطية سابع[٢] أبيب . والخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف دام شرفه وهو بالقلعة مقيم من سلطنة الظاهر خشقدم من سنة خمس وستين وثمانى مائة وإلى تاريخه فى سكن المنصور عثمان بن الظاهر جقمق حال كون والده سلطانا وليس له فى الخلافة إلاّ الإسم .

والسلطان الملك الأشرف قايتباى المحمودى سلطان مصر والشام والحجاز ، أدام الله نصرَه وخلّد ملكَه .

وقضاة القضاة الأربعة على عادتهم ، وأتابك العساكر المنصورة المقر الأشرف الكريم العالى السيفى أزبك من ططخ الظاهرى جقمق - وزوج ابنته أعز الله أنصاره .

وأمير سلاح جانبك قلقسيز الأشرفى برسباى .

وأمير مجلس لاجين الظاهرى جقمق المشهور بلالا[٣] سيدى عثمان .

وأمير آخور كبير جانبك [من ططخ][٤] الظاهرى جقمق المشهور بالفقيه ، والداودار الكبير - ومضاف إليه الأستادارية والوزارة والوجه القبلى والبحرى - يشبك من مهدى الظاهرى جقمق الذى كان له اليد الطولى فى الوقعة العظيمة

---

(١) فى الأصل « نقلوا » .

(٢) فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ أن أول السنة يوافق السادس من أبيب ١١٨٦ (٣٠ يونيه ١٤٧٠ م)

(٣) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٨٠٣ .

(٤) الإضافة من الضوء ٣ / ٢١١ .

التي كانت بينه وبين العرب بالوجه القبلي وبيّض فيها وجهه . وخلّص ثاره ، وصاحب الوقعة أيضاً عندما قبض[1] الأجلاب على الظاهر تمربغا (١٧٣) وركب مع الأتابك قايتباى وأخذ له القلعة وقبض على الظاهر تمربغا وجهّزه إلى البحيرة وعزله من السلطنة كما ذُكر ذلك فى محله ، وهو الآن عظيم الدنيا على الإطلاق ، من غير إسهاب ولا إملاق ، وصاحب الحل والعقد حفظه الله على المسلمين .

ورأس نوبة النوب إينال الأشقر[2] الظاهرى جقمق الذى كان والىَ القاهرة فى آخر دولته ، وهو ظالم غاشم .

وحاجب الحجاب تمر من محمود شاه الظاهرى جقمق الذى كان والى القاهرة فى آخر دولة الظاهر خشقدم فى أوائل سنة ثلاث وسبعين وثمانى مائة .

وأما الأمراء المقدمون الألوف الذين بغير وظائف فهم سودون[3] تستز الظاهرى وأزدمر الطويل الظاهرى وقراجا الطويل الإينالى ، وبرقوق الظاهرى جقمق ، وتمراز العزيزى[4] يوسف بن الملك الأشرف برسباى ، وقانصوه الأحدى الإينالى الشهير بالخسيف ؛ فهذه جملةُ عددِ الأمراء المقدّمين ثلاثة عشر أميراً خارجاً عن تقدمة الوزارة والأستادارية .

وأما المباشرون فرئيسُ الدنيا المقرّ الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف ، والمقر الكمالى[5] محمد ناظر الجيش بن الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ، وناظر الخاص عبد الرحمن ابن الكويز وهو مذموم المباشرة ، والوزير والأستادار هو الداودار الكبير الذى تقدّم أنه صاحب الحل والعقد ، والمحتسب يشبك الجمالى يوسف ناظر الخواص المبغض لأهل الله ورسوله

---

(١) فى الأصل « قبضوا » .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ١ / ٩٠٤ .

(٣) وكان قريب قايتباى ، انظر الضوء ٢ / ٨٠٤ .

(٤) هو ابن أخت الأشرف قايتباى ، وينسب للعزيز بن الأشرف لأنه أعتقه وقد جلب من بلاده سنة ٨٣٦ ، وكان قريب المراهقة ، الضوء ٢ / ١٥٢ .

(٥) الضوء اللامع ١٠ / ٣٠٦ .

الدين[١] يسمع فيهم بل يقبل فيهم قول الفسّاق والجهلة ، فعليه من الله مايستحقه ؛ والداودار الثانى تنبك الإينالى المشهور بقرا ، وهو إنسانٌ حسنٌ يحكم بالعدل والإنصاف ، جزاه الله خيرا .

ونائب الشام الأمير بردبك الفارسى المشهور بالبجمقدار الظاهرى جقمق .

وقاضى الشام الشافعى القاضى قطب الدين الخيضرى وهو مقيمٌ بالقاهرة فى بيت الأمير أزبك بسبب أمرٍ اقتضى حضورَه وتعليقه ، وهو تعليق ثلاثين ألف دينار للسلطان نقلوا عنه أنه أخذها من متحصّل الأموات بدمشق وهو يحلف (٧٣ ب) بضد ذلك ، فالله أعلم ، وتكلّف العشرةَ آلاف دينار للحاشية ، وقيل إن الذى تكلم فيه المقر الزينى أبو بكر بن المقر المرحوم الزينى عبدالباسط ، وما شكر على ذلك وهو ممسك ، ليس فيه من المعروف لا من ماله ولا من جاهه شىء لأحد من الملهوفين والفقراء المساكين إلاّ أن يكون صاحب كلمة فى الدولة أو ظالمًا أو ملسنًا ، فالله يغنينا عنه . آمين .

و [القاضى] الحنفى بدمشق علاء الدين العجلونى . وأما المالكى من حين موت ابن عبدالوارث بدمشق نحو سبعة شهور ولم يتول الوظيفة أحد . والقاضى الحنبلى برهان[٢] الدين ابن مفلح وهو من العلماء والرؤساء .

ونائب حلب قانصوه اليحياوى نقلاً من نيابة طرابلس ، ونائب طرابلس يشبك البجاسى ، ونائب حماة ملاط الذى كان فى صفد ، ونائب صفد جكم خال الملك العزيز ، ونائب غزة أرغون شاه الأشرف ، ونائب القدس والخليل كذا[٣] .

وسلطان مكةَ المشرفة محمد بن عجلان .

---

(١) فى الأصل « الذى » .
(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١ .
(٣) هكذا فى الأصل .

ولو أردنا ذكر بقية النواب والقلاع لطال الشرح فى الكلام ، والله يهدينا إلى دار السلام .

﴿ شهر الله المحرم ﴾

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة ، ولم يتكلموا فى شىء من أمر ابن الفارض لا بنفى ولا إثبات[1] .

وطلع البرهان البقاعى فى هذا اليوم قبل كل أحد وجلس بالجامع وصحبته كتب كثيرة وليس هو راجعاً عما قاله فى كلام الشيخ ابن الفارض وتكفيره ، وبلغنى من عدة جماعات أنه أوصى ، وعنده أن هذا الأمر ليس التكلم فيه إلا قربة محض ، فإن قتل قتل شهيدا ، فالله أعلم .

وفيه ركب العسكر بتمامه وكاله على مرات : فرقة الأمراء وفرقة المباشرين وفرقة قضاة القضاة وتوجهوا لبيت المقر الأشرف الكريم العالى السيفى عظيم الدنيا يشبك من مهدى أمير دوادار كبير وما مع ذلك فلم يجتمعوا به فإنه محجوب ، حتى [كان] من جملة من توجه إليه المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ عز نصره وإينال الأشقر رأس نوبة النوب فلم يجتمعوا به وهو محجوب ، ولم يصعد فى هذا (١٧٤) اليوم إلى الخدمة . وسبب ذلك أن السلطان — نصره الله — شكى له من ابن غريب قبل هذا ورفعت له قائمة بما استأداه الأمير الدوادار من الوجه القبلى من الجبايات وغيرها، فجاء مجموع ذلك مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار، خارجا عن الخيول والبقر والرقيق، فرمى الأمير الدوادار ـ حفظه الله ـ الوظائف ، أعنى الوزارة والأستادارية فتدخلوا عليه أن لا يغضب فحلف لايتكلم فى شىء إلا إن أعلمه السلطان بمن قدّم له القائمة ، إن كان مباشرا فيحضر ويثبت مقالته إن كان كذبا أو صدقا ،

---

(١) انظر بن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ٤٤ ـ ٤٧ .

ويعمل معه مايستحقه ، واستمر الأمر على ذلك . على أن الناس أشاعوا أن السلطان يقرر ابن غريب أستاداراً وقاسم شغيته وزيراً ويحاسبهما على مايتوفر من الديوان المفرد والدولة فيحملونه له فى كل شهر .

واستهلت هذه السنة والأسعار بحالها وزيادة ، فإن القمح الطيب بتسعمائة وما دونه بثمانمائة الإردب ، والدقيق كل بطة زنتها خمسون رطلا بمائتى درهم وعشرين درهما ، والشعير بثلاثمائة وثمانين درهما الإردب، والفول بقريب ذلك ، والقفة الدريس بدرهم وهو رخيص بالنسبة للعام الماضى ، والتبن موجود كثير كل حمل بخمسة أنصاف وأكثر بحسب حشوه ومافيه ، واللحم الضانى بعظامه[1] بتسعة دراهم الرطل وبلا عظم باثنى عشر درهما ، والبقرى بستة دراهم الرطل ، والدجاج لايوجد إلا نادرا عند الأكابر ، [أما] السمين منه فعديم الوجود ، وكل طائر منه بأربعة أنصاف ، والفروج الواحد بلغ إلى خمسين درهما وليس فيه أوقيتان من اللحم ، والأوز موجود لكن بثمن زائد على ثمنه مرة أخرى ، فإن ثمن الزوج المليح ستة أنصاف فوصل فى هذه السنة إلى ضعف ذلك .

وأما الخبز عند الباعة فصغير جدا ، الماوى نصف رطل ويعجز أيضا عنه بدرهم ، والرومى أقل منه بنصف أوقية مع سواد فيه ، وصار الخبزُ غالبه من الشعير عوض القمح ، وصار غالب الناس يأكلونه وما (٧٤ب) رأينا غلاء وقع واستمر نظير هذا ، فالأمر إلى الله يفعل مايشاء ويختار .

والجبن الحالوم باثنى عشر درهما الرطل والأزرار والمشوى بثمانية دراهم الرطل ، والمقلى بأحد عشر درهما الرطل ، وأما العسل النحل من عند الزيات بأربعة وعشرين درهما الرطل ، والعسل الأسود باثنى عشر درهما الرطل ، والسيرج بثمانية عشر درهما الرطل ، والزيت الطيب كذلك ، والحار بتسعة ، والأرز

---

(١) راجع ابن إياس . شرحه ، ٣ / ٤٤ .

من عند الباعة بنصفين القدح ، غير أن الفاكهة والبطيخ رخيصان ، والعبد لى كذلك .

وأما الناس فصاروا ثلاثة أثلاث : الغنى افتقر ، والمتكسب ما يفى بنفقته ، والفقير فبعد أن كان يسأل فى الرغيف صار يطلب لقمة أو لبابة .

وأما غير ذلك فمن جهة : الظلمُ والجورُ والأحكام الباطلة وانتهاك حرمة الشرع وبهدلة القضاة والفقهاء وعدم نصرة المظلوم ، وفشا هذا الأمر وانتشر فأهلك الله من يؤذى المسلمين ، وصار من قدَّمنا ذكرهم من القضاة والشهود والرؤساء وأصحاب الوظائف على قلبهم الوجيف بواسطة حكَّامهم كالأمير إينال الأشقر وأمثاله كالمحتسب فإنه فعل مع الذين يقرؤون القرآن احتساباً عند الإمام الليث يبتغون بذلك وجه الله فمنعهم من القراءة بشروط ، وكفعله مع قضاة الإسلام فى إبطال أحكامهم وبنسبهم لما ليس فيهم ، مع توليته نيابة الحسبة لمن شاع وذاع عنه من القبائح مالا يوصف ، وغير ذلك أن غالب الأمراء فى بلادهم ، وليس بالقاهرة سوى أمير كبير وأمير سلاح وأمير آخور ، وإينال الأشقر رأس نوبة النوب — أزاله الله عن الحكم بين المسلمين بجاه سيد المرسلين - حضر قريبا من بلده ، وأزدمر الطويل الإبراهيمى ، والخدمة [لها] مدة بطالة ثم عُمِلَت فى ليلة الاثنين ثالث شهر تاريخه من هذه السنة ، وفى الواقع فسلطان مصر الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — نصره الله — سلطان عظيم شجاع فارس معدود من الفرسان ، ديّن عفيف الفرج لا يلوط ولا يزنى ولا يسكر ، وله وِرد فى الليل (١٧٥) من صلاة وقيام ، وعنده تؤدة عظيمة سيما فى العزل والولايات ، ولو بلّغه المقربون لحضرته ما يحصل على المظلومين من أمرائه ومحتسبه على الوجه الصحيح لأنصفَ المظلومين من الظالمين ، غير أن أرباب الوظائف من المباشرين صاروا باخلين بمالهم على الفقراء حتى وبجاههم ؛ وأما عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها المقر الأشرف الكريم

العالى السيفى أمير دوادار كبير ومامع ذلك — عظم الله شأنه - فما عنده من يعلمه بهذه الأمور .

وأما السلطان — نصره الله — فقريبٌ لكن من يُعْلمه ؟ و لله أسأل أن يهلك الظالمين والساعين عندهم فى أذى المسلمين ، وأن يرى كيدهم فى نحرهم آمين آمين ، يارب العالمين .

يوم الثالث منه ضُرِب أبو الحجاج[١] نائب القاضى الشافعى ببيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، وسبب ضربه أن شخصا يسمى أبا الحسن [كان] مباشراً بالدولة فى بلدة تسمى دلجا[٢] تأخر عليه مبلغ كثير ، فرسم عليه من بيت الأمير المذكور فهرب ، فتكلم قاسم الوزير عند الأمير المذكور أن أبا الحجاج صهرُه وأنه اختفى عنده ، فهجموا دار القاضى فلم يجدوا فيه أحداً فحملوه وحملوا عليه الأمير فحصل ماحصل ، والأمر لله .

وفيه ختم على حمام قاضى القضاة الحنفى المحب بن الشحنة المجاور لمنزله من باب عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله على المسلمين ، وسبب ذلك أن الحنفى اقترض من شخص من نوابه يسمى محمد بن الدهانة[٣] أربعمائة دينار ورهن عنده الحمام المذكور ، ثم اطَّلَع صاحب الدَّيْن أن الحمام رهنها سابقا عند غيره من التجار وهو من طلبة الشيخ أمين الدين الأقصرائى فشكى حاله لتغرى بردى خازندار الدوادار وله به معرفة بواسطة الشيخ أمين الدين المذكور ، فوصّله لأستاذه ، فأرسل ضَرَبَ رنكه وختم عليها ، وذكر ابنُ الدّهانة أن الحمام المذكورة باعها

---

(١) لعله يوسف بن فلك الدين الذى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ١٠٣ رقم ٣٠٠ .

(٢) ذكرها مراصد الاطلاع ٢ / ٥٣١ باسم دلجة ، وقال : بالفتح ثم السكون ، قرية بصعيد مصر .

(٣) واسمه عبد القادر بن محمد المحيوى القاهرى الحنفى ، انظر الضوء اللامع ٤/٢٩٣

بيع أمانة على مابلغنى ومابقى الدوادار يرضى إلا بأخذ المكان فإنه أعظم القائمين عليه ، وسيما الساعين عليه عنده مثل القاضى تاج الدين بن قاضى القضاة سعد الدين الديرى فى قضاء الحنفية بمبلغ ثلاثة آلاف دينار ، والملك لله الواحد القهار .

(٧٥ ب) ووقع لى من وجه صحيح أخبرنى به الشيخ العلامة الربانى شيخ الإسلام زكريا الشافعى أبقاه[١] الله تعالى أن الجناب العالى العلائى على بن خاص بك — صهر المقام الشريف نصره الله — أنه ركب إلى جهة القرافة ورأى شخصاً أمامه عليه سمت وهيئة جميلة ، فصار يحبس لجام الفرس وهو خلفه إذ وافى الرجلَ رجلٌ عظيم الهيئة جدا فتحادثا ، وانصرف الرجل المذكور أعنى الثانى فسأل سيدى على مِن الأول : « من هو هذا الرجل ؟ » فقال له : « أنت ما تعرفه ؟ » ثلاث مرات وهو يقول : « لا » فقال : « هذا عمر بن الفارض ، فى كل يوم يصعد من هذا المكان وهو يسعى فى أن الله يكفيه فيمن تكلم فيه » ، وذهب الرجل فلم يعرف من أىّ مكان توجه . والله أعلم .

يوم الخميس سادسه رسم السلطان بقطع يد ابراهيم الصيرفى المشهور بابن فُريمين[٢] بحضور السلطان ، وسبب ذلك أنه سأل السلطان عنه فى الجامكية هل هى مغلقة كاملة ؟ فقال : نعم ، ثم تلعثم بعد ذلك ، وكان السلطان قد ضربه مراراً ضرباً مبرحا وأكد عليه أن لا يطلع بالجامكية من الأستادار إلا كاملة ، وآخر الأمر عدم[٣] يمينه وحزن المسلمون عليه حزناً كبيراً ، وصار منقطعاً بالجامع

---

(١) المعروف أن الشيخ زكريا الأنصارى مات سنة ٩٢٦ هـ كما جاء فى ابن إياس ٣/٢٤١ .

(٢) لم ينقط الجوهرى من الكلمة فى الأصل سوى « الفاء » ولكن ضبطت الكلمة من الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٦٥ س ٢ — ٣ فقال « بضم — مصغر » ، انظر نفس المرجع ج ١ ص ١٧٩ س ١ — ٣ .

(٣) أى قطعها .

الأزهر فى حلق الذكر والعبادة والقراءة ، فحسن حاله وعمل له عدّية(١) ورتّب له جامكية ولحماً وعليقاً وكسوةً وأضحيـةً على ديوان السلطان ، والله الأمر يفعل ما يشاء .

وفى هذا اليوم عُقد مجلس - حضر فيه قضاة القضاة إلا الحنبلى فلم يحضر - ببيت رئيس الدنيا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين بسبب تَرِكَة قاضى القضاة حسام الدين بن حريز وأولاده وأولاد أخيه وأخيه سراج الدين ، وانتهى أمرهم على غير شىء .

يوم الجمعه سابعه بعد الصلاة وصل المبشر من الحجاز المسمى قانصوه الجمالى وهو عريان وليس معه أحد سوى هجّان واحد ، وذكر أنهم عرُّوه فى أكبرة(٢) ورجعوا به إلى خيبر وأرادوا قَتْله ، فنهضت امرأةٌ وأظهرت أبزازها وحَمَته منهم وحضر بهذه الحالة ، وذكر أن الوقفة كانت الجمعة ، موافقـة (١٧٦) لمصرنا ، فلله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك .

وفيه بعد صلاة الجمعة توفى بدر الدين محمد الشاب الحسن ولد الشيخ العلامة سراج الدين العبادى بعلة عسر البول والخصية ، وانقطع ثلاثة أيام ودفن من الغد بالصوفية ، وكانت له جنازةٌ حافلة حضرها قضاة القضاة الثلاثة إلا الحنبلى وغالب الأعيان وأجلّهم كالمقر الزينى بن مزهر كاتب الإنشـاء الشريف حفظه الله على المسلمين ، والمقر الشرفى الأنصارى وغالبُ فقهاء البلد ، وتوجّهوا صحبة والده إلى التربة . وكان شابا جميلا بلا لحية ، وفيه أهلية للاشتغال بالعلم ، وقرأ عدة كتب فى مذهبه ، وخطب بجامع الزاهد وجامع الغمرى ، وكثر الأسف عليه وفُجع فيه أبوه ؛ عوضه الله الجنة .

---

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

(٢) كلمة غير واضحة فى الأصل ، ولعلها ما اثبتناه بالمتن ، انظر مراصد الاطلاع ١٠٧/٢ .

وفيه شفع المقر الأشرف الكريم الأتابكى أزبك — عز نصره — فى ابراهيم بن فريمين الصيرفى الذى قطعت يده فأطلق من بيت الوالى وتوجه إلى منزله ، وسعى فى وظيفته جماعة فما قبلهم السلطان .

وفى أول هذا الشهر ضرب الأمير إينال الأشقر رأسُ نوبة النوب غلاماً من غلمان أحد الأتراك بسبب أنه سرق طائر أوز وعليقة شعير ، فضربه ضرباً مبرحا ومثَّل به فجعل فى أنفه سهما منقوبا وأشهره بالمدينة ، فلا قوّة إلا بالله .

يوم الاثنين عاشره نودى فى البلد على لسان المقام الشريف بين يدى الوالى وأتباعه للعسكر المنصور المعروض المكتوب قبل تاريخه [أن] يحضروا غداً تاريخه ليتوجهوا إلى جهة « سوار » بسبب ما بلغهم عنه ، وعُيِّن إينال الأشقر رأسُ نوبة النوب رأسَ الباشق ، وعُيِّن معه من الأمراء العشرات والطبلخانات قوم كثيرون ونحو ألف من المماليك السلطانية .

ووصل الخبر أن عرب لبيد نزلوا على البحيرة ونهبوا ما حولها .

وأرسل الأمير يشبك الإسحاقى المقيم بها يخبر أن المماليك المتوجهين صحبته رجع غالبهم من عنده ويطلب نجدة ، فقيل إن عظيم الدنيا الأمير يشبك من مهدى — مهّد الله له السعادة — يتوجّه له فى (٧٦ ب) عدد وعدد من المماليك السلطانية ، فالله أعلم .

يوم الثلاثاء حادى عشره عرض السلطانُ العسكَر فأنفق فيهم مائة دينارٍ لكل مملوك ، وصار يقول : « من له غرض فى السفر يتقدم بلا أمرى » ، فبرز ثلاثةُ نفرٍ من الخاصكية فكتبوا أنفسهم ، فرسم لهم إذا شغرت إمرة فى غيبتهم تكون لهم .

وجهز فى أمسه للأمير إينال الأشقر إثنى عشر ألف دينار ، والملك لله الواحد القهار .

يوم الخميس ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط مملوكٍ من المماليك السلطانية الظاهرية خشقدم يسمى يونس قُوسّط بالرميلة بعد أن اجتمع عليه من الظاهرية خشقدم عدد ولكن لا ينطقون ببنت شفة ، وما التفت إليهم الوالى ، وبادر المشاعلى فرماه قطعتين ، وسُجِن رفيقُه المسمى « شرمنت » بالبرج ؛ وسبب ذلك أن المذكورَيْن سكرا ، والذى رسم السلطان - نصر الله - بتوسيطه رَمى شخصا من المماليك الظاهرية خشقدم بفردة نشاب فجاءت فى بزه فمات من وقته ، وأما المسجون فإنه لم يضرب شيئا ، وإنما كان حاضراً لذلك ، والله الدائم المالك .

وفيه نودى فى البلد على لسان المقام الشريف — نصره الله — صحبةَ والى القاهرة : أن أحدا من المماليك السلطانية لا يحمل سلاحا ولا يَضرب أحدا من العوام ومن فعل ذلك وُسِّط بلا معاودة ؛ وتكرر أيضا النّداء المماليك السلطانية بالعرْض فى غد تاريخه ، ولما عُرضوا وأُنفِق فيهم صار السلطان نصره الله وأدام ملكه يقول لهم : « من له غرض فليتقدم » فتقدم جمعٌ كثيرٌ من الخاصكية والأمراء العشرات باختيارهم ، فوعدهم بالإمرة والانتقال من الجندية إلى الخاصكية ومن الخاصكية للإمرة ، والسلطان مهتّم بأمر خروج العسكر ، فإنّ سببه ما بلغ المسامع الشريفة أن شاه سوار — خذله الله — وقع بينه وبين ابن رمضان التركمانى مواقعة واقتتلا وانهزم ابن رمضان فتبعه شاه سوار إلى قلعة أياس ، والله أعلم بصحبة ذلك ، فإنه الولى والمالك .

وفيه أشيع (١٧٧) موت برهان الدين إبراهيم بن ...[1] الحلبى النحوى الفرضى الشافعى - الذى حصل له الفتوح من الظاهر جقمق - فجأة فى ليلة هذا اليوم الذى هو الخميس ، وكان فاضلا فى العربية والفرائض والفقه بالفقيرى ، وكان

(١) فى الأصل « كذا » ولم أستطع التعرف عليه فى تراجم هذا العصر .

له ولد صغير سنه نحو سبع سنين ، فأقرأه القرآن وعلّمه إعراب بعض آيات من كتاب الله ، وصار يسأله عنها بحضور السلطان ومن عداه فيجيبه حفظا سرداً لما تكرر فى ذهنه وقريحته فيحسن له السلطان بالذهب والكتب مثل البخارى ، واشترى له ملكا بنحو خمسمائة دينار ، ويتردد لمن عدا السلطان من المباشرين والأمراء وأعيان الدولة ، ويعلّم أولادهم الكتابة والقراءة والعربية والفرائض والنحو والإعراب .

ومن جملة مَن علمه السرى سيدى عبد البر بن[1] الشحنة وأولاد أخيه القاضى أثير الدين واشتهر بذلك وصار له سمعة بين الناس فطلبوه لتأديب أولادهم ، ومن جملة من طلبه لذلك المقر المحبى ابن الأشقر والمقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى حفظه الله ، والمقر الكمالى ناظر الجيوش المنصورة والشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة كما قدمنا هو وأقاربه لنفسهم ، وصار يسعى عند الأكابر فقرروا له على الجوالى ورتبوا له على الأوقاف الشافعية والحنفية ، وكان باسمه تصوّف بمدرسة جمال الدين ، وآخر بمدرسة بيبرس الجاشنكير ، وأخذ التكلم على زاوية الشيخ نصر الله بخان الخليلى وغير ذلك ، لكنه كان يُرمَى بأنه شيعى وأنه والعياذ بالله مايحب السيدة عائشة ، وأنه يوم العاشر يأخذ معزاة وينتف شعرها بيديه ولكنّا ماظهرنا على ذلك منه ، وكان يحضر دروس العلماء خصوصا شيخنا العلامة تقى الدين الشُّمُنى[2] الحنفى وكنتُ أحضر معه ، وكان القارىء على الشيخ نور الدين التهيلى البصير فى « العضد » الذى هو الآن عالم المالكية ، وكان صاحب الترجمة يتكلم كلاما غالبه مقبول .

وكان يعرف النجارة معرفة تامة وكذا الحدادة ، ويصنع الأسفيداج (٧٧ ب)

(١) الضوء اللامع ٤/١٠٢ .

(٢) الضبط من الضوء ٤/٤٩٢ ، وذلك نسبة لمزرعة ببعض بلاد المغرب ، ولم ترد فى مراصد الاطلاع ٢/٤٢ ٨١٢ ـ ٨١٣ ، انظر أيضا شذرات الذهب ٧/٣١٣ ـ ٣١٤ .

وغير ذلك من الصنائع ، ورتب له فى البخارى صرة بألفى درهم فى كل سنة ، وكان لا ينقطع عن التردد لبيوت الأكابر ويحسنون إليه وهو يركب حماراً قصيراً جداً مثل حمار القرّاد و [معه] عبدٌ صغيرٌ جداً ، وملبسه زرىٌ إلى الغاية وعيشه كذلك ، ولم يخلف ولداً ، وذكر أنّ له أولادَ أخٍ بحلب وزوجةً صحبته .

وخلّف من الذهب النقد تسعمائة دينار ذهباً وفضة ، وقيل أخذ الوزير سبعمائة دينار خالصةً غير ما أخذه مباشروه أرباب المواريث ، وخرّجوا وظائفه لمدّةٍ من الطلبة المجتهدين فى السعى المترددين لبيوت الأكابر كأمير الدوادار الكبير دامت سعادته والمقر الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه الله ، والله يعفو عنه .

وفى هذا اليوم الذى هو الخامس عشر شهر تاريخه توجّه المقر الأشرف الكريم الأتابكى أزبك إلى سفر البحيرة وفى خدمته عدةٌ كثيرة من الأمراء والمماليك السلطانية بسبب عربان لبيد ، فإنهم نزلوا على أخذ غلال الناس وحصروا الأمير يشبك جن[1] أحد المقدمين الألوف الذى توجّه قبل هذا بأشهر وصار بدمنهور ، وركب هو وأهلُ دمنهور الأسوار يرمون على العربان بالسهام والحجارة وأرسلوا يطلبون النجدة . وتوجه أيضاً فى صحبة الأمير الأتابك من الأمراء المقدمين أزدمر الطويل وقراجا الطويل وتنبك الدوادار الثانى ؛ وأما عدد المماليك السلطانية فخمسمائة نفر ، فافترقوا فرقتين حتى يقبضوا على العربان ، فالله ينصرهم آمين .

يوم الأحد سادس عشره أو قبله بيومٍ وصل المبشّرون بكتب الحجاج من عيون[2] القصب ، وأخبروا بأن الحاج قاسى شدائدَ فى الدورة ، وأن قاضى الركب الذى توجّه مات ، واستقر عوضه القاضى بدرُ الدين بن الشيخ شمس الدين القرافى[3] عوضاً عنه .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/ ١٠٧٩ .
(٢) محلة واقعة على البحر الأحمر ومنها يجد المبشرون بمقدم الحجاج .
(٣) نسبة إلى القرافة ، انظر السيوطى : نظم العقيان ، ص ١٣٦ ، الضوء اللامع ٩/ ١٨٠ .

يوم الخميس العشرين منه ضرب زين الدين الأبوتيجى[1] الذى كان فى خدمته قاضى القضاة شرف الدين المناوى[2] من إينال الأشقر ضربا مبرحاً نحوا من ثلاثمائة روتن على مقاعده ، وسبب ذلك أن امرأةً ادعت على ورثة المناوى أن بيدها مكتوبا يشهد لها بأراضى أنبوبة[3] ، وأن المناوى وضع يده عليها[4] بغير طريق شرعى (١٧٨) ، فسئل عن ذلك كونه وصيا على أولاده القاصرين عن درجة البلوغ ، فأنكر أنه ليس بوصى فخرج فى الترسيم لتبيّن المرأة عليه ، فصالحها على عشرة دنانير وبخل على النقباء والرؤس النوب بشىء من الحطام ، فبلّغوا الأمير إينال المذكور عن ذلك فطلبه وقال له : « كيف أنكرت وصالحت ؟ » فأغلظ فى الرد فضربه ضرباً مبرحاً .

وبلغنى[5] ممّن أثق بنقله أن امرأةً من مدة ستة شهور ولدت ولداً بلا يد ولا رجل ولا ساق ، والحكم لله الواحد الخلاق .

ووصل الأمير الأول بالحاج فى الجمعة الحادى والعشرين شهر تاريخه بعد الظهر إلى البركة[6] وأصبح المحمل فحضر صحبةَ أميره ظُهْرَ يومه و [كان] أمير الأول آقبردى المجنون ، وأمير المحمل يشبك الجمالى المحتسب ، وأخبروا بالأمن واليمن والرخاء ، غير أنهم صادفهم فى طريق المدينة يومان[7] شديدان من الهواء السخن مات فيهما عدة من الناس والجمال .

---

(١) نسبة إلى مدينة « أبو تيج » إحدى مدن صعيد مصر .

(٢) نسبة إلى قرية من أعمال الجيزة ، وقال عنها ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ١٣٢٨/٣ إنها فى أول الصعيد قبل الفسطاط ، ثم ذكر أن بينها وبين مدينة مصر يومين .

(٣) وتعرف الآن باسم « إمبابة » بمحافظة الجيزة .

(٤) فى الأصل « عليهم » .

(٥) أمامها فى الهامش « كائنة المولود » .

(٦) يقصد بذلك بركة الحجاج .

(٧) فى الأصل « يومين شديدة » .

ووصل الخبر بوفاة برهان الدين الرقى الموقــع ، وكان فاضلاً فى صناعة الإنشاء ، له لسان وقلم ، غير أنه حصل له صمم وكان [الصمم] سببَ تأخره ، ورسم السلطان بوظيفته للوزير المعزول شرف الدين يحيى بن صَنِيعَة وفيها من المعلوم ستةُ آلافِ درهمٍ فى كل شهر خارجاً عن ذلك .

يوم الأحد ثالث عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل فى عــددٍ قليل وتوجّه إلى طرى ورجع إلى طوق البحر على مصر وبولاق والمنيــة وشبرا ، وصعد القلعة من ناحية الصّحراء .

وصنع عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومشيرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الــكبير المقر الأشرف الــكريم العالى يشبك من مهدى — مهدالله له الأرض وأدام نعمته عليه — مـع الحجـاج خيراً كثيراً من الجمال والشقق والسقادف والقمصان والمداسات والمأكل والمشرب ما لا يحصر إلى العقبة ولاقوا المنقطعين وغيرهم فحملوهم وكسوهم وأطعموهم فتـكاثرت الأدعية له ، تقبّلها الله تعالى .

(٧٨ ب) وصنع حفظه الله تعالى على المسلمين فى العصر خيراً كثيراً مع الفقراء وأهل القرافتين وأهلِ جامع الأزهر والزوايا وغيرهم ، حتى بلغنى أن صدقته وصلت إلى أربعة آلاف دينار .

يوم الخميس سابع عشريه وصل سيفُ المقر الأشرف الــكريم العالى الــكفيلى السيفى بردبك[1] الفارسى الظاهرى جقمق المشهور بالبجمقدار على يد أحد الحجاب بها ، وأخبروا بوفاته فى ثانى عشر المحرم سنة تاريخه ، ودفن من الغد .

وكان من قدماء مماليك الظاهر جقمق ، وأُمِّر قبل الظاهرية الموجودين ،

---

(١) لم ترد فى ترجمته بالضوء اللامع ٣/٢٤ كلمة « الفارسى » ، أما بالنسبة لموته فقد تردد السخاوى بين شهرى المحرم وصفر .

وهو من الفرسان الشجعان غير أنه كان مسرفاً على نفسه ، وترقّى إلى أن استقر حاجبَ الحجاب فى الدولة الظاهرية خشقدم ، ثم استقر نائبَ حلب ، ثم توجّه إلى الشام منها نائباً ثم قُبض عليه فى دولة يلباى ، وتوجه إلى القدس ثم أعيد إلى الشام فى دولة الملك الأشرف قايتباى — عز نصره — عوضاً عن المقر الأشرف الكريم العالى الكفيلى أزبك من ططخ بحكم استقراره فى الأتابكية والإمرة الكبرى بالديار المصرية .

ومات قبل بردبك المذكور بأيام يسيرة دواداره أبو بكر ، وخلّف أموالا جمة ، قيل إنها بلغت إلى مائتين وخمسين ألف دينار بما فى ذلك من قماشٍ وخيولٍ وجمالٍ وبغالٍ وسلاحٍ وأمتعةٍ وغير ذلك ، والملك والبقاء لله مالك الملك والممالك.

وكان المذكور أصله فلاحاً ثم خدم بجمقداراً عند الأمير المذكور ، ثم غضب عليه وضربه وصرفه من خدمته مرات ، وصار فقيراً لا يملك شيئاً ، فانتمى إلى العلائى ابن الفيسى[1] فصار يطعمه ويكفيه بالفقيرى ، ثم عدل عنه إلى المهتار علىّ المشهور بفطيس فى دولة الملك الأشرف إينال ، وصار قائماً بأموره كلها إلى أن استقرّ أستاذُه فى نيابة حلب فتوجه فى خدمته وصار مقرباً عنده بواسطة أن أستاذه أرادوا أن يُدخلوا عليه السم مراراً وهو يمنعه من ذلك ، فارتقى عنده وصار فى أوج العظمة إلى أن حصّل ما حصل من الأموال وقدم على ما قدم ، وندم على ما فرط ، وحسابه على الله تعالى .

(١٧٩) وفيه وصل رسول حسن باك بن قرايلك وأخبر السلطانَ بما مَلَكه من البلاد والقلاع ما لم يجتمع بيد أحد من الملوك قبله ، مع إظهار محبته لمولانا السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى — عز نصره — وكثرة

---

(١) هو على بن اسكندر المعروف بابن إلفهسى ، وقد باشر الملطية ثم الحسبة ثم الولاية ثم نقابة الجيوش .

دعائه وثنائه له ، وأنه مملوك السلطان ، وأنه قتل من أولاد تمرلنك عدة ، وأنّ مقصوده رضى السلطان ، فأنزل رسوله فى دار الضيافة وأكرم ، ووصل صحبته هدية من بلخش وعين هر وغير ذلك فقبلت .

وكذا وصل الخبر عن ابن عثمان أنه ملك أعظم بلاد الفرنج التى هى البندقية ولله الحمد والمنة على ذلك .

يوم السبت المبارك تاسع عشره خرج إينال الأشقر — لا ردّه الله — إلى مصر إلى الريدانية للقتال مع شاه سوار خذله الله وأراح المسلمين منه . وبلغنى أنّ السلطان ـ نصره الله ـ لما مرّ به طُلب إينال المذكور ويرقه وبركه وهو جالس بالقصر فما أعجبه شىء منه ، مع أنه دفع له إثنى عشر ألف دينار ، ومن السلاح والخام والجمال والخيول والغلال شىء كثير ، خارجاً عما أنعم عليه به عظيم الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى — أدام الله سعادته — من ذهبٍ وغير ذلك ، ومع ذلك سأل السلطانَ فى نيابة الشام فأعرض عنه وغضب وأمره بالخروج ولم يخلع عليه خلعة السّفر ، وهكذا وصل إلىّ الخبر .

والسبب فى سفره أن قرقماس[1] الظاهرى جقمق الفارس البطل الشجاع الذى جاهد بقبرص وأقام بها مدة سنين وقتل من إخوته بهــا من المماليك السلطانية نحو المائتى نفر وسلمه الله تعالى وخلص ، وكل ذلك فى دولة الأشرف إينال ـ هو الآن نائب ملطية وبيّض وجهه عند السلطان فى وقائع شاه سوار ، وقبض على إخوته ونهب ما معهم أرسل إليه يهدده ويقول له إنه يهدم ملطية ويفعل به كذا وكذا ، فأرسل لنائب حلب يخبره بذلك ويطلبه إليه ، فامتنع إلا بإذن السلطان ، فقام بعض الأمراء من حلب لما سمعوا بذلك وكلموا نائب

(١) أمامها فى الهامش بالأصل « قرقماس المذكور منسوب إلى الأشرف إينال » .

حلب فى التوجه له ، فلما بلغ السلطانَ ذلك غضب من النائب (٧٩ ب) المذكور وأمره بالتوجه إليه هو ومَن عنده من الأمراء ، وهذا كان أمير عشرة فصيَّره نائبَ الاسكندرية ثم نقله إلى نيابة طرابلس ثم إلى نيابة حلب فتوجهوا إليه ، ثم أرسلوا يسألون السلطانَ فى « باش » يكون عليهم من مصر فبرز إينال الأشقر وسأل فى ذلك .

وفيه توفى الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن جلال الدين عبد الرحمن القمصى[1] الشافعى المسند الفاضل الصالح صاحب السند العالى فى الحديث الشريف فإنه أدرك الأشياخ المتقدمين ، وأخذ عنه الناس وعمّر نحوا من ثمانين عاما تخمينا ، وكانت له فضيلة ومشاركة وذوق صحيح وفهم مليح ، وعنده بشاشة ، وصُلى عليه بالجامع الأزهر ، وحضر القاضى الشافعى وصلى عليه إماما ، وكانت جنازته حافلة ، وخَلَّف أخا رجلاً كبيرا شاهداً مباركا ديِّنا ، وكان رحمه الله تعالى يحفظ أربعة عشر كتابا ، ورافق شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر — رحمه الله — فى السماع ، ولم يخلف بعده مثله .

يوم الأحد الثلاثين منه رسم السلطان بتوجه إينال الأشقر من الريدانية فتوجّه منها فى وقته .

وفيه شكى للمقر الأشرف العالى للولوى أمير دوادار كبير عظم الله شأنه جماعةُ الضمان بالخشابين أن مملوك تمر الحاجب ونواتيته[2] ضربوا الضُّمان وشجُّوا رءوس بعضهم كونهم طلبوا منهم ما [جرت] العادة بأخذه من المكس وبهدلوا الجهة ، فكشف الأميرُ — أعزه الله — عن ذلك فوجده حقيقة ، فأرسل للأمير تمر بريديا يطلب المملوك والنواتية موثقين فلم يمكنوهم منهم ،

---

(١) نسبة إلى منية القمص بالقرب من منية بنى سلسيل كما ورد فى الضوء ٥/٦٥٦ .

(٢) النواتية بمعنى الملاحين ، ومازال هذا الاسم مستعملا فى مصر بهذا المعنى ، وهو مشتق من اللفظ اللاتينى Nauta بمعنى « الملاح » .

فأرسل إليهم خمسة وعشرين مموكا وعدة من القضاة والرسل ونائب رأس نوبة فأحضروهم على أقبح هيئة ، فضرب مملوك الحاجب على رجليه وقيل وضع [على] الأرض فشفع فيه وضرب النواتية بالمقارع وأشهرهم على بيت الحاجب إلى بولاق ، فتبهدل نمر الحاجب إلى الأرض ، وقويت شوكة الأمير الدوادار نصره الله - إلى الأوج .

وفى هذه الأيام اعتدى عمر المناوى أحد نواب الحنفية الذى كان عزل (١٨٠) وضرب وحبس وغمل فيه مالا يوصف بسبب ما اشتهر عنه من الزور فى مكتوب وقف ، واستمر معزولاً ، فركب شيخنا الشيخ تقى الدين الحصنى بسببه إلى قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وسأله فى إعادته فامتنع ، فألح عليه ففوّض أمره إليه فأعاده .

ووصل الخبر من المقر الأشرف الكريم الأتابك أزبك أن العربان الذين حضروا إلى البحيرة أرسلوا له هديتهم، وشرط أن لا يقيموا أكثر من عشرين يوما ويرحلوا ، فالله أعلم بذلك .

﴿ شهر صفر الأغر ﴾

أهل[١] بيوم الاثنين الموافق السادس مسرى القبطى .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر ولم يحدث كلام فى المجلس غير السلام وقراءة القرآن والفاتحة والدعاء وانصرفوا .

ثانيه دار المدراء بوفاة بردبك المشطوب رأس نوبة ثانى الظاهرى جقمق، وكان شيخاً طوالا لا يعرف بالعربية إلاّ قليلاً وهو على حالة الجراكسة ، وصلّى

---

(١) يتفق التاريخان مع ماجاء فى لتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ ، وهو يعادل يوم ٣٠ يونيو ١٤٧٠ م .

عليه السلطان بمصلى المؤمنى ومن حضر من الأمراء والمماليك السلطانية .

وأرسل السلطان نصره الله يشاور الأتابك أزبك فيمن يصلح لنيابة الشام، والله أعلم بذلك .

وفى يوم الأحد سابعه ركب السلطان نصره الله من قلعة الجبل ومتوجهاً إلى طرى فأقام بها إلى آخر النهار فى أكلٍ وشربٍ وعاد إلى محل مملكته .

يوم الاثنين ثامنه وصل الخبر من البحيرة بوفاة الجناب الفخرى ابن السكر والليمون[1] وهو المباشر الآن بالبحيرة، وكان دهقانا عارفاً بالكتابة وحصل له فالج، ولم يُعتق من المباشرة، وكان استقرّ فى نظر الديوان المفرد ، ولما بلغ زوجتَه وفاتُه هربت - وهى بنت تقى الدين البلقينى - فقبضوا على ولده الصغير الذى ليس له سواه وعمره أقل من عشر سنين، ورُسم عليه لأجل أخْذِ المال بأمر الأمير الدوادار الكبير، وإلى الله المصير .

ثم إن المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين شفع فى الولد الصغير فأطلقه وعمل مصلحته، فجزاه الله خيراً، دنيا وأخرى .

(٨٠ ب) يوم الأحد حادى عشره صنع السلطان مدةً عظيمة لقُصّاد حسن باك ملك العراقين وحضروا بين يديه فأكلوا وشربوا وانصرفوا وأضافهم الدوادار الكبير بعد ذلك .

وتكرر ركوب السلطان إلى طرى ومصر وأعمالها، وقد قدمنا أن هذا لا يُحصر لكثرته .

وفى أمسه رسم السلطان بتوسيط اثنين[2] بعد إشهارهما على الجمال وعرضهما

---

(١) هو إبراهيم بن فخر الدين، القبطى أبوه، وأمه خديجة ابنة التقى ابن البدر بن البلقينى، راجع السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) فى الأصل « إثنان » .

بين يدى السلطان وأمْرِه بذلك ، وسبب ذلك أن أحدهما كان مسجونا بالمقشرة سنين وقد صار من فلاحى المقشرة ، وعليه فى كل يوم قدر معلوم يخرج فى الحديد يَستعطى ويُحضر ما عليه إلى صاحب السجن ، فلم يحصل له فى ذلك اليوم مايوفى به المقرّر عليه ، فأراد الهروب خوفاً من الضرب والعصر وآلات العقاب ، فحصل بينه وبين الجندار مشاجرة وضربا بعضهما . فأصاب الجندارَ ضربةٌ فمات فقتلوا هذا به . والآخر نوتى حَضَرَ صحبته فى مركبه قمح وغير ذلك لشخص من التجار ، فلما وصلا إلى البر تشاجرا فرمى التاجرَ فى البحر فغرق فقُتل به .

وانقلبت أهل مصر من أهلها وتحوّلوا قبل وفاء البحر إليه بأيام عديدة إلى الروضة والجسر والجزيرة ، وأظهروا مفاسد وقبائح لا يسعنا ذكرها ، مع أن البحر كان فى العام الماضى أزيد من السنة بقريب ثلاثة أذرع ، فحصل من فضل الله زيادة ثلاثة أذرع فى خمسة أيام ، وصار البحر فى ثمانية عشر إصبعا من الذراع السادس عشر ، فهرع الناس إلى الأماكن المقدم ذكرها وهى الروضة والجسر والجزيرة وغير ذلك، وأظهروا المفاسد والقبائح والزنا واللواط والخمر والحشيش وركوب البحر بالملاهى وما قدمناه ،فقدّر الله أن نقص البحر إصبعا فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر تاريخه الموافق الحادى والعشرين من شهر مسرى ، وأشاعوا أنه أوفى وأن السّتر عُلِّق ، وأن السلطان إما يباشر فتح فم الخليج بنفسه أو يأمر لأحدٍ من أمرائه ،فأصبح البحر بلا وفاء بل نقُص ،وأنه انقطع عليه مقطع الرمل بالجيزية وخرج الوزير لسده وصحبَتَهُ جماعةٌ من أعيان أخصاء الأمير الدوادار الكبير حفظه الله على المسلمين .

(١٨١) وفيه أعنى يوم الثلاثاء سادس عشره ضرب المحتسب — عامله الله بعدله قريباً بجاه سيد المرسلين — شخصاً من السوقة يبيع التين ثلاث علقات : واحدة على مقاعده وأخرى على رجليه وواحدة على أكتافه ،

وأشهره بالمدينة على عادته التي يفعلها عَرِيًا مكشوفَ الرأس ، ثم رسم بصلبه بذراعه على حانوته ، وقُررت يده الأخرى إلى ظهره ولطّخه عسلا وأوقفه في الشمس ، فتسلط عليه النحل والزنبور والذباب وقاسى من العقوبة مالا يوصف ، وترددت إليه الرسائل بسببه فلم يقبل ذلك حتى إن رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصاري كاتبَ السر الشريف ـ حفظه الله على المسلمين ـ مرّ وشاهد المحكّى عنه بهذا الوصف ، واستمر إلى أن أطلقه بعد أذان العصر .

وسبب هذا الذي فعله معه أن رسله الذين هم من جهته وأقامهم كانوا إذا طلبوا البَلْصَ من فقيرٍ وامتنع ذكروا لأستاذهم عنه ماأرادوا،وهو سريع الحدّة سريع الغضب لا يتثبت في الأحكام فيطالبه ويفعل به ماذكر ،وإلاّ فكل سوقة مصر يبيع بزيادةٍ عمّا يأمر به المحتسب ، حتى إذا نودى على الجبن بسبعة دراهم الرطل مثلا يبيعونه بثمانيةٍ بزيادةٍ درهم ، وكذا في سائر البضائع حتى في اللحم ، ولقد تعدّى أذاه لكثيرٍ من خلق الله حتى الحجاج مع أنهم كانوا يخافون وقوع ذلك من أمير [الركب] الأول ، فكانت سيرته منهم غاية ما يكون من الثناء عليه من الرفق بهم وملئه لهم القرب والذبّ عنهم ، وسيرة أمير المحمل بضدّ ذلك ، فَحَسْبُه الله بما يفعله مع عباده ، وأقول ولو شاء ربك لفعلوه وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، وأقول إن رسله الذين من جهته صار كل واحد منهم بأقمشةٍ حريرٍ والصوف العال الغالى والنعال الخاص المزيّنة والعبيد والجوارى الذين للخدمة ، والنفقات التي ينفقها كل يوم من لحوم وأعمال ودقيق وغير ذلك ، بعد أن كان الواحد منهم لا يملك غير قميص وملوطة ؛ (٨١ ب) وكان المضروب أو المطلوب لبيت المحتسب لايغرم أكثر من نصف أو نصفين بالكثير ، فصار الآن يغرم المائة والمائتين والثلاث مائة والأربع والخمسمائة .

ولقد وقع لى عنده مسألة في أمر حكمتُ فيه وأراد أن يُرجعني عنه فما وافقتُه

على ذلك فإنى حكمتُ فيه على قاعدة مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه [حُكما] ليس فيه شائبة فى سابع عشر رجب سنة أربع وسبعين وثمانى مائة ، وأمرى وإياه إلى الله يحكم بيننا بعدله .

وكثر القال والقيل بين الخلق لعدم زيادة النيل مع أن الباقى عليه إصبع، ثم شاع أنه أوفى فلم يَصِح ثم نقص، وبادر الخزانون فى الغلال يخزنونها فعليهم من الله ما استحقوه . ولما بلغ أهل البلاد ذلك مَسك الجالبون بيعهم وامتنعوا مطلقاً ، وبعد أن كانت المراكب على ساحل مصر وبولاق بالغلة رحلوا عنها إلى طرى وما فوقها لينظروا ماذا يتفق ، فقدّر الله سبحانه من كرمه أن زاد فى يومه وأوفى الستة عشر ذراعا وإصبعين من الذراع السابع عشر ،فماق الستر فى آخر هذا اليوم الذى هو الثانى والعشرون من مسرى القبطى ، السادس أو السابع عشر من شهر تاريخه ، وتأخر هذا عن العام الماضى يومين فى الزيادة بواسطة مقطع انقطع بالجيزية يسمى مقطع الرّمل ، وتوجّه إليه الأمير جانم دوادارعظيم الدنياومدبرها الدوادار الكبيروما مع ذلك وصُحْبَتَه الأمير تغرى بردى الخازندار وقاسم المتحدث فى الوزر بطريق النيابة عنه ، وأخذوا معهم جانباً كبيراً من الأخشاب وما شابهها لسدّه وخَلْقاً ليساعدوهم ، وكان البحر لما نقص رسم السلطان ـ نصره الله ـ للوالى أن يتوجه بأعوانه إلى الروضة ومصر وينادوا « أن أحداً لا يفعل منكراً ومن وجد عنده شىء من المنكر ينكّل به » فإن السلطان كان قبل ذلك ـ أعنى فى هذا اليوم ـ يركب ويتوجه إلى طرى ومصر فيصلى ويدعو الله بحسن العاقبة .

وأصبح يوم الخميس تاسع عشر فركب المقرّ الأشرف العالى (١٨٢) السيفى جانبك قلقسيز أمير سلاح و توجه إلى مصر حسب المرسوم الشريف ، فنزل الحراقةَ وصعد المقياس وصلى على القاعدة المعهودة ، ومد له المدة الهائلة

من الغنم المشوى والقوا كه والحلوى ، وصار الخلق فى البحر حول مركبه وهم يدعون ويبتهلون لما عندهم من الفرح والسرور ، وفُتح فم البحر لما وصل إلى السد ، وخَلع على الوالى وعلى من له عادة من أمناء النيل وغيرهم ، وركب للقلعة لحضرة السلطان فخلع عليه فوقانياً بطراز زركش ، وقرر له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وركب فى خدمته عدة من الخاسكية ورؤس النوب وتوجّه إلى داره فى جحفل عظيم وهوتك جسيم ، وقَصْدُ السلطان بذلك جَبْرُ خاطره فإنه قاسى أهوالاً شديدة فى أسر شاه سوار .

وتكرر ركوب السلطان وقلة العسكر فى خدمته إلاَّ العددالقليل وأشاعوا أن المقر الأشرف الكريم العالى عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله يستقر فى نيابة دمشق ، فلا حقق الله ذلك ولاحرمنا فضله نحن والفقراء والمساكين . ثم انثنى عزم السلطان — نصره الله — عن ذلك وصار الأمر بين اثنين : إما جانبك قلقسيز أو جانبك[1] الفقيه من ططخ ، فقدر الله أن السلطان فى يوم الخميس خامس عشر من صفر الموافق لآخر مسرى القبطى طلب الأمير برقوق[2] الناصرى الظاهرى جقمق ، وخلع عليه واستقر به فى نيابة الشام عوضاً عن بردبك البجمقدار بحكم وفاته . وهذه ولاية لم تعهد لمثله ، فإنه من إمرة عشرة انتقل إلى شادّ الشراب خاناه ، وانتقل من الشادية إلى إمرة مائة وتقدمة ألف ، ومن التقدمة إلى نيابة الشام ، وبكى وتمنّع فقلت : لعل هذا البكاء من الفرح كما قال الشاعر الأديب الباهر :

هَجَمَ السرورُ علىَّ حتى إننىَّ ... مِنْ فَرْطِ[3] ما قد سرَّنى أبكانى

---

(١) راجع الضوء اللامع ٣/٢١١ ، وأمامها فى هامش المخطوطة « استقرار برقوق فى نيابة الشام » .

(٢) راجع الضوء اللامع ٣/٤٩ .

(٣) فى الأصل « عظم » .

وأقول متمثلا :

لقد[1] هزلت حتى بدا من هزالها
كلاهـا وحتى استامها كل مفلس

وأعجب من هذا أنه نقل من كشف التراب بالشرقيـة إلى نيابة الشام ، ومع هذا (٨٢ ب) يمتنع ويحاف أنْ ليس له غرض ، وعندى أن هذا انتهاء سعده ، وغاية مأموله وجده ، وتمام سعادته ورفده ، وقد قال الأفاضل الأمائل: « توقّ إذا قيل تم » .

واتفق للقاضى أبى بـكر الأبشيهى[2] — أحد نواب الحـكم الشافعى القاطن بمدرسة جانبك خارج باب زويلة — مشاجرة هو والقاضى شهاب الدين [بن يوسف الصوفى[3]] بسبب خطابه فى مدرسة[4] مغلبية طاز الذى كان أحد المقدمين الألوف فى دولة الظاهر خشقدم ، وآل أمرهما إلى الوقوف للسلطان ، والمؤلِّب على الأبشيهى — كما بلغنى — الشيخ الإمام البرهان الكركى[5] إمام المقام الشريف نصره الله ، وأظهر الإبشيهى خفةً وصار يقول عن نفسه إنه عالم وله مصنفات ومؤلفات ، فأهين ولم يُلتفت إليه ، ولولا إغاثةُ الله تعالى بملاحظته رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر حفظه الله على المسلمين — ما حصل عليه خير ، ومع ذلك رَسم السلطان لنقيب الجيش : أن يكتب عليه قسامة أن لا يعمل قاضياً ولا شاهداً[6] ، ثم بلغنى أنه وقف

---

(١) فى الأصل « ولقد » وقد حذفت الواو ليستقيم الوزن .

(٢) انظر الضوء اللامع ١١/٢١١ .

(٣) فراغ فى الأصل ، ومكانه كلمة « كذا » وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ج ١ ص ٦١ س ١٩.

(٤) الوارد فى الضوء ١٠/٦٦٧ أن مغلباى طاز (وليس مغلبية) بنى جامعاً بنواحى الصليبة وليس مدرسة .

(٥) السخاوى : شرحه ج ١ ص ٥٩ - ٦٤ .

(٦) فى الأصل « مشاهدا » .

وشكى حاله لعظيم الدنيا الدوادار الكبير فعطف عليه وشفع فيه ورسم أن يكون على عادته ، ومن عارضه يكون خصما لعظيم الدنيا الدوادار الكبير ، وإلى الله المصير .

وخرجت تقدمة الأمير برقوق الذى استقر فى كفالة دمشق لخير بك[1] من حديد الأشرف برسباى ، وخرج إقطاع خير بك المذكور لجانبك[2] حبيب واستقر أيضاً فى تقليد نيابة الشام ، والله يهدينا إلى دار السلام .

واتفق أن رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر حفظه الله على المسلمين — حصل له توعُّك فى باطنه من ليلة الخميس خامس عشرى شهر تاريخه ـ أعنى صفر ـ وانقطع ، ثم صلى الجمعة بالجامع ورجع فاختفى عدة أيام ، وتألّم الناس لضعفه فإنه روح الوجود . وهرع الأكابر والأصاغر للسلام عليه حتى عظيم الدنيا الدوادار الكبير والمقر الأتابكى فإنه صار والدّم فى الخير ، وأخاهم فى السن ، وولدهم فى التواضع إلى غير ذلك من الأفعال (١٨٣) الجميلة الجليلة ، وعندى من عظم دعائى ومحبتى له حبه ما يوازى حبى للناس الموجودين فى عصره من جنسه ، فإنه مرصدٌ لغوث الملهوفين ونصرة المظلومين .

وفى يوم الأحد سابع عشريه ظهر القاضى تاج الدين عبد الله بن المقسى ، ورُسم له بمباشرة وظيفة الخاص بعد الترسيم على الأمير عبد الرحمن بن الكُوَيز ، وهرع الناس للسلام عليه فى داره ، وباشر فى خدمته مباشرو[3] الخاص ، وأصبح من الغد الذى هو الاثنين تاسع عشريه فخلع عليه طرحة[4] وطراز زركش ، وركب فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وكان له محفل هائل من شموع

---

(١) الضوء اللامع ٣/ ٧٧٨ .

(٢) ويعرف بجانبك الملاني بن أقرس ، شرحه ٣/ ٢٣٦ .

(٣) فى الأصل مباشرون .

(٤) فى الأصل « طرحا » وقد دأب الجوهرى على استعمال هذا اللفظ بدلا من « الطرحة » .

أوقدت ، وثياب زينت ، ومغانى فى عدة حوانيت ركزت ، وإظهار الفرح والسرور ، حتى تلطخ[1] أعوانه وحفدته بالزعفران ، وركب معه المباشرون خلا رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين — لضعفه وانقطاعه ، عافاه الله وشفاه ، فركب معه عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، لكن ابن المقسى كان يحجبه والقاضى الحنفى ابن الشحنة ، وكان بإزاء الدوادار متحدثاً معه وركوبه معه لأجل مرتباته ومرتبات أولاده فى الخاص ، وكان اتفق له الركوب مع ابن الكويز لما وليها ، وذَمَّ الناسُ مباشرَةَ ابن الكويز لأمورٍ منها عدم سعده ، ومنها تحرّيه فى أموره بالنجم والرمل والميقات ، ومنها سعيُهُ على صهره فى وظيفته ، ولم يُرْضِ فى مباشرته أحداً مِن السلطان فمَن دونه ، فسبحان مقلب القلوب ومغير الدول ، لا إله إلا هو .

﴿ شهر ربيع الأول ﴾

أوله الأربعاء ويوافقه من الشهور القبطية أول سنتها الذى هو توت[2] .

فيه صعد قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وانصرفوا .

وفى أمسه أضاف[3] المقر الزينى أبو بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط[4] عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها والدوادار الكبير عظم الله شأنه ، وكان فى خدمته الأمير تمر[5] المحمودى الظاهرى حاجب الحجاب وعدّة من الأمراء

---

(١) فى الأصل « تلطخوا » .

(٢) يستفاد من التوفيقات الإلهامية ، جدول سنة ٨٧٥ ، ص ٤٣٨ ، أن أول هذا الشهر العربى كان خامس أيام النسىء القبطى أى أن أول توت سنة ١١٨٧ هو يوم الأربعاء الثانى من ربيع الأول .

(٣) أى استضاف .

(٤) راجع الضوء ١١/١١٠ .

(٥) راجع الضوء ٣/١٧١ .

الطبلخانات والعشرات ، وصنع له أشياءَ تليق بمقامه : من كل شيء أطيبه وأفخره وأحسنه ، وحضر فى خدمته القاضى كمال الدين ناظر الجيش وأخوه[1] ولعبوا الكنجفاه (٨٣ ب) فغلبوا أربعمائة دينار للمقر الأشرف المذكور وانصرفوا على خيرٍ وسلامة .

يوم الخميس ثانيه رسم السلطان بتوسيط إنسان يسمى ابن الزردكاش سرق سرجاً فضةً وغير ذلك للأتراك ، وتكرّر منه ذلك بعد عرْضه على السلطان وحلمه عليه عتقه وحلفه له أنه متى عاد وسطه ، فعاد ، فرُسم بتوسيطه فوُسِّط فى باب النصر وشنق بإزائه شخص خياط كان يعاونه على الحرام والفساد ويفصّل ويغير ويخيط له جميع ما يسرقه ويبيعه له ، فجوزيا بذلك .

ووُسِّط فى هذا اليوم اثنان من المفسدين بباب مصر القديمة وعُلِّقا لعل يرتدع المفسدون ويرجعون عن الأذى والسرقة وقتلِ النفس ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ووصل الخبر بوفاة الأمير فارس السيفى دولات باى الزردكاش من دمشق فى يوم الخميس ثانيه ، وكان فى بداية أمره دواداراً فى خدمة أستاذه المذكور مقرباً عنده ، وحصّل فى أيامه — وهو دوادار — أموالا جمة وبنى دوراً ومساكن عظيمة البناء ، واشترى ضيعاً ورزقاً وصار يُعَدُّ من المتموّلين ، وتزوج بزوجة أستاذه أم ولده عمر المشهور الآن ، وعندما تقدم عند مولانا السلطان — نصره الله وأدام ملكه — وصار من الأعيان وأنعم عليه بوظيفة الزردكاشية حصلت له الوفاة . ولو لم يكن من محاسنه إلاّ مافعله فى عبيد صهره ابن الطيارى ، ثم أُخبِرْتُ أن وفاته فى ثانى عشر الشهر المذكور بالمصطبة التى هى خارج البلد ، ووجد بحبته خمسة آلاف دينار ولبوسٌ وغير ذلك . والله الولى والمالك .

---

(١) فى الأصل « وأخيه » .

وفى يوم السبت سادسه توفى الخواجا شمس الدين محمد بن كرسون[1] التاجر فى الكارم، وخلف ولداً وبنتاً وأخاً وزوجة ومالا كبيراً ، واختلف الناس فى أمره ، فمن قائلٍ إن السلطان ختم على الموجود ، ومن قائلٍ إن السلطان لم يتعرض له ، ولكن ناظر الخاص لا بد له من شىء فإنه يتعلل على ورثته بأن فى جهته مالا من جهة المكوس والله أعلم . ويحكى عن هذا التاجر المذكور أنه كان يُخرِج الزكاة فى موضعها ، وكان يُحسن للشيخ (١٨٤) كمال الدين ـ بن إمام الكاملية الذى توفى فى سنة أربع وسبعين وثمانى مائة بطريق الحجاز ـ فى كل سنة بمائة وخمسين ديناراً ، ويرسل له فى الختم كل سنة ألفاً وخمسمائة رغيف ووعده أن يبتاع له ملكا للسكن بخمسمائة دينار ، ويُوقفه على الشيخ وأولاده فلم يتفق ذلك ، والله الولى والمالك .

ووصل الخبر من دمشق بوفاة إبراهيم[2] بن الجندى المطرب الذى كان ريس دكة ، وكان له فى الفن إدراك ، وكان سافرَ صحبة فارس الزردكاش فمات بالشام ، وعينت وظيفة الزردكاشية لجانم[3] مملوك الأمير جانبك[4] الجداوى الدوادار الكبير .

• • •

ولم يزد البحر شيئاً فى سابع توت القبطى الموافق لسابع ربيع الأول فإنهم كسروا سد الأمبوبة ونقص منه ، والأمر لله تعالى يتصرف فى عباده بما يريد .

وفيه ــ أو الذى بعده ــ وصل الأمير خير بك الذى انتهى أمره إلى أن صار دواداراً كبيراً فى دولة الظاهر تمربغا من ثغر سكندرية ونزل فى بيت

(١) كرسون هو محمد بن عبد الغنى بن محمد ، راجع عنه الضوء اللامع ٨/١٠٨ .

(٢) الوارد فى الضوء ، ج ١ ص ١٨٤ « ابراهيم بن الجندى أحد مؤذنى الركاب وهو بالمذى أشهر » ولعلها المغنى ، ويختلف السخاوى والصيرفى فى مكان وفاته وسنتها .

(٣) الضوء اللامع ٣/٢٥٩ وان لم يذكر تعيينه لوظيفة الزرد كاشية .

(٤) ترجم له السخاوى ، شرحه ٣/١٣٥ تحت اسم « جانبك الظاهرى جقمق الجركسى »

صهره المقر الكمالى ناظر الجيش ببولاق ، فإنه زوجُ أخته ، وقيل : إنه وزنه عشرين ألف دينار حتى خلص من السجن ، وصار المحتسب فى خدمته يجهِّز له برك ويرقه[(١)] ليتوجه إلى مكة المشرفة ، وهو الذى شفع فيه هو وناظر الجيش أخو زوجته .

وفيه وصل الأمير الكبير أزبك من ططخ — عظم الله شأنه — من البحيرة وصحبته الأمراء المقدمون وغيرهم والخاصكية والمماليك السلطانية ، فخلُع عليه بعد ما تمثّل بين يدى السلطان — نصره الله — وعلى من ذُكر بحسب مقامهم ونزلوا إلى دورهم ، وهرع الأكابر والأصاغر للسلام عليهم .

وحدث[(٢)] قبل هذا بأيام وصول أخبار قبيحة عن شاه سوار — خذله الله — أنه نهب وقتل وقاتل ووصل إلى قريب حلب ورجع على عادته ، فحصل من ذلك نكد فى المملكة .

وكان السلطان ـ نصره الله ـ عزم فى يوم الجمعة الذى هو العاشر أن يتوجه إلى خليج الزعفران ويقيم به ثلاثة أيام للتفرج والتنزه ، وجهز له المقر الأشرف الكريم العالى أمير دوادار كبير — دامت سعادته — يشبك من مهدى من الأغنام المعاليف عشرين معلوفاً ، سعر سبعة دنانير الواحد ، ومن البدارى (٨٤ ب) خمسون بدرياً ، ومن الحلوى ثمانية قناطير ، ومن السكر ستة قناطير ، ومن الأرز والدجاج المعلوف ما قيمته مائة دينار وغير ذلك ؛ وجهز المباشرون تقادمهم من سكر وحلوى وفاكهة وأوز ودجاج وغنم معاليف ، وجهز أيضاً المقر الزينى أبو بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط عشرين معلوفاً وفاكهة وحلوى وسكراً .

---

(١) البرق ، بالباء « فارسى معرب بمعنى « الحمل » ، انظر الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى ، ص ٤٥ .

(٢) فى الأصل « وصل » .

فاقتضى الحال أن السلطان ركب يوم الجمعة بكرة النهار فسيَّر ورجع إلى القلعة وبطَّل الفرجة ، والأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويختار .

يوم الأحد ثانى عشره الموافق لثانى عشر توت القبطى عُمل المولد السلطانى بالحوش على العادة فحضره القضاة الأربعة والمقدمون الألوف بتمامهم وكمالهم لم يتأخر منهم سوى يشبك جن فى البحيرة ، وحضر نائب الشام برقوق وجلس رأسَ الميسرة ومُدَّ السماط على العادة فكان أمراً عظيما ، وتوجه القضاة بعد المغرب واستمر[1] الأمراء المقدمون إلى أن انتهى الوعاظ على العادة .

يوم الاثنين ثالث عشره ركب المقر الأشرف الكريم العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتبُ السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، وعوفى من توعكه وصعد للسلطان نصره الله ، فقبَّل يده ، فخلع عليه كاملية سمور بمقلب سمور عظيمة ، وأراد المقر الأشرف الكريم العالى عظيم الدنيا الدوادار الكبير — عز نصره — الركوبَ معه فما مكنه من ذلك ، وركب معه قضاة القضاة الثلاثة — خلا المالكى — وناظر الجيش وناظر الخاص ، ثم توجهوا له بعد ذلك ، وزُين له البلد وفرحوا بعافيته وسلامته ، وكذا الدعاء له من كل أحد ، وأثنوا عليه بالجميل واستمروا فى خدمته إلى منزله ، وسيما كاتبه ومؤلفه ، فإنه غريق فضله ونعمته ، وأنشد لسان حالى فى ذلك :

كلٌّ من فى حِماكَ يهواك لكن أنا وَحْدِى بكل من فى حماكا

وتوجه السلطان إلى المطرية وأعمالها وخليج الزعفران ، فأقام به من يوم الثلاثاء رابع عشره إلى يوم الجمعة باكر النهار سابع عشره ، فصعد القلعة وصلى الجمعة بها بعد أن ذبحت له الذبائح من الأبقار السمنة والأغنام العاليف ، والحلوى

---

(١) فى الأصل «استمروا» «انتهوا» .

والسكر والفواكه حتى من جملة ماصرفه عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله ألف دينار ، وقس على هذا المباشرين بأجمعهم (١٨٥) غير أن شخصاً مسجوناً بسجن الجرائم مشهوراً بالأذى والنحس كان قُبض عليه من مدةٍ فهرب من السجن ثم حُصِّل فرَسم السلطان بكحل عينيه فكحل .

وفى هذه الأيام غضب عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ودوادارها الكبير ومامع ذلك — عظم الله شأنه — على الزينى قاسم المتكلم عنه فى الوزارة وعلى مباشرى الدولة ، وطلب منهم مائةَ ألف دينار، فآل الأمر إلى عشرة آلاف دينار من قاسم المذكور ومن مباشرى الدولة كذلك ، ثم إن قاسماً امتنع من وزن العشرة وقال مايقدر إلا على خمسةٍ فرُسم عليه . وسبب هذه الحكاية أن خشقدم [الظاهرى جقمق] لالا الملك المنصور عثمان — هو الآن شاد السواقى — تخاصم هو وصهره قاسم الوزير الذى يحمل الغلال وشكاه للأمير الدوادار الكبير ، وذكر له عنه أنه يصرف الأردب إثنين وعشرين ربعاً ويقبضه خمساً وعشرين ربعاً ، فسأله عن ذلك فقال : « الفرط نحسبوه للديوان » ، فغضب من ذلك وضربه مقارع وعصيًّا وأودعه الخشب ، وسألوه فى أمره بألف دينار فامتنع، وكذا بركات ابن كاتب الطواحين الذى هو مستوفى الدولة ضُرب بالمقارع والعصىّ لأنه ماكتب للدوادار حساب الدولة فاتفق ذلك ، والله الولى والمالك .

وفى يوم السبت ثامن عشره خُلع على يشبك من حيدر والى القاهرة كاملية سمور بمقلب سمّور سببها أن السلطان كان غضب عليه بسبب البدوى الذى هرب من المقشرة ورسم بكحله وقتله .

يوم الاثنين العشرين منه خُلع على قاصد ابن قرمان سلاريا مفريًّا بسمور وفوقانيا بطراز زركش ، وجهز معه هدية لمرسله .

ووصل الخبر من القدس الشريف بوفاة الأمير تانى بك الحمدى وزوجته عتيقة قاضى القضاة ولى الدين الصفطى : جدة سيدى عبد البر ابن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة لأمه فى سابع عشر شهر تاريخه ، لكن زوجته توفيت قبله بثمانية أيام ، وكان المذكور ـ أعنى تانى بك ـ من مماليك الأشرف برسباى واستقر خاصكياً فى دولة الظاهر جقمق (٨٥ب) ثم صار معلم المماليك فى الرمح أعنى فى المماليك والجوارى والحرير وغير ذلك فى دولة الظاهر خشقدم ، وكان له به صحبة فرقّاه إلى أن عمله رأس نوبة ثانياً ، ثم استقر به أمير مائة مقدّم ألف ، وراج أمره عنده وصار من المقرّبين عنده ، واستمر على تقدمته إلى أن تغيّرت دولة تمربغا وتوجه أمير الحاج ورجع إلى العقبة فرسم بنفيه إلى القدس . وكان عفا الله عنه يظلم نفسه كثيراً لانهماكه فى الملذات ، ولم تُعرف له فروسية ولامعروف ، وخلف موجوداً تافها بالنسبة إلى غيره من الأمراء الألوف .

وتوجّه السلطان — نصره الله — يوم الاربعاء ثانى عشرى شهر تاريخه باكر النهار إلى طرى ، فأقام بها يومين وصعد القلعة يوم الجمعة لأجل خدمة الصلاة ، وكان صحبته المقرّ الأشرف العالى الأتابكى أزبك من ططخ أمير كبير ، وجهز لخدمته المباشرون أشياء من كل صنف على العادة .

يوم السبت خامس عشريه نودى على البحر بزيادة إصبعين من النّقص فصار البحر الآن فى عشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا ، واستمر يزيد بعد ذلك الإصبع والإصبعين فى كل يوم .

واتفقت حادثة غريبة هى أن رجلا من الحجارين بالجبل أخذ زوجته وتوجه بها إلى الجبل فذبحها فى عدة مواضع من رقبتها وضربها بالسيف فى عدة مواضع ، فحملت إلى المدينة وهرب الزوج ولم يُعلم له خبر وماتت وذهب دمها هدراً . وعند الله يجتمع الخصوم .

وسجن السلطان شخصاً من مماليكه بعد ضربه بالبرج ، وسبب ذلك أنه أساء على الوالي والـكه ، وغضب السلطان — في يوم تاريخه — الذي[1] هو التاسع والعشرون من تاريخه ، وطلبه من بيت ابن غريب الأستادار لجهزوا به مُكتّفا ماشياً ، ومباشرو[2] الدولة كبارهم مجنزرين في الحديد ، والحال أنهم في أمرٍ مهول وخطب جسيم ، وقرروا عليه ثمانية عشر ألف دينار ، فقال : « ما معي إلا روحي » . فلما طالبه على هذه الهيئة توجه لبيت سيدنا وسندنا ومولانا زهرة الوجود وعمدة المسلمين ورئيس الدنيا المقر الأشرف الأعظم ابن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، فركب ابن مزهر وتوجه إلى عظيم الدنيا الدوادار الكبير دامت سعادته ، وأطلقه من الحديد ، وانفصل الأمر (١٨٦ ا) على محاسبته قاسماً المذكور لحاسبه موسى بن غريب فأثبت من جهته خمسين ألف دينار ، وصار ابن غريب المذكور يباشر الأستادارية والوزارة عوضا عن قاسم .

﴿ شهر ربيع الآخر ﴾

أهلّ يوم الخميس ويوافقه من أيام الشهور القبطية آخر توت[3] ، لأن شهر ربيع الأول جاء ناقصاً .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر وكذت صحبة قاضي الحنفية ، فتكلم السلطان — نصره الله — مع القاضي كاتب السر — حفظه الله — بسبب محراب جامع طولون أنه بلغه أنه منحرف ، فأجابه أن قاضي

---

(١) في الأصل « على الذي التاسع والعشرون من تاريخه » .

(٢) في الأصل « مباشرون » .

(٣) في الأصل « بابه » والتصحيح بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ وهو يوافق ٢٧ سبتمبر ١٤٧٠ م .

القضاة الشافعى يُرسل يُحرِّر ذلك ويصلحه ويجدده ويكتب عليه اسم السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره .

ووقع الكلام بين يدى السلطان أيضاً فى ثبوت نسب امرأة تُعزَى لفارس[1] البكتمرى فإنه مات وخلف تركة هائلة ، والوصىُّ عليها الأمير لاجين أمير مجلس وهو ينازعها فى النسب ، والمرأة يساعدها عظيم الدنيا الدوادار الكبير عز نصره ، وعين القاضى الحنفى قصتها على نائبه الشريف كمال الدين الوفائى ، ثم إن القاضى خير الدين السنمى تكلم فى أمرها وثبت عنده بالبينة الشرعية أن نسبها لاحق بنسبه ، فرسم بعقد مجلس بين يدى السلطان نصره الله فى يوم السبت ثالثه ، وتوجه قاضى الحنفية لبيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير وما مع ذلك - دامت سعادته - فانتظره زمناً طويلاً حتى عيى من انتظاره هو وعدة من الرؤساء ؛ فلما حضر لاقاه من المقعد وسلم عليه وأراد الانصراف أخذه بيده ورجع به حتى جلس هو وإياه وأخبره أن مكس قطيا بطل عن التجار والمسافرين وأنه السبب فى ذلك ، فدعى له الحاضرون بل وكل من يسمع ذلك ، وانصرفوا والله الولى والمالك .

وضرب المقر الأشرف الكريم العالى عظيم الدنيا الدوادار الكبير — عز نصره — نائبه فى الوزارة قاسم المشهور بشنيفته ضرباً فظيعاً على مقاعده ورجليه ، فوزن خمسة آلاف دينار ، ثم أكمل العشرة إلى يوم تاريخه الذى هو العاشر من شهر تاريخه ، وآخر الأمر (٨٦ ب) شفع فيه رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى حفظه الله ، وأرسله عظيم الدنيا - المقر الأشرف الكريم العالى السيفى أمير دوادار كبير وما مع ذلك دامت سعادته واستمر عنده ليغلق ما تأخر عليه[2] وقيل

(١) راجع الضوء اللامع ٦ / ٥٤١ .

(٢) يشير السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ٦٠٩ إلى أن يشبك الدوادار غضب على قاسم شنيفته وأنه رام قتله حتى ضمنه ابن مزهر ورسم عليه ببيته ولكنه هرب ، ثم ظفر به ابن مزهر وأودعه سجن الديلم .

إنه ثمانية آلاف دينار ، فحصل له بذلك أمنٌ على نفسه وماله .

وفيه غضب عظيم الدنيا على ناظر الأحباس ابن العيسى [١] فعمل مصلحته فرضى عنه بعد أن كان رسم عليه وأقام فى الترسيم خمسة أيام وطلب الإمامان أولاد الإخميمى لبيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير بسبب حساب وقف جامع الحاكم، ووقفا بين يديه من تحت المقعد ورسم عليهما.

وفى سابع شهر تاريخه سافر المقر الكريم الأشرف العالى السيفى الأتابكى أزبك من طططغ بسبب تحضير البحيرة وفى خدمته مماليكه وخواصه لاغير ، وحضر الأمير يشبك الإسحاقى المشهور بيشبك جن من البحيرة بعد إقامته بها ثمانية شهور .

وفى هذه الأيام حضر من المحلة سيدى الشيخ العارف المعتقد الملك المحقق سيدى أبى العباس ولد سيدى الشيخ الإمام الربانى العارف بالله المشهور بالغمرى [٢] نفع الله ببركته ونزل بجامع والده الذى أنشأه بالقرب من سوق أمير الجيوش ، فاجتمعتُ به فرأيتهُ رجلا عظيما عليه المهابة والجلالة ، وله تؤدةٌ وملكةٌ وتأنى ، وفرحتُ باجتماعى عليه ، نفعنى الله والمسلمين ، ببركة سيد المرسلين .

يوم الاثنين ثانى عشره خرج الأمير برقوق الناصرى كافل المملكة الشامية من الديار المصرية إلى محل كفالته فى موكب عظيم وبرك جميل إلى الغاية وترتيب جسيم وأبهة زائدة إلى الغاية ، ومرّ الطلب من الرميلة فرآه السلطان والعسكر، وركب معه أعيان الدولة وأمراؤها وخاصكيوها ومماليكها الموجودون وذلك بعد أن صعد لخدمة السلطان نصره الله ، وخلع عليه وقيد له فرساً خاصاً

---

(١) لم نعثر على ترجمة له وربما كان فى كتابة اسمه شىء من الخطأ .
(٢) بفتح الغين نسبة إلى ميت غمر .

بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ولم يتأخر إلا النادر عن الركوب لعذر : إما سفر أو عرض ، وذكر المقدمون من الأمراء وغيرهم أنهم ما رأوا ترتيبا ولا بركا ولا طالباً ولا قماشاً ولا خيولا ولا سروجاً من ذهب ولا كنابيش مزركشة جديدة مع أحد سبقه من النواب قبله . وبلغنى أنه وصل إليه من الأمراء والأعيان وغيرهم ثمانية عشر سرجاً (١٨٧) من ذهب وكنبوش مزركش خارجاً عما عملكه وعمله وصنعه ، وتوجه إليه رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف – حفظه الله على المسلمين – إلى الريدانية لحلفه على العادة أنه لا يخرج عن طاعة الإمام الأعظم ، فخلع عليه كاملية مخمل عظيمة بسمور بمقلب سمور ، وقيّد له فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش فلبسها قليلا ثم نزعها ، وأركب الفرس لأحد مماليكه الذين فى خدمته .

ووصل فى هذه الأيام قاصدٌ من حلب ، وأخبر أن حسن الطويل قاصدٌ البلاد الحلبية ، فحصل بذلك إزعاج عظيم فى العسكر ، فتحول السلطان للتجريدة ، وبدون هـذا الأمر كانت التجريدة ، فما بالك بهـذا ، فالله يلطف بالمسلمين .

يوم الجمعة سادس عشره أبيع صندوق خشب بباب جامع الأزهر فاشتراه إنسان بدينارين ثم رده فى الحال ، وكان أبيع قبل ذلك بعدة أشهر بأزيد من ذلك ورده ، فأخذ بعض الحاضرين يعبث فى أدراجه ورواشنه[١] فوجد فيه خبية لجنبها فإذا فيها كيس فيه ستمائة دينار وستون ديناراً ذهباً ، وأصل هذا الصندوق لورثة ، تخاف لهم معهم أطفال يتكلم عليهم أمين الحكم فتقاسمها الورثة .

---

(١) الرواشن جمع روشن ، وهو فارسى معرب وهو الرسم الذى يختم به ، انظر الجواليقى المعرب ، ص ١٠٦ .

وفى يوم السبت سابع عشره عقد مجلس بين يدى السلطان - نصره الله - بالحوش السلطانى بحضور قضاة القضاة ولم يحضر رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله لضعفه، عافاه الله وشفاه.

وسبب هذا العقد[1] لإعذار الأمير لاجين أمير مجلس فى المرأة التى ادعت أنها بنت فارس البكتمرى، وثبت نسبها منه والأمير لاجين وصى، فأعذر[2] لها.

وتكلم السلطان — نصره الله — مع قضاة القضاة وأعلمهم أنه أبطل مكس قطيا ومكس الخشابين من بولاق والأطرون بناحية دمنهور، ونودى بالحوش بذلك بين يديه، وكثر الدعاء له ولمن كان السبب فى ذلك. والله المنعم والمالك.

وصنع قاضى القضاة المحبى ابن الشحنة خطبة عظيمة فى مدح السلطان وعدله وفضله ووصفه (٨٧ ب) بجميع أنواع الصفات بين العسكر والأمراء ومن حضر، فلم يكترث لذلك غاية الاكتراث، وقرأها[3] من لفظه، ولما فرغ من قراءتها طلبها منه القاضى نور الدين الإنبابى — نائب رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف — ليقرأها ويكتبها، وذكر من المبالغة والإطراء أنه يرسل بها إلى الأقطار والأمصار.

ونودى بإبطال مكس قطيا والخشابين وأطرون دمنهور بالقاهرة ومصر فتضاعفت الأدعية لمولانا السلطان — نصره الله — ولمن كان السبب، حفظه الله.

---

(١) أى عقد المجلس.

(٢) يعنى: اعتذر لها.

(٣) المقصود بذلك القاضى ابن الشحنة.

يوم الاثنين تاسع عشره خلع السلطان على المقر الأشرف العالى الشرفى الأنصارى وكيل السلطان وأمره بالتوجه إلى البلاد الشامية ليجمع العربان والتركمان والعشرات الطاعة لمحاربة شاه سوار، خذله الله .

وفيه خلع على جانم السيفى تمر باى أحد الأمراء العشرات والروس النوب واستمر فى وظيفة الزردكاشية عوضا عن فارس السيفى دولات باى بحكم وفاته بدمشق .

وفيه أيضا خلع على دولات باى الخزندار الأجرود أحد الأمراء العشرات وأمر بالسفر فى خدمة المقر الشرفى الأنصارى لجمع العليق والمنزل والإقامة والمال وجميع مقاصده .

وفيه خلع على يشبك الجمالى محتسب القاهرة واستقر أمير المحمل على عادته فى التى تقدمها، وقيل: إن أقبردى أمير الأول على عادته .

وفى هذا اليوم توفى الشيخ سالم خليفة[1] سيدى أبو السعود أحمد البدوى نفع الله به بعد مرض طويل، وتولى بعده ولده الشيخ الذى كان قبله .

وفيه رضى عظيم الدنيا الدوادار الكبير — حفظه الله — على ابن المنبسى ناظر الأحباس وأطلقه .

وحضر المقر الأشرف العالى السيفى تمراز[2] الشمسى الأشرف أحد مقدمى الألوف - ونعم الرجل صمتا وتواضعا وحبا (١٨٨) لطائفة الفقهاء - من الغربية فإنه كاشف التراب بها، وقد انتهت عمارة الجسور وصعد للسلطان

(١) يستفاد من ترجمته فى الضوء ٣/ ٩١٠ أنه كان خليفة « مقام » سيدى أبى السعود ، ولد جهل سنة وفاته قريبة من سنة ٨٨٠ هـ ، وليس كما بالمتن .
(٢) الضوء اللامع ٣ / ١٥٢ .

فخلع عليه وأكرمه ، وكيف لا وهو متصف بهذا الوصف الحسن قريبه[١] أيضاً . وكان له موكب عظيم وحضر إليه الأعيان والأمراء فسلموا على العادة .

وأما قضية الصندوق التي تقدمت وأن الورثة تقاسموا المال انتقض عليهم وأخذ منهم وزسم على أمين الحكم وطلب منه حساب الأيتام ، ولولا العناية ما حصل له خير ولا شر قليل .

ووصل الخبر بوفاة يونس[٢] دوادار المقر الأشرف الكريم العالى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين بالرملة فى يوم الرابع والعشرين من شهر تاريخه ، وهو إنشاء الله فدا أستاذه ، أبقاه الله وأبده ، وكان يونس عاقلا ذكيا رئيساً محتشما لعل ما فى بيته أحشم منه ، رحمه الله .

يوم الأحد سادس عشره قبض على صوفى من خانقاه[٣] سعيد السعداء يعرف بابن الخليلى بسبب أنه فتح حاصل قمح فى المدرسة واختلس منه ، فقام الصوفية عليه ورفعوا أمرهم لعظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومدبر أمورها وشهيرها وأستادارها ودوادارها الكبير رعاه الله وحماه ، وذكروا أنهم وجدوا هذا فتح الحاصل المرصد لخبز الفقهاء وأراد يأخذ منه « فقبضنا عليه ، وفى العام الماضى عجز [الحاصل] سبعين إردباً ، وهذا الخرج الذى فيه القمح معه » . فأمر بضربه فضرب بالمقارع وأشهر على حمار فى الأسواق: « هذا

---

(١) المقصود بكلمة « قريبه » هنا خاله الأشرف جنبلاى .

(٢) ليس فى تراجم من يسمون بيونس التى أوردها السخاوى فى الجزء العاشر من الضوء من عمل الدوادارية سوى يونس بن عمر بن جربغا ولكنه كان داودار فيروز النوروزى ، انظر شرحه ٦ / ٦٠٠ ، ١٠ / ١٣١٢ .

(٣) أورد الخطط ٢ / ٤١٤-٤١٥ ، أنها تنسب لسعيد السعداء الأستاذ قنبر أحد الأستاذين المحنكين من خدام القصر الفاطمى ، وترجع أهمية هذه الخانقاه إلى أنها أول خانقاه فى مصر الإسلامية .

جزاؤه وقل جزاً على من يسرق من المدارس » واستمر في السجن وركب أبوه ودار على الأعيان ، وتظلم وبكى واستغاث وذكر أن أهل المدرسة الذين فعلوا هذه الفعلة بولده بينهم وبينه عداوة فاتهموه ، فإن له إخواناً وهم أصحاب لسان طويل على البواب وغيره ولهم مباشرة بالمدرسة (٨٨ب) بالخانقاه المذكورة، وآخر الأمر سألوا فضل الأمير العظيم الدوادار الكبير في إطلاقه فأطلق بعد أن توصل والده بالسلطان وله به معرفة من قبل تاريخه .

وفي يوم الاربعاء المبارك ثامن عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى ناحية طرى وأقام إلى المغرب وعاد إلى القلعة .

يوم الخميس تاسع عشريه ركب رئيس الدولة وواحدها في العلم والأصل والدين والفقه والتواضع المقر الزيني ابن مزهر كاتب السر حفظه الله وصعد إلى القلعة واجتمع بالسلطان وعوفي إن شاء الله تعالى عافية تامة .

وتقدم قبل هذا اليوم عَقْد مجلس بالقلعة بحضور السلطان بسبب قاضي القضاة حسام الدين المالكي المتوفى لما عليه من الديون للناس وللسلطان ، وكان الشيخ جلال الدين البكري[1] أثبت على السلطان شيئاً فبلغ السلطان ذلك فأنكره وخاطب الشيخ جلال الدين بكلام مزعج وقال له : « يا شيخ تلق الله بماذا ؟ » وأمثال ذلك ، وانفض المجلس على غير شيء .

﴿ شهر جمادى الأولى ﴾

أهل بيوم الجمعة الموافق لثامن عشري[2] بابه .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة

---

(١) انظر الضوء ٧ / ٧٣٤ .

(٢) في التوفيقات الإلهامية ، ص٤٣٨ « ٢٩ » بابه وهو يوافق ٢٦ أكتوبر ١٤٧٠ .

وكنتُ فى خدمة قاضى القضاة الحنفى ، فرحب السلطان بهم وأكرمهم ودعوا وانصرفوا .

وفى يوم السبت ثانيه خرج برك القر الشرفى الأنصارى المتوجه للبلاد الشامية بسبب تجهيز الإقامات والعلوفات والمقاتلة وتحصين القلاع لمقابلة شاه سوار .

يوم الاربعاء سابعه وصل المقر الأشرف العالى الأتابكى السيفى أزبك من سفره وهرع الناس بل غالبهم لخدمته ، ووافق وصوله سحرهذا اليوم ، وركب السلطان نصره الله على عادته المألوفة التى صارت ديدنه لا ينفك عنها واستمر إلى آخر النهار فصعد القلعة فعاد إلى منزله وصعد [السيفى أزبك[1]] من الغد فقبل الأرض وانصرف .

يوم الجمعة تاسعه ركب السلطان وتوجه نحو الصحراء ورجع بعد هنيهة .

يوم السبت تاسعه ضرب وكيل متصرف من مجلس القاضى خير الدين الشنشى الحنفى مقارع ومفترحاً[2] وأشهر بالبلد من باب عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله ، وسبب ذلك أنه كان صال وطال وجال فى الأخصام ، وشكى لبيت الأمير (١٨٩) المذكور ومنع من الوكالة فلم يرجع ، وأنهى خصمه الذى شكاه أنه طلبه — وهو صاحب حق — فادعى عليه دعوى مقلوبة وأساء عليه وغرمه مالا ، وقيل غير ذلك ؛ فلما رآه الأمير الدوادار الكبير قال له : «أنا ما منعتك من الكلام بين الناس وأن لا تعمل وكيلا ولا رسولا ؟ » وكان قبل هذا ضربه لكن عفى عنه كما ذكرنا ، فشفع فيه الأمير برقوق الذى استقر فى نيابة الشام وخلص له القسامة .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لعدم الالتباس .

(٢) الضرب المفترح هو غير المميت .

يوم الاثنين عاشره عَيّن السلطان من الأمراء المقدمين الألوف ـ لتجريدة البلاد الشامية صحبة المقر الأشرف الكريم العالى السيفى عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها وتدبيرها وأستادارها ودوادارها الكبير يشبك من مهدى مهد الله له السعادة وختم له بخير ، فإنه باش العسكر ـ وهم قانصوه الأحدى الإينالى الشهير بالخسيف وخاير بك من حديد وقراجا الطويل وتمراز الشمسى قريب السلطان ، وقيل تمر ، وأزدمر وأمراء وطبلخانات وعشرات ولكن بعد البرسيم ، وقول الشاعر معنى لطيف استحضرته وهو :

ما بين طرفة عين وانتباهتها[1] يقلب الدهر من حال إلى حال

وتكرر ركوب السلطان جدا ، وما رأينا ولا سمعنا بملك سبقه إلى مثل هذا ، وهذا من ضيق[2] الحصيرة وهو معذور لما دخل عليه فى هذه السنين من الأمور سيما واقعة شاه سوار ، وفعله فى العساكر والبلاد والعباد ، فالله ينصر السلطان ويظفره ويعامله والمسلمين بالالطاف العميم ويظفره بأعدائه ، إنه على كل شىء قدير .

يوم السبت سادس عشره توفيت المصونة المحجبة [آمنة ابنة اسماعيل[3]] المشهورة ببنت الخازن ، وكانت عمرت وخلفت أموالا جمة ، ولها أوقاف كثيرة من قبل أبيها يؤول النظر فى الأوقاف بعدها إلى قاضى قضاة الحنفية ، وأراد القاضى الشافعى الوثوب والتكلم فى الأوقاف فبلغ السلطان ذلك فقال : « أنا أحق من الاثنين ، ولكنى أعمل فيهم بالشرط وأحميهم عن الغاصبين » .

---

(١) فى الأصل « وأنت باهتها » بفتح الباء وضم التاء ، على أن هذا البيت يجرى على النسق التالى :

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

(٢) تعبير مصرى دارج بمعنى « الشدة » .

(٣) فراغ فى الأصل بقدر ثلاث كلمات ، والإضافة من الضوء اللامع ج ١٢ ص ٣ .

(٨٩ ب) يوم الثلاثاء ثامن عشره خلع السلطان على قاسم الذى كان وزيراً وهو الآن نائب عظيم الدنيا الدوادار الكبير فى الوزارة بعد أن وزن عشرين ألف دينار نقداً ، ولولا عظيم الدنيا أيضاً المقر الزينى ابن مزهر ماوصل إلى شىء ، وما كان قصد خصمه ابن غريب إلا أخذ روحه وماله ، وآخر الأمر اقتضى الحال إعادته لما كان عليه بعد ألف جهد ، وأن يقوم فى مدة مباشرته للخزائن الشريفة بأربعة آلاف دينار .

يوم الاربعاء العشرين منه ركب السلطان على عادته وتوجه وسير ورجع آخر النهار .

وتقدم قبل هذه الأيام عزل الأمير بلاط نائب حماه بسبب ما بلغ السلطان عنه أنه أرسل يسأل فى الاستعفاء فى سفته والتوجه إلى قتال شاه سوار ، وأن يستقر اميراً كبيراً بطرابلس عوضاً عن خير بك القصروهى ، وأن يستقر خير بك القصروهى ـ الذى كان واليا بالقاهرة ـ نائب حماة .

يوم الأحدرابع عشره ركب السلطان ـ نصره الله ـ وسير ورجع إلى القلعة على العادة .

يوم الخميس ثامن عشريه طُلب كاتبه[1] لبيت عظيم الدنيا المقر الأشرف السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير دامت سعادته ، وسبب هذا الطلب أن امرأة رفعت قضية لقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى مضمونها بعد البسملة : « للملوكة قريبة فلانة البكر المعصر تقبل الأرض وتنهى أنها فقيرة وتيمت من الشحانه ، وأبويها غائبين مدة تزيد على ثلاث سنين عن القاهرة وأعمالها ، وسؤالها إذن كريم لأحد من السادة النواب بتزويجها

---

(١) يقصد الصيرفى بذلك نفسه

ممن يرغب فى تزويجها بمهر المثل والكفاءة ، صدقة عليها » إلى آخره ، فكتب عليها القاضى نور الدين الخطيب أعزه الله تعالى : « ينظر فى ذلك على الوجه الشرعى بعد اعتبار الكفاءة متحريا» ، فاستوفى كاتبه[1] الشرائط الشرعية وقامت عنده بيّنة أن والدها ووالدتها غائبان الغيبة الشرعية عن القاهرة وأعمالها، وزكّى لها ثلاثة نفر منهم خاصكى ، وعقد العقد ودخل بها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ، غير أنها ذميمة من جهة الهيئة ، ولم آذن له فى الوطء . فاتفق أنه طلقها عن شهود غيرنا بعد الدخول والوطء (١٩٠) وسألته خالتها فى جميع حقها وكتبتْ عليها مسطوراً له بسبعة دنانير حتى طلقها ، والزوج غلام لشخص من الجند يسمى « فارس » من المماليك السلطانية ، وأصله مملوك سيفى ، فتوجهت خالتها إلى سكنها ببولاق وأخبرتهم بقصتها وكيف تزوج بنتها وأزال بكارتها وطلقها وكتب عليها مسطوراً وشكاها بنقباء وغرّمها دينارا ، واجتمع أهل بولاق وحملوا الصغيرة وتوجهوا بها إلى بيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، فرسم لبريدى ونقيبين بإحضار الغلام وأستاذه ، لحضرا فى أسرع وقت ، فلما مَثَل الزوج بين يديه [قال له] : « أنت فعلت كذا وكذا ؟ » فتعلثم ، فأراد ضربه ، فنهض أستاذه الجندى وأعلى صوته وقال : « بأى ذنب يضرب غلامى؟ وهو مافعل شيء إلا بالقاضى والشهود ؟ » فقال : « اطلبا القاضى » ، وكانت بلغتنى المسألة فركبت ، فعند موافاتى لباب الأمير الدوادار الكبير لم أجد الطلب قد توجه لى فدخلت إليه ووقفت بين يديه فقال لى : « ياقاضى : أنت زوجت هذه بهذا ؟ » قلت « نعم » قال : « كيف؟ » قلت : « أذن له مستنيبى فى ذلك بقصة مشمولة بخطه » فقال لى : « هذه تُزَوَّج؟ » ويومىء إلى أنها صغيرة فقلت له : « مذهبى ذلك، لأن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — وهى بنت تسع سنين، » فقال لى :

---

(١) يقصد الصيرفى بذلك نفسه .

« تشبّه هذه بهذه أو مثل هذا بهذا؟» فقلت : « لا يامولانا وإنما النبى صلى الله عليه وسلم مشرع ونحن أمته ومتّبعين[(١)] سنته » ، فسكت عنّى والتفت إلى من حضر فى مجلسه من القضاة والأمراء وقال لهم : « القاضى عَبَا لى هذا الجواب ، ليس لى عنده شغل ، مالى شغل إلا عند المملوك والغلام » . فبادر الشيخ شمس الدين الأمشاطى الحنفى وقال لى : « إنْ ثبت عندك بيّنة بالغيبة ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « من هم » قلت : « مذكورون فى صداقها » فقال : «أحضرهم» وأشار إلى الجندى بذلك ، فأغلظ عليه الأمير الدوادار — حفظه الله — إذ ذاك وأمره بإحضارهم وإن لم يحضرهم ضربه ألف عصاة ، وخرجوا على ذلك ، فأقمنا إلى يوم الاثنين ثانى شهر جمادى الآخر ، وطلبنى أيضاً (٩٠ ب) بعد ما أحضر البينة والمزكين وأمرنى بالتوجه ، وضَرب الغلامَ مائة شيب بالمقارع ومقترحاً نحو المائتين ، ورَسَم بإشهاره بالبلد على من يفتح البنات هو وأستاذه ويأخذ منهم ما لا يستحقه . وكانوا أنهوا إلى الأمير المذكور — أعزالله به الإسلام — أنه تسلط على البنت هو وأستاذه وصاروا يفعلون فيها ما لا يجوز فعله فهربت منهما فغضبت خالتها ، وكتب عليها مسطور بغير حق ، ثم طلب المملوك وأمر بنزع سلاريه فشفع فيه الحاضرون فى مجلس المقر الأشرف ، ثم أمر أن توضع البنت على ظهره وينادَى عليه فشفعوا فيه ، ورسم بتوجههم لبيت القاضى الحنفى وتساءلوا معه ماذا يلزمه للبنت فوقع بينهما براءة بعد [أن] دفع الغلام لها أربعة دنانير ، وصار لهـا فى البلد غوغاء ؛ وفى الواقع فالذى فعله الأمير الدوادار — حفظه الله — مع هذا الغلام وأستاذه صَدر من أهله فى محله ، فإن هـذا الجندى ساكن بحارة[(٢)] بهاء الدين قراقوش بمنزل شيخنا شيخ الإسلام ابن

---

(١) آثرت هذا الضبط من عندى رغم عاميته لمطابقته النطق المصرى الدارج الذى كان يتكلم به المؤلف .

(٢) تنسب إلى الأستاذ بهاء الدين قراقوش الصلاحى الخادم الخصى بانى السور وقلعة الجبل ، وكانت تسمى قديماً بحارة الريحانية وهم طائفة من الجند الفاطميين اتخذوها محلة لهم حين بنى الفواطم القاهرة ، انظر النجوم الزاهرة ٤ / ٤٩ ، ص ٣٨ حاشية رقم ٧ .

حجر رحمه الله ، وأخربها هو وهذا الغلام من كثرة ما يؤذى السوقة والباعة ويأخذ أموالهم هو وأستاذه ، وأحرموا تبنا أو دريسا أو دجاجا أو غير ذلك يمر حتى يخطفوه ، وإن دفعوا ثمنا فيدفعون ربع القيمة ، وفرح فيه أهل تلك الحطة وانخفض جانبه ، ولله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك ، وكنت أظن أن هذا الغلام يموت من الضرب فلما أصبحتُ وجدته ماشيا كآحاد الناس الأصحاء وليس يشكو من شيء ، فتعجّبتُ من ذلك ، وصدق من قال فى مقاله « إن فى الليل والنهار عجائب » ، والحمد لله ثم الحمد لله .

يوم الجمعة تاسع عشريه أعنى جمادى الأول الموافق سابع عشرى هتور القبطى ، لبس السلطان الصوف الملون وألبسه الأمراء الألوف بعد صلاة الجمعة وتأخر لبسه عن العادة القديمة بعشرين يوماً ـ أعنى عن عادة الملوك المتقدمين مثل الأشرف برسباى وقبله ـ وعن السنة الماضية بعشرة أيام .

وفيه توفى الأمير يشبك الإسحاقى (١٩١) الشهير بيشبك جن وبالبهلوان الأشرفى برسباى أحد مقدمى الألوف بعد مرض طويل اعتراه وانقطع منه فى بيته أياما ، وصُلى عليه من الغد بمصلاة المؤمنى ، وحضر السلطان جنازته والقضاة ومشى فى جنازته المقر الأشرفى الكريم العالى عظيم الدنيا يشبك بن مهدى الدوادار الكبير وليس له تربة ، بل دفن فى فسقية على قارعة الطريق ، ونقلوا إليه ولديه الصغيرين ، فأنزلوهما معه على ما بلغنى ؛ وكان المذكور غاية فى الظلم والأذى والتجبر والتكبر ، كثير الحط على الفقهاء والعلماء ، حتى إنه أهلك القاضى فتح الدين السوهائى[1] من كثرة ما يحط عليه ويسبه ، فإنه كان جاره بسكنه

---

(١) بضم السين ثم واو ساكنة وهاء مفتوحة نسبة إلى سوهاج بلدة من أعمال إخميم الصعيد الأعلى ، أما السوهائى فهو محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٨٩٥ هـ ، انظر الضوء اللامع ٩ / ٥٠١ .

بيركة الفهادة[١] ، وأصله خاصكي في الدولة الأشرفية برسباى ، وكذا في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم ترقى وصار أمير عشرة ، ونقله السلطان الملك الأشرف قايتباى عز نصره إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وأرسله إلى البحيرة في السنة الماضية فأقام بها شهوراً وحضر متعللا إلى أن قضى نحبه ، وخلف بنتين على ما بلغنى ، وكان سيء الأخلاق على ما بلغنى ، إذا ضرب لا يرحم ، وإذا خاصم فجر ، وإذا غضب لا يطاق ، وفرح بموته كثيرون ولقى عاقبة ما قدمه ، وأخذ تقدمته الأمير برسباى قرا[٢] الظاهرى الخازندار ، واستقر عوضه في الخازندارية قجماس أنى[٣] السلطان الذى كان مسافراً بالشام وحضر ، وقدمت خيوله للسلطان وجماله ومماليكه وبرقه وبركه ، وهكذا شأن الزمان ، وبلغنى أن الأمير الدوادار الكبير — حفظه الله — لما أنزلوا يشبك الفقيه بكى وحزن ، ومع ذلك فما ثم من يعتبر ولا يحسب حساب الآخرة ، فسبحان الحليم .

﴿ شهر جمادى الآخرة ﴾

أهل بيوم الأحد ويوافقه من أيام الشهور القبطية تاسع عشرى هتور .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر ودعوا وانصرفوا ولم يقع كلام غير السلام .

فيه دار المدراء بجنازة (٩١ ب) الشيخ نور الدين البرقى الحنفى ابن القاضى شمس الدين محمد وكان له مدة بويميات[٤] منقطعاً بمنزله من شيء نزل له في إحدى

---

(١) وهى من الأخطاط وقد اكتفى المقريزى في الخطط ٢/٣٥ فى تعريفها بقوله « إنها فيما بين الجوانية والمناخ » ، انظر نفس المرجع ٢ / ١٣ ، ٣٤ .

(٢) الضوء اللامع ٣ / ٤٠ .

(٣) الضوء اللامع ٦ / ٢٠٦ .

(٤) دأب المؤلف على استعمال هذا اللفظ إشارة منه لبضعة أيام قلائل .

أنثييه فاستمر به إلى أن قتله وأهلكه ، وكانت له جنازة حافلة حضرها الأكابر مثل ناظر الجيش والمحتسب وابن الجيعان وقضاةُ القضاة وغالبُ النواب والمشايخ ، وصلى عليه بجامع[1] الماردانى ودفن بالقاهرة ، وخلف ولدين رجلا ليس فيهما أهلية لشىء مما كان هو فيه ، مع أن علم صاحب الترجمة بالفقيرى ، وعلماء مذهبه يعرفون ذلك منه ، غير أنه معظّم عندهم لأجل الدنيا ، بل ترجمه بعض المؤرخين أنه [كان] عاريًا من العلم خادمًا لأهل الدنيا سيما الجمالى[2] يوسف بن كاتب جكم وهو الذى صيّره صاحب ثروةٍ وأموالٍ وتحفٍ وكتبٍ وغير ذلك ، فإنه كان يدفع له كل نقدة ألف دينار وأكثر وأقل ، ويأمره أن يتصدق بها فيصرفها فيما يريده ، فحصّل الأموال والوظائف والكتب ، وأودع عنده جملا من الأموال على ماقيل ، وخرجت وظائفه باسم أولاده ووصى عليهم المحتسب والشيخ أمين الدين الأقصرائى والعلمى ابن الجيعان والقاضى الشافعى ، وكان سىء الأخلاق مصفرًا نحيفًا شديد الغضب سريعه ؛ ومولده فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وقد ترجم شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة حافظ العصر الشهير نسبه الكريم بابن حجر والد صاحب الترجمة فقال : « كان قليل الدين » فكأنّ صاحب الترجمة اطلع على ذلك فصار يكثر من الصلاة والصيام ، سيما إذا بات عند المحتسب أو ناظر الجيش ، ورُشّحَ لقضاة الحنفية بالديار المصرية فما قدر الله ذلك والله الحمد .

وحدثته نفسه بالقضاء لأنّ رفيقه القاضى ولى الدين الأسيوطى استقر فى قضاء القضاة الشافعية ومع ذلك فكنا نحضر معه دروس الفقه قديمًا عند شيخنا قاضى القضاة سعد الدين فما رأيناه سأل سؤالا ولا أورد استدلالا ، غير أنه

---

(١) هو بجوار خط التبانة خارج باب زويلة ، راجع الخطط ٢ / ٣٠٨ .

(٢) الوارد فى الضوء ٦ / ٢٨ أن الجمالى ابن كاتب جكم كان يصفه بالوالد .

معيدٌ لكلام من حضر ويتم ذلك « بنعم بنعم » ، ثم حضرنا معه دروس قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة فما انتقل عما كان (١٩٢) فيه ، وكان له عند الحنفية اسم وصيت سيما عند شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى ، فإنه يبالغ فى قضاء حوائجه وضروراته عند عظيم الدولة فى عصره الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم ، وأول ماناب فى الحكم عن شيخنا الشيخ بدر الدين العينى . ونُقضت له عدة أحكام وصار معروفاً بخدمة الصاحب جمال الدين المذكور وصحبته ، وسافر الحجاز صحبة ولدىْ الصاحب المذكور ورفيقه قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى قبل أن يلى القضاء ، وصارا يقفان على الشيخ ويتعاطيان تصرفه وكلفه ويكتبان له مايحتاج إليه من خرْج ودخْل ، وحصل على قاضى القضاة ولى الدين السفطى من صاحب الترجمة أمر مايكر عليه مع أنه هو الذى رقاه ووصله إلى الأكابر وصار قاضياً بحسه ، فاتفق أنه أودعه عشرة آلاف دينار فصارت عنده ديْن : ووقع أن الظاهر جقمق غضب على السفطى وأخذ أمواله وتعلقاته فبادر صاحب الترجمة وأخبر من أخبر السلطان أن عنده وديعة للسفطى بكذا وكذا ألف دينار ، فأخذها السلطان ومات السفطى مقهوراً منه ، سامحهما الله تعالى ، وسأستوفى ترجمته عند وضعى لها فى الوفيات من هذه السنة على العادة بأطول من هذا .

واتفق قبل هذا بأيام وصول علاء الدين بن زوين كاشف الغربية وصحبته شخص من العربان يسمى عبد القادر بن حمزة بن نصير الدين مسلوخا وقد حُشى جلده قطنا ، وعدة رؤوس آدميين مقطوعين وصار يشهرهم إلى أن وصل بهم لبيت عظيم الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى دامت سعادته ، ووافق أن الأمير تمراز الشمسى — قريب السلطان وأحد المقدمين الألوف — مشى فى جنازة يشبك جن فشاهد المسلوخ وعرَفه وهو من جهته

ويتعصب له ويحميه ، وهم يشهرونه هو وبقية الرءوس من الآدميين ، وزاحمه بعض مماليك الأمير الدوادار ، وكان الأمير تمراز المذكور يحميه من الدوادار حال كونه كاشف الغربية (٩٢ ب) فلما حضر منها قبض عليه ابن زوين وفعل به ما ذُكر ، فسلّ الأمير تمراز الدبوس على باب الدوادار وضرب المملوك الذى زاحمه ضربا مبرحاً ، ولو أن الأمير جانبك قلقسيز كان حاضراً مع الأمير تمراز ما حصل خير . وأما عظيم الدنيا الدوادار الكبير - حفظه الله - فما أدرى هل وصل له علم ذلك أم لا .

ووصل الأمير قجماس من البلاد الشامية وصحبته موجود الأمير الكفيلى بردبك الفارسى المشهور بالبجقدار وموجود دواداره أبى بكر ، فبلغنى أن النقد خاصة أربعون ألف دينار خارجاً عن القماش والصوف والسنجاب والسمور والقاقل والبعلبكى ، وهو شىء كثير جدا وكذلك الذهب المزركش .

وحضرت بنت[1] خوند شقرا فردّها السلطان إلى حيث جاءت منه فركبت أمها خوند شقرا وتوجهت إلى بيت الأمير الدوادار الكبير دامت سعادته وسألته فى أمر بنتها ، فرضى عنها السلطان بشرط أن تزن عشرة آلاف دينار فامتنعت من ذلك فردت ، واحتاط المقر الزينى أبو بكر بن عبد الباسط على موجودها جميعه من صامتٍ وناطق وأحمال وجمال وقماش وغير ذلك وأحضره إلى منزله ليطالع السلطان به وبقيمته .

وفى يوم الخميس خامسه قبض للقر الأشرف الكريم العالى المولوى السيفى

---

(١) لم يستطع المحقق الوقوف على شخصية بنت خوند شقراء هذه رغم أن السخاوى فى الضوء ، ج ١٢ ص ٦٨ أورد سبع نساء كلهن باسم شقراء . ويلاحظ أن ابن إياس فى البدائع ص ١٠٥ ذكر أن لها بنتا اسمها الست خديجة بنت الأتابكى جرباش كرت ، ولكنها ماتت سنة ٨٦٥

عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومشيرها وأستادارها ودوادارها الكبير - حفظه الله على المسلمين - على عيسى بن بقر أحد مشايخ العربان ورسم بسلخه، فبلغ السلطان ذلك ، فأرسل المقر الزينى أبا بكر بن عبد الباسط يشفع فيه ويطالبه بعشرة آلاف دينار ، فوجده قد ساخ من رأسه قطعة فقال: «أنا أوزن» فأمهلوه حتى يوزن .

ووصل الخبر من حماة أن القاصد الذى توجه من عند مولانا السلطان - نصره الله - ليولى خير بك القصروى نائب حماة نقلا من صفد وجده باللاذقية ، فقرأ عليه المرسوم وهو يتعاطى السكر فشرق فمات ، فقلت ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[1] فقطع دابر القوم الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين .

وبلغنى (١٩٣) أن السلطان - نصره الله - ندم على عزل بلاط ، وقيل إنه يستقر على عادته .

ورسم السلطان بوجود بنت خوند شقرا المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير حفظه الله وما أدرى ما سبب ذلك .

ووصل الخبر بوفاة سنقر[2] قرق شبق الأشرفى برسباى الذى كان زردكاشا فى دولة الأشرف إينال وكان شديد الظلم على الخلق سيما لما عمر الأشرف المراكب لغزو قبرص ، فخرب غيطان المسلمين وآذى خلق الله تعالى بسبب ما يرميه عليهم من تعلق الزردخاناه ، وقد قدمنا ما اتفق له من حروبه وحبسه ونفيه والقبض

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ٤٤ .

(٢) صحح هذا الاسم على رسمه الوارد فى ابن إياس ، شرحه ، ص ٤٠ وقد ورد فى نفس المرجع ص ٦٦ خبر عن تعيينه حين عينه إينال شادا على مراكب تجريدة قبرص عام ٨٦٣ هـ .

عليه قريباً قبل هذا من منية الشبرج[1] صحبة الوالى ، وشاهدته دخل به القاهرة ماشياً والوالى ماشٍ بإزائه ، وصعد به إلى السلطان نصره الله فخلع عليه واستقر به أميراً بالشام فمات بها ، ووصل إلينا خبر وفاته فى هذا الشهر من هذه السنة واستراح وأراح الله العباد والبلاد من ظلمه وشره .

وفى هذه الأيام طلب المقر الأشرف العالى السيفى تنبك[2] قرا الدوادار الثانى أعزه الله ما أحشمه قاضى القضاة صلاح الدين المكينى[3] الشافعى المعزول عن القضاء بسبب وقف الجاولية المجاورة للكبش[4] فإن صلاح الدين شيخها والأمير المذكور ناظرها ، وأنهى له المستحقون والمباشرون أن الشيخ استبدل من الوقف رزقاً فأغلظ عليه فى القول وقال له : « قم فى الترسيم حتى تَرُدّ الرزق » فقال له : « قاضى الشافعية يفعل به كذا » فقال له : « لا رحم الله الذى ولاك قاضى »[5] أو ما أشبه ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ومع هذا أطلقه إلى حال سبيله ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وسمعت ممن أثق بنَقْله أن السلطان ـ نصره الله ـ أرسل المحتسبَ لقاضى القضاة الشافعى يقول له : « أنت وليت عبد البر ابن الشحنة (٩٣ ب) قضاء الشرقية ؟ » فقال : « ما ولاه إلا أبو السعادات[6] الذى كان قبلى » وكلمه أيضا فى أموال الأوقاف .

---

(١) من ضواحى القاهرة ، وذكر المقريزى فى الخطط ٢/ ١٣٠ أنها تسمى بالمنية ، ومنية الأمير ومنية الأمراء ، ولا تزال إلى اليوم.

(٢) الضوء اللامع ٣ / ١٧٧ .

(٣) الضوء اللامع ٢ / ٣٠٤ .

(٤) هو المنطقة الواقعة على جبل يشكر غرب جامع ابن طولون بالقاهرة . انظر المقريزى : الخطط ١ / ٣٤٤ ، ٢ / ١٣٣ .

(٥) هكذا فى الأصل وقد أثبتناها على ما هى عليه باعتبارها منطوقا .

(٦) انظر الضوء اللامع ٩ / ٢٦٠ .

وليس إنكارهم تولية عبد البر القضاء ولا عزلهم لابنه بعدهذا لجهلهم ولا لسقاطهم إلا لمشيه القبيح ولتعاظمه ودعواه العريضة وما أحسن من قال: «قيراط حظ أحسن من قنطار حظ» ولعمرى أن عبد البر أفضل من الذى يسمى فى قضاء الشرقية كائناً من كان .

يوم الاثنين سابعه ركب السلطان من قلعة الجبل فى أمرائه المقدمين والطبلخانات والعشرات والخاصكية والمماليك السلطانية للمشترى[1] وغيرهم ومقدم المماليك ، ونائبه تأخر بالقلعة ، والأمير جانبك من ططخ الفقيه تأخر بالاصطبل ، والزمام ونائبه بالقلعة ، ولم يتأخر بالقاهرة من المماليك إلا من لا عمدة عليه ، وتوجه [السلطان] إلى الخانكاه فأقام بها ثم ارتحل منها بعد أن قُدم له من الأبقار المماليف والأغنام المعظمة والدجاج والأوز والسكر والفاكهة والحلوى شىء كثير من مباشريه وأرباب دولته ، وأعظمهم فضلا وقدراً وخيرا وخبرا كاتب سره ابن مزهر الأنصارى حفظه الله على المسلمين ، وانتقلوا من الخانكاه إلى العكرشة[2] .

وركب السلطان ـ نصره الله فى ليلة الخميس المصبحة عن عاشره على الهجن وتوجه معه عدة من الأمراء مجموع ما معهم خمسون هجينا ، وأمر بقية العسكر بإقامتهم إلى أن يعود ، واختلفت الأقاويل فى توجهه فمن قائل إنه توجه إلى القدس ، ومن قائل إنه توجه إلى مكان قطع الفرنج فيه الطريق على المسلمين ، وقيل غير ذلك ، والله العليم والمالك .

---

(١) يقصد بذلك المماليك المشتروات ، راجع عنهم Ayalon : Structure of the Mamluk Army .

(٢) وتقع بالقرب من سرياقوس ، راجع ابن دقاق : كتاب الانتصار ٥ / ٤٣ .

ورجع المقر الكمالى ناظر الجيش بسبب توعك اعتراه وكان يعترى والده وهو الربو .

وأخبروا أن السلطان توجه — كما تقدم ذكره — ولم يتوجه قاضى القضاة الشافعى للسلطان ليصلى به الجمعة ولا طلبه السلطان ، ومع حضور المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه الله تعالى [فإنه] (١٩٤) ما يحتاج إلى خطيب ، وكل ما فى هذه الدولة وحكامها فى غاية الحسن والضخامة والمهابة لولا تعرض بعض حكام الشركة لحكام الشريعة ، فلا قوة إلا بالله، واستمر السلطان إلى يوم الخميس تاسع عشره فصعد القلعة من الصحراء ولم يدخل من البلد مع أن أهل البلد تجمعوا لرؤيته .

ووصل الخبر بوفاة الأمير جكم[١] الأشرفى برسباى خال الملك العزيز نائب صفد . وكان ضخما شجاعا أكولا ، ولم يقاس شدة فى شدائد الأشرفية برسباى فإنه كان ساكنا ساكتا صابرا على الأذى عاقلا ، غير أن الظاهر خشقدم — لما ولى السلطنة — جهزه إلى الوجه القبلى فأقام به مدة ورجع ، وكان صحبته عدة من الأشرفية ، وكان عديم الشر ملازما لداره إلى أن عيّنه الظاهرى المذكور لنيابة صفد فدام بها إلى أن وصل الخبر بوفاته فى هذه الأيام ، وعُين نائب غزة الذى هو الأمير أرغون شاه الأشرفى برسباى لنيابة صفد ، وسأل الأمير جكم[٢] قرا أمير آخور الجمال — وهو أمير طبلخاناه — أن يستقر فى ذلك والأمر موقوف على ما ترسم به الآراء الشريفة .

وفى[٣] الحادى والعشرين منه طُلب القاضى تاج الدين الأخميمى[٤] من بيت

---

(١) كان توليه نيابة صفد فى ربيع الأول ٨٧٠ هـ ، انظر النجوم الزاهرة ٥/ ٧٣٦ .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٢٩١ .
(٣) العبارة من هنا حتى ص ٢٣٩ س ١٠ واردة فى هامش المخطوطة .
(٤) السخاوى : شرحه ، ٦ / ٨٩٣ .

المقر الأشرف المالى السيفى يشبك من مهدى عظيم الدنيا وادُّعى عليه بشىء يتعلق بمباشرته لمّا كان أمين الحكم فأنكر ثم اعترف فهُدد ووبخ ورسم عليه عدة نقباء ، وآخر الأمر أن الشيخ علاء الدين[1] الحصنى خلصه منه. والإخميمى له نسبة إلى للقر العلائى ابن خاص بك ، وما يبعد أن يكون العلائى تكلم مع العلاء الحصينى بسببه .

وفى هذه الأيام ذبح شخص من المسلمين — كان بلانا بأرض الطبالة[2] بالجنينة وبيفحصوا[3] عن قاتله .

وفى الثامن والعشرين منه ذبح نصرانى بطاحون باب البحر قريب الأذان ولم يُعرف له قاتل . وكَثُر المفسدون واللصوص وتسلطوا على بيوت المسلمين بواسطة عدم عرفان الوالى بالصناعة .

وفى هذه الأيام ضُرب صاحبنا القاضى عز الدين بن بهاء الدين البلقينى الشافعى الشهير بشفتر[4] من الأمير جانبك الفقيه المشهور بتاجره[5] ططخ الظاهرى الأمير آخور الكبير علقة على مقاعده ، وسببها أن باسمه تصوفاً فى الظاهرية[6] برقوق أمير آخورية ، والصوفية لهم مدة لم يصرف لهم معلوما ، والمباشرون بالوقف يصرفون لمن يختارون من الصوفية ويمنعون من يختارون ، فصمد عز الدين

---

(١) السخاوى : شرحه ، ٥ / ١٠٠٩ .

(٢) انظر المقريزى : الخطط ، ٢ / ١٢٥ .

(٣) تعبير مصرى دارج .

(٤) فى الضوء اللامع ٤ / ٥٨٣ « شفطر » .

(٥) كلمة غير واضحة فى الأصل.

(٦) وتعرف أيضا بمدرسة الظاهر برقوق بين القصرين بالقاهرة كما تعرف أيضا بتربة برقوق وكذلك بالمدرسة الناصرية وقد استغرق بناؤها فترة طويلة من ٨٠١ حتى ٨١٣ هـ ، انظر المقريزى : الخطط ٢ / ٤٦٣ .

إلى القلعة وكلّم الأمير آخور بكلام مزعج فيه نوع إساءة ، ففعل به ما ذكرناه، ولم ينتطح فيها عنزان والقتل مايهدى، وآخر الأمر الرضى ، وكل مفعول مضى، وهذه الحادثة من أفهح ما يكون فى حق الفقهاء ، فلا قوة إلا بالله ، اللهم انتصر له .

وفى التاسع والعشرين منه وصل الشريف علاء الدين الكردى - صاحب السلطان الذى استقر ناظر الأشراف - وله مدة مسافر فى شغل السلطان بالبلاد الحلبية والشامية ، وصعد لخدمة السلطان فى يوم تاريخه ، وخلع عليه كاملية بخمل أحمر بسمور ، وهرع الناس للسلام عليه ، وسكن فى بيت صاحبنا المرحوم الجمالى يوسف بن الأتابكى تغرى بردى المؤرخ وفرشوا له البيت بسطا ومقاعد ودككاً وأمثال ذلك .

يوم السبت سابع عشره وصل الخبر للسلطان أن نائب سيس خرج منها ليسير فغلقوا عليه القلعةَ والمدينة وعصوا عليه ، وأرسلوا إلى شاه سوار بالأمن والأمان فلكها ، فحصل بذلك نكد زائد عند السلطان وغيره من المسلمين ، فلا قوة إلا بالله تعالى .

يوم الأحد ثامن عشره عَين السلطان - نصره الله - للقر الأشرف العالى السيفى أزبك أمير كبير لمساحة البحيرة ، وتوجه فى خدمته شرف الدين(١) موسى بن كاتب غريب للمساحة والقبض ؛ وغير ذلك أن البالسى(٢) مباشر المدرسة الظاهرية برقوق - الذى كان تعصب قبل هذه الأيام على عز الدين بن بهاء الدين شقتر البلقينى عند الأمير جانبك من ططخ الفقيه حتى ضرب - أقاموا عليه

---

(١) راجع السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ٨١٠ .

(٢) لعل هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمود الذى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع / ٥٣٢ .

أمينا الشيخ داود المالكى (٩٤ب) وظهر فى جهته للوقف ألف دينار فتوزعها هو وشمس الدين الإنبابى وإمام الأمير الذى هو ابن إمام الشيخونية وصيرفى المدرسة وهو فى الترسيم ، وقاسى أضعاف ما فعل بابن البلقينى ولله الحمد ، وكما تدين تدان ؛ والجزاء من جنس العمل .

﴿ شهر رجب ﴾[1]

أهل بالاثنين الموافق له من أيام الشهور القبطية سابع عشرى كيهك، لأن جمادى الآخر جاء ناقصا .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة، وكنت معهم فسلموا على السلطان بالحوش وهنوه ورجعوا .

وفيه ضُرب كاتب سر صفد وقاضى الحنفية بها ـ المشهور بقطين ـ بين يدى عظيم الدنيا الدوادار الكبير بسبب شكوى عليه من أهل القدس ، ورسم عليه وثبت أنه ظالم .

يوم الاربعاء ثالثه كان ابتداؤ قراءة البخارى بقلعة الجبل عند السلطان بالقصر وصعد قضاة القضاة والمشايخ على العادة .

وفى هذه الأيام أشيع أن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق المقيم بالثغر السكندرى رُسم له أن يتوجه لثغر دمياط حسب سؤاله فى ذلك ، فإنه حصل بين مماليكه ومماليك النائب تشاجر ورموا على بعضهم بالسهام ، وأرسل المنصور

---

(١) أحداث شهر رجب ساقطة فى المخطوطة ولذلك أضافها المؤلف فى الهامش .

يشكو منه[١] للسلطان ، فأرسل السلطان إلى نائب الاسكندرية يأمره بالحضور إليه[٢] وتقبيل يديه ورجليه ، ورسم [للمنصور] بالتوجه إلى دمياط وغيرها، هذا ما بلغنى، والله أعلم .

ورسم السلطان بعمل حسابِ المكين بن الكويز مع عبد الله بن المقصى ناظر الخاص ، ورسم لرئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله أن يحضر حسابهما ، مع أن السلطان رقّ له وحاله ورأف عليه ووعده بكل خير ، فنصره الله .

• • •

وفى هذه الأيام أشيع سفر مولانا السلطان إلى الفيوم وغيرها من البلاد كما فعل فى السنة الماضية ، وكان تقدّم قبل هذا أن السلطان لما توجه إلى المكرشة قبل تاريخه، ولصبمع للقر الأشرف الأتابكى فطلب بالنّشاب فرهنٍ عليه بألف دينارٍ فاشترى منها مائة مملوف بستمائة دينار ، ومائة خروف بدارى ، وسكراً ودجاجاً وأوزاً وفاكهة وحلوى وما أشبه ذلك ، واتفقوا على أن يتوجهوا إلى القناطر العشرة ويقيموا بها أياماً يأكلون ويشربون ويتنزّهون .

فلما كان يوم الاثنين ثامنه — وقت الأذان — ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب ضخم من مماليكه وأمرائه الصغار ، خلا المقدمين فإنهم سبقوه ما خلا من تأخر بالقاهرة مثل أمير آخور كبير وتغرى[٣] بردى ططر ومن سنذكرهم من الأمراء لما توجه السلطان إلى المكرشا ، وتوجهوا إلى برالجيزية وعدّى من مصر وتوجه إلى القناطر العشرة فأقام بها إلى يوم الأحد رابع عشره

---

(١) الضمير هنا عائد على النائب .

(٢) الضمير هنا عائد على المنصور عثمان بن جقمق .

(٣) انظر الضوء اللامع ٣ / ١٣٦ .

وركب والخدم باق ، ولاقاه شخصٌ من الكشاف من جماعة الدوادار الكبير يسمى « محصاح » وعمل له مدة عظيمة وأضافه عنده .

واتفق أن السلطان قبل رحيله من القناطر العشرة توجه مشياً بزربول[1] فى رجليه حتى وصل إلى الأهرام ورجع إلى الوطاق . ما هذا إلا شجاع قوى القلب متوكل على الله . واتفق أنه أوّل ما وصل إلى القناطر العشرة ما أعجبته المنزلة .

واتفق فى هذه الأيام أن جماعة بباب اللوق أكلوا كنافة وكانوا نحو سبعة أنفس فمات منهم خمسة أنفس ، والاثنان [الباقيان] فى السياق ، وفى آخر الأمر أن الملك المنصور توجه لدمياط وهو يصطاد ودخل المحلة وغيرها من القرى، فلله فى هذا السلطان ما أعظم شجاعته عمن تقدمه من السلاطين أنه أطلق الملوك مثل ما أطلق لهم هذا الملك . والله ما له نظيرٌ فى جميع أفعاله وأقواله .

وحضر فى هذه الأيام شخص تركمانى قاصد من عند شاه سوار هكذا ادّعى ، يسأل فى الصلح فرسم بسجنه فسجن ثم تبين أن كلام التركمانى غير صحيح .

وتوجه السلطان — كما ذكرنا — إلى الفيوم وعُمِل له بها مدة عظيمة من الحلوى والخرفان المشوية والشموع الموقود ، ورجع إلى القاهرة فدخلها يوم الاثنين ثانى عشريه آخر النهار ، فكانت غيبته عن القاهرة خمسة عشر يوما.

ووصل الخبر من حلب أن نائبها ضرب نائب القلعة بنذارة[2] وقيل بطبر عدة ضربات أثخن بها جراحه منها ، فكلمه الحاجب فى ذلك فضرب الحاجب أيضاً ، وأشرف نائب القلعة على التلف .

وورد من المحلة شخص وادُّعى عليه أنه زنديق فرسم السلطان بدفعه

(١) الزربول ما يلبس فى الرجل . وهو كلمة عامية مبتذلة ، والعامة تبدل اللام نونا . انظر شفاء الغليل فيما بكلام العرب من الدخيل . (أحمد الخفاجى ط . القاهرة ١٣٢٥)

(٢) عرف دوزى op. cit. II. p. 202 النذارة بأنها عند المولدين قطعة من السلاح صغيرة لأخذ العدو غدراً .

المالكى ، وشهد عليه جماعة ؛ وهذا الرجل الزنديق سأل عظيم الدنيا وزينتها ابن مزهر الأنصارى - كاتب السر حفظه الله - بمالٍ له صورة ليساعده ويدفعه الشافعى فرده عليه وما قبل ذلك . جزاه الله خيراً .

يوم الاربعاء رابع عشريه نادى المحتسب على الخبز بدرهمين الرطل ، والدقيق بمائة درهم ، وعشرة الدراهم البطة ، والأصل فى ذلك أن يبيعوا[1] ، والحق أحق أن يتبع ، وليس الرخاء والغلاء إلا من صنع الواحد الخلاق .

وأما البرسيم فوصل إلى عشرين نصف فضة الفدان .

يوم الخميس خامس عشريه خُلع على الأمير قجماس[2] الإسحاقى واستقر فى نيابة الثغر السكندرى عوضا عن يلباى الظاهرى جقمق بحكم انتقال يلباى إلى نيابة صفد عوضاً عن جكم خال العزيز[3] .

﴿ شهر شعبان المكرم ﴾

أهلّ يوم الاربعاء الثامن والعشرين من طوبة من شهور القبط[4] .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر بعد الظهر وكنت مع الحنفية ، فهنّوه بالدهيشة ودعوا وانصرفوا ، وكان القصرُ بطّالاً من الخدمة ولم يُقرأ البخارى .

ثانيه خرج الأمير أزبك الأتابكى من القاهرة إلى البحيرة بسبب مساحتها وقبْض مالها .

وفيه غضب عظيم الدنيا الدوادار الكبير على الوزير قاسم المتكلم عنه فى

---

(١) فى الأصل « سمعوا » .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٧٠٦ .

(٣) إلى هنا تنتهى أحداث شهر رجب التى فات المؤلف تسطيرها فى موضعها .

(٤) يتفق هذا وما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص٤٣٨ وهو يطابق ٢٣ يناير ١٤٧١ .

الوزارة ورسم عليه ترسيما شنيعاً . وتوجه رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله إلى بيت الأمير الدوادار المذكور بسببه فلم يجده ، وانتظره إلى نصف الليل ثم اجتمع به وما وافق على إطلاقه .

وقيل إن ابن منقورة(١) وأخاه اللذين استلمهما المقر الأشرف الصاحبى الأمينى — وكانا فى خدمته — وكان كما قيل يصادرهما ويضربهما ويفعل بهما الأهوال — وابن البحلاق(٢) الذى كان مقدم الدولة رافعوه لعظيم الدنيا المذكور ، ويرومان وظيفة الوزر لنفسيهما ، فتذكرت قول من قال :

لقد هَزُلَت حتى بَدَى من هزالِها كلاَها وحتىّ استامها كلُّ مُفْلِسِ

وقد كثر ركوب السلطان أياما ولم أذكر ذلك ولا كتبته لكثرته .

وفيه خرج شاهين الجمالى(٣) يوسف بن كاتب جكم شادُّ بندر جدّة إليها وصحبته عدةٌ من المماليك الإينالية وغيرهم فراراً من تعيينهم لشاه سوار .

ووصل قبل تاريخه بأيام بنت خوند شقرا جهة المرحوم الكفيلى بردبك نائب الشام وصالحت السلطان على مال قيل إنّ جملته عشرون ألف دينار .

يوم الجمعة ثالثه أُطلق النداء بالقاهرة حسب المرسوم الشريف أن المماليك السلطانية يصعدون غد تاريخه للعرض بسبب السفر لقتال شاه سوار ، والله يفعل ما يريد ويختار .

يوم السبت رابعه كان العرض ، فعَرض السلطان خمسة أطباق ، واستمرت

---

(١) إبنا منقورة هما عبد اللطيف ويعقوب القبطيان كما يستفاد من الضوء اللامع ٤/٩٤٣ ، ١٠ / ١١٢٤ ، هذا وقد ذكر السخاوى فى موضع آخر ، شرحه ٤ / ٩٨ أن عبد الباسط ابن يعقوب بن منقورة كان فى كرب بسبب بقاء أمه على نصرانيتها .

(٢) القاف فقط هى المنقوطة فى الأصل.

(٣) يعنى بذلك الجمالى يوسف بن كاتب جكم ، انظر الضوء اللامع ٣ / ١١٢٣ .

الخدمة بالقصر من قلعة الجبل بطالة لأجل المرض ، واستمر المرض إلى يوم الاربعاء ثامنه ، وجهّز السلطان للأمير برسباى قرا الظاهرى أحد مقدمى الألوف النفقة ، وهى أربعة آلاف دينار ليسبق العسكر ومعه عدة من الأمراء العشرات .

وتقدم قبل هذا بثلاثة أيام أن امرأة شكت قاضى القضاة المحبى الحنفى ابن الشحنة بسبب دين لزوجها عليه ، وتوفى زوجها . فدفعها السلطان لتحمل مصلحتها صحبة الأمير ناصر الدين بن أبى الفرج[1] نقيب الجيوش للنصورة ، فاعتذر[2] أن بلادهم وتعلقاتهم التى بحلب لم يصل إليهم منها شىء[3] ، وحلف أنه ما يملك ديناراً ذهباً ولا فضة .

وأطلق الوزير قاسم بن غريب بعد أن وزن جملةً من المال ، وإلى الله المرجع والمآل . مع أن ابن غريب ـ لما سُفّر إلى البحيرة ـ جهد أن يسدّد الوزر إلى آخر شهر شعبان . واستمر قاسم ببيته بطالاً ليقوم بما تأخر عليه مما قيل إنه فى جهته من الأموال السلطانية ، هذا مع مساعدة عظيم الدنيا المقر الدوادار الكبير حفظه الله حتى أطلقه ، وسلمه له وأخذه وأنزله بجانبه فى بيت ابن رمضان ، فأقام أياماً ثم هرب فى ليلة الاثنين ثالث عشر شهر تاريخه ولم يُعرف له مكان ، وإنما هو موصوف بقلّة والدين وعدم الأصالة والحشمة ، فإن إنساناً ـ حفظه الله ـ خلّصه من الفتك وضمنه فما يجازيه[4] أن يهرب ولا يقوم بشىء مما ضمنه فيه ، فكثرت أدعية الفقراء والصلحاء للمقر الأشرف الزينى ابن مزهر

---

(١) راجع عنه السخاوى فى الضوء اللامع ٨ / ٧٠ .

(٢) يعنى بذلك ابن الشحنة .

(٣) فوق هذه الكلمة إشارة لإضافة فى الهامش ، غير أن ماورد بالهامش داخل ضمن أحداث رجب .

(٤) فى الأصل « يجازفه إلا » والأرجح ما أثبتناه .

حفظه الله برد قاسم ليخلص من ضمانه عظيم الدنيا الدوادار الكبير .

وانتهى عرض السلطان للماليك السلطانية بعد أن غضب فى أثنائه ممن عيّنه من الأمراء للتوجه إلى سوار وصاروا يتمنعون ويتعللون ، فبطّل السلطان العرض وقال : « أنا أسافر بنفسى » . ثم عرض بعد ذلك ، وكانوا أشاعوا أن الجاليش يغلق فى يوم تاريخه الذى هو الرابع عشر من شعبان .

ومما ينبغى أن يُسطر ويُدوّن ويُنشر ويذكر فى صحائف مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ـ عز نصره ـ أنه أول ما تولى المملكة ـ وكان فى غاية الاضطرار لأجل النفقات وتجهيزها ـ فأوحى[1] إليه الوسطاء أن يأخذ من جماعةٍ مالا وعينوهم ، فأخذ منهم . ثم علم بعد ذلك أن هذا لا يجوز ، فوعدهم بدفع ما أخذه منهم .

فلما كان فى الثالث عشر من شعبان هذا طلب السلطان الأمير فارس المحمدى الركنى [فيروز][2] الوزير ودفع له ألف دينار وخمسمائة دينار وأربعين ديناراً ، ودفع للشهابى أحمد بن الأمير أسنبغا[3] الطيارى وأعطاه ألف دينار ، وأعطى ابن فارس السيفى ألف دينار ، وهذا أمر عظيم .

ووصل كتابٌ من مكة المشرفة برابع عشرى رجب سنة تاريخه أن السلطان أرسل إلى مكة سنقر الجمالى[4] ناظر الخواص الشريفة وأمره بحفر العين الواصلة إلى جبل عرفات ، فحُفرت حتى وصل الماء وملأ منها بركتين وحصل بها نفع عظيم ، وعمّر مسجد « الخيف » وعمر مسجد نمرة ، وكم مضى من الملوك

---

(١) فى الأصل « فأوحوا إليه الوسايط » .
(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٦ / ٥٤٤ .
(٣) راجع الضوء اللامع ٢ / ٩٨٤ .
(٤) شرحه ، ٣ / ١٠٤٠ .

السالفة ولم يلهموا لفعل هذا الصنيع الحسن ، حتى إن العين المذكورة لها - من حين حفرها جوبان[1] - نحو مائة سنة وهى دائرة ، فأحياها مولانا السلطان نصره الله .

وفى يوم الاثنين - العشرين منه - استأذن رئيس الدنيا المقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى حفظه الله فى السفر إلى مكة والمجاورة بها فأذن له بعد أمور وعدة سؤالات ، ومن جملة من سأل له الأتابك أزبك والأمير الدوادار الكبير ، وسُرَّ بذلك سروراً عظيماً فقال أصحابه وأحبابه وجماعته - وأنا منهم - « حج فى أهل هذه البلدة بإقامتك فيها لنفعك العام للمسلمين » ، فلم يقبل ذلك .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين منه ضُرب زين الدين عبد الرحمن بن تقى الدين - قريب فرج ابن النحال[2] الذى كان والده عمل ناظر الدولة - بالمقارع وحبس بالمقشرة ، والسبب فى ذلك أن المذكور سافر إلى البلاد الشامية وزوّر مراسيم شريفة ، وخلع على جماعة ، وأمر بعزل جماعة ، وكان رفيقه فى الطريق السيد الشريف علاء الدين الكردى - ناظر الخانكاه - الذى هو من جهة السلطان ، فبلغ السلطان ذلك ففعل ما ذُكر ، ولولا مساعدة الأمير تنبك الدوادار الثانى حفظه الله ما حصل له خير ، فإن المذكور سيرته قبيحة ، وسيما قبض عليه أنه سرق سرجاً مفضضاً ببيت الولى وخلصوه منه بعد بذل مال .

وقبل هذا بيوم سُمّر اثنان من البزادرة[3] ووسطا بقنطرة[4] الحاجب

---

(١) هو جوبان النوين الكبير ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ١ / ١٤٦٣ .

(٢) ويعرف بابن ماجد ، انظر الضوء اللامع ٦ / ٥٧٠ .

(٣) البازدار - وجمعه البزادرة - هو الذى يحمل الباز ، راجع الجواليقى : المعرب من الألفاظ ص ٧٨ حاشية رقم ٦ .

(٤) جاء فى خطط المقريزى ٢ / ١٠٠ فى تعريفها إنها على الخليج الناصرى ويمر الناس=

خارج القاهرة بعد إشهارهما بالقاهرة بسبب قتل الحلبي الذى سكنه بالجنينة وأخذ ماله ، فإنه تبين أنهما قتلاه فقتلا به ، ولله الحمد . وكان هذان من الأشرار المفسدين ، فأزالهما الله عن المسلمين .

وفى يوم الاثنين العشرين منه وصلت الأخبار من الرحبة أن حسن بك[١] مشى على البلاد .

وحدث فى هذه الأيام أمور تؤذن باقتراب الساعة ، منها أن السيد الشريف الوفائى — نائب قاضى الحنفية — أخبرنى بحضوره أن الأمير تمر المحمودى[٢] حاجب الحجاب شاهد عنده بغلة ولدت وعاش الولد أياماً ومات بعد ذلك .

وفيه — بل فى يوم الخميس ثالث عشريه — توجه قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة وسيدى[٣] عبدالبر — ولده — لزيارة الشيخ بدر الدين بن عبيدالله[٤] الأردبيلى فإن له مدة [وهو] متوعك و [قد] أشرف على التلف ، وباسمه وظائف جليلة بمدارس الحنفية ، لكن الشيخ برهان الدين الكركى — إمام السلطان — سعى فيها وأنعم بها عليه . ومع ذلك [فقد] توجها إليه وصحبتهما

= عليها إلى بولاق وغيره ، وهى من إنشاء الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٢٥ هـ ، وأخذ العمران يدب فيا حولها حتى انتظم « ما بين شاطىء النيل ببولاق وباب البحر عرضاً وما بين منشأة المهرانى ومنية الشيرج طولا » .

(١) فيا يتعلق بهذه الأحداث وحركات حسن بك الطويل ، راجع العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٣/٢٢٢ ومابعدها .

(٢) فى الأصل « الحمودى » والتصحيح من الضوء اللامع ٣ / ١٧١ ، راجع أيضاً ما يلى ص ٢٥٠ ، س ١٨ .

(٣) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٤ / ١٠٢ .

(٤) هو محمود بن عبيد الله وليس ابن عبد الله كما ورد بالأصل ، راجع الضوء اللامع ١٠ / ٥٦٠ .

صهره ابن النويرى الذى هو نقيبهم ، ولا زالوا به حتى نزل لسيدى عبد البر عن درس الأبوبكرية[١] والصرغتمشية وأم السلطان، والتزم له بمائة دينار ، وأنه ما دام حياً يتعاطى معاليمها ، وكتبوا ذلك وشهد به أربعةٌ من نوابهم وشخصٌ من العدول يسمى ابن صلاح ، وأظهروا ذلك وأنهم وصلوا لمقصودهم فبلغ ذلك المقام الشريف — نصره الله (٩٦ ب) — [و] أن الإشهاد الذى صدر منه كان فى غير عقله ، وأن نواب الحنفى وصهر ابن عبيد الله كتبوا لقاضيهم مهما أراد ، فاحتد السلطان من ذلك وانزعج ، ومات النازل[٢] فى يوم السبت خامس عشريه ، فطلب السلطان الشهود والقضاة الذين حضروا وكتبوا وشهدوا بين يديه ، وأكد فى حضورهم وصحبتهم صهره ، فإنهم نسبوا صهره أيضا إلى أنه أخذ أشياء من وظائف وتعلقات كانت باسمه قديمة ، فلما مثلوا يدى السلطان قسا[٣] عليهم وبالغ فى الحط على صهره وأوعده وهدده وقال له : « تشهدوا[٤] على شخص غايب الوجود ومصداق ذلك مات من ليلته وأخرتوه إلى يوم السبت ؟ » فاعتذروا عن ذلك فلم يقبل منهم . ورسم بطلب بقية الشهود وأن يصعدوا بهم غد تاريخه الذى هو الأحد سادس عشريه بين يديه ، فرسموا عليهم وصعدوا بهم إلى القلعة عند جامع الناصر ابن قلاون وخاف أحد

---

(١) تنسب المدرسة البوبكرية إلى مؤسسها الأمير سيف الدين أسنغا بن بكتمر الأبوبكرى المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ، راجع الخطط للمقريزى ٢ / ٣٩٠ ، وابن حجر : إنباء الغمر ، ١/١١١ (تحقيق حسن حبشى) أما المدرسة الصرغتمشية فتقع بجوار جامع ابن طولون بالقاهرة ، وهى من إنشاء الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى ، راجع المقريزى ، شرحه ٢ / ٤٠٣ ، وقد كانت كلتا المدرستين وقفا على الحنفية .

(٢) المقصود بذلك الشيخ محمود الأرديلى .

(٣) فى الأصل « أسى » .

(٤) أبقينا نص القول دون تعديل .

الشهود المسمى محمد بن صلاح وهو شاب من فقهاء الأطباق الذين يقرئون المماليك بالقلعة ، واتفق أن هذا الشاهد وقف للسلطان مرة وغضب عليه بسبب جامكيته ، وما خلص منه إلا بأمر عظيم .

وصار يستغيث فلا يغاث ، فأنجده الله بلطفه أن بعض أكابر الخاصكية تكلم معه ووطده على أن يسأل له بعض الأمراء فى الشفاعة فيه ، فمشى معه ودخل من باب الستارة ، فخرج من الحوش ونزل من السبع حدرات ونجى بنفسه ، فلما طلبهم السلطان بين يديه — وكان السلطان نصره الله رسم بإحضار نساء ابن عبيد الله وبنته ليسألهن هل صدر عنه[1] هذا النزول وهو حاضر الحس أم لا ، فقلن : « كان ضعيفاً » ، وسأل عن الشاهد فأجابوه أن بعض الأتراك أخذوه لطبقتهم لأنه فقيههم ، فرسم نقيب الجيش على النقيب بالترسيم عليه ، وأمر نائب مقدم المماليك فدخل الأطباق ففتشها طبقة طبقة فلم يجدوه ، وآخر الأمر أنّ رئيس الدنيا ابن مزهر شفع فيهم وبالغ فى ذلك فلم يقبل السلطان ذلك وصمم على حضور الشاهد الذى هرب ، فنزلوا فى الترسيم ببيت نقيب الجيش ، وأطلقوا النساء إلى بيوتهن .

فلما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين منه صعد الشهود أيضا إلى القلعة ليدخلوا بين يدىْ السلطان ، فلما جلس على الدكة بالحوش برز عظيم الدنيا الدوادار الكبير (١٩٧) — دامت سعادته — فشفع فيهم ولمس الأرض بسببهم ، ثم تبعه الأمير المحمودى الظاهرى — حاجب الحجاب — فقبّل الأرض، ثم تبعهما عظيم الدنيا ابن مزهر الأنصارى فقبّل الأرض ثم باسَ رِجل السلطان فرسم بإطلاقهم . هذا مع أن قاضى القضاة الحنفى وولده لما بلغهما

---

(١) فى الأصل « عليه »

غيظ السلطان والترسيم على نوابه والشهود ، أرسلا إلى السلطان النزولات صحبة المقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ، وطلع للقر الزينى ابن مزهر المذكور حفظه الله يوم الأحد القلعة مع أن عادته الراحة فيه ، فتعجب السلطان وصار يقول له : « لاتدخل نفسك فى هذه القضية » ، فأجابه حفظه الله تعالى: «أنت أمرتنى بذلك لأنك جعلتنى كاتب السر ،وكاتب السر يتكلم فى هذا وفى غيره » ، فجزاه الله خيراً عن المسلمين .

وامتلأت القاهرة بصرف[(١)] قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة من وظيفة القضاء وأن البرهان الكركى يستقر فيها ، ثم بطل ذلك . لكن قالوا : إن السلطان — نصره الله — أرسل إلى الشيخ أمين الدين الأقصرائى ينظر له قاضياً بوليه ، فذكر له شيخ الظاهرية[(٢)] الشيخ عضد الدين السيرامى[(٣)] والشيخ شمس الدين الأمشاطى[(٤)] ، وقيل إن السلطان ذكر الشيخ محيى الدين الكافيجى فنسبوه إلى السذاجة وعدم العرفان بالمصطلح ، وما عسام يفعلون ويأبى الله إلا ماأراد . وفى الواقع فقضاة الشرع لوعظموا أوامر الله وحقوقه لعظمهم ،ولكنهم خافوا على وظائفهم فأهانوا أنفسهم ، والأمر إلى الله .

* * *

وتوفى الشيخ بدر الدين بن عبيدالله الأردبيلى الحنفى بمدرسة أم السلطان، وله من العمر إحدى وثمانون سنة تخميناً ، وكان فقيهاً فاضلاً له قدرة على الاشتغال والمطالعة سيما مع الأتراك فإنه عُرف بهم وسيما صحبته المقر الأشرف

---

(١) فى الاصل « بتصرف »
(٢) يقصد بذلك جامع السطان برقوق .
(٣) بكسر أو له سينا أو صاداً على السواء ، انظر السيوطى: نظم العقيان ، ص ١٢٧ .
(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٦/ ١٠٠٤ .

العالى السيفى يشبك من سلمان شاه الفقيه[١] المؤيدى ، أحسن الله خلاصه فإنه كان شيخاً[٢] له ومقيما عنده فى غالب أيامه كثير الإحسان إليه ، وقرأ عليه عدة كتب فى الفقة منها « الهداية » و « الكنز » ،واشتغل قديما ، وقرأ على عدة من الشيوخ (٩٧ ب) منهم القاضى محب الدين بن الشحنة قاضى حلب والد شيخنا قاضى القضاة محب الدين الحنفى قاضى مصر ، وولى القضاء عن الزينى التفهنى[٣] وبعده عن البدر العينى ، وعن الشيخ سعد الدين ابن الديرى[٤] وكان يجهز إلى البلاد الحلبية والشامية ليحكم بقتل بعض المفسدين فيفعل ، وتوجه مرة وحكم أيضاً بقتل جماعة بقنطرة الحاجب أن يغزوا بالرماح ففُعل بهم ذلك . وامتحن مرة بسبب واقعته مع تغرى برمش الزردكاش فى أيام الظاهر جقمق ورسم بحبسه ، وكان المدعى عليه سيدى أحمد بن أزدمر ، ثم رسم أن يتوجه به إلى بيت قاضى القضاة بدر الدين البغدادى الحنبلى ليدعى عليه بين يديه ،فادعى عليه أنه قال : «ماثم بعث ولانشور ، ولاحياة » وما أشبه ذلك ، فصعد الشيخ أمين الدين الأقصرائى والقاضى بدر الدين الحنبلى البغدادى للسلطان وسألاه فيه وتلطفا به فأطلق ، واتفق له فى هذه المدرسة التى مات بها وهو شاب أن بعض البوابين بها كان بينه وبينه خصومة فقبض عليه على ما ادعى وفى داخل ثوبه كراز[٥] نبيذ فكسره ، وتوجه به للبدر العينى وأخبره أن البواب فعل هذا من عند نفسه ونسبه إليه ، فقام البدر العينى معه وساعده وطلب البواب وأدّبه . واتفق بعد ذلك بأيام عقْد مجلس بين الشيخ بدر الدين العينى المذكور وبين شخص فى مسألة ، فصار صاحب الترجمة عليه وحصل له منه قهر شديد .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٧٦ .

(٢) فى الأصل « شيخله » .

(٣) السخاوى ، شرحه ، ٤/٢٨٥ .

(٤) هذا نسبة إلى مكان بعردا من جبل نابلس أو الدير الذى بحارة المرداويين من بيت المقدس انظر فى ذلك الضوء اللامع ٣ / ٩٣٩ ، ١١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٥) انظر فى تعريفه Dozy : op. cit. II, 455 : Freytag : Gl. Esp., 86.

وكان له سطوة وعنده جرأة وإقدام فى الجلوس والركوب وحضور المجالس . اتفق لما كانت وفاة سيّدنا الشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفى(١) تقدم الشرف يحيى(٢) المناوى للصلاة عليه بحضور السلطان فجذبه من بين كتفيه وقال له : « نحن أحق بالصلاة على أهل مذهبنا » ، وقدم الشيخ سعد الدين الديرى للصلاة عليه .

وكان يفتى لكن فى آخر عمره ترك ، ولم يترك الاشتغال فى الفقه وأصوله وكان محباً لبيت القاضى محب الدين بن الشحنة ، وهو الذى كان سبباً لمصاهرة بنتهم بابن الأمير يشبك الفقيه الدوادار ، وخلف بنتاً كبيرة وزوجة (١٩٨) وحصل على القاضى محب الدين بن الشحنة وعلى ولده السروى عبد البر ومَن حضر معهما من النواب والشهود من البهدلة مالا يوصف بسبب أنهم كتبوا عليه نزولا(٣) بعدة وظائف ونُسبوا إلى التزوير . انتهى .

واستمر هذا الشهر بلا خدمة فى القصر .

وفى يوم الاثنين سابع عشريه كان عرس المقام الأشرف الكريم العالى تنبك(٤) قرا الدوادار الثانى الإينالى على بنت(٥) بنت السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف إينال من بردبك الدوادار الثانى ، وعمل مدة عظيمة للأمراء والأكابر والأعيان . وركب وفى خدمعه عدة من الأمراء الظاهرية والإينالية ، كالأمير إينال حبيب والأمير أزدمر الظاهرى والأمير قانصوه الأحدى الإينالى الشهير بالخسيف ، والأمير دولات باى سلاق ، وغيرهم من الأمراء والخاصكية.

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٨/٣٠٠ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٠٣٢ .

(٣) أى « تنازلا » .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع ٣/١٧٧ .

(٥) واسمها أباس كما جاء فى السخاوى ، شرحه .

وحضرت العروس إليه — من دار الأمير قراجا[1] الطويل التى هى مقابل الكبش لأنه زوج أمها — فى محفة زركش والخدّام حولها والخواندات بين يديها راكبين وماشين بالشموع والمناجيق والفوانيس الكبيرة الزهرة ، وقيل : إن الجهاز الذى وصل إليه قيمته ثلاثون آلف دينار ، والملك لله الواحد القهار .

﴿ شهر رمضان ﴾

أهلّ بيوم الخميس[2] لأن شعبان جاء ناقصاً .

فيه توجه قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وأقبل عليهم ، وكذا تكلم مع قاضى الحنفية ولم يعاتبه بشيء أصلا مع أنهم كانوا فى أمسه توجهوا المنصورية[3] بسبب الرؤية للهلال ، ولم يحضر المحتسب معهم ، لكن حضر أحد خجداشيته من مماليك المقر الجمالى ناظر الخواص الشريفة ، وثبت على القاضى زين الدين الأبشيهى بشهادة أحد نواب الحكم الشافعى وكتبوا بذلك للسلطان[4] ، والله المستعان .

يوم الجمعة ثانيه نودى بالقاهرة أن المماليك السلطانية يصعدون غد تاريخه ليقبضوا النفقة برسم التوجه لقتال شاه سوار ، وأن يقبضوا الكسوة ، ورُسم للقاضى علم الدين أبى الفضل بن جلود بالنفقة وصرّها قبل أن يعلم أحدٌ بذلك .

وفيه (٩٨ ب) جُهِّز للمقر الأشرف الكريم العالى — المولوى السيفى

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٤/٧١٥ .

(٢) يطابق هذا ماجاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ ، وبوافقه ٢٧ أمشير ١١٨٦ ، ٢١ فبراير سنة ١٤٧١ .

(٣) يقصد بها جامع ابن طولون .

(٤) انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٥ - ٧٦ .

عظيم الدنيا يشبك من مهدى الدوادار كبير وصاحب الحل والعقد ومشير الدنيا ومدبرها — من فائض الدولة الشريفة بمائة ألف دينار ، وصعد بها دواداره قانصوه الشكل الحسن ، فخلع عليه السلطان كاملية سمور بمقلب سمور وفوقانيا بطراز زركش ، وأنعم عليه بخمسمائة دينار وبتركاش فضة وقوس حلقة خاص ، وعاد إلى دار أستاذه فى مهابة عظيمة وحشمة زائدة .

ولما كان يوم السبت ثالثه صعد المماليك السلطانية لقبض كسوتهم ، فحين حضر واحد منهم وقبض الكسوة أُعطى نفقة السفر فسقط فى يده ، ولم يسع من حضر إلا السمع والطاعة ، وأصبحوا كذلك فى قبض الكسوة والنفقة .

واتفق فى هذه النفقة أمورٌ غريبة منها أن تغرى بردى المحيى بن الشحنة طلع فقبض كسوته أسوة بالمماليك السلطانية فلم يعطوه نفقة شاه سوار لأنه ما كُتب ، وخرج من الحلقة ، ثم عاد وسأل فى السفر إلى شاه سوار وقُبِض النفقة فرُدَّ فألح ، فطلب له السلطان قوساً فلم يقدر على جبذه واستعيدت منه الكسوة ، ومسح اسمه من الديوان ، فانظر لهذا الصنيع القبيح .

ومنها أن شخصاً من المماليك السلطانية قبض نفقة شاه سوار وكسوته فسقطت منه ورجع إلى السلطان وأخبره بذلك ليعطيه عوضها فزجره وهدده ولم يصدقه على ذلك فعاد مكسوراً ، فقدّر الله أن وجد الصرة شخص من الجند ، وبلغته قصة المملوك الذى سقطت منه فسأل عن بيته وأعلمه بأنه وجد النفقة ، فلم يرض بأخذها منه وقال له : « أصعد أنا وأنت لخدمة السلطان لتعلمه بما وقع ! » ، فأصبحوا وأعلموا السلطان بالقضية فأنعم على المملوك الذى وجد الصرة بها ، وأبطل الذى ضاعت منه من السفر إلى قتال شاه سوار .

ومنها أن شخصاً من المماليك الظاهرية خشقدم وقف للسلطان يسأله فى إبطاله من سفر شاه سوار ، واعتذر بأن عينيه فى غاية الألم وحصل عليهما حرقة

زرقاء فطلبه السلطان لبين يديه وأمره بفتح عينيه ، فعلم السلطان أنها حيلة ورمى النفقة ومشى خطوات ، فأمر السلطان بضربه فضرب ضرباً مبرحا أشفى منه على التلف ، ورسم لنقيب الجيش بنفيه إلى طرسوس ، فأخرجوه إلى الجامع ، ثم إن الأمراء تدخلوا على السلطان بسببه فطلبه وأهانه وأعاد له النفقة ورسم بالسفر ، وما حصل على طايل ولا نايل . (١٩٩)

انتهت الأمور الغريبة .

وأما إشاعة عزل قاضى الحنفية فبطلت ، والسبب فى إبطالها رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى حفظه الله على المسلمين ، فإنهم — أعنى بيت الشحنة — ترامو عليه فضمن لهم ذلك ، وقال : « الضامن مبلى » وكان كذلك ، وبطل ما قالوه .

وانتهت الكسوة ونفقة المماليك المتوجهين لقتال شاه سوار يوم الاثنين خامس شهر رمضان .

وتقدم فى يوم الجمعة ثانيه أن البرهان البقاعى[1] عمل ميعاداً بالجامع الظاهرى بيبرس البندقدارى خارج القاهرة بالحسينية على عادته بعد العصر ، فحضر جماعة إليه قصداً من معتقدى سيدى الشيخ عمر بن الفارض نفع الله به وأساؤا عليه على ما بلغنى ، فشكاهم لقصروه الحاجب فطلبهم ورسم عليهم ، ثم إن البقاعى طلَبَ جماعة من جهته وأوقفهم فى عدة مواضع ومفارق ومخارص من الطرقات ،

---

(١) نسبة إلى البقاع العزيزى من عمل الشام كما ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ١٩١ ، وضبطها بضم الباء ، وإن وردت بكسرها فى كل من مراصد الاطلاع ١/٢١١ ، Dussaud : Topographie Historique de La Syrie, PP. 89, 404. وياقوت: معجم البلدان ، انظر عن البقاعى السخاوى : شرحه ج ١ ص١٠١ ـ ١١١ ، والسيوطى : نظم العقيان ، ص ٢٤ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧/٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

وبأيديهم العصى والخشب ، وقرر معهم إذا مروا عليهم فيضربونهم وينكلون بهم ؛ فبلغ ذلك رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف عظم الله شأنه [فأرسل] إليهم بدواداره بركات فأطلقوهم ، وتكاثرت الأدعية له — حفظه الله تعالى على المسلمين .

ثم فى يوم السبت ثالثه أصبح البقاعى على ما أمسى وشكى خصومه لبيت الأمير تمر حاجب الحجاب وأعلمه بما أراد ، فاجتمع الجم الغفير والخلائق أفواجا، وحضر من العلماء والفضلاء جماعات منهم الشيخ بدر الدين بن القطان[1] والشيخ تاج الدين بن شرف والشيخ الخطيب الوزيرى[2] وبرزوا للبقاعى وطلبوه ، فحضر بين يدى الأمير المذكور وأراد الطلوع من المقعد فما مكّنه خصومه ووقف من تحت المقعد ، وجلس المشايخ (٩٩ب) المذكورون وادعى على جماعة فيهم شخص شريف حضروا إليه إلى مسجده ليقتلوه بطبر ، فقال له الشيخ بدر الدين ابن القطان : « لاتقل مسجدى فإن المساجد لله » ، وترضوا عن الشيخ عمر بن الفارض ولعنوا وكفروا من يكفره وحصل له بهدلة ماتوصف ، وانفصلوا على غير طائل ، ولم يحصل للبقاعى مقصوده ولا غرضه فإنه مخمول سيما أنه يتعرض لجناب سيدى الأستاذ العارف بالله عمر بن الفارض رضى الله عنه .

يوم الاربعاء سابعه صعد قضاة القضاة لقراءة البخارى على العادة فى كل سنة بالقصر السلطانى من قلعة الجبل ، ولم يحضر إليهم السلطان ، وهذا جريا على العادة فإنه من حين قرىء البخارى وإلى تاريخه ماحضر مجلسهم .

وفيه توفى الشيخ شهاب[3] ، الدين أحمد بن محمد بن على شاعر الوقت

---

(١) السخاوى : شرحه ، ٩/٦٠٠ .

(٢) السخاوى : شرحه ، ٥/٤٠٣ .

(٣) السخاوى : شرحه ، ٢/١١٦ ، السيوطى : نظم العقيان ، ص ٦٣ – ٦٤ ، الحنبلى : شذرات الذهب ٣١٩/٣ . هنا وسيكرر المؤلف ترجمة مرة أخرى بما يقرب من هذه فيمن مات فى هذه السنة ، ورقة ١١٥ ا–ب .

أبو الطيب الأنصارى الشافعى المقرىء المعروف والمشهور بالحجازى . مولده كما أخبرنا به فى شعبان سنة تسعين بالقاهرة ، ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا ، وسمع الحديث على الزين[1] العراقى والهيثمى[2] وابن أبى المجد[3] والتنوخى والمنجا إسمعيل الحنفى وآخرين ، واشتغل فى الفقه وأصوله وأتقن العربية ، وأخذ عن الولى[4] العراقى والشمس[5] البرماوى وجماعة بعدهما وقبلهما ، وجوّد القرآن فمهر وصار أحد أعيان قراء الجوق ، وكذا جود الخط الحسن وكتب به الكثير ، وتعانى الأدب حتى صار له سجية وطار صيته به بحيث وصفه شيخى شيخ مشايخ الإسلام ابن حجر حافظ العصر رحمه الله: «بالعلامة فخر المدرسين، عمدة البلغاء » وناهيك بهذا الوصف من مثله . وقرأ مقامات الحريرى وأقرأها وعلق عليها شرحا ، وطارح الأدباء ومدح الأكابر ، وجمع المجاميع الحسنة وألف وصنّف وزادت تذكرته على خمسين مجلدة فيها فوائد كثيرة ، وسار نظمه ونثره فطبق الآفاق وحج إلى بيت الله الحرام ، ودخل إلى دمياط واسكندرية وغيرهما للنزهة وحدث ، وسمع منه الفضلاء ، وأقبل بآخره على كتابة الحديث والأسانيد والمتون (١١٠٠) والسؤال ممن يعتقد بقدمه ومعرفته بهذا الفن فيما أشكل عليه ، ونعم الرجل تواضعاً وتودداً لأصحابه وحرصاً على زيارتهم واستجلاب مودتهم ورغبتهم فى صحبته فى الفائدة ؛ وذلك مع صحة المصاحبة وصفاء الخاطر وخفة الروح وحلاوة المذاكرة والمحاسن الجمة . تعلل ومات مبطونا شهيداً فى

---

(١) راجع عنه إنباء الغمر لابن حجر العسقلانى ، وفيات سنة ٨٠٥ هـ، وابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ٧/٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) شذرات الذهب ، ٧/٧٠.

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر وفيات سنة ٨٠٤ ، الشذرات ٧/٤٢ ـ ٤٣ .

(٤) انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٤٤ .

(٥) نسبة إلى برمامن نواحى الغربية بمصر ، واسمه محمد بن عبد الدائم بن موسى ، مات بالقدس سنة ٨٣١ هـ .

يوم الاربعاء سابع رمضان سنة خمس وسبعين وثمانى مائة بعد أن رثى نفسه بقصيدة أنشدها لبعض خواصه رحمه الله والمسلمين .

وكان بينى وبينه محبة زائدة وبات عندى ليالى وأقام عندى أياما ، ورأيته أستاذاً فى سائر الفنون كثير الأدب عديم الشر سمح(١) النفس ، يحب الفضل وأهله ويكرمهم ولا يتكلم فى أحد بغيبة ولا نميمة ولا تنقيص ، ولا يلتفت إلى تحصيل مال ولا جاه ، وغالب إقامته بمجلس المدرسة القراسنقرية (٢) نهاراً ، [وأما] فى الليل فغالب مبيته عند القاضى موفق(٣) الدين ـ ناظر جيش الشام ـ ببركة(٤) الرطلى ، رحمه الله وعفا عنه وعن المسلمين . ومن نظمه :

يامن غدا من الذنوب فى خجل وخائفاً من الخطايا والزلل
ارحم جميع الخلق وارج رحمة فإنما الجزا من جنس العمل(٥)

ووصل أمير من أمراء شاه سوار هارباً منه بزعمه ، وكان وصوله فى عاشر الشهر ، وصعد للسلطان فقبل الأرض وأفطر عنده فى ليلة الاثنين فى الرابع عشر منه وأخبر عن شاه سوار أنه فى ذل وصغار وخزى وافتقار وأن غالب من معه فر منه ، ومن بقى منهم [بقى] فى أضيق العيش وشدة الخوف وعدم الأمن على أنفسهم ، خذلهم الله . هذا ما ذكره والعلم عند الله تعالى .

وفرقت الكسوة فى هذه السنة على الفقهاء والمتعممين والأرامل والأيتام،

---

(١) فى الأصل « سح » .
(٢) نسبة إلى شمس الدين قراسنقر المنصورى ، انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٦٢٥ .
(٣) هو عبد الله بن ابراهيم موفق الدين بن القاضى سعد الدين القبطى المتوفى سنة ٨٧٧ عنزله بدرب الطباخ ببركة الرطلى انظر فى ذلك السخاوى : الضوء اللامع ٥/٧ .
(٤) فيما يتعلق ببركة الرطلى انظر المقريزى : الخطط ٢/١٦٢ .
(٥) جاء هذا البيت فى الأصل على الصورة التالية :

ارحم جميع الخلق وارحى بهم والجزا من جنس العمل

ولقد صحح على ماورد فى السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ص ١٤٩ .

ومن باسمه فى الديوان شىء وصل إليه . فاللهم أدم أيام مولانا السلطان آمين — أبد الآبدين .

وفى الثالث عشر منه — وقت التسبيح — [جاء[١]] المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأتابكى أزبك من ططلخ من البحيرة وهو فى موكب (١٠٠ ب) جسيم وهوتك عظيم من طبول وزمور ونفط ، وصمد للقلعة فى صبح تاريخه .

واتفق قبيل هذا بيوميات [أن] الشريف القاضى المالكى — أحد النواب بسويقة[٢] السباعين وصهر القاضى المتوفى أبى الفتح المنوفى ناظر المرستان والأوقاف — طلب لبيت المقر الأشرف العالى المولوى السيفى عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ومشيرها ومدبر مملكتها ووزيرها وأستادارها يشبك من مهدى دوادار كبير ومامع ذلك حفظه الله بسبب وقف يتعلق بوقف قارس[٣] البكتمرى أثبتت المرأة نسبها به بمساعدة الدوادار الكبير والسلطان لها بالحق الظاهر ، فوجدوا فى الوقف بعد أن عينه على أولاده فصلا أن الوقف صار ووجب لبنت للواقف مخصوصة غير هذه التى أثبتت نسبها ، فلما حضر القاضى الشريف وشهوده بين يدى عظيم الدنيا المذكور وسألهم عن كيفية إشهادهم بهذا الفصل تلعثموا[٤] فوبخهم وهددهم ونسبهم إلى الزور ، ورجعوا عن حكمهم وشهادتهم ، ورسم بنفيهم ولولا أبو الفتح صهر القاضى ترامى على عظيم الدولة وعلى الشيخ برهان الدين الكركى أمام المقام الشريف حتى توجهوا إلى الأمير المذكور

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين ليستقيم المعنى .
(٢) عرفها المقريزى فى الخطط ٢/١٦١ باسم بركة السباعين ، وذكر فى شأنها أنها عرفت بذلك لأنه اتخذ عليها دار للسباع وكانت حكراً ثم بنيت عليها الدور منذ سنة ٧٠٠ هـ .
(٣) انظر السخاوى : الضوء اللامع ٦/٥٤١ .
(٤) فى الأصل « فتلعثموا » .

وسألوه وترامو ا عليه حتى أطلقهم بعد ألف جهد ، وبعد أن أشهد على القاضى وشهوده بقسامة : أن لا يشهد الشهود ولا يقضى القاضى .

• • •

واصبحت مصر وأهلها فى ألم شديد من عدة وجوه وهو أن الأساكفة رُمى عليهم من ديوان الدولة جلود ، وأخذوا منهم عدة زرابيل نحو كل زربول بستة أنصاف تحت ستة آلاف زربول . وأما الخياطون والجوخيون وأرباب الصنائع فهم مجتمعون فى عمل احتياج عظيم الدنيا الدوادار الكبير لأجل سفره ، ومصروفه فى كل يوم على مابلغنى يصل إلى ألف دينار ولا يقطع لأحد منهم درهما واحداً ولا يماطله .

وأما التجار الذين بالحوانيت فإنهم من أول شهر رمضان إلى نصف الشهر المذكور بطالون بسبب مبيع تركة الكفيلى بردبك الفارسى المشهور بالبجمقدار نائب الشام هو ودواداره أبى بكر ، وإلى الآن ما انتهى المبيع .

واتفق[1] أن الأمير شرف الدين موسى بن غريب (١١٠١) المتكلم فى الوزارة عوضاً عن قاسم رمى الجلود التى أخذها منه من المدابغ على الأساكفة الذين بين القصرين وعلى أهل الصليبة[2] : الدرهم بمثله مرتين على مابلغنى ، وغرموا لأعوانه وقربائه ما لا يطيقونه ، فأما أساكفة بين الصورين فوزنوا وصبروا واحتسبوا ، وأما أساكفة الصليبة فإنهم أخذوا الجلود ووعدوهم ببعض الثمن ، وأصبحوا فوقفوا للسلطان فردهم خدام الحوش السلطانى فرجموا

---

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل على الصورة التالية « واتفق أن الأمير شرف الدين موسى ابن غريب المتكلم على ورى الأمير شرف الدين بن غريب المتكلم فى الوزارة عوضا عن قاسم الجلود » وقد صححت إلى ما بالمتن ليستقيم المعنى .
(٢) من أحياء القاهرة .

وصعدوا إلى أعلى الجبل المقابل لحوش السلطان الذى يجلس فيه للخدمة والأحكام واستغاثوا . فسأل السلطان عن أمرهم فأخبروه بحالهم وأن ابن غريب رمى عليهم بزيادة عن السعر وآذاهم وغرمهم وأضر ذلك بحالهم، فغضب السلطان — نصره الله — على ابن غريب ، فبادر عظيم الدولة ومدبرها ومشيرها ومالك حلها وعقدها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وملك الأمراء بالوجهين القبلى والبحرى وما مع ذلك — أدام الله وجوده وبلغه مأموله ومقصوده — وتكلم بكلام أرضى به الله ورسوله والسلطان ومن حضر ومن سمع وقال : « لا يُرْمى عليهم شيء وجميع ما أخذوه يعيدوه » . فردهم السلطان لبيت الأمير المذكور حفظه الله على المسلمين . فلما مثلوا بين يديه أمر برد ما أخذوه إلى مباشرى الدولة ودعوا له وانصرفوا .

وغير ذلك أن غالب بل جميع أرباب الدولة من الأمراء والمباشرين والأعيان وغيرهم بِيتَقَدّموا[1] لعظيم الدنيا الدوادار الكبير المماليك والملبوس والخيول والجمال وغير ذلك من آلات السفر . وكان بلغ السلطان — نصره الله — حضور الشرف الأنصارى من نصف شهر تاريخه فرسم بعوده ، ثم إن أكابر الدولة سألوا السلطان فى حضوره ليتمثل بين يديه ويعلمه بما يوجه إليه وبالغوا فى ذلك . فرسم بإحضاره على جرائد الخيل وأن يكون ثقله خارج قطيا ، ففعل ذلك وحضر إلى التربة فى يوم الاربعاء حادى عشريه ، وأصبح من الغد فصعد إلى بين يدى السلطان فقبل يده فخلع عليه كاملية مخمل مفرية سمور بمقلب سمور (١٠١ ب) بعد أن اجتمع بالسلطان وشكره ونزل إلى داره فى ضخامة لكنه فى غاية الكظم والتشويش ، وسبب ذلك ما بلغه من

---

(١) هكذا فى الأصل والضبط منه أيضاً ، ويلاحظ أن هنا إصرار من المؤلف على استعمال هذا التعبير المصرى الدارج .

سفر عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، وأنه يتوجه فى خدمته لتكفية الرجال والسلاح والعليق والمال ، فسعى غاية السعى فى إبطاله من السفر ولم يصل لذلك مع أنه — أعنى صاحب الترجمة — إذا تخدم الأمير المذكور وأظهر له نصحاً وخدمة وصفاء ربما يرضى عنه ويسلم منه ، فإنه كان بينه وبينه شىء وأزاله من بينهما رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين ، والأمر لله الخالق والمبيد ، الذى يفعل ما يريد ، ولا يسأل عما فعل .

وفيه ـ أى يوم الخميس ثانى عشريه ـ طلب عظيم الدنيا الأمير الدوادار الكبير جميع من فى حبسه من الفلاحين والمصادرين وأطلق منهم مائة وسبعين نفراً ، وبلغنى عن الأمير المذكور حفظه الله على المسلمين أنه يصالح عن المديونين فى حبسه بمالٍ من عند نفسه ، والله أعلم .

ووقع فى هذه الأيام أمور شاعت وذاعت ، غير أنى لم أتحققها وإنما أثبتها بطريق النقل ، منها أن جماعة من الأعاجم قُبض عليهم وزعموا أنهم جواسيس شاه سوار وابن قرمان وغيرهما ، وأمر بإخراجهم من بلادهم . ومنها أن الناصر بن قمتى رأس نوبة الأمير الدوادار الكبير — دامت سعادته — سأل أستاذه المذكور فى سفره إلى الحجاز وبذل ألف دينار ، وقيل إنه منعه من ذلك ، ورسم لدواداره جانم وخازنداره تغرى بردى أن يكونا متكلمين فى الوزر والأستادارية ؛ ولم يصح شىء من سفر ابن قمتى .

وفى يوم الاربعاء ثامن عشريه ختم البخارى بقلعة الجبل بحضور السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى — خلد الله ملكه ومدت قواعد دولته — وكان مجلسا حافلا بالقضاة الأربعة — خلا الحنبلى لضعفه وعجزه عن الحضور — والعلماء والفضلاء والطلبة والأمراء والرءوس النوب والخاصكية وأصحاب الوظائف . وقرأ القارىء الذى هو الشيخ الإمام العالم العلامة برهان الدين

الكركى إمام للقام الشريف نصره الله ، فخُلع على قضاة القضاة طرحات وكذا على (١١٠٢) القارىء ، وخلع على للشايخ خندات سمور وهم : الشيخ سراج الدين[١] العبادى الشافعى والشيخ قاسم الحنفى والشيخ تقى الدين الحصنى[٢] والشيخ بدر الدين بن القطان وغيرهم كذلك ، وبقيتهم خندات مسنجبة وصرر أكثر من ألف دينار :أعلاهم ثلاثة آلاف وأدناهم ألف درهم ، ولم يخلع السلطان على السرى عبد البر بن الشحنة شيئاً — وله عادة بخنده سمور — فحصل العجب من ذلك وشاشت[٣] الناس وتقولوا وخلطوا ونسبوا ذلك للسلطان .

ومن العجيب أن شخصاً ينظم الجزل والمواليا والبليق بأرض[٤] الطبالة يعرف بابن الزيتونى[٥] — ويتكسب من الشهادة بحانوت ليس فيه رفيق له — استُجد له فى هذه السنة خندة مسنجبة ، وسألتُ عن ذلك فقيل لى: إنه من جهة بنى الجيعان وأنه فى خدمة سيدى عبد القادر يضحكه ويخامل له وسألوا ناظر الخاص له فى ذلك فأجابه .

---

(١) هو الشيخ عمر بن حسين بن حسن الأزهرى الشافعى المولود بمنية عبادمن أعمال الغربية ثم تحول منها إلى طنتدا (طنطا الحالية) ولذلك يعرف أحيانا باسم « الطنتدائى » ، مات سنة ٨٨٥ ، راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٦/٢٧٨ .

(٢) انظر الضوء اللامع ج ١١ ص ١٩٨ تحت كلمة « الحصنى » حيث يرجع النسب إلى سكن الأسرة إلى قرية من قرى حوران بالشام .

(٣) يقصد بذلك « تشوش » ، وهو لفظ يكثر وروده فى كتابات ذلك العصر بمعنى اضطرب.

(٤) أفاض المقريزى فى الخطط ٢/١٢٤ فى ذكر أرض الطبالة وذكر أنها على جانب الخليج الغربى بجوار المقس ، وقيل لها أرض الطبالة لأن الأمير أبا الحارث أرسلان البساسيرى لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسى أمده المستنصر بالله الفاطمى حتى استولى على بغداد وأخذ قصر الخلافة وسير عمامة القائم وثيابه إلى القاهرة سنة ٤٥٠ ففرحت القاهرة ووقفت « نسب » طبالة المستنصر وأنشدت :

يابنى العباس ردوا ملك الأمر معد
ملككم ملك معار والعوارى تسترد

فأعجب ذلك المتنصر وسألها ما تتمنى فسألت أن تقطع الأرض المجاورة للمقس وسميت منذ ذلك الحين بأرض الطبالة .

(٥) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٦/١٠٦٦ .

وقيل إن ابن الزيتونى هجا داوداً المالكى الذى استقر مستوفيا على بنى الجيعان بمدرسة سعيد السعداء وغيرها ، ومدح العلمى ابن الجيعان وأولاده . ولما تكلم داود فى المدرسة المذكورة ترك له بنو الجيعان المباشرة . فانظر إلى هذا العجب العجاب : هذا العالم ولد العالم ابن العالم ابن العالم إلى ما لامزيد عليه ما تصل له عادته ، وهذا السفيه الوضيع يخلع عليه ! وأذكر فى هذا اليوم قول من قال وأجاد فى المقال : « وحظى معين يقودوا ويتمسخر ! ! » .

ثم إن الخلعة المعلقة بالزينى عبد البر بن الشحنة وصلت إليه بعد ذلك بسفارة عظيم الدولة ورئيسها المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر حفظه الله على المسلمين فلبسها وتوجه إليه وقبل يده ، واعتذروا عن إرسالها بواسطة أشياء ، منهم من يقول : السلطان لما عرضت عليه لم يرسم له بها ، ومنهم من قال غير ذلك ، والأمر لله المالك .

[وفى] ليلة الثلاثين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته (١١٠٢) توجه قضاة القضاة إلى المنصورية قلاون لرؤية هلال شوال ماخلا قاضى القضاة الحنفى والحنبلى ، فالحنفى معتكف بجامع الحاكم ، والحنبلى لضعفه وانقطاعه ، ولم ير الهلال وهو المقصود الأعظم لئلا تكون خطبتان فى يوم فيكون ذلك بزعمهم على السلطان غير مشكور ، فلا قوة إلا بالله .

﴿ شـــوال ﴾

أهل بيوم السبت ويوافقه من أيام الشهور القبطية [السابع[1] والعشرين من برمهات ١١٨٦] لأن رمضان جاء تاماً .

فيه صعد قضاة القضاة ونوابهم وبعض المشايخ إلى القلعة وكنت حاضراً

---

(١) الإضافة من التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ ويعادل هذا التاريخ ٢٣ مارس ١٤٧٠م

ودخلوا القصر السلطانى ، فأفيضت الخلع على الأمراء والعساكر وقضاة القضاة وغيرهم على العادة ، وكان يوماً مشهوداً فسبحان من خضعت لعزته العظماء من تلك ومن تلك ، وأذعنت لأمره الحكماء من ملك ومن ملك ، ولا ريب أن كل من ملك لله مملوك .

ووصل جماعة من علماء القدس الشريف وأجلهم أبو شريف بسبب مخاصمة وقعت بينهم وبين قاضى القدس وشيخ الصلاحية المسمى غرس الدين خليل أخى أبى العباس الواعظ . واختلف فى الحضور على أقوال ، فقيل إن المقر الشرفى الأنصارى لما حضر عائداً من البلاد الشامية زار القدس الشريف فحضر إليه العلماء والفضلاء فجلسوا عنده ، فجلس الشيخ أبو شريف عن ميمنة الأنصارى ، وجلس غرس الدين القاضى عن ميسرته ، ثم قال لأبى شريف كلاما معناه « إن هذا المجلس الذى جلست فيه مجلسى فقم منه » فأجابه بأن هذا مباح ، وكان بينهما فتنة قديمة ، فانتشر الكلام . واقتضى الحال — على ما بلغنى — أن عوام البلد هجموا على القاضى بيته وسبوا حريمه ونهبوا ما فيه ، وكتبوا محضراً بأفعاله الذميمة وحضروا به إلى القاهرة ، وأرسل القاضى كتاباً بصورة الحال إلى السلطان وكتابا إلى عظيم الدنيا الدوادار الكبير - وهو يدعى أنه من جهته - وعرفهما بما اتفق له مع أهل القدس ، فلما وصل خصومه تمكنوا من الوقوف بين يدى السلطان وتوجهوا لبيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله ، فحال وقوع بصره عليهم أمر بإخراجهم وبهدلتهم وهو معذور لما بلغه ، فخرجوا على أقبح وجه . (١١٠٣)

وغير ذلك أن شخصاً من أولاد التجار المبذرين ضيّع ما كان يملكه ويعرف بابن الناصرى ، مات أبوه بالبلاد اليمنية أو الهندية وخلف بهذه البلدة دوراً وأموالا وديونا له وعليه ، وكان الولد غائبا بمكة [فلما] حضر ليأخذ تركة أبيه ويحتاط على موجوده وديونه وجد قاضى سكندرية المعروف بابن

جُنَيْبَات[1] أثبت على التركة مالا جزيلا لشخص ، وأرسل حكمه إلى القاهرة فنفذه له الجلال البكرى الشافعى ، وحضر التركة أمين الحكم إذ ذاك القاضى تاج الدين الإخيمى الشافعى ، وكان قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى عليه للمتوفى نحو من ثلاثة آلاف دينار ، وعلى المتوفى دين لشخص أكثر من ذلك ، فدفعه له بحضور الجلال البكرى وحكم له وعليه بذلك وانفصل الحال وأخذ بيده مستندا . فلما حضر الوارث طلب تركة مورثه وشكى حاله لعظيم الدنيا الدوادار الكبير ووقف له مرات وذكر له : « أن القاضى ابن جنيبات — قاضى سكندرية — والقاضى جلال الدين البكرى أثبتا علىّ ماليس له حقيقة ، وأن المحب ابن الشحنة لمورثه عليه ثلاثة آلاف دينار ، وأن القاضيين المذكورين صنعوا له صورة وضيموا ماعليه من المال » ،فطلب المحب أو وكيله فأرسل وكيلا عنه ، وأظهر مستنداً من يده يشهد ببراءة موكله ، وطلب الشيخ جلال الدين البكرى فحضر ووقف من تحت المقعد وهُدد ورُسم عليه وأقام أياما فى الترسيم ، ثم أرسل المقر الأشرف المذكور — حفظه الله — فأحضر قاضى سكندرية المشهور بابن جنيبات وأوقفه بين يديه وكلّمه وهدده ووبخه ورسم عليه ، واستمر هو والقاضى جلال الدين البكرى فى الترسيم إلى أن رسم بطلوعهما بين يدى السلطان ، فلما تمثلوا بين يديه وبمجرد وقوع نظر السلطان على الجلال البكرى قام إليه ونزل من أعلى الدكة وجلس على البساط وأكرمه وعظمه وقربه منه وأمر بجلوسه بجانبه ، وكذا رسم للقاضى تاج الدين الإخيمى ولابن جنيبات قاضى سكندرية بالجلوس . (١٠٣ ب) كل ذلك والأمير الدوادار الكبير — حفظه الله — يشاهد ذلك ، ثم قال للجلال البكرى : « أنت من أهل العلم ومن كبار الشافعية ، فما حكم الله تعالى فى ذلك ؟ » فقال : أنا نفذت حكم هذا القاضى » فقال : « على بركة الله » .

---

(١) الضبط من ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٣/١١٦٢ .

وكان ابن جنيبات حكم للمقر الشرفى الأنصارى فى أشياء من دور وغير ذلك فنفذها الجلال البكرى ، ثم سأله عن حكمه فى المال الذى كان على قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة لتركة الناصرى فقال كلاماً معناه إن ابن الشحنة أقبض ما كان عليه لمن يستحق قبض ذلك غير أنه بحيلة ، وهو أنه صار يدفع له حريراً ومالا ويستعيده ، فقال له السلطان نصره الله : « الحيلة صحيحة فى مذهبك ؟ » فقال : « نعم » فقال : « إعمل الشرع فى ذلك » وأقرّه عليه وطيب خاطره وأمره بالانصراف إلى حال سبيله ، وكذا للإخيمى وقاضى الاسكندرية .

فلما انصرفوا من مجلس السلطان أشار الأكابر من أعيان الدولة على الجلال البكرى بتوجهه إلى بيت الأمير الدوادار الكبير لئلا يتحمل عليه ، فتوجه هو والإخيمى وقاضى الاسكندرية لبيته ، ووقفوا من تحت المقعد أيضاً بين النقباء والعوام ، وصار الأمير جالساً بالمقعد وعنده جماعة من المشايخ ونواب القضاة ما فيهم إنسان يقوم للجلال بل يتشاغلون عنه حتى إن ابن قمتى — رأس نوبة الأمير المذكور حفظه الله — أمره بالجلوس على دكة لطيفة تحت المقعد فجلس يسيراً ، ثم إن الأمير حفظه الله أمر الجلال وابن الإخيمى بالتوجه لحال سبيلهما ورسم على ابن جنيبات قاضى الاسكندرية ، وأمره أن يحضر البينة التى شهدت عنده حتى أثبت ونفذ له ؛ فاستمر فى الترسيم ، ثم عملت مصلحة الولد من المقر الشرفى الأنصارى ، ووقع بينهما تبارى ، ومن ثم عزل الشيخ جلال الدين المذكور نفسه من القضاء والحكم بين الناس واستمر معزولا بداره بطالا مقهوراً يدرس ويفتى ويشتغل بالعلم واستراح ، فإن الشهود والوكلاء كانوا يحضرون إليه بالأشغال الصعبة يأخذون فيها الجمل من الأموال فيعطونه فيها أدنى شىء ويحملونه مالا يطيق حمله . فأراحه الله .

(١٠٤ ا) يوم الاربعاء رابعه خرج خام عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها

ومشيرها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وما مع ذلك دامت سعادته من داره ونصبت بالقرب من سبيل ابن قايماز بالقرب من تربته التى أنشأها ، ونصب خيمة عظيمة لم ير مثلها إلا نادراً ، ونصب حولها خمسة عشر صوانا بين كل صوان ورفيقه خمس قباب ، ونصب خيمة عظيمة مقابل المدورة وسماها الركتخاناه وغير ذلك من صواوين[1] كبار عظام وشتل وغير ذلك .

وأما ما يحكى عن بركه ويرقه الذى جهزه فى هذه السفرة فيكاد لا يكون إلا لمن يكون سلطاناً عظيما من الملوك المتقدمين . وبلغنى أن صحبته من مماليكه المشتروات أربعمائة نفر ومن الخدامة مائتين ، ومن الخيول فلعل[2] مائتى فرس وغالبهم بالسروج لذهب والكنابيش الزركش الخاص ، وأما الدشار من الخيول فشىء [كبير] جداً ، وأما الهجن الخاص فنحو المائة هجين ، وأما الجمال فشىء كثير لا يحصر ، وأما اللبوس والقرقلات والخوذ والسيوف والرماح والزردخاناه فأمر عظيم إلى الغاية والنهاية ، حتى إن غالب مماليكه يبملون الخيول ويدقون الطبلخانة ويزعقون بالنفير السلطانى ، وفى نفس الأمر فالخام والبرك والمتاع والمال الذى خرج به هذا الأمير المعظم والكهف المفخم لم يسبقه إليه أحد من الأمراء إلا السلاطين ، وهو فى حقيقة الحال نادرة من نوادر الزمان ، عامله الله باللطف والإحسان .

وبلغنى أن الخلع التى جهزت صحبته نحو ألف خلعة ما بين سلاريات وكوامل وفوقانيات وغير ذلك ، وسافر باشاً على العساكر المصرية والشامية ، وحاكما فى البلاد جميعها يعزل من يشاء ويولى من يشاء ويفعل أفعال السلطان ، فألهمه الله العدل والحق فى أقواله وأفعاله ، ونصره على أعدائه وأعداء الإسلام .

---

(١) فى الأصل « صوانين » .

(٢) معنى بذلك « مايقرب من » .

آمين ، وأصحبه بالسلامة فى السفر والإقامة ، إنه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير .

وفى حادى عشر شهر تاريخه توجه المقر الشرفى الأنصارى إلى البلاد الشامية ليتقدم الأمير الدوادار (٢٠٤ ب) حفظه الله ويعرض عليه الرجال والسلاح، وقَبْض الأموال وصرْفها بمشاورته فى ذلك وهو فى غاية الوجل والخوف من حرمة الأمير ، فالله يحميه منه ويعطفه عليه وهو أيضاً ملحوظ بالصلحاء والفقراء فيؤمنه الله .

وفيه توجه السيد الشريف علاء الدين القصيرى [الكردى] ناظر الأشرف إلى البلاد الشامية والحلبية فى مهمات السلطان نصره الله وأعلى مقامه، وترافق هو والمقر الشرفى الأنصارى فى السفر ، وأذن السلطان له فى التكلم على المساجد والجوامع والأوقاف وعزْل من أراد ، واستمرار من اختار من القضاة وغيرهم مطلقا خلا القضاة الكبار ، وهو فى ضخامة ومهابة .

وتقدم قبل هذا بأيام عزْل السلطان لنائب قلعة حلب المسمى بيبرس الذى وقع له من نائب حلب ماوقع من ضرب له بطبر وغيره ، واستقر عوضه بشخص من أمراء حلب يسمى ابن لبينة واستقر بيبرس المذكور أتابك قلعة طرابلس ، وأطلق أحمد(١) بن الزينى عبد الرحمن بن الكويز من ترسيم الدودار الكبير على دين لأبى الخير الفراء قدره ثمانمائة دينار بعد أن كان فى السجن بالقاعة التى يسجنون فيها غرماء الوزير والأستادار ، فالحمد لله الذى أنجده ونظر إليه وحنن عليه قلوب عباده .

---

(١) انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٣٢٨ .

وفى يوم الأحد تاسعه دار النفطية والزدكاشية الذين بخدمة عظيم الدنيا الدوادار الكبير - يسر الله له كل عسير - بالنفوط التى صنعوها ، ودار يشبك من حيدر نائب السلطنة بالنفط الذى صنعه برسم السلطان ، وأنعم عليه بمائة دينار فإنهم أطلقوه[1] بحضور السلطان فى الرميلة وهو جالس بالقصر الأعظم والأمراء حاضرون فإنها ليلة موكب ، واجتمع لهذا النفط النساء والرجال والشيوخ والصغار وغالب سكان مصر ، وانقلبت مصر والقاهرة لأجله وتهتكوا .

وأصبح يوم العاشر من شهر تاريخه فداروا بطلب الأمراء المتوجهين للسفر فى خدمة عظيم الدنيا ومالك حلها وعقدها يشبك من مهدى أمير دوادار الكبير والسلطان (١١٠٥) نصره الله والأمراء فى خدمته بالقصر ينظرون ذلك ، فأول طلب مر عليهم هو طلب الأمير برسباى[2] المحمدى الظاهرى جقمق المعروف بقرا أحد مقدمى الألوف ولا بأس به ، مع أن معه عدداً من مماليكه ملبسين وهو متوسط ، وخير الأمور الوسط ، ثم طلب الأمير خير بك حديد الأشرفى برسباى أحد المقدمين الألوف ، وهو بالشرح المذكور ، وبعدهما طلب الأمير تمراز الشمسى الأمير قرا أحد المقدمين الألوف واستمر طلبه سائراً لجهة الصحراء إلى الريدانية بغير لبس ولا اهتمام بتنميق ولا بتجميل ، وبقية الأمراء شقوا البلد . ثم جاء من بعدهم طلب المقر الأشرف الكريم العالى الزعيمى المسيرى المدبرى عظيم الدنيا على الإطلاق ومالك حلها وعقدها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وما مع ذلك من تولية الذين يدعون بملوك الأمراء من الوجه القبلى والبحرى

---

(١) أى أطلقوا النفط .

(٢) أورد السخاوى : الضوء اللامع ٣/٠٤ ترجمة لشخص اسمه «برسباى قرا الظاهرى» وكان أمير مجلس ، ولكنه ذكر أنه مات فى ذى الحجة سنة ٨٩٣ هـ .

دامت سعادته وبلغ مناه وإرادته ، وهو فى غاية من الضخامة والعظمة والمحجن المديمة النظير فى الحسن والجمال والكسوة العظيمة من الألوان المفضضة والمذهبة والمخمل ، وعدّتهم نحواً من مائة هجين ، ومن الخيول المسومة الكاملة اللبس بالعدة والعدد نحو مائة وأربعين فرساً ، فيها[1] ثمانية بسروج ذهب وكنابيش زركش ، ومن الأثقال والأحمال مالا يسعى وصفه ، ومن المماليك الملبسين اللبس الكامل هم وخيولهم نحو خمسمائة فارس ومروا بذلك جميعه كما قدمنا ذكره ،والسلطان والأمراءوالعسكر يشاهدون ذلك ، والنفوطتطلق بين يديه ، ورؤس النوب والحجاب فى خدمته حتى الأمير تمر حاجب الحجاب الظاهرى جقمق بيده عصى وهو يرتب الأمور . كل ذلك والأمير الدوادار الكبير ـ مهد الله له البلاد وأطاع له العباد ووفقه لما يرضيه وختم له بخير ، وكفاه كل ضرروضير ـ والأمراءالألوف المتوجهون إلى السفرراكبون فى خدمته والمباشرون، خلا ناظر الخاص .

ولما انتهى الأمر توجه الأمير المذكور ـ وقاه الله كل محذور ـ ومن فى خدمته وصمدوا لخدمة مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبى النصرقايتباى خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته ونصره على الأعداء .

(١٠٥ ب) واستمر مماليك الأمير الدوادار ـ الذين ذكرناعدتهم خمسمائة نفر ـ ملبسين ينتظرونه تحت القلعة وهم بالعدة والفولاذ والسلاح وآلات الحرب حتى خيولهم ، فلما صمدوا قبلوا الأرض بين يديه [و]ودعهم وأكرمهم وخلع عليهم كوامل سمور، وتوجهوا فى خدمةعظيم الدنيا الدوادارالكبير هم وبقية العسكر، ولم يتأخر عند السلطان إلا نفر يسير من خاصكيته وأعوانه وبعض خدامه من الطواشية ؛ وشق الدوادار القاهرة وقدأحدق أهلها وخرجت البنت من خدرها، واجتمع الخلائق لرؤيته ، فكان يوماً مثل يوم المحمل أو أكثر . وطلع من

(١) فى الأصل « فيهم » .

باب النصر وهذا تفاؤل له بالنصر والظفر والنجاح وقضاء الأرب ، وفى خدمته مَن ذكر من العساكر والأمراء والمسافرين والمقيمين خلا المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك من ططخ الظاهرى جقمق أمير كبير - عز نصره - فإنه توجه لمنزله من جهة سوق الباسطية ، وكذلك للقر الأشرف الكريم العالى السيفى جانبك الإينالى الشهير بقلقسيز الأشرفى برسباى أمير سلاح ، وكان يوما عظيما وموكبا جسيما ، هذا مع ما فوض له السلطان نصره الله من التكلم فيما شاء أين شاء حيثما شاء من عزلٍ وولاياتٍ وإخراجِ إقطاعات وإنعام ، وكتب له على ورق بياض بعدة مكتبات . وتوجه صحبته كما قدمنا نحو الألف خلعة ، ثلثها على ما بلغنى من ديوان الخاص وهو صَنَع الباق ، وخرج فى رياسةٍ ومهابة وفخامة وتؤدة لم يماثله فيها إلا السلاطين المعظمون ، فالله المسئول أن لا يخيب لهم أملا وأن ينصرهم على عدوهم المخذول لتطمئن بذلك قلوب الرعايا ويأمنوا وتعمر القرى وتسكن الفتن ويحصل المقصود ببركة أشرف رسل الله خير خلقه وحبيبه ونبيه . آمين . آمين .

وأصبح يوم الثلاثاء حادى عشره فركب السلطان — نصره الله — من قلعة الجبل وتوجه إلى الريدانية إلى عظيم الدنيا وإلى المسافرين ، فوقف عند خيمةِ كل أمير منهم وكلمهم بما يليق بهم ، ثم توجه إلى عند الأمير الدوادار الكبير فنزل عنده وتحدث معه طويلا ، فأحضر (١١٠٦) له حلوى وفاكهة فأكل وفرّق وركب وتوجه نحو الخانكاه وصعد القلعة من الجبل ، وكان حضوره إلى الأمير الدوادار المذكور فى نفرٍ يسير نحو العشرة أنفس ، ثم تلاحق به العسكر .

وصار دوادار الوالى فى هذه الأيام ينادى فى الشوارع والطرقات أن أحداً لا يتأخر عن السفر فى خدمة الأمير الدوادار ولا غيره من الأمراء المسافرين

ومن تأخر وُسِّط ، فاتفق أن السلطان لما توجه إلى الدوادار وجد شخصاً من المماليك السلطانية ضعيفاً ولم يسأله فى الإقامة فرسم له بالإقامة ، ورآى شخصاً آخر خيولُه ضعاف فرسم له بخيول ، فالله ينصره ويبلغه الأمانى ويلهمه الحق . آمين .

يوم الأحد سادس عشره ركب السلطان من قلعة الجبل فى جماعةٍ من أخصائه وأمرائه وتوجه إلى الأمير الدوادار الكبير فوجد الأمراء الذين عُينوا معه للسفر رحلوا إلى جهة البلاد الشامية وتأخر هو وقد فك خامه ، فنزل عنده وتغدّى معه وتحدثا طويلا فى خلوة زمناً مديداً ، وجلس إلى الظهر وعاد إلى القلعة

ورحل الأمير الدوادار فى ليلة الإثنين إلى الخانكاة ، وتوجه فى خدمته الجم الغفير ومن جملتهم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ورجع فى ليلة الثلاثاء ثامن عشره .

وتقدم فى يوم الخميس ثالث عشره أمران : أحدهما أن شخصاً يسمى جكم البواب كان بالقلعة عند السلطان فى خدمة القصر ونزل إلى داره فمات فجأة فى وقته ؛ والأمر الآخر أن شخصاً يسمى قاسم بن جانبك حاجب الحجاب بدمشق بل واستقر فى نيابة طرابلس أيضاً ، ومات .

وقاسم المذكور أصله من الأمراء العشرات بدمشق كان تزوج امرأة متمولة كانت زوجا لسودون نائب قلعة الشام ومات عنها ، وتزوجها قاسم المذكور واستولدها بنتاً فماتت الزوجة ووصت له بأشياء ، فأخذ حصته وأخذت البنت حصتها ، وحملوا حصة بيت المال له ، فلما بلغ السلطانَ ذلك من الشريف علاء الدين (١٠٦ ب) القصيرى الكردى ناظر الأشراف الذى توجه للبلاد الشامية ، وظاهر الحال أنه ما عمل مصلحته معه فزاد ونقص وبلغ فيه ما أراد فأنكر

السلطان ذلك ورسم بإحضاره وصحبته التركة بتمامها وكالها فتباطأ فى الحضور ، فأرسل إليه قاصداً يحضر به فى الحديد ، فلما تمثلوا به بين يدى السلطان ـ نصره الله ـ سأله عن التركة فأجاب جواباً نابياً خشناً ، فغضب السلطان وأمر بضربه بالمقارع، فتباطؤوا فى حل أزراره فرسم بشق أثوابه فشقو[ها] وضُرب مقارع وعصيّا ، وسجن حتى يقوم للذخيرة بما يرضى صاحبها .

وفى هذه الأيام ضرب السلطان مملوكا من مشترواته الذين أعتقهم ونفاه إلى حلب ، وسبب ذلك كونه تزوج ونزل من الطبقة وأخذ قماشه وخيوله وصار لا يملك غير ما عليه . وأعجب من هذا أن السلطان غضب أعظم الغضب لكون المملوك صار يأكل الضرب ويقول : « يا ستى نفيسة » فصار السلطان يقول لمقدم طبقته : « هذا ما هو جلب إنما هو زقاق » يعنى : لأى شىء يضرب ولا يقول « توبةخجم » على عادة الأتراك ؟ ، ثم أمر أن يسلموه لتاجره المقيم بحلب المسمى عبد الكريم فإنه كان قدمه للسلطان .

* * *

ووصل الخبر من الشام على لسان شخص يسمى « ابن مصطبة » أن الكفيلى نائب الشام أبطل المكوس منها وأن أهل الشام يدعون له دعاء جزيلا . واتفق أن السلطان — نصره الله — رآى شخصاً من المماليك السلطانية الخشقدمية كان مسخرته ومسخرةً عند هذا السلطان[1] فعينه للسفر صحبة الأمير الدوادار والأمراء والمماليك السلطانية الذين توجهوا لقتال شاه سوار وأخَذ النفقة ولم يسافر فغضب عليه ورسم بإحضاره وإخراجه فى وقته ، وذكر أنه قبض الكسوة ولم يقبض النفقة فرسم له بها وبفرس وجمل ، وسافر فى الحال ، وإلى الله المرجع والمآل .

---

(١) المقصود بذلك السلطان خشقدم.

وتوفى الشيخ نور الدين على بن القاضى شمس الدين محمد بن قاضى القضاة ناصر الدين أحمد المعروف والمشهور بابن التنسى[1] المالكى فى ليلة الجمعة المسفرة عن سابع شوال المبارك فجأة وقت الأذان ، وصلى (١٠٧ ا) عليه بعد العصر من الغد بمصلى باب النصر ، وحضر جنازته القضاة الأربعة وغيرهم من المباشرين والفقهاء والطلبة والأعيان خلا المقر الأشرف الكريم العالى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، ودفن بحوش الصوفية سعيد السعداء، ومولده فى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا ، واشتغل على شيوخ عصره فى الفقه كالشيخ [الزين] عبادة والشيخ ظاهر[2] ، وغالب المعقول والمنقول على الشيخ تقى الدين الشمنى[3] ، وأكثر من ملازمة شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد الآمدى[4] المغربى فى النحو ، وأخذ أيضا عن شيخنا شيخ الإسلام الشروانى[5] ، وعن شيخنا شيخ مشايخ الإسلام الكافيجى ، ولم يزل يدأب فى التحصيل حتى تقدم ومهر فى النقول والفنون ، وأشير إليه بالفضيلة التامة فناب فى القضاء عن الولى السنباطى[6] ، واستقر فى تدريس الجمالية بعد عمه قاضى القضاة بدر الدين ابن التنسى[7] . واستقر فى تدريس جامع ابن طولون بعد القاضى الشريف حسام الدين بن حريز[8] ، وانتدب بعد السيد حسام الدين للإقراء فأقرأ كتبا

---

(١) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ٥/٤١٢

(٢) بالطاء فى الضوء اللامع ٥/٩٧٢ .

(٣) انظر السخاوى : نفس المرجع ٢/٤٩٣ .

(٤) انظر نفس المرجع ٢/٥٠٤ .

(٥) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ج١١ ص٢٠٩ أنه نسبة لمدينة بناها أنو شروان محمود باد . فحذفوا « أنو » تخفيفا ، واسمه هو محمد بن مراهم الدين ، انظر الضوء اللامع ١٠/١٦٥ .

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ٩/٢٩٧ .

(٧) نفس المرجع ٧/١٨٣ .

(٨) شرحه ٢/٤٠٤ .

وأفتى قليلا ، ولما مات المحب ابن عبد الوارث من مدة سنة وثمانية شهور عينه رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف — عظم الله شأنه — لقضاء المالكية بدمشق فصمد مراراً ليلبس فلم يتهيأ له ذلك لأمورٍ اقتضت ذلك ، إلى أن كان يوم الثلاثاء رابع شوال فصعد للسلطان وخلع عليه واستقر فى قضاء القضاة المالكية بدمشق عوضا عن ابن عبد الوارث ، وركب معه القضاة والأعيان فلم يلبث أن فجـاءه الأجل المحتوم الذى لامحيدعنه ولامفر ،وخلّف جارية مشتملة على حمل ، ومن العجيب أن أخاه الشهابى أحمد سافر قبل موته بيوم واحد إلى دمياط فطلب بعد هذا لأجل تركته فإنها تشتمل على ما بلغنى نحواً من ألف دينار ، وخرّجوا وظائفه لجماعة (١٠٧ ب) ، فاستقر فى تدريس الجمالية الخطيب الوزيرى المالـكى ، وفى تدريس جامع ابن طولون قاضى القضاة سراج الدين بن حريز[١] المالـكى ، وأخذ مرتبه على الجوالى وصرته فى البخارى عمر بن موسى اللقانى[٢] ، وقيل ابن اللقانى أخذ الجوالى والشيخ عباس المغربى[٣] المالـكى أخذ صرة البخارى ، وباسم صاحب الترجمة طلب بالبديرية[٤] التى بباب سر الصالحية[٥] أخذه يحيى السفطى[٦] نقيب المالـكية وأشياء أخرى لا يسعنى تفصيلها .

. يوم الخميس العشرين من شوال خرج المحمل والقضاة فى خدمته ونوابهم والفقراء من سائر الطوائف ، وأمير الحاج يشبك الجمالى المحتسب مملوك الصاحب

---

(١) الضوء اللامع ٦ / ٢٦٢ .
(٢) الضوء اللامع ٦ / ٤١٥ .
(٣) واسمه الكامل عباس بن أحمد المغربى ، راجع السخاوى : الضوء اللامع ٤ / ٦٧ .
(٤) وكانت تقع خلف المدرسة الصالحية النجمية كما أشار إلى ذلك المقريزى فى خططه عند كلامه عن تربة الزغفران .
(٥) انظر المقريزى : الخطط ٢ / ٣٧٤ .
(٦) السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٠١ .

جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ، وأمير الأول أقبردى الظاهرى ولبسا خلعهما وتأخر طلوعهما فى هذه السنة إلى بركة الجب[١] عن العادة بثلاثة أيام ، وسبب ذلك خوفاً على الغلمان الذين توجهوا فى خدمة عظيم الدنيا الدوادار الكبير وغيره من الأمراء المجردين لقتال شاه سوار لئلا[٢] يهربوا صحبة الحجاج ، وأقام الأول بالبركة إلى يوم الجمعة حادى عشريه بعد الصلاة ، فرحل إلى البويب ، ورحل بعده المحمل صبيحة يوم السبت ثانى عشريه ، وحصل على الحجاج تشويش كبير برحيله ، فإن العادة إذا رحل الأول بعد صلاة الجمعة يرحل المحمل غد تاريخه بعد الظهر ، فرحل هذا من الصبح الأكبر ، فلا قوة إلا بالله .

وسافر صحبة أمير الحاج زوجته التى كانت زوجة أستاذه وأم ولده ناظر الجيش وأخيه ناظر الجوالى ، وسافر المذكور صحبة والدته ؛ وكانت تقدم لما أنها حجّت وحاضت عند الوقوف بعرفة واستمرت محرمة حتى تعود .

وخلع على أمير المماليك المسمى[٣] .... كاملية بسمور وخرج المحمل فى هذه السنة بطلب عظيم وتحشم زائد إلى الغاية .

وعزل السلطان القاضى الشافعى برهان الدين بن ظهيرة[٤] عالم الحجاز ، والقاضى المالكى أيضاً المسمى محيى الدين عبد القادر شيخ النحاة بمكة ، واستقر عوضهما محب[٥] الدين بن أبى السعادات بن ظهيرة فى قضاء الشافعية

---

(١) انظرها فى بركة الحجاج فى الخطط للمقريزى ٢ / ١٦٣ .

(٢) الوارد فى ابن إياس : بدائع الزهور ٣/٧٥ أن الحجاج تأخروا إلى العشرين من شوال بسبب فرار غلمان أمراء الحاج .

(٣) فراغ فى الأصل بقدر كلمة .

(٤) راجع ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٨٨ - ٩٩ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع ٢/٥٢٣

ونور الدين على بن أبى (١١٠٨) اليمن فى قضاء المالـكية .

وفى يوم الخميس العشرين من شوال سافر القاضى سرى الدين عبد البر ابن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة إلى حلب لمصالح والده وصحبته عدة من المماليك والغلمان والخدم على أحسن هيئة ونظام كهيئة سفر قاضى قضاة الشام أو مباشرٍ عظيمٍ بمصر ، فإن صحبته طشطخاناه وشراب خاناه وركبخاناه وسواساً وغلماناً وأتباعاً ومماليـكا ، وأرسل والده[1] صحبته أميناً عليه وحافظاً له وشاهداً لأفعاله الشيخ عز الدين الفيومى[2] الشافعى أخا شريف ، وتألم والده قاضى القضاة لسفره ألمـاً عظيما ، بحيث أنى ما رأيت أحداً فى هذا العصر يحب ولده كحب قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة لولده عبد البر المذكور ، وهو معذور فإنه من أذكياء العالم ونادرةٌ فى شبان هذا العصر ، لـكنه ما سلم من الترفع على الناس والدعوى العريضة وعشرته لمن يأكلون ما يُحضره إليهم ويثنون عليه بالسوء ، وسترى ما ينتج من سفرته هذه .

وفى هذه الأيام أطلق الزينى عبد الرحمن بن الـكويز[3] من سجنه بالقاعة التى بين السورين بعد إهانة زائدة وذل كبير وبهدلة وحرفشة ، ولعله ما بقى يصعد له ـ بعد هذه المحنة ـ أمر .

وضُرب تقى الدين [أبو بكر بن على] الطيورى الحلبى الملقب «خروف[4] المضحك» الفاسـق ببيت الأمير تمر من محمود شـاه حاجب الحجاب علقتين أو أكثر ، إحداها على مقاعده والأخرى على رجليه والأخرى على سيقانه ؛

---

(١) فى الأصل « ولده » .
(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٤/٥٤٨ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٤/٢٢٢ .
(٤) السخاوى : الضوء اللامع ١١/١٥٠ .

ولولا [أن] القاضى كريم الدين بن جلود — كاتب المماليك — ركب فى الليل وتوجه إلى بيت الأمير تمر الحاجب المذكور حتى خلصه ماخلص ، وكان الكلام فيه كثيراً[١] ، وسبب ضربه أنه شكى شخصاً من مباشرى الأمير تمر المذكور بسبب وظيفة أخذها من وظائفه لما نكب بعد الدولة الظاهرية خشقدم ، واتفق أن المجلس الشهابى أحمد بن العينى طُلب لبيت الأمير تمر المذكور بسبب دعوى عليه لشخص من التجار لحضر وصالح غريمه وتوجه لحاله ، وخروف هذا طلب فامتنع مراراً ، ثم إنه اجتاز بباب الأمير المذكور وهو راكب (١٠٨ ب) فى خدمة رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف فتعرض له ابن أزبك رأس نوبة الأمير المذكور فاحتمى بالمقر الأشرف المذكور ، لحماه . ثم إن ابن أزبك تسلمه من المقر المذكور وضمنه ودخل به للأمير فهدده ووبخه بأنواع من اللفظ القبيح فإن بينه وبينه خصومة من دولة خشقدم وهو والى القاهرة ، فتدخل عليه المجلس الشهابى ابن العينى بسببه فسكت الأمير لأجله ، ثم إن ابن العينى لما أراد التوجه لبيته سأل الأمير فى إطلاقه فدخلوا به ليشاوروا عليه ، فوقع بينه وبين القاضى نور الدين البلبيسى[٢] منازعة ومشاجرة ، فبادر خروف وأساء إليه إساءة مفرطة وجعله جاهلا وأنه لا يعرف شيئاً من مذهب الشافعى وصار يسأله عن أشياء وذلك بحضور القاضى نور الدين[٣] الصوفى الحنفى ، فثاروا عليه وأغروا الأمير على ضربه ، فإنه أخذ مجلس الصوفى الذى يحكم فيه بجامع[٤] الصالح واستقر فيه قاضياً فى ولاية البرهان الديرى[٥] ، وآخر الأمر رسم بضربه كما قدمنا .

---

(١) فى الأصل « كثير » .
(٢) السخاوى . الضوء اللامع ٥/١٠١٠ .
(٣) السخاوى : الضوء اللامع ٥/٩٤١ .
(٤) نسبة إلى الصالح بن رزيك وزير الخليفة الفاطمى الفائز . وهو آخر مسجد بناه الفاطميون .
(٥) راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ١٥٠ — ١٥١ .

ووصل الأمير شرف الدين بن غريب من وداع الأمير الدوادار الكبير من قطيا وصحبته جانم الدوادار وتنرى بردى الخازندار وطلعوا للسلطان، وصار ابن غريب الآن متكلما فى الوزارة والأستادارية وإليه المرجع ويسافر للوجه القبلى لقبض الغلال وغير ذلك هو والأمير جانم —دوادار عظيم الدنيا الدوادار الكبير — ، وحضر قاسم شغيته الوزير المعزول الذى هرب من بيت رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف صحبة سيدنا الشيخ إبراهيم المتبولى إلى بيته حفظه الله على المسلمين فى ليلة السبت المسفرة عن تاسع عشرى شهر تاريخه وهو لابسٌ جبة على هيئة الفقراء وعلى رأسه مئزر، وسأل المقر الزينى المذكور حفظه الله فى الصبر عليه فإنه وزن عنه مالاً للأمير الدوادار الكبير قبل سفره فقبله ، وتوجه لبيته بالقرافة ونزل بتربته فأقام بها .

يوم الأحد تاسع عشريه لعب السلطان الكرة هو والأمير جانبك حبيب (١٠٩ م) أمير آخور ثانى ، فوقعت عمامة السلطان من رأسه إلى الأرض فاحتد وتسودن .

﴿شهر ذى القعدة الحرام﴾

أهل بيوم الاثنين المبارك ويوافقه من أيام الشهور القبطية خامس عشرى برمودة لأن شوال جاء تماما .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكنتُ فى خدمة قاضى الحنفية ابن الشحنة الحنفى ، فوجدنا السلطان يلعب بالكرة بالحوش السلطانى فانتظروه بالجامع الناصرى قلاون بقلعة الجبل إلى أن انتهى اللعب وطلبهم فدخلوا الحوش وجلس معهم تحت الدكة ، ماخلا

الحنبلى لضعفه ، وكان رئيسُ الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتبُ السر حفظه الله واقفاً فى خدمته هو والدوادار الثانى فوقف للسلطان اثنان فى الحديد ومعهما محضر يدل على أن السلطان جهز قاضياً وشاهداً إلى بلد كذا بسبب من وَقَفَ له وأخبره عن هذين الاثنين اللذين حضرا فى الحديد أنهما قتلا شخصا لينظرا فى هذه القضية ، فحضروا بهما بعد أن شهدوا على إقرارهما بالقتل وأودعوهما الحديد ، فسألهما السلطان فأنكرا الإقرار والقتل فدفعهما للقاضى المالكى .

ثم طلب السلطانُ ابنَ الحاجب وجماعته — أعنى مستحقى ربع وقف ابن الحاجب — بسبب ما أنهى عنهم للمواقف الشريفة من شخص متزوج بجارية من العتقاء يسمى « أبو الخير الفيومى » الذى كان زركشيا ثم صار شاهداً بجلس فى حانوتٍ بجوار جامع[٢] الحاكم ثم خدم القاضى صلاح الدين المكينى فعمله قاضياً إنْ وَقفَ ابن الحاجب جميع مايتحصل منه بتواطؤ الناظر الذى هو من الذرية وزوج بعض المستحقين البلوانى ويأكلونه ولا يعطون المستحقين شيئا بل ولا الشمائر — . وهذا المذكور تزوج بجارية من عتقائهم وفعل بهم الأفاعيل التى ستذكر ، وهو من الشريرين المشهورين بالجواب وقلة الأدب والمرافعة — فلما مثل ابن الحاجب بين يديه هو وابن البلوانى والمستحقون سألهم عن الوقف وعن متحصله وعن مايصرف منه وعن مايتأخر للمستحقين فما أفصحوا له بالجواب ، فرسم لقضاة القضاة (١٠٩ ب) أن يعينً كل واحد من نوابه نائبا ويجلسون بالجامع ليحرروا الوقف وشرطه ومتحصله ومصروفه ، ويُعلمون السطان بذلك .

وفيه خلع على الجناب العالى الزينى أبى بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط

---

(١) راجع عنه المقريزى : الخطط ٢/٢٧٢ .

ناظر الجوالى وما مع ذلك خلعة السفر بسبب توجهه إلى البلاد الشامية لأشغال السلطان ولتعلقات أوقاف والده ، وخرج فى هوتك هائل وغلمان ومماليك وعبيد ، والحكم لله يفعل مايريد .

يوم الثلاثاء ثانيه لعب السلطان الكرة على العادة فتقنطر بالجواد ووقع عن ظهره وسقط شاشه عن رأسه ولم يلتفت لذلك ونهض وركب الجواد وساقه سوقا عظيما ، هذا بعد أن انقلب الحوش السلطانى ونزل جميع الأمراء عن خيولهم وبادروا لحمل السلطان ولم يحصل له أدنى شدة ولا تشويش غير أنه احتد وتسودن .

وفيه وُلد المقر الأشرف الكريم العالى السيفى عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ووزيرها وأستادراها ودوادارها الكبير ومامع ذلك — شَيّد الله به الممالك — ولد ، فسُرّ به السلطان وخلع على الذى بشره به كاملية سمور بمقلب سمور وقيل متمرا ، وأنعم له بعشرين دينار ورسم للمولود بإقطاع وجامكية وغير ذلك وسمى « منصورا » ، وعملت له الزلابية من حلوى ثلاثة أيام مع الأسمطة ، وقدم له الأكابر من كل صنف ، وجهزوا ساعيا بالبشارة لوالده وقاصداً آخر لجده لأمه : الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال بالإسكندرية ، وهرع الخوندات والستات والرؤساء والمباشرون للسلام[1] عليها والتقدمة لها ، وصنعوا لها المدات والأسمطة من فاخر المآكل والمشارب وأمثال ذلك .

يوم الأربعاء ثالثه توجه الشيخ شمس الدين السخاوى[2] ليدرّس بالكاملية[3] فى الحديث عوضا عن الشيخ كمال الدين بن إمام الكاملية بحكم وفاته بدرب

---

(١) فى الأصل « السلامة » .

(٢) هو صاحب الضوء اللامع المستعمل كتابه كثيرا فى هذه الحواشى .

(٣) تقع هذه المدرسة بخطبين القصرين بالقاهرة وقد أنشأها الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيوب سنة ٦٢٢ هـ ، وتسمى أيضا بدار الحديث الكاملية ، انظر خطط المقريزى ٢/ ٣٧٥ .

الحجاز ، والوظيفة المذكورة أشهر يتنازع فيها الشيخ المذكور مع أولاد المتوفى ويساعد الأولادَ المقرُّ العلائى ابن خاص بك والأمير يشبك الجمالى (١١١٠) المحتسب وعنبر المهنى ووقفوا للسلطان كم مرة ، وآخر الأمر أن السلطان رسم له بالوظيفة وكتب له مرسوم شريف بالوظيفة ، فعندما وصل إلى باب المدرسة الكاملية ليدرس بها ـ وقد استأذن جماعة من أعيان الفضلاء لذلك ـ قبض عليه اثنان من نقباء الأمير تمر الحاجب وقالا له : « كلم الأمير » فلما دخل أراد رأس نوبته ابن أزبك ـ عليه من الله ما يستحقه ـ أن يوقفه بين يديه من تحت المقعد فامتنع من ذاك وطلع فجلس بجانبه على الدكة ، وذكر له القصة مفصلة ، وأن القاضى كاتب السر استأذن له السلطان أن يدرس فى هذا اليوم فقال : « المرسوم مرسوم السلطان لو أخذ امرأتى أعطاها لمن أراد قلت السمع والطاعة ، ولكن حتى أشاور السلطان على ذلك » ، فقام الشيخ شمس الدين ليتوجه إلى حال سبيله فعندما وصل إلى الباب عوّقوه وأجلسوه فى المسجد الذى فى زقاق بيت الأمير المذكور مرسماً عليه ، فاجتمع الناس لحضورهم مجلس التدريس فبلغهم ما اتفق فدخلوا إليه مسلّمين . والله المستعان .

وبلغ ذلك سيدنا العلامة الشيخ شمس الدين الأمشاطى[1] الحنفى فحضر إلى الأمير تمر وأعلمه بأن الشيخ شمس الدين[2] من أهل العلم وخادم السنة ، فعند ذلك اعتذر عما وقع وأنكر أنه أمر بالترسيم عليه وطلبه لحضرته .

وكان ولد سيدى الشيخ كمال الدين حضر وحضر صحبته جماعة من جهة البقاعى يساعدونه ، منهم شخص من الذين يقرءون عليه يعرف بالقلقيلى[3]

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ٦/١٠٠٤ .

(٢) المقصود بذلك السخاوى .

(٣) ويعرف بمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن مفلح القلقيلى ، انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٧/٨٨ .

ـ مشهور بما لا ينبغى ذكره ـ وشخص من طلبة العلم وهو شاهدٌ يعرف «بابن روق» صاحب حدة زائدة وأخلاق شرسة وإذا غضب لا يطاق ، فلما حضر الشيخ شمس الدين [السخاوى] ليجلس فوق القلقبلى حمله[1] وأراد رميه مع أن القلقبلى من أهل الفضل والذكاء وعنده أن الشيخ شمس الدين مايفهم عنه ، فما وسع[2] الحاجب إلا أن أجلسه إلى جانبه الآخر وصاروا فرقتين : فرقة من جانب الشيخ شمس الدين ، وفرقة من جانب ابن الشيخ كمال الدين ، وكل منهم يتكلم بما يريد ، وقاموا على أن الأمير ـ غد تاريخه ـ يشاور السلطان ومهما رسم به فعل ، (١١٠ ب) فالله يلهم السلطان الحق بينهم ، آمين .

يوم الجمعة خامسه الموافق له من أيام الشهور القبطية أول بشنس لبس السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ـ عز نصره ـ القماش البياض البعلبكى المعد لبسه للصيف ، وكان لبسه فى هذه السنة زائداً أىْ سابقاً على العادة سبعة أيام مخالفاً للبسه الصوف فى هذه السنة فإنه أخره أياما أكثر من تقدم الأبيض .

وفيه توجه الأمير شرف الدين ابن غريب ـ وهو المتكلم فى الوزر عن المقر الأشرف الدوادار الكبير وكذا فى الأستادارية ـ وصحبته الأمير جانم دوادار المقر الأشرف المذكور إلى الوجه القبلى لمساحة البلاد وقبضها ، فأقاما ببر الجيزية إلى يوم الاثنين ثامنه ليحضروا إليه[3] المماليك السلطانية ، وهما فى ضخامة ومهابة وشهامة وأمثال ذلك ، والله الولى والمالك .

---

(١) فى الأصل « لحمله » .
(٢) فى الأصل « فاساع » .
(٣) أى الى ابن غريب .

يوم الخميس حادى عشره وصلت كتب [الحجاج] العقبة وأخبروا بوصولهم إليها قبل رأس الشهر بليلة ، وأن الرخاء معهم وتأخر حضوره عن كل سنة ، وأن الفول وصل ثلاث ويبات بدينار ، وأن الزبيب والإقامات التى حضروا بها من غزة شىء كثير ، حتى أبيع الربع الزبيب بدرهم شامى قيمته ستة دراهم فلوسا ، وقيل إن فى الركب الأول رائحة موت فى الجمال .

ووصل ساع من البلاد الشامية ، ولم يُعرف من خبره سوى أن المقر الشرفى الأنصارى طيب بخير وعافية ، وأن عظيم الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى السيفى أمير دوادار كبير خلع عليه ، ولله الحمد .

وكذا وصل من عند الأمير شرف الدين بن غريب مقدم الدولة المدعو « نجا » الذى كان ضربه وأهانه وبهدله وكتب عليه مالا وأخذه صحبته إلى البلاد القبلية ، فشكت زوجته ذلك لحريم السلطان فإنها من جهتهن[1] ، فرسم السلطان للمقر الأشرف العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر أن يكتب له مرسوم شريف بإحضار نجا ، فطلب وجهز - كما ذكرنا - للأبواب الشريفة ، وأرسل عليه شواهد بما يختاره ، وصعد للسلطان وطلع معه مَن يتكلم عن ابن غريب فى غيبته ، وآخر الأمر خلع السلطان على « عبد العال » الذى قرره ابن غريب مقدم الدولة عوضاً عن نجا على عادته ، وشق المدينة بكاملية سمور والتزم بالسداد عنه فى (١١١١) غيبته .

وفى هذا اليوم الذى هو الثالث عشر منه برز الأمر الشريف بتسمير ستة نفر من المفسدين من أعمال القليوبية المعروفين بفضل وأن يوسطوا بقليوب ، فأشهروا على الجمال بين يدى الأمير يشبك من حيدر صاحب الشرطة ، وذكر

---

(١) فى الأصل « جهتهم » .

عنهم أفعالاً قبيحة ، منها أنهم قتلوا رجلا لأخذ ماله بقليوب وحرقوه بمستوقد الحمام وأمثال ذلك من التهجم والقتل وقطع الطريق ، وذلك ذنب عقابه فيه . ووُسطوا بقليوب أو قربها وعُلّقت جثثهم ليرتدع أمثالهم عن هذه الأفعال المنكرة . رب سلم .

يوم الخامس عشره فُرقت الجامكية على المماليك السلطانية بين يدى السلطان بالحوش من قلعة الجبل ، وصار مَن له جامكية ويريد قبضها يُعطى له قوس يجذبه فإن جذبه فهو قابض ، وإن عجز عنه فهو مقطوع من الشهر الذى بعده ويقبض جامكية هذا الشهر ، فإن شفع فيه لشيخوخته أو ضعفه فيكون بحكم النصف ، والله أسأل أن ينصر السلطان ويعطفه على الفقهاء والفقراء والأرامل والأيتام ، فإن صدقاته جمة ومحاسنه مهمة .

يوم الاثنين ثانى عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل وأظهر أنه متوجه إلى جهة الخانكاه ، ثم عطف من الجبل وسار إلى أن وصل إلى حلوان وتوجه إلى طرا ووصل إلى مصر القديمة وبولاق واستمر على طوق البحر إلى المنية وشبرا ، فصعد من الجبل واستمر إلى أن وصل إلى القلعة ، فوقف له جماعة يشكون من الحراقة التى بقليوب أن المتكلمين عليها يقبضون المسافرين من الفقهاء والفقراء ويستعملونهم ويضربونهم ، فرسم نصره الله بشنق من يفعل ذلك .

واستمر السلطان ـ نصره الله ـ يلعب الكرة مع الأمراء ، وتأخر من لعبه بالكرة فى هذه السنة موكب واحد .

ولما مر السلطان من بولاق سأل عن بيت رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين ، فلما بلغه[1] ذلك أصبح من الغد تجهز

---

(١) أى لما بلغ ابن مزهر سؤال السلطان عنه .

السلطان من السكر المكرر عشرة قناطير ، ومن الأغنام المعاليف عشرين[1] معلوفا ، وما أدرى إن كان ناظر الجيش أرسل أم لا .

وتولى الينبوعَ سبع[2] (١١١ ب) ـ وهو رجل شيخ طوال رأيته فى بيت رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله ـ عوضا عن خنافر[3] بسعى الأمير تمر حاجب الحجاب والأمير أزدمر الظاهرى الطويل أحد المقدمين الألوف له فى ذلك عند السلطان ، فأمرهما[4] أن يسألا كاتب سره المذكور ـ حفظه الله ـ فى ذلك ، فإن خنافرا المذكور من جهة الشريف محمد[5] صاحب مكة ومن جماعته ، ومحمد أعز أصحاب كاتب السر حفظه الله . وكان هذا المذكور الذى تولى مقيماً بالقاهرة بطالا له نحو سنة وشهرين ، وركب الأميران المذكوران إلى بيت رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى بأمر السلطان لهما فى ذلك وتعلقا بأذياله ، فاستحى منهما ووافقهما على ولايته وخلع عليه . وشرط عليه المقر الزينى المذكور حفظه الله ألا يأخذ على مواهى الحجاج الذى ضمنهم الدبس والزاد والبقسماط شيئا ، ورضى بذلك .

وحصل لصاحب مكة محمد بن بركات أمران مشوشان ، أحدهما عزل القاضى برهان الدين ابن ظهيرة[6] فإنه عنده أعز من سمعه وبصره وقلبه على ما أعرفه ، ثم عزل صاحب الينبوع الذى هو من جهته وتحت أوامره والأمر إلى الله .

---

(١) المفهوم من سياق الخبر والواقع أن الذى أعد تلك التقدمة هو ابن مزهر ، وعلى هذا الأساس غيرت الكلمة إلى « عشرين » بدلا من « عشرون » الواردة فى الأصل .

(٢) واسمه سبع بن هجان بن محمد بن مسعود الحسنى .

(٣) هو خنافر بن عقيل بن وبير الحسنى ، راجع الضوء اللامع ٣ /٧٧٧ .

(٤) فى الأصل « فأمرهم أن يسألوا » لكن راجع هذه الصفحة س ٩ حيث يقول « وركب الأميران » وعلى هذا عدلت الجملة نحويا .

(٥) هو محمد بن بركات بن حسن عجلان ، راجع الضوء اللامع ٧ /٢٧٧ .

(٦) الضوء اللامع ج ١ ص ٨٨ - ٩٩ .

وأخبرنى — من لفظه — المقر الأشرف الزينى ابن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين أن السلطان نصره الله أمره أن يكتب للشريف محمد سلطان مكة أن لايكاتب السلطان « بأقل العبيد » ، وكذا إلى المنصور عثمان بن الظاهر جقمق أن لايكتب له « المملوك » ، وكذا للمؤيد أحمد بن الأشرف إينال ، فجزاه الله خيرا عن دينه ودنياه وأيده ونصر جيوشه وبلغه مآربه وألهمه الحق وجنبه الباطل على ، إنه كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

يوم الخميس خامس عشريه ضرب السلطان شخصاً من موقعى الأمراء يعرف بابن المصرى بالمقارع بسبب أنه زوّر كتباً على السلطان فرسم بحبسه والذى كتب باسمه ذلك رسم بنفيه ، فالله أسأل السلامة .

يوم الأحد ثامن عشريه توجه السلطان إلى كوم اسفير لضيافة القاضى كريم الدين عبدالكريم بن القاضى علم الدين أبى الفضل بن جلود كاتب المماليك ، وتوجه فى خدمته المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك من ططخ الظاهرى وغيره من الأمراء المقدمى الألوف وغالب العسكر وأقام هناك ومدت له المدات الهائلة من المآكل والمشارب (١١١٢) والسكر والحلوى والفواكه ، وقدم له مايليق به وعاد إلى القلعة .

يوم الأحد تاسع عشريه حضر عيسى بن بقر فى الحديد وطلع بين يدى السلطان فرسم بضربه فضرب ضرباً مبرحاً على بدنه ، ورسم بسجنه فى المقشرة، ورسم لبقر[1] أن يستقر عوضه وأن يحاسب عيسى على ما فى جهته من مال السلطان ليقوم به وسبب ذلك أنه خرب قطيا وأحرق أشجارها وقتل منها

---

(١) المقصود بذلك بقر بن راشد بن أحمد شيخ عرب الشرقية ، وقد سماه السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٧٥ بابن أخى بيبرس ، وكانت وفاته سنة ٨٧٧ هـ .

جمعاً وصار ممتنعا من مقابلة عظيم الدنيا الداودار الكبير ، فأرسل السلطان إلى قانصوه الجمالى الكاشف بالقبض عليه فعمل عليه الحيلة حتى قبض عليه ، ومع ذلك وقع بينهما قتال ، وقُتل من كل منهما جماعة . هذا مابلغنى والله أعلم .

﴿شهر ذى الحجة المبارك﴾

أهلّ بيوم[1] الثلاثاء بالرؤية لأن ذى القعدة جاء ناقصا .

فيه صعد قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر وكان يلعب الكرة فانتظروه حتى فرغ منها ، وكان هذا ختمها يعنى من اللعب ، ودخلوا إليه بالحوش السلطانى وكان قاضى القضاة عز الدين الحنبلى صعد لتهنئته وله مدة متضعف ، فجلس فى وسط الحوش على الأرض والسلطان ينظر إليه ثم لما جلسوا قالوا للحنبلى : « سلامتك ، لأى شىء استعجلت ؟ » ، وأمثال ذلك .

وفيه خلع على الأمير بقر عوضا عن عيسى المقدم ذكره ، وتسلّم عيسى بعد الضرب الذى تقدم ذكره بين يدى السلطان .

يوم الخميس ثالثه قتل شخص رومى شاب أمرد بلا لحية بالصحراء بجوار سيدى الشيخ المقانعى ، وكان له رفيقان من بلاده فوجداه مذبوحا ولا يُعلم له قاتل ، هذا بعد أن وجدوا فيه عدة ضربات بالسكاكين . والأمر إلى الله تعالى .

يوم الأحد سادسه ضَرب شخص — من الذين هم فى سجن المقشرة ويسألون فى الحديد صحبة الجندار — نفسه بسكين ، فخرجت[2] مصارينه فى وسط السوق فمات ، وسبب ذلك أن هذا الذى قتل نفسه [كان] عليه مقرّر فى كل يوم

---

(١) يطابق هنا ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٨ ، ويعادل هذا التاريخ يوم ٢١ مايو ١٤٧٠ م .

(٢) فى الأصل « فخرجوا » .

للسجان ثلاثة أنصاف ، وللذى معه قدر آخر فإن[1] لم ينهض فيعاقب عقوبة شديدة ويجعلون رجليه فى الخشب ، وطال ذلك عليه فقتل نفسه ، وحسابه على الله .

(١١٢ ب) وفيه توجه المقر الأشرف العالى السيفى تمر حاجب الحجاب إلى الشرقية لأجل ردع العربان المفسدين الذين ملأوا البلاد والعباد فساداً من نهب وعَرْى وقتل ، وهم سعد ووائل ، وأحرموا الطير يطير . فبلغ خبرُهم السلطان فرسم .للأمير المذكور بالتوجه لردعهم وتطمين البلاد وكتب مراسيم شريفة للكشاف بالتوجه فى خدمته وكذلك لمشايخ العربان حتى نائب غزة وعدة من المماليك ، وخرج فى هوتك عظيم وموكب جسيم .

وفى هذه الأيام سافر قانصوه الأحمدى المشهور بالخسيف — أحد مقدمى الألوف — إلى بلاده كأنه يهرب من تفرقة الأضحية ، وفرّق السلطانُ — نصره الله — الأضحية على المماليك السلطانية وغيرهم فجزاه الله خيراً دنيا وأخرى بمحمد وآله وصحبه .

عيد الأضحى فى عاشر ذى الحجة ، خلع فيه على قاضى القضاة ولى الدين أحمد الأسيوطى الشافعى كونه خطب بالسلطان على العادة ، وخلع على المقر التاجى ابن المقسى ناظر الخواص كونه سد الأضحية ومن له عادة ، وشكر الناسُ ودعوا للسلطان بسبب تفرقته فى هذه السنة الأضحية على الغنى والفقير .

يوم السبت ثالث عشره ركب السلطان من قلعة الجبل بعد أن ذبحوا كل وسيّر وتوجه لبيت المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك من ططخ فلم يجده ، ومرّ من الوراقين وشقّ البلد وصعد إلى القلعة وهو فى نحو خمسين مملوكا : أمامه عشرة والباقون خلفه .

---

(١) فى الأصل « فلم » .

وفى العشرين منه وصل عدة سعاة من عظيم الدنيا يشبك من مهدى الدوادار الكبير حفظه الله وصحبتهم كتب للسلطان - نصره الله - وللجماعته وبيته ، واتضح الخبر على أن الأمير الدوادار - بلّغه الله مأموله - يضحى بمدينة حماة ، وغير ذلك أن المبشرين[1] وصلوا فى رابع عشريه وأخبروا أن الوقفة الخميس مخالفة لهذه البلدة فإنها كانت الأربعاء ، وأخبروا عن الحاج بالخير والسلامة .

• • •

واتفق أن القاضى برهان الدين ابن ظهيرة الشافعى قاضى مكة وعالمها لما بلغه العزل على لسان أمير الحاج يشبك الجمالى جمع أهل مكة : تجارها وأوساطها وفضلاءها وعلماءها (١١١٣) وقال لهم : « هل أخذت من أحدٍ منكم رشوة ؟ قبلت له هدية ؟ ظلمته مظلمة ؟ فعلتُ معه شيئا ونسيته ؟ ذكرونى به » فأجابوه بالثناء عليه ومدح صفاته وأوصافه وعفته وصيانته وديانته وأمانته سيما فى مال الأيتام ، ثم أحضر ما كان تحت يده من أموال الأيتام - وجملة[2] ذلك عشرون ألف دينار - وقال لأمير الحاج المذكور : « هذا المال لزيد ولعمرو ، ولى سنين أتجر فيه مع أقوام حتى سلم للأيتام بحمد الله وأوزن زكاته لمستحقها ، وها هو خلص من ذمتى وبقى فى ذمتك » . فامتنع أمير الحاج حتى يشاور السلطان ؛ وكان حاضراً هذا المجلس القضاة الذين تولوا ، فبرز للمالكى المتولى وتكلم مع القاضى برهان الدين المفصول كلاما كثيراً . وآخر الأمر انفصلوا ولم يسلمهم المال .

---

(١) فى الأصل « المباشرين » .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ج ١ ص ٩٤ س ٢٣ « نحو ستة عشر ألف دينار ذهباً » .

وأصل هذه الفتنة فى عزل القاضيين الشافعى والمالكى قصة الخواجا ابن[1] الزمن لما أرادأن يبنى بالمسعى حوانيت[2] فمنعه القاضى برهان الدين من ذلك[3] وجمع الناس وجدد المسعى فوجد ما يروم بناءه ابن الزمن داخلاً فى المسعى فمنعه ، فلما ولى القاضى محب الدين بن أبى السعادات عوضاً عنه أقام عنده الخواجا ابن الزمن بينة أن هذا البناء وُضع بحق وأنه يملكه وأنه تلقاه بالشراء ، وهو حوانيت على الهيئة التى يروم فعلها وثبت ذلك عليه وحكم به ، وشرع فى بنائه ليلا فما[4] أصبح النهار إلا وقد بلغ مقصوده .

وغير ذلك أن غرس الدين خليل قاضى القدس الذى وقع بينه وبين القادسة ما تقدّم ذكره من وثوبهم عليه ونهبهم لداره وقتله ، ولولا اللطف لفتكوا به ، ثم حضروا إلى القاهرة فانتصف عليهم أولا ثم انتصفوا عليه بعناية الله ومساعدة رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين ، فإنهم علماء صلحاء ، غير أن القاضى أراد الترفع عليهم وما ساعه[5] إلا أن اختفى ، وذلك مع مساعدة عظيم الدنيا الدوادار الكبير والسلطان وضرب أحد مَن خاصمه بالمقارع ، ومع ذلك فإن أركان الدولة ما هم راضون به ، وأيضا فما هو

---

(١) أورد السخاوى ثلاثة باسم « ابن الزمن » أحدهم محمد بن عمر (الضوء اللامع ٨/٢٠٣) وثانيهم ابنه « محمد » (نفس المرجع ٩ /٢٥٤) وابن أخيه إبراهيم بن عبدالكريم (شرحه ، ج ١ ص ٦٩) دون أن يشير فى إحدى هذه التراجم إلى ما أورده ابن الصيرفى بالمتن ، غير أن الأرجح أن المقصود أعلاه هو الأول منهم .

(٢) فى الأصل « حوانيتا » .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ج ١ ص ٩٤ أن التوقيع بعزله كان بمفارزة الشمس بن الزمن أحد خواص الملك لمعارضته إياه فى البناء لما أنشأ رباطه بالمسعى ومنعه العمال من الحضر لكونه فى المسعى ، وساعد القاضى من كان هناك من العلماء المجاورين ونحوهم حيث كتب ابن الزمن بما تقتضى عزله ، فأجيب لذلك .

(٤) فى الأصل « فلما » .

(٥) يعنى بذلك « ما وسعه » .

أهل (١١٣ ب) لمشيخة الصلاحية ، وولايته لها تخالف شرط الواقف على مابلغنى . فالله أعلم .

ورسم السلطان بعمارة الإيوان المجاور للقصر السلطانى بقلعة الجبل الذى هو إنشاء المنصور محمد بن قلاون ، ورسم لرئيس الدنيا ابن مزهر — كاتب السر — أن يكون هو القائم على عمارته وقدّر مصروفه مبلغاً جملته عشرة آلاف دينار ويحتاج إلى مثلها . ودفع السلطان أول نفدة من مائه خمسة آلاف وخمسمائة دينار .

ووصلت الأخبار عن الحجاج أنهم لما دخلوا مكة — أو قبل دخولها — كانت الشربة الماء وصلت لدينار ، والعسل كل خمسة أرطال بدينار ، والسيرج كذلك ، والسمن واللحم بثلاثين الرطل . والله يلطف بالمسلمين آمين . إنه على مايشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وانقضت هذه السنة على خير وسلامة وعلى ماسمعت ورأيت ، فلله الحمد والشكر والمنة والفضل ، لا إله سواه .

ذكرى من توفى فى هذه السنة للباركة

وبلغتنا وفاته من الأعيان

١ — إبراهيم بن عبد الله الحلبى النحوى الفرضى الشافعى صاحب الفتوح الذى حصله فى دولة الملك الظاهر جقمق رحمه الله . مات فجأة فى الليلة المصبحة عن الخميس ثالث عشر شهر الله المحرم سنة تاريخه ، أى خمس وسبعين وثمانى مائة . وكان فاضلاً فى العربية والفرائض ، وأما الفقه فكان فيه بالفقهى ، وكان رزق ولداً فلما صار فى سبع سنين من العمر فى بداية دولة الملك الظاهر المذكور هذّبه وأدبه وأقرأه القرآن ، وكان شكله لطيفاً وذهنه وقاداً وحفظه سريعاً راسخاً ، وعَلّمه والده — صاحب هذه الترجمة — إعراب آيات من كتاب الله العزيز ، وصار يسأل منه عن إعرابها[1] بحضور الظاهر المذكور ومَن عداه من أمرائه ومباشريه وأرباب دولته فيجيب بإتقان وتؤدة ، ويسرد ذلك كالماء الجارى لما تقرر فى ذهنه وقريحته الوقادة ، وصار الأكابر يحسدون إليه (١١٤ ا) ويعجبهم صنيع هذا الولد الصغير ، وأدب هذا الوالد الكبير له .

وأما الظاهر المذكور فصار ينعم عليه بالذهب والكتب حتى إنه اشترى له ملكا بنحو خمسمائة دينار ، وصار يتردد الأكابر والأعيان فيعلم أولادهم الكتابة والقراءة والفرائض والعربية وإعراب الأبيات والأحاديث ، ومن جملة من قرأ عليه وعلمه الشيخ سرى الدين عبد البر ابن قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة وولدا[2] أخيه اللذان هما قاضيان فى مدينة حلب أحدهما شافعى

(١) فى الأصل « إعرابهم » .
(٢) فى الأصل « أولاد » .

والآخر حنفى ، وصار له بين الناس ذكر فقُصد لتأديب أولادهم ، ومن جملة مَن طلبه لذلك المقر المحبى ابن الأشقر ، والمقر الأشرف الزينى ابن مزهر حفظه الله ، والمقر الكمالى ناظر الجيش ، وصار يسعى فى تحصيل ما يسأل فيه من الأكابر ، فقرر له على الجوالى ورتب له على الأوقاف التى تحت نظر حاكم المسلمين الشافعى وحاكم المسلمين الحنفى ، و [قُرر له] حضور بمدرسة جمال الدين ، وحضور بمدرسة بيبرس ، وأخذ أيضا التكلم على زاوية الشيخ نصر الله بخان الخليلى وغير ذلك ، لكنه كان يُرْمى بأنه شيعى وأنه ـ والعياذ بالله تعالى ـ ما يحب السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وأنه يوم العشر(١) يأخذ معزاة وينتف شعرها بيديه ، ولكنا ما ظهرنا على ذلك منه .

ومات ولده المذكور فأسف عليه أسفاً عظيما بل [أسف عليه] كل من رآه من الناس ، واشترى له عبداً صغيراً ابن سبع سنين وأقرأه وجدّ فيه واجتهد فحفّظه القرآن العظيم ، وعلمه إعراب آيات وصار لا يفتر عن تعليمه حتى مهر وبهر واشتهر ، وكان صاحب الترجمة يحضر دروس العلماء خصوصاً الشيخ تقى الدين الشمنى(٢) الحنفى ، ويعرف صناعة النجارة ، ويعمل الأشياء النفيسة فيتغالى(٣) الرؤساء فى شرائها بأغلى الأثمان ، ويعرف صناعة الحدادة ويتقنها إتقانا حسناً ، ويصنع الإسفيداج(٤) وغير ذلك من الطرائف ، ورتب (١١٤ب) له فى البخارى الذى يقرأ بقلعة الجبل ـ بحضور السلطان يكون ختمه ـ صرةً

---

(١) أى عاشر المحرم .

(٢) فى الأصل « السمنى » والصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ٢ /٩٣٤ حيث الضبط منه ، وقد ترجم له السخاوى ترجمة مطولة ، وكذلك السيوطى فى بغية الوعاة ، انظر أيضاً شذرات الذهب ٧ / ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٣) فى الأصل « فيغالوا » .

(٤) انظر عنه الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٤٩ ، والقانون لابن سينا ١ /٢٥٨ .

ألفى درهم كل سنة . وكان كثير التردد لبيوت الأكابر فيعظمونه[1] ويكرمونه ويقضون حوائجه ويتفقدونه ، كل ذلك وهو راكب حماراً قصيراً جداً يشبه حمار القراد و [معه] عبد[illegible] جداً ، وعيشته زرية إلى الغاية وملبسه أيضا كذلك ، ولم يخلف وارثاً ، غير أنهم ذكروا أن له أولاد أخ بحلب وزوجته هنا . ووجد له من المال تسعمائة دينار فضة وذهبا ، وقيل سبعمائة خالصة للوزير غير ما وصل لمباشريه وأرباب المواريث الحشرية ، وخرجت وظائفه لعدة من الطلبة المجتهدين فى السعى ، المباشرين حضور بيوت الأكابر مثل المقر الأشرف الكريم الزينى ابن مزهر والأمير الدوادار الكبير ، ودفن بتربة الصوفية . والله تعالى يعفو عنا وعنه بمنه وكرمه .

٢ — إبراهيم بن فخر الدين عثمان المشهور بالرقى ، عين أعيان موقعى[2] الدست بديوان الإنشاء الشريف ، وكان فاضلا فى صناعته وزهراً فى ملبسه ومركبه وداره ومأكله ومشربه ، بشوشاً متواضعاً ، و [كان] والده رئيساً حشما زهراً نوراً تاجراً بسوق[3] الوراقين ببيع المسك والطيب والماورد والصينى[4] وأمثال ذلك ، وصار له بولده سمعة وحرمة ، وكان ولده قد ضخم وصار له المرتبات والجوامك والعليق واللحم والكسوة ، ورشح لنيابة كتابة السر ، لكن منعه من ذلك صمم اعتراه ، إلا أنه صاحب قلم ولسان ، وكان الصمم المذكور سببا فى تأخره ، ومات بطريق الحجاز فى هذه السنة ، وأسف

---

(١) فى الأصل « فيعظموه . . . ويكرموه . . . ويقضوه حوائجه ويتفقدوه » .

(٢) فى الأصل « موقعين » .

(٣) هو المعروف بسوق الكتبيين ويقع فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية بالقاهرة . وقد أحدث بعد سنة ٧٠٠ هـ ، وهو جار فى أوقاف المارستان المنصورى ، انظر المقريزى : الخطط ٢ / ١٠١ .

(٤) لعلها « الدارصينى » وهى القرفة .

الناس عليه فإنه كان ديناً خيراً ساكناً متواضعاً كثير الحياء والأدب ، يعرف منازل الناس ومراتبهم ، وسعى فى وظيفته الجم الغفير عند السلطان وحواشيه فما قبل السلطان منهم أحداً[١] ، وخرج الوظيفة وما باسمها من المرتبات والجوامك واللحم والعليق والكسوة والأضحية والجراية باسم الوزير المعزول المسمى يحيى[٢] بن صنيعة ، وحصل له المعلوم فى كل شهر ستة آلاف درهم ، بعد أن كان القاضى شهاب الدين (١١١٥) ابن التاج — عين موقعى ديوان الإنشاء الشريف — سعى فى أن يكون ما باسم المتوفى مضافاً له فما وافق السلطان على ذلك ، فساعده رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ، فرسم له بألف درهم من معاليمه فى كل شهر خارجاً عن الستة آلاف التى خرجت باسم ابن صنيعة وأثنى[٣] الناس على صاحب الترجمة خيراً كثيراً وفضلاً جزيلا وعقلاً وافراً ونبلا باهراً ، وعمره — تخمينا — أكثر من ستين سنة ، عفا الله عنه .

٣ — أحمد بن محمد بن على الشيخ شهاب الدين ، شاعر الوقت ، أبو الطيب الأنصارى الشافعى المقرىء المشهور والمعروف بالحجازى ، كان فصيحاً فى القراءة دقيق الشعر ، آية من آيات الله فى الأدب . مولده فى شعبان سنة تسعين بالقاهرة - كما أخبرنا بذلك من لفظه - ونشأ بها فحفظ كتاب الله العزيز وعدة كتب فى الفقه والحديث والأصول والنحو ، وعرض ذلك على علماء عصره ومشايخه ، ثم احتفل بفن الحديث الشريف ، فسمع على شيخ

---

(١) ى الأصل « أحد » .

(٢) كان من مسالمة الأقباط ومن خدم بالكتابة وعمل الوزارة ثم باشر التوقيع فى خدمة السر ، وكان موته سنة ٨٨٢ هـ ، راجع عنه السخاوى : الضوء اللامع ١٠ / ١٠٦١ .

(٣) فى الأصل « وأثنوا » .

مشايخ الإسلام زين الدين عبد الرحيم العراقى والهيثمى وابن أبى المجد والتنوخى والنجا إسماعيل الحنفى وآخرين ومهر فى الفقه وأصوله والعربية وغيرها ، وأخذ الفقه عن الولى العراقى والشمس البرماوى وجماعة ممن بعدهما وقبلهما ، وجوّد فى القراءات حتى صار أحد أعيان قراء الجوق ، وكتب الخط المنسوب ، وكتب به الكتب الكثيرة من كل فن ، وتعانى الأدب حتى صار له سجية وعرف به ، وطار صيته فى الأقطار والأمصار ، وكان مقربا عند شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر ، خادم السنة والأثر ، رحمه الله ، ووصفه[1] «بالعلامة فخر المدرسين عمدة البلغاء» وناهيك بهذا الوصف من هذا العالم العظيم . وقرأ صاحب الترجمة عليه[2] فى الحديث ، وقرأ عليه مقامات الحريرى وأقرأها وعلق عليها شرحاً لطيفاً بليغاً ، وطارح أدباء العصر وطارحوه ، ومدح الأكابر وجمع المجاميع الحسان ، وألف تذكرة فائقة زادت على خمسين مجلدة (١١٥ ب) احتوت على فوائد وفرائد ونوادر وحكم وأشعار وتواريخ ومقاطيع وغير ذلك ظهر بها قوة صنيعه وملكته فى هذا الشأن ، وسار ذكرها واشتهر ، وكذا نظمه ونثره وليس العيان كالخبر .

وحج إلى بيت الله الحرام وزار قبر نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومدحه بقصائد مطولات فى غاية الانسجام ، وسافر إلى دمياط والاسكندرية وغيرهما للنزهة ، وحدّث فسمع منه الفضلاء ، وأقبل بآخره على كتابة الحديث الشريف والنظر فى الأسانيد والسماع ممن يعتقد بقدمه فى ذلك مما يحتاج إليه ،

---

(١) هذا الوصف والتعليق عليه منظور فيهما إلى قول السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٤١٦، ص ٤١٨ منه .

(٢) أى على ابن حجر .

ونعم الرجل تواضعاً وتودداً لأصحابه وتفقداً لهم ، مع حرصه على زيارتهم فى الأفراح والأتراح واستجلاب مودتهم ، ويقبل الشىء اليسير من الفـائدة ولو كانت ممن يكون ، كل ذلك مع خفة الروح وحسن الداعبة وحلاوة المذاكرة والمحاسن الجمة . تعلل مدة ومات رحمه الله مطعوناً شهيداً فى يوم يوم الاربعاء سابع شهر رمضان سنة تاريخه الذى هو عام خمس وسبعين وثمانى مائة بعد أن رثى نفسه بقصيدة من نظمه أنشدها من لفظه لبعض أصحابه وأحبائه عفا الله عنه ـ ومن نظمه عفا الله عنه :

يامَنْ غدَا مِنَ الذُّنُوبِ فِى خَجَل وخَائِفاً من الخَطَايَا والزَّلل
ارْحَمْ[1] جميعَ الخَلْق وارج رحمةً فإنما الجزاء مِن جِنْسِ العَمَل

انتهت ترجمته ملخصة ، رحمه الله ووالدينا ومشايخنا والمسلمين .

٤ — بردبك[1] بن عبد الله الأمير سيف الدين الفارسى الظاهرى جقمق ، كافل المملكة الحلبية والشامية والمعروف والمشهور بالبجمقدار . كان من قدماء مماليك الظاهر المذكور وأخذ الإمرة قبل الظاهرية الموجودين ، وكان شكلا حسناً طوالا له عصبة وإقدام فى الأمور وفعل فى دولة أستاذه عادةَ من تقدمه من المماليك السلطانية ، وكان يتسلط على الوزير والأستادار والمباشرين بالضرب والسب فيكتبوا له ولمن فى خدمته الجوامك واللحم [الجيد] الصنف والثمن ، وصار (١١٦ م) أستاذه الظاهر يغضب منه كل قليل بواسطة ذلك وبوصيه بهم . وهو من الفرسان الشجعان الأبطال ، غير أنه كان مسرفاً على نفسه والله يغفر لنا وله .

---

(١) أورد له السخاوى فى الضوء اللامع ٣ / ٢٤ ترجمة قصيرة .

وترقى فى الوظائف السنية إلى أن وصل إلى حجوبية[1] الحجاب بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية خشقدم ، وصار له فى البلد حرمة وسمعة ، ثم نُقل منها إلى نيابة حلب. فأقام بها ، ثم ولى نيابة الشام فاستمر بها إلى أن قبض عليه فى دولة الظاهر يلبى بواسطة خيربك[2] الدوادار الظاهرى خشقدم الذى صاهر بيت[3] الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم فإنه كان صاحب الحل والعقد فى دولته ، وتوجهوا به إلى القدس الشريف منفياً ، ثم أعيد فى دولة الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — عز نصره — إلى كفالة الشام ثانياً عوضاً عن المقر الأشرف العالى السيفى أزبك من ططاخ بحكم استقرار الأمير المذكور فى الإمرة الكبرى عوضاً عن جانبك الإينالى المشهور بقلقسيز الأشرف برسباى بحكم القبض عليه من شاه سوار المخذول .

ومات قبله بأيام يسيرة داوداره أبو بكر ، واشتملت تركة صاحب الترجمة وتركة أبى بكر الدوادار المذكور على مالٍ قيل إنه يزيد على مائتى ألف دينار وتوجه لضبط تركتهما الأمير الأجل قجماس الظاهرى جقمق وأحضر صحبته نحواً من أربعين ألف دينار نقداً خارجا عن القماش والصوف والسمور والسنجاب والبعلبكى والسلاح والخيول والجمال والمماليك والعبيد والإماء والأملاك والرزق والإقطاعات والبغال والأمتعة وغير ذلك .

وكان دواداره أبو بكر المذكور أصله فلاحا فخدم بجمقداراً عند صاحب الترجمة مدة فقرّبه وصار يرسله إلى المباشرين والأمراء فحصلت حاله ونمى ماله وكان كثير القلاقل ، فبلغه عنه كلام فغضب عليه وضربه وطرده وأخذ ماله

---

(١) وذلك فى المحرم سنة ٨٦٦ هـ ، راجع بدائع الزهور لابن إياس ، ص ١٠٨ .

(٢) راجع الضوء اللامع ٣ / ٢٨٧ .

(٣) بلا تنقيط فى الأصل .

وما يملكه فصار فقيراً لا يملك شيئاً ، فانتمى إلى علاء[1] الدين بن الفيسى ونزل بساحته وكان إذ ذاك فى ثروة ووظائفَ فصار (١١٦ب) بطعمه ويسقيه ثم توجه معه إلى المهتار على قطيس فى دولة الملك الأشرف إينال فصار قائماً بأموره كلها ؛ فقدر الله أن أستاذه المذكور استقر فى نيابة حلب فتوجه فى خدمته ورضى عليه وصار هو [صاحب] الحل والعقد عنده ، فحصل الأموال واقتنى من كل شىء أحسنه : من القماش والجوارى والنساء والخيول والمماليك والعبيد، وصار له ثروة هائلة ، وعظم وضخم عنده بواسطة أنه اطلع على سمّ دسّوه عليه فعرفه به فعرفها[2] له وصار لا يسمع فيه كلاما وأتى إليه مقاليده وأموره بأسرها فصار فى أوج العظمة ، وصار الظاهر خشقدم يريد عزله والقبض عليه وإدخال شىء من المآكل أو المشارب مشغولا عليه فلا يصل إلى ذلك بواسطة دواداره المذكور ، فنتج أمره عنده واستقام حاله ، وخلّف على ماقيل مايوازى تركة أستاذه .

ووصل سيف صاحب الترجمة فى يوم الخميس سابع عشرى شهر الله المحرم سنة تاريخه أى خمس وسبعين وثمانى مائة على يد الحاجب الثانى بها أو غيره ، وأخبروا بوفاته فى الحادى عشر من تاريخه ودفن من الغد ، سامحه الله .

● — بردبك بن عبد الله الأمير سيف الدين الظاهرى جقمق المشهور بالمشطوب ، رأس نوبة الثانى . كان شيخاً طوالاً لا يعرف بالعربية إلا قليلا وهو على حالة الجراكسة ، وصلّى عليه السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى

---

(١) راجع وصائفه التى وليها فى فهرست أعلام ابن إياس ، هذا وقد ضبطه الضوء اللامع ٥ / ٦٥٦ بفتح الفاء وسكون الياء . ونسب ذلك لما أن والده كان ابن أخت زوجة كشبغا الفيسى .

(٢) أى حمدها له وكانت له عليه معروفا .

بعصى المؤمنى وغالب العسكر الموجودين . وعمامته لا تشبه عمائم الأمراء ، وعنده أخلاق شرسة وحدة مزاج ، وعينت وظيفته لمن سيذكر فيه . وتوفى فى اليوم الثانى من شهر صفر الأغر سنة تاريخه أى خمس وسبعين وثمانى مائة ولا أعرف له خبرا ولا سرا فأسرده .

٦ — تنبك بن عبد الله ، الأمير سيف الدين المحمدى الأشرفى برسباى ، كان المذكور من مشتروات الملك الأشرف المذكور فأعتقه واستمر على ذلك حتى صار خاصكيا فى دولة الملك الظاهر جقمق ، ثم صار « معلم » المماليك والجوارى والحرير[1] فى دولة الملك الظاهر خشقدم فإنه كان بينه وبينه صحبة قديمة ، فلأجل هذا قربه وأدناه ورقاه (١١١٧) إلى أن استقر به رأس نوبة ثانيا ثم نقله منها إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، فراج أمره واشتهر ذكره وصار من الخصيصين بالسلطان ، واستمر على تقدمته إلى أن مات الظاهر خشقدم وتسلطن بعده الظاهر يلباى والظاهر تمربغا والملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، فخلع عليه واستقر به أمير حاج المحمل فى سنة ثلاث وسبعين وثمانى مائة ، فحج ووصل إلى العقبة فحصل من السلطان إعراض عنه فرسم بنفيه منها إلى القدس الشريف فاستمر به إلى أن مات فى صفر سنة خمس وسبعين وثمانى مائة .

وكانت زوجته جارية بيضاء من عتقاء قاضى القضاة ولى الدين الصفطى الشافعى ، وجده الشيخ سرى الدين عبد البر بن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة أم والدته توفيت وهى فى عصمته قبل وفاته بثمانية أيام فورثها ، وكان كثير الانهماك على اللهو والطرب ، يظلم نفسه والله تعالى يعفو عنا وعنه ، ولم تُعرف له فروسية فتذكر ، ولا معروف فينشر ، ولا شر فأخبر به .

---

(١) لعلها « الحرائم » أو « الحريم » أو « الحرائر » .

٧ — جكم بن عبد الله الأمير سيف الدين الأشرفى برسباى وخال ولده الملك العزيز يوسف أخو خوند[1] جاباى . نائب صفد . كان ضخماً شجاعاً عاقلا فى أبناء جنسه أكولا وافر الأدب والحشمة ولأجل ذلك لم يتعرض له الظاهرية كما تعرضوا للأشرفية لسكونه وسكوته وصبره واحتماله ، سوى أن الظاهر خشقدم — فى بداية دولته — وجّهه إلى الوجه القبلى وصحبته عدة من المماليك الذين يقصد السلطان إبعادهم لوقوع فتنة تصدر منهم وما أشبه ذلك وعاد ؛ ثم عاد إلى القاهرة وهو على إمرته وضخامته فقرر فى نيابة صفد ، فدام بها إلى أن وصل الخبر بوفاته بها فى يوم الخميس تاسع عشر شهر صفر من سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، فعين لنيابة صفد — عوضا عنه — الأمير أرغون شاه الأشرفى برسباى نائب غزة (١١٧ ب) ، وسأل الأمير جكم قرا الظاهرى أمير آخور الجالى فى نيابة صفد ، والأمر موقوف على ما تبرز به للراسيم الشريفة ، شرفها الله تعالى وعظمها وخلد ملك مالكها وثبت قواعد دولتها .

٨ — خير[2] بك بن عبد الله الأمير سيف الدين القصر وهى ، أصله من مماليك الأمير قصروه كما قدمنا ، ثم صار فى بيت السلطان من جملة المماليك السلطانية إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال فجعله صاحب شرطته — أعنى والى القاهرة — ومتولى الحرب السعيد ، فباص وظلم وقتل وسفك الدماء وحصل الأموال التى [تم] تحصيلها مما ذكر فى وصفه ، ثم عزل عن الولاية بالعلائى ابن الفيسى وأقام مدة بطالا ثم عاد إليها ببذل المال ، ثم استقر فى

---

(١) انظر عنها السخاوى : الضوء اللامع ١٢ / ٨٩ .

(٢) راجع السخاوى : الضوء اللامع ٣ / ٨٧٢ .

نيابة القلعة فى دولة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف إينال وخامر عليه ونزل إلى بيت الظاهر خشقدم مع القائمين على المؤيد، فلما تسلطن الظاهر خشقدم أنعم[١] عليه بنيابة غزة ثم بصفد، ثم صرفه عنهما إلى البلاد الشامية من جملة الأمراء المقيمين بها، فاستمر إلى أن أنعم السلطان عليه بنيابة حماة عوضا عن بلاط وتوجه إليه القاصد بذلك، فوصل الخبر من حماة أن قاصد السلطان وجده باللاذقية فقرأ عليه المرسوم ـ وكان سكرانا ـ وهو يتعاطى ذلك فشرق فمات فقال بعضهم ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[٢] فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وكان عفا الله عنه أهوج حرجا خفيف العقل طائشا لا يطاق إذا حكم، وإذا غضب فيُرضى بالمال، وقدم على ماقدم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾[٣] ويجتمع هو وخصومه عند الله تعالى يحكم بينهم بعدله .

٩ ــ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن، الشيخ جلال الدين بن الشيخ شهاب الدين بن الشيخ جلال الدين القمصى[٤] الشافعى المسند الفاضل العالم الصالح، صار له سند عال فى آخر عمره فإنه أدرك الأشياخ وأخذ عنه الناس المتأخرون[٥] من أبناء (١١٨ ا) عصره، وعمر نحواً من ثمانين سنة تخمينا، وكانت له فضيلة ومشاركة وفهم وذوق وبشاشة ودين ولين جانب واتضاع زائد مع القناعة، وكان يعمل الميعاد الذى يقرؤه قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى[٦]

---

(١) فى الأصل « وأنعم » .

(٢) قرآن كريم ٦ : ٤٤ .

(٣) قرآن كريم ٢٦ : ٢٢٧ .

(٤) نسبة إلى منية القمص بالقرب من منية بنى سلسبيل، انظر الضوء اللامع ٤ / ١٦٥ .

(٥) فى الأصل « المتأخرين » .

(٦) انظر الضوء اللامع ٣ / ١١٩٩ .

فى مدرسة والده شيخ الإسلام عمر البلقينى الشافعى ، ويجلس على كرسى بين يديه وهو يقرأ فيأخذ عنه قاضى القضـاة المذكور ويبرهن على قوله فى مجلس ميعاده الحافل ، وكان بيننا وبينه صحبة من مجلس شيخنا شيخ مشايخ الإسلام خادم السنة والأثر الشهير بنسبه الكريم بابن حجر ، تغمده الله برحمته .وصُلى عليه بالجامع الأزهر ، وحضر القاضى الشافعى جنازته وصلى عليه إماماً وكانت حافلة ، وخلّف أخا رجلا كبيراً شاهداً ديناً يجلس فى حوانيت الشهود ويتكسب منها ؛ وكان يحفظ أربعة عشر كتابا ، ورافق شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر فى السماع ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

١٠ — على بن محمد ، الشيخ نور الدين بن الشيخ شمس الدين البرقى الحنفى ناب فى القضاء عن شيخنا الشيخ بدر الدين محمود قاضى القضاة العينى الحنفى ، واستمر فى الأحكام ينوب عن قضاة. القضاة إلى أيام قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى ، ونقضت له عدة أحكام ، منها[1] الحكم الذى حكمه على بنت قاضى القضاة علم الدين صالح لما كانت زوجا لابن[2] الرسام وطلقها وأخذ ولدها منها وهو مميز بغير رضاها ورضا الولد وغير ذلك مما يطول الشرح بذكره .

وكان نحيل البدن أصفر اللون ، انقطع فى بيته متعللا مدة من شىء نزل له فى كيسه حتى قتله فى مستهل شهر جمادى الآخرة من هذه السنة ، أعنى سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، وكان له جنازة حافلة حضرها الأكابر مثل قضاة القضاة وناظر الجيش والمحتسب والعلمى ابن الجيعان وعدة من مشايخ المذهب ونوابهم وصلى عليه بجامع المارداني ودُفن بالقرافة ، وخلف ولدين رجالا

---

(١) فى الأصل « منهم » .

(٢) فيما يتعلق بعائلة ابن الرسام انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٧ .

ليس فيهما أهلية لما وصل إليه أبوهما من خدمته الأكابر . وأما بضاعة المتوفى (١١٨ ب) فى العلوم فمزجاة ، وعلماء مذهبه يعرفون منه ذلك غير أنه معظم عندهم ، و [خلف] بنتا متزوجة وولدا ولد ، وخرب دوراً كثيرة بموته وكان يحب خراب بيوت الناس فى حياته فأرانى الله مصرعه واستجاب دعائى وبلغنى مناى فإنه كان أكبر القائمين علىّ فى حكم عارضنى فيه هو والمحتسب ولا نهض بنقضه ، فدعوت عليه فى سجودى فما مضى عليه عشرة شهور حتى أخذه[١] الله .

وكان عارياً من العلم خادماً لأهل الدنيا سيما الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم وهو الذى أثرى مالُ صاحب الترجمة منه بسبب ما أودعه تحت يده من الأموال والتحف والنقدات التى يدفعها له : كل نقدة ألف دينار ذهبا يتصدق بها ويكرر ذلك عليه فى السنة مراراً فيتصرف فيها كيف شاء ، وخلف دنيا طائلة ووظائف كثيرة خرجت باسم أولاده ووصى المحتسب فإنه أعظم أصحابه وأحبابه لكونه مملوك الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ، ويعرف بأحواله وأخباره وقرّبه من مخـدومه وشيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى الحنفى والجناب العلمى ابن الجيعان وقاضى القضـاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى ، وكان شرس الأخلاق شديد الغضب سريعه .

مولده فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وقد ترجم سيدنا[٢] وشيخنا قاضى القضاة ملك العلماء الأعلام شيخ الإسلام ابن حجر خادم السنة والأثر رحمه الله ـ والده القاضى شمس الدين محمد[٣] فى كتابه الذى جمعه فى التاريخ من مبدء

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٦ / ٢٨ ، أنه مات فى جمادى الآخرة .

(٢) فى الأصل « ترجمه » ولكن سياق العبارة يقتضى ما أثبتناه بالمتن .

(٣) فيما يتعلق بترجمة الأب الذى يعرف بالبدرشى (نسبة إلى بدرشين) راجع الضوء اللامع ٩ / ٤٠٤ .

عمره وإلى آخر وفاته ، وجعله كالذيل على تاريخ الشيخ عماد الدين إسماعيل ابن كثير صاحب البداية والنهاية فى التاريخ وسماه « إنباء[١] الغمر فى أنباء العمر » فقال : « كان قايل الدين » ، وكأن صاحب الترجمة اطلع على ذلك فصار يكثر من الصلاة والصيام سيما إذا قام عند يوسف ناظر الخاص أو ولد ناظر الجيش أو مملوكيهما[٢] المحتسب . ورشح لقضاء الحنفية بالديار المصرية ، وحدثته نفسه بذلك لأن[٣] رفيقه الولى الأسيوطى صار قاضى القضاة (١١٩ ا) ولم يتفق له ذلك ، ولله الحمد .

وكنا نحضر معه دروس الفقه عند شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة سعد الدين الديرى[٤] وقاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة فى الفقه فلم [يكن] يتكلم ببنت شفة ، غير أنه [كان] هزازاً للرأس لا يتكلم : سائلا ولا مجيباً ، وإن قدر أن يتكلم فيكون معيداً لبعض كلام من تقدم من الحاضرين ، ومع ذلك فله اسم وصيت عند الفقهاء سيما عند شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى الحنفى فإنه كان مرصداً لقضاء حوائجه وضروراته وتعلقاته . وسافر الحجاز كم[٥] مرة آخرها هو ورفيقه القاضى ولى الدين الأسيوطى الشافعى قبل أن يلى قضاء القضاة بسنة فى خدمة الكمالى محمد بن الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم وأخيه محمد ، وصارا هما القائمين بأمورهما من مأكل ومشرب وغير ذلك .

---

(١) يقوم محقق هذه المخطوطة بنشر كتاب « إنباء الغمر بأنباء العمر » لابن حجر العسقلانى بتكليف من مجلس الشئون الإسلامية الأعلى لوزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، ويصدر منه الجزء الأول وقت صدور هذا الكتاب .

(٢) فى الأصل « مملوكهم » .

(٣) فى الأصل « لا » .

(٤) فيما يتعلق بأسرة الديرى راجع السخاوى : الضوء اللامع ١١ / ٢٠٢ .

(٥) « كم مرة آخرهم » بهذا الوضع تعبير مصرى شائع ، وهو إشارة إلى كثرة المرات .

وأصل ترقية صاحب هذه الترجمة وعرفانه بالأكابر واختلاطه بهم : قاضى القضاة ولى الدين السفطى الشافعى فى دولة الملك الظاهر جقمق فإنه كان يرسله فى تطفلاته ، وهو عنده لياقة فى تأدية الرسائل وقضاء الحوائج والتواضع الزائد لأبناء الدنيا والتودد إليهم ويمشى معهم حسب مقاصدهم وآرائهم ، ومع ذلك فآذاه غاية الأذى فإن الملك الظاهر جقمق رحمه الله لما غضب على السفطى وأخذ منه أمواله حلّفه أنه مابقى يملك شيئاً ولا وديعة ، وكان له تحت يد صاحب الترجمة ودائع جمة ، من جملتها عشرة آلاف دينار ، وأخبر من أخبر السلطان بها فأرسل أخذها منه وما وسع[1] السفطى إلا الفرار ومات مقهوراً وضاعت عليه بقية ودائعه ، وقدم على ما قدم ، وعند الله تجتمع الخصوم . عفا الله عنه .

١١ — على بن محمد بن أحمد ، الشيخ نور الدين بن القاضى شمس الدين محمد بن قاضى القضاة ناصر الدين أحمد المعروف بابن التنسى[2] المالكى . مولده فى سنة إحدى وثلاثين وثمانى مائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ كتاب الله العزيز وكتباً فى مذهب الإمام مالك ، واشتغل على [علماء[3]] عصره وشيخ مذهبه كالشيخ عبادة والشيخ طاهر ، وأخذ عن شيخنا الشيخ تقى الدين (١١٩ ب) الشمنى الحنفى ، وأكثر من ملازمة دروس شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد الأبّدِى[4]

---

(١) فى الأصل « ساع » .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٥ / ٩٧٢ .

(٣) زيادة اقتضاها سياق العبارة .

(٤) ضبطها فى الأصل بمد الألف وضم الباء ، أما الضوء اللامع ، ج ١١ ص ١٨١ فقد ضبطها بضم الألف وتشديد الباء وقال : نسبة إلى بلدة بالأندلس من كورة جيان » وهى التى سماها ابن عبد الحق فى مراصد الإطلاع ١ / ١٠ « بأبدة » بضم الهمزة وتشديد الباء مع فتحها ، والأرجح النسبة الأخيرة فقد ترجم السخاوى : الضوء اللامع ٢ / ٥٠٤ لأحمد بن محمد المغربى فقال « يعرف بالأبدى وقرأ فى بجاية » .

المغربى المالكى فى النحو ، وأخذ أيضاً عن شيخنا العلامة شمس الدين الشروانى الشافعى ، وعن شيخنا شيخ الإسلام محيى الدين الكافيجى الحنفى ، ولم يزل يدأب فى تحصيل العلوم وضبطها وتحريرها وتدقيقها حتى نبغ وفضل وتقدم ، ومهر فى الفقه والأصول والفنون ، وأشير إليه بالفضيلة التامة ، وناب فى القضاء عن قاضى القضاة ولى الدين الأموى السنباطى[1] المالكى ، واستقر فى تدريس الجمالية بعد عمه قاضى القضاة السيد حسام الدين بن حريز ، وانتدب بعد السيد ابن حريز المذكور للإقراء فأقرأ كتباً وأفتى قليلا ، ولما مات القاضى محيى الدين عبد الوارث من مدة سنة وثمانية شهور عينه رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف — عظم الله شأنه — لقضاء المالكية بدمشق فصمد ليلبس فلم يتهيأ له ذلك لأمور ، إلى أن كان يوم الثلاثاء رابع شوال سنة تاريخه — أعنى خمس وسبعين وثمانى مائة — طُلب لحضرة السلطان نصره الله فخلع عليه بقضاة القضاة بدمشق المحروسة عوضا عن المحيوى ابن عبد الوارث المذكور ، وركب معه قضاة القضاة والأعيان ، ولم ينشب أن فاجأه الموت بعد ثلاثة أيام من ولايته القضاء كما سيذكر ، وخلف جارية مشتملة على حمل ، ومن العجب أن أخاه الشهاب أحمد[2] سافر قبل موته بيوم واحد إلى دمياط وطلب بعد هذا الأجل تركة أخيه فقيل إنها اشتملت على ألف دينار تخميناً ، وخرجت وظائفه لجماعة سيذكرون ، فاستقر فى تدريس الجمالية الخطيب الوزيرى ، وفى تدريس جامع ابن طولون قاضى القضاة سراج الدين عمر بن حريز[3] المالكى ، ومرتب الجوالى

---

(١) انظر الضوء اللامع ٩ / ٢٩٧ .

(٢) كان ممن جمع بين الثروة من اشتغاله بالتجارة والتمسك بالدين والاهتمام بأصوله ـ راجع السخاوى : شرحه ، ج ١ ص ٩٠ .

(٣) الضوء اللامع ٦ / ٢٦٢ .

عمر[1] القانى ، وأخذ الشيخ عباس المغربى[2] والشيخ نور الدين البلبيسى صرّته التى على البخارى من الذخيرة ، وأخذ يحيى السفطى طلباً بالمدرسة البُدَيرية[3] (١١٢٠) المجاورة لباب سر الصالحية النجمية ، رحمه الله . مات فى ليلة الجمعة المسفرة عن سابع شوال المذكور فجأة وقت الأذان وصلى عليه بعد العصر من الغد بمصلى باب النصر وحضر جنازته قضاة القضاة الأربعة وغيرهم من علماء المذاهب والمشايخ والطلبة والمباشرين ، خلا رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله لضرورةٍ أوجبت ذلك . ودفن من الغد بحوش صوفية سعيد السعداء .

وأظهر حرمة فى الأحكام من تعزير وإشهار ، وأقام منار الشرع وصدع مَن تمرد من العوام ووافقته الليالى والأيام ، وفى الواقع كان حسن الصحبة خفيف الوطأة لطيف الذات أبيض رقيقاً ظريفاً يعرف من أين يؤكل الكتف ، وأثنى عليه أصحابه خيراً ، ونعم الرجل سمتاً وديناً وخيراً ، عفا الله تعالى عنه .

١٢ — فارس بن عبد الله الأمير سيف الدين من دولات باى المحمودى الزردكاش الكبير بالديار المصرية ، وصل الخبر بوفاته من دمشق فى يوم الخميس ثانى ربيع[4] الأول من سنة خمس وسبعين وثمانى مائة وكان مبدؤ

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٦ / ١٥ ٤ أنه قضى غالب عمره يتكسب بالشهادة غير شهر قضاه فى نيابة قضاء المالكية .

(٢) الأرجح أنه عباس بن أحمد بن عباس القرشي من عرب بنى مزوة الذين سكنوا فاس ، وقد ولد بصحراء تالست التى هى قرية لكتامة وزناتة بآخر بلاد المغرب ، انظر مراصد الاطلاع ١ / ٢٥٠ .

(٣) كانت هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية بالقاهرة ، وكان موضعها من حلة تربة القصر فنبش شخص اسمه ناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسى قبور الخلفاء وأنشأ هذه المدرسة سنة ٧٥٨ هـ ، وعمل فيها درس فقه الشافعية ، انظر الخطط للمقريزى ٢ / ٣٩١ .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٦ / ٥٤٦ أنه مات فى صفر من هذه السنة .

أمره دواداراً عند أستاذه الأمير دولات باى الدوادار الثانى ثم الكبير ، وهو الذى أعتقه ورقاه وقربه وأدناه ، وصار يُحَصِّل ببابه الأموال والهدايا والضيافات ، فأثرى وتمول وعظم جاهه وعوض ماله ونمى جانبه فبنى الدور الشوامخ العوالى ، وسكن وتمتع ولبس وتجمل وحكم وعسف وأسرف على نفسه من لذات الدنيا ومتاعها وصار بعد من المتمولين ، وتزوج بعد أستاذه بزوجته أم ولده عمر وسكن بداره أيضاً ، ونظر إليه السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — عز نصره — فقرّ به واستقر به زردكاشا كبيراً ، وسيره إلى البلاد الشامية صحبة العساكر المجهزين لقتال شاه سوار ، وكانت وفاته خارج بلدة دمشق بالمصطبة التى تعرف بمصطبة السلطان ، ووجد صحبته من الذهب النقد (١٢٠ ب) خمسة آلاف دينار خارجاً عن الملبوس والسلاح وغير ذلك ، ولو لم يكن من محاسنه إلا ما فعله فى عبيد صبى الطيارى لما بلغه أنه يتسلط على عرض عمر ابن أستاذه ، وكان مقداماً وثاباً فى الأمور ، وفى وجهه ضربة سيف فصار كالمشطوب ، وخلف ولداً مبذراً فأتلف وضيع ، وخلف أيضاً أوقافاً ورزقاً ، وحسابه على الله .

١٣ — محمد بن شيخ الشافعية فى عصره ، وسراج الدين عمر العبادى الشافعى ، فُجِع به والده وهو شاب سنه نحو الخمس[1] عشر سنة أو أكثر فإنه تعلل بعسر البول والحصية فانقطع ثلاثة أيام وقضى نحبه فى يوم الجمعة — بعد صلاتها — الذى هو سابع المحرم سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، ودفن من الغد بتربة صوفية سعيد السعداء ، وكانت جنازته حافلة حضرها قضاة القضاة الثلاثة خلا الحنبلى لضعفه وغالب الأعيان وأجلهم رئيس الدنيا ابن مزهر

---

(١) فى الأصل « الخمسة عشر سنة » وقد ورد فى الضوء اللامع ٨/ ٦٠٦ أنه ولد سنة ٨٥٧ هـ كما نص أيضا على أنه مات وله من العمر ثمانية عشر عاما .

الأنصارى — كاتب السر حفظه الله على المسلمين — والمقر الشرفى الأنصارى وغالب فقهاء البلد وطلبتها وتوجهوا صحبته إلى التربة ، وكان شاباً جميلا بلا لحية ، وفيه أهلية للاشتغال بالعلم ، وحفظ كتباً عديدة فى مذهبه ، وخطب بجامع الزاهد بالمقسم وبجامع سيدى محمد الغمرى أعاد الله علينا من بركاتهما ، وكثر الأسف عليه وانقطع أبواه [حزناً] عليه وأسفا عليه أسفاً عظيما . عوضهما الله الجنة .

١٤ — محمد بن كرسون التاجر الخواجا فى البهار المعروف والمشهور بابن كرسون . توفى فى يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، وخلف أموالا كثيرة وولداً وبنتاً وأخاً ، ومن قائل إن السلطان ختم على المال ومن قائل إن السلطان لم يتعرض له ، غير أن ناظر الخاص لابد له من شىء فإنه تعلل على ورثته بأن فى جهته مالا لديوان السلطان من جهة المكوس فالله أعلم . ووصل إلىّ عن هذا التاجر أنه كان يخرج حق الله تعالى — أعنى الزكاة — إخراجاً حسناً ، وكان يحسن للشيخ كمال الدين بن إمام الكاملية العالم المشهور بين الشافعية بالديانة (١١٢١) والصلاح والعفة والدين المتين — الذى توفى فى سنة أربع وسبعين وثمانى مائة بطريق الحجاز — فى كل سنة بمائة وخمسين ديناراً ويرسل له فى كل سنة ألفاً وخمسمائة رغيف فى ختم يصنعه للفقراء ، وكان وعده أنه يبتاع له ملكا للسكن بخمسمائة دينار ويوقفه على الشيخ المذكور(١) فلم يتهيأ له ذلك ، ووصى على ولده وماله شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى الحنفى فذب عنه وحماه ، وأثنوا عليه خيراً فى معاملته ودينه وصلاته وأمانته ، [كان] عفيفاً عن المنكرات والفروج ،

---

(٢) يقصد بذلك الشيخ أمين الدين الأقصرائى الحنفى .

شكلا مهاباً بشوشاً هيناً ليناً كيساً عفا ، الله عنـه .

١٥ — يونس بن عبدالله دوادارمولانا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر — حفظه الله — وعتيقه ،وصل الخبر بوفاته فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، وهو — إن شاء الله — فداء مخدومه — حفظه الله على المسلمين — ، وكان رحمه الله عاقلا ذكياً رئيسا محتشما ، ولعل ما فى بيت المقر الزينى حفظه الله أحشم منه فى أبناء جنسه ، كثير الأدب والحشمة والتؤدة والكرم والعقل الوافر والفضل الباهر والكرم الفائق والطباع الحسنة . سامحه الله تعالى .

١٦ — يشبك بن عبدالله الإسحاقى ، الأمير سيف الدين الأشرفى برسباى البهلوان المعروف والمشهور بيشبك جن ، أحد مقدمى الألوف . كان غاية فى الظلم والأذى والتجبر ، كثير الحط على الفقهاء والعلماء بحيث أنه أباد جاره القاضى فتح الدين السوهاجى[(١)] من كثرة ما يحط عليه ويسبه ، فإنه كان جاره ببركة الفهادة ، وكان صاحب الترجمة خاصكياً فى الدولة الأشرفية برسباى وكذا فى الدولة الظاهرية جقمق ، ثم ترقى فى دولة الظاهر المذكور وصار أمير عشرة ثم ترقى إلى الأمير آخورية الثانية ، ثم نقله السلطان الملك الأشرف أبو النصر (١٢١ ب) قايتباى — عز نصره — إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ،وأرسله إلى البحيرة لردع المفسدين من عرب لبيد بها ، فأقام فيها نحوا من ثمانية شهور وحضر متعللا فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى[(٢)] سنة خمس وسبعين وثمانى مائة ، وصلى عليه بمصلى المؤمنى ، وحضر السلطان الصلاة عليه وقضاة القضاة وغالب العسكر والأمراء ، ومشى فى جنازته عظيم الدنيا

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ١٠ / ٥٠١ .
(٢) الوارد فى الضوء اللامع ١٠ / ١٠٧٩ ، أنه مات فى جمادى الآخرة .

يشبك من مهدى الدوادار الكبير وما مع ذلك — أدام الله وجوده — » وعدة من الأمراء وحملوا نعشه وتوجهوا معه إلى التربة ، ومن جملتهم الأمير المعظم والكهف المفخم الداوادار الكبير ، سهل الله له كل عسير ، مع أنه ليس له تربة ، وإنما دفن فى فسقية على قارعة الطريق ، وكان تقدم له وفاة ولديه قبله فنقلوهما إليه على مابلغنى .

وكان المذكور أكبر القائمين على قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة ، وهو الذى رده لما وصل إلى قطيا بمرسوم شريف فى دولة الملك الأشرف إينال بسفارة عظيم الدولة إذ ذاك الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم وانتصروا عليه . وأخبرنى من هو صادق أنه مع شكالته المائلة ورؤيته الجميلة ليس له قلب ، ولا عُرف بشجاعة ولا بسالة ، وكان يصحب غالب الأمراء ويتردد إليهم ، ومن جملة أصحابه الذين كانوا يصلونه بالأمور المهمة الأمير سابق الدين مثقال[1] مقدم المماليك السلطانية . سامحه الله .

* * *

(١) هو مثقال الظاهرى جقمق الحبشى الطواشى ، وكان يظهر اعتقاد العلماء الصالحين ». راجع الضوء اللامع ٦ / ٨٣٩ .

سنة ست وسبعين وثمانى مائة

من الهجرة النبوية على من هى منسوبة له أفضل الصلاة والسلام

دائمين متعاقبين إلى يوم القيامة

أهلت هذه السنة المباركة بخير ويمن إن شاء الله تعالى ، والخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف دام شرفه وهو مقيم بسكن الملك للنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق بالحوش السلطانى من قلعة الجبل وليس له فى الخلافة إلا الاسم ، (١٢٢ ا)، وسلطان الديار المصرية والممالك الشامية والأقطار الحجازية السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى خادم الحرمين الشريفين ، خلد الله ملكه .

وقضاة القضاة والأمراء والمباشرون والدواب على حالهم خلا من ذُكر فى حوادث السنة الماضية فلا فائدة إلى إعادتهم وذكرهم ، فليس تحته طائل

﴿ شهر الله المحرم ﴾

أهل بيوم الخميس لأن ذى الحجة جاء تماما . ويوافقه من أيام الشهور القبطية سادس عشرى بؤونه[١] .

فيه كانت البشارة بزيادة النيل ، وأخبر أمين النيل ابن أبى الرداد بأن

---

(١) يتفق هذا التاريخ وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٨ ، ويعادله يوم ٢٠ يونيو ١٤٧١ م.

القاعدة ستة أذرع وثمانية أصابع ، فكانت ناقصة عن قاعدة العام الماضى إثنى عشر إصبعاً .

وفيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام ونوابهم لتهنئة السلطان بالعام والشهر ، وكنت صحبة النواب ، فلم يقع غير الدعاء والسلام .

وفى ليلة هذا اليوم وصل المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ أمير كبير — عز نصره — من سفره الذى توجّه له ، وهو دون النصف شهر .

ووقع فى تهنئة المشايخ السلطان لما دخلوا إليه أن دخل معهم الشريف البغدادى غريم الأمير بردبك الدوادار الثانى الذى نفى بسبب مخاصمته له وملازمته ، وهو كثير التردد للأمراء وكثير الهجم على السلطان والمباشرين ويركب فرساً ويعلن فى الأسواق بصوته فيدعو ويذكر ويلحن ، وكل من لبس خلعة يتوجه معه إلى داره ليحصل منه الحطام ، مع أن السلطان نصره الله يحسن له فى كل وقت بالعطية والجدة وكذلك المباشرون والأمراء وغيرهم ، وعلى رأسه شعر مسبول قد رباه حتى طال ، فبجرد ماوقع بصر السلطان عليه سأل من الحاضرين من المشايخ ـ وهم شيخنا شيخ الإسلام الأمينى الأقصرائى الحنفى والشيخ عضد الدين السيرامى والشيخ بدر الدين بن القطان الشافعى ، والشيخ صلاح الدين (١١٢ ب) الطرابلسى الحنفى ـ عن الشعر المسبل وتربيته بعد أن قال له : «هذا دكانك» ، فبادر الشيخ صلاح الدين المذكور وقال : «هذا بدعة ، هذا حرام » وأقره الحاضرون على ذلك ، فنى الحال طلب السلطان جلبيا وحلق رأسه فصار يمتنع ويبكى ويتضرع فما أفاده شىء ، وصار يلم الشعر ولم يمكنهم منه ، فشاعت الواقعة وامتلأت بها العلماء وأجابوا أن تربية الشعر سنة

من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه إلا ثلاث مرات فى نسك . ذكر ذلك ابن القيم فى كتابه « الهدى » وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكرموا شعوركم » أعنى بتسرير مجاورانها الطيبة . وفى «الصحيحين» أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له شعر يبلغ منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير ، أعنى للنبى صلى الله عليه وسلم . وامتلأت البلدة بهذه الواقعة .

* * *

وفيه صعد شيخنا شيخ الإسلام محيي الدين الكافيجي الحنفى إلى السلطان فسأله عن الفتوى التى كتبها بسبب وقف الظاهر جقمق الذى وقفه على مدرسة إينال أستاذه ، وجعل النظر فيه لمحمد ولد إينال المذكور وجعل له أن يخرج من شاء كلما بدا له ذلك ، وأفتى الشيخ أنه يجوز له الإخراج والإدخال . وكتب شيخنا شيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائى بخلاف ذلك ، فطلب الشيخ محيي الدين من السلطان أن يعقد له مجلس بحضرته ويحضر الشيخ أمين الدين والقضاة والعلماء ويظهر الحق وينجلى ، فأجابه لذلك وأكرمه إكراماً زائداً ، وعُرِّف الشيخ أمين الدين أن يحضر فتعلل وامتنع امتناعاً زائداً .

يوم الأربعاء سابعه ، خلع على القاضى تاج الدين ابن المقصى واستقر على عادته فى وظيفة الخاص ، فإن المقر الكمالى ناظر الجيش ابن كاتب جكم كان سعى فيها، وأجيب على أن يقوم للذخيرة بشىء ، فقدّر الله أن ناظر الجيش المذكور اشتكى للسلطان بسبب الحمام التى استهدلها المجاورة (١٢٣ ا) لمقابل بيت والده ، وأصرف له السلطان نقده من البهدلة[1] ، فبطل أمره واستقر ابن المقصى على عادته .

---

(١) هكذا فى الأصل ولا نعرف المقصود بذلك .

وفى يوم الخميس ثامنه خلع على شرف الدين موسى بن كاتب غريب المحضر من الوجه القبلى من المساحة واستمر متحدثاً فى الأستادارية والوزارة على عادته عوضاً عن عظيم الدنيا الداودار الكبير المسافر للبلاد الشامية ، بلغه الله الأمنية ، وكان له زفة هائلة وأوقدوا له الشموع حتى وصل لداره .

وأما غير ذلك من أخبار البلد فإن أهلها زينوا جميع الحوانيت والأزقة والدور وصنعوا هيئة شخوص شبه شاه سوار وإخوته . وهذه بشارة خير إن شاء الله .

ووصلت كتب من حلب فى هذه الأيام تخبر أن عظيم الدنيا وباش العسكر المنصور الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير حل ركابه بها فى ثالث عشر ذى الحجة سنة خمس وسبعين وثمانى مائة فى أبهة وافرة وحشمة باهرة وحرمة زائدة ومهابة وكلمة نافذة وصولة عظيمة وعسكر عظيم فى خدمته يزيد على ما توجه بصحبته من القاهرة مثله . وذكر أنه فى أول هذه السنة يتوجه للعدو المخذول شاه سوار . واستمرت حوانيت مصر وشوارعها وأزقتها مزينة بأنواع الحلل الفاخرة من البشاخين العنبر والحرير الكنجا والمخمل والنخ والمخيش والوقيد الذى لم يُسبق إليه ، بحيث لم نعهد أن وقع نظير ماذكر فى عصر من الأعصار ولا دهر من الدهور، ولا فى محمل ولا فى حضور قاصد تمرلنك ولا فى عود سلطان من السفر بمثل هذه الزينة والوقيد الذى بسائر المدينة حتى خرجت البنت من خدرها ، لكن ترتب على هذا من المفاسد مالا يحصى ولا يحصر من شرب الخمور وتهتك النساء مع الرجال مع الصبيان وانهماك العوام والأكابر والأواسط على استمرارهم فى ذلك بحيث أنه لم يقع له أمر مثل هذا سيما عدم تعرض المماليك السلطانية لأحد من الخلق (١٢٣ ب) ببنت شفة .

[فى] يوم الجمعة تاسعه نودى فى البلد بالمدراء بوفاة قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن قاضى القضاة شمس الدين أخى قاضى القضاة سعد الدين الحنفى

شيخ المؤيدية ومدرسة مزدادة ، فتوجه القضاة ومشايخ الإسلام إلى المؤيدية ومشى الغالب فى جنازته ، وركب السلطان - نصره الله - حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى ، وصلى عليه إماما قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى على خلاف العادة ، وشكر عظيم الدولة المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين بين يدى السلطان صاحب الترجمة بحضور قضاة القضاة ومشايخ الإسلام ووصفه بالعفة والديانة والنظر السديد فى الأمور سيما فى أوقاف الحرمين والحنفية. وتكلم الشيخ زكريا الشافعى مع السلطان فى هذا المجلس بالوصية على ولده وأن لا يخرج عنه شىء من تعلقات أبيه ، كل ذلك والسلطان ساكت .

لكن بلغنى أن الأمير جانم والأمير تغرى بردى دوادار المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار وخازنداره ذكروا لرئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين أن الأمير الدوادار الكبير — حفظه الله — أوصاهم أن مشيخة المؤيدية بعد القاضى برهان الدين الديرى تكون للشيخ فلان وأن مزدادة تكون للشيخ شمس الدين الأمشاطى ، وأخذ خط الأمير تغرى بردى الخازندار وخط المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله بذلك ، وقرر الحال أن المؤيدية يكون أمرها للمقام الشريف — نصره الله — يوليها لمن يختار . وأشيع أن السلطان — نصره الله — سأل بالمؤيدية الشيخ قاسم الحنفى فامتنع من ذلك وقال الشيخ قاسم الحنفى أحق منى وأعلم . وكتب ولده محمود توقيعا بتعلقات والده كالجوالى وغيرها وهو يسعى فى الوظيفتين المتقدم ذكرهما ، ووقف[1] للسلطان بسببهما كلام فج غث .

(١١٢٤) ليلة الأحد حادى عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى شبيين وصحبه المقر الأشرف الأتابك أزبك وبقية الأمراء والخاصكية والأعيان.

---

(١) هكذا فى الأصل ولعلها « ووقع » أو « ووصل » .

وتوجه الثقل مع[1] الأمير أزدمر - أمير منزل - ومع مهاترة الفراشين من الليل فبينما السلطان يساير ركابه الأمراء وإلى جانبه الأمير الكبير ، وثب فرس السلطان على فرس الأمير الكبير فشبت به والفرس قوى الظهر شرير جداً ، فاتفق أن عمامة الأمير الكبير سقطت من رأسه فالتفت ليأخذها فضرب فرسه فجاءت فى ساق السلطان فتجلد لها وكتمها ، ثم إن الأمير تمر حاجب الحجاب نزل عن الفرس الذى هو راكبه وتقدم إلى السلطان فكبّس رجله مكان الضربة ، واستمر السلطان يكتم ذلك إلى أن وصل إلى شيبين قوى عليه الألم فطلبوا المجبرين والمزينين والمحفة ، ورجع السلطان وبات بالتربة ، وأصبح يوم الإثنين ثانى عشره فركب الفرس وطلع إلى القلعة إلى أن وصل البحرة بالحوش السلطانى [و] نزل فحمله على ظهره شخص من الخاصكية من إخوة الأمير تنبك قرا الدوادار الثانى ودخل به إلى البحرة ، وكان الخبر وصل إلى القاهرة بما وقع للسلطان من الضربة التى جاءت فيه فارتج البلد وأصبحوا [وقد] هدّوا ما كان فى البلد وحوانيته وأزقته من الزينة والوقود وصاروا فى هرج ومرج ، فبادر رئيس الدنيا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى ناظر الإنشاء الشريف - بلغه الله سؤله ، وحفظه وأدام وجوده - وأمر الأمير يشبك من حيدر متولى الحرب السعيد بحضور السلطان والأمراء أن ينادى فى البلد «بالأمان والاطمئنان وأن أحداً لا يهدم الزينة ولا الوقود ،ومن هدم سأفعل به كيت وكيت ، » وأرسلوا فى البلاد الشامية وغيرها أن السلطان طيب بخير وسلامة ، خوفاً - والعياذ بالله - من الخلف بين الأمراء المسافرين ، والحمد لله على اطمئنان المسلمين ، وله الحمد على ما أولى وأنعم .

(١٢٤ ب) يوم الخميس خامس عشره أشهر النداء بالقاهرة أمام الوالى حسب المرسوم الشريف أن أحداً من النقباء والرؤس النوب لا يأخذ من السجان

---

(١) فى الأصل « بسايرون » .

على المسجون الذى يودعه عنده شيئاً ، وأن سجاناً لا يأخذ من أحد يزور السجون شيئاً ، وأن زوجة السجان لا تأخذ شيئاً فى كل ليلة جمعة كما كانت عادتهما ، وأن يكتب عليهم قسائم بأن لا يعودوا لذلك ، فكثرت الأدعية للسلطان والله المستعان .

وفى أمسه شرب السلطان دواء ولم يمكّنوا أحداً من الدخول إليه ، فبلغ ذلك المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى ـ كاتب السر حفظه الله ـ بعد أن صعد فرجع ، وأخبروا السلطان بذلك فتغيظ لأى شىء استأذنوا عليه وهو الذى كان سبباً لإبطال هذه المظالم عن المسجونين . فحفظه الله .

يوم الجمعة سادس عشره لم يصلّ السلطان الجمعة وصعد الأمراء فصلوا ودخلوا بين يديه فسلموا عليه وسقاهم المشروب وعادوا لمنازلهم .

وفيه هد غالب أهل المدينة الزيبة ولم يتأخر إلا أناس قلائل ، والأعمال بخواتيمها .

يوم الأحد ثامن عشره وصل الخبر من الينبوع أن سبعاً سلطانها الذى توجّه بخلعته إليها من مصر حصل بينه وبين سلطانها المعزول المسمى « خنافر » مقتلة بالملتقى فقتل خنافر وولدا عمه وعدة أكملوا أربعين نفساً ، وانجلت الحرب عما ذكرنا .

ووصل الخبر عن الحاج أنهم تأخروا عن العادة بثلاثة أيام أو يومين بسبب ما حصل عليهم من العطش والغلاء وغير ذلك ، والله الحاكم والمالك .

وانحصرت مشيخة المؤيدية فى الشيخ الصالح العالم سيف الدين الحنفى وشرط شروطا ستذكر عند ولايته .

ودخل الأول بركة الحاج يوم الخميس ثانى عشريه بعد الظهر وقاسى شدة

عظيمة فإنهم تأخروا باليفبوع زيادة عن العادة يومين لأجل عليق أمير الحاج حتى وصل إليه ، وصار أمير المحمل يحث[1] أمير الأول فى السير فما وسع أمير المحمل إلا التوجه بالمحمل وداس الأول ، وطلع أمير الأول للسلطان هو وأمير المماليك المجاورين بمكة يوم الجمعة ثالث عشريه (١٢٥ ا)فخلع عليهما على العادة ، وخلع على أخى ناظر الجيش وعلى أمير المحمل صهره وعلى الخواجا ابن الزمن ، وحضر أخو القاضى برهان الدين ابن ظهيرة للمعزول عن قضاء مكة ونزل عند المحتسب وهو مِتْرَجِّى العود لأخيه .

وفى هذه الأيام برز مرسوم قاضى الحنفية لنوابه يتضمن أنهم لا يحكمون إلا فى مجالسهم ولا يعزرون أحداً إذا وجب عليه تعزير إلا بالباب العالى ، وكم يقع مثل هذا فى الوجود ولا اعتبار له فيه .

● ● ●

وفى العشر الأخير من شهر تاريخه وصل الخبر من البلاد الشامية أن قرقماس نائب ملطية خرج فى جحفل عظيم لقتال المخذول شاه سوار لأنه بلغه أنه فى فئة قليلة ، ولقرقماس المذكور عادة بنهبه وأخذ أمتعته ، وقيل إن تجار المماليك أخبروه عن شاه سوار وجماعته أنهم نهبوا مامعهم من مماليك وجوارٍ وأنهم فى فئة يسيرة ، فالتقى بهم وكسرهم كسرة شنيعة كما هى عادته وفروا منه فلحقهم فخرج عليهم عدة كائن فقيل إنه أصيب فى عينه وتكاثروا عليه وصار يقاتلهم حتى قطعوا يد فرسه ورجله فسقط وأسر ، ورسم للأمير إينال الحكيم باستقراره فى ملطية .

ووصل الخبر أيضاً أن الأمير إينال الأشقر وقع له قتال مع جماعة شاه سوار وأنه كسرهم كسرة شنيعة بعد حروب طويلة وأنه جرح . فالله أعلم .

---

(١) فى الأصل « يبحث » وإدخال الباء على الفعل المضارع تعبير عامى .

يوم الاثنين سادس عشريه طلب الشيخ سيف الدين الحنفى إلى السلطان بالبحرة فقام إليه واعتنقه وأجلسه وخلع عليه جندة صوف بسمور بمشيخة مدرسة الملك المؤيد أبى النصر شيخ بمساعدة القاضى برهان الدين الكركى الإمام عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى ، وركب مع الشيخ سيف الدين الإمام المذكور والشيخ أمين الدين الأقصرائى ، وركب قاضى الحنفية ابن الشحنة ولاقاه من مدرسة آق سنقر ، وكذلك القاضى الشافعى لاقاه من جامع الماردانى و نواب القضاة ، وتوجهوا معه إلى المدرسة المذكورة فصلى بها ركعتين ولم يتكلم فى شىء ، غير أن عيال (١٢٥ ب) القاضى برهان الدين المتوفى ، أقاموا الصراخ واللطم والعياط .

وتوفى القاضى أبو الفوز محمد ربيب الشيخ شمس الدين الأمشاطى فى يوم الأحد خامس عشر يه وصلى عليه بالجامع الحاكى، وحضر القضاة الأربعة الصلاة عليه والمشايخ كالشيخ أمين الدين وغيره من الطلبة والنواب ، كل ذلك لأجل عمه زوج والدته الشيخ شمس الدين المذكور، وخرجت وظيفته التى بالأشرفية برسباى لقريبه الشهابى أحمد بن إسمعيل الحنفى .

﴿ شهر صفر ﴾

الأغر الميمون

أهل بيوم السبت لأن المحرم جاء تماما .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر فهنوه بالحوش السلطانى ودعوا وانصرفوا ولم يقع شىء غير الدعاء والسلام .

وفى يوم الأحد ثانيه وصل قاصد عظيم الدنيا وصاحب حلها وعقدها ووزيرها وأستادارها ودوادارها الكبير وباش العسكر المنصور وما مع

ذلك - أعنى به يشبك من مهدى مهد الله السعادة وبلغه من الخيرات ما أراد وحفظه - وأخبر أنه أخذ عنتاب بعد أن أقام عليها عشرة أيام وأنه خرج من حلب فى أول المحرم ، وقيل إن القاصد الذى أخبر بذلك من [جهة] نائب قلعة حلب ومن ابن الصوة فخلع عليه ، وأن قاصد الأمير الدوادار الكبير الشرف الأنصارى وأنه تأخر حضوره بسبب توعك حصل له ، وأخبر القاصد المحضر بأخذ عنتاب أن الأمير الدوادار حفر خندقاً ورمى عليها(١) بالمكاحل والكفيات وغير ذلك ، وهدموا منها برجاً يسمى « برج الماء » فطلبوا الأمان فأرسل إليهم الأمير إينال الأشقر رأس نوبة النوب وقاضى العسكر ابن أجا ورجعا وصحبتهما قاصد من نائب القلعة ، وصار القاصد متحيراً وفى وجهه كلام ، فقال له الأمير الدوادار حفظه الله : « فى وجهك كلام ماذا تريد ؟ » قال : « تحلف لى بالله العظيم أنك ماتشوش علىّ ولا [على] من بالقلعة والمدينة ؟ » فحلف له وعاد ورجع (١٢٦ ا) وصحبته المفاتيح ، فسلمها لباش العسكر المنصور حفظه الله فأكرمهم وخيرهم بين أن يقيموا عنده ويعطيهم إمرة بحلب أو يتوجهوا إلى شاه سوار ، فاختاروا الإقامة بحلب ، فضافهم الأمير إينال الأشقر رأس نوبة النوب إليه وفرح المسلمون بذلك ، وخلع على القاصد المخبر بذلك . وحضر بهذه البشارة من عظيم الدنيا الدوادار الكبير القاضى شرف الدين الأنصارى فإنه سأل فى ذلك فحصل له توعك فى أثناء الطريق فتأخر ، وإذا حضر فى خير وعافية يتضاعف السرور والأفراح والخلع وأمثال ذلك ، فلله الحمد آمين .

وفى الخميس سادس صفر خلع على أقارب سيدى الشيخ القدوة العارف بالله المعتقد أحمد الرفاعى عوضاً عن الشيخ نجم الدين ابن الشيخ زين الدين

---

(١) أى على عينتاب .

شيخ الأشرفية بتربة برسباى بالصحراء بحكم عزله ، وأنعم السلطان عليهم بألف دينار .

وورد الخبر من دمشق بعزل قاضيها الحنفى العجلونى وباستقرار نائبه شمس الدين الحلاوى عوضا عنه ، وكذا عزل القاضى المالكى بها واستمر فى وظيفته شخص مغربى يعرف بالمرينى .

وفى يوم الخميس المذكور وصل الأمير لاجين أمير مجلس من سفره وصعد بين يدى السلطان فقبّل الأرض وخلع عليه ونزل إلى داره مكرماً مبجلا .

وفى السبت ثامنه وصل الأمير جانبك الإينالى الشهير بقلقسيز من الأعمال بالوجه القبلى وصعد للسلطان ، فقام له نصف قومة واعتنقه بعد أن قبل جانبك الأرض وباس يده[1] فخلع السلطان عليه ونزل إلى داره مكرما مبجلا ، وتوجه الأمراء للسلام عليه .

ليلة الجمعة المصبحة عن سابعه غرقت المعدية المتوجهة لأبنوبة بجميع مَن فيها من الرجال والصبيان والدواب ، ولم يطلع منهم إلا الغرقا الذين لهم أهل ، وبقية الغرقا استمروا طعماً للسمك ، ودخل بعض الغرقا من باب القنطرة فشاهدناهم وقد انتفخوا ونتنوا .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره حضر (١٢٦ ب) المقر الأشرف الكريم العالى المولوى السيفى الأتابكى أزبك من ططاخ الظاهرى أمير كبير وصحبته الأمير تمر حاجب الحجاب الظاهريان من سفرهما بالشرقية فى جحفل عظيم وهرتك جسيم ، وبين يديه عدة من المفسدين منهم موسى بن عمران الذى خرب البلاد

(١) أى يد السلطان .

وأظهر الفساد وشاع صيته بأنه غاية في قتل النفس وأخذ الأموال ، وعجز عن تحصيله مشايخ العرب والكشاف وهو من فلاحى المقر الأتابكى، فرسم السلطان بسفره والقبض عليه فقبض عليه وعلى شخص من مقولته يعرف بأبى طاجن وعدة من المفسدين نحو ثلاثين رجلا فسمرهم وأرسلهم لبين يدى السلطان صحبة الأمير تمر المذكور ، ثم حضر المقر الأشرف الأتابكى إلى منزله فى جحفل عظيم وهرتك جسيم من مماليكه وخجداشيته وأعوانه والشطفة على رأسه وحوله النفطية والمشاة وعدة من المماليك السلطانية ، فخلع عليه وعلى الأمير تمر المذكور وأرسل إليه المفسدين ليخلص أمواله منهم ويفعل بهم مايراه .

وفى هذا اليوم — الذى هو الأربعاء ثانى عشره — ركب السلطان وتوجه إلى القرافة وقيل إلى طرا ، وهرع لخدمته الأعيان والخدام حتى المغانى .

يوم الخميس ثالث عشره عرضوا على السلطان موسى بن عمران وجماعته فضرب بين يديه بالمقارع ضربا مبرحاً ، ورسم — نصره الله — بقطع يد اثنين من المشاة كانوا يرمون بالنشاب بين يديه وبتوسيط شيخ يسمى الجذيبى كان عنده برسم قتل المسلمين .

وفيه ركب السلطان وتوجه إلى الإيوان الذى أمر بعمارته بالقلعة عند باب النصر ، ورسم لرئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله بالتحدث عليه فأعجبه وأمرهم بالنهضة والمبادرة إلى فراغه ، ورسم لهم بصرف ما احتاجوا له من المال .

ورسم — نصره الله — بألف دينار تصرف فى عمارة جامع القلعة وأن يوسعوا مطهرته ويجروا له الماء ، فجزاه الله خيراً دنيا وأخرى .

وفى هـذه الأيام كثرت الشكاوى فى ابن غريب المتكلم فى الوزر والأستادارية من ظلمه وجوره (١١٢٧) وهدده السلطان وأوعده ، وما صعد أحد إلى السلطان يشكو من كبير ولا صغير ولاجندى ولا أمير ولا غيره إلا وينصفه بالقول والفعل . فنصره الله .

يوم الأحد سادس عشره وصل هجان من عند الأمير الدوادار الكبير سهل الله عليه كل عسير ، وهو الذى كان وجهه السلطان لما حصل له الضربة فى ساقه من فرس الأتابك أزبك من ططخ ، [يخبر] أنه طيب بخير وعافية وسلامة وهو لابس خلعة ، وأخبر بسلامة العسكر وأن عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله أرسل ابن رمضان وصحبته جماعة من العسكر السلطانى فأخذوا مدينة طرسوس وأدنة بعد أن تقاتلوا مع من فيهما وقتل من الفريقين ، وقتل من العسكر شخص من أقارب السلطان يعرف بالأبلق . والمرجو من كرم الله تعالى الظفر بالعدو المخذول إن شاء الله تعالى .

ووقعت بطاقة المقر الأشرف الأنصارى من قطيا فى سادس عشره وهرع الناس لملاقاته والسلام عليه . وحضر فى يوم الثلاثاء ثامن عشره وصعد بين يدى السلطان وقبّل الأرض وقرئت مطالعات عظيم الدنيا الدوادار الكبير رده الله على المسلمين رداً جميلا بعد قضاء مأربه وخلع عليه كاملية سمور بطرز زركش ، وركب فى خدمته أعيان الناس كقاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى والقاضى تاج الدين عبد الله بن المقسى ناظر الخواص الشريفة ، والشيخ الإمام برهان الدين الكركى الإمام ، وشرف الدين ابن غريب المتكلم فى الوزارة والأستادارية والقاضى عبد الكريم بن جلود كاتب المماليك وأمثالهم ، وحضر إليه بعد ذلك بقية المباشرين والأعيان فكان له يوم مشهود وهنأه أحبابه وأصحابه بعوده ، ورضى الأمير الدوادار عنه وذلك على خلاف القياس فإنه

كان بينه وبينه نفرة وحشة فزالت ولله الحمد ، وماخاب من دُعى له و [من] لوحظ من الفقراء والصالحين .

وتقدم قبل هـذا عقد مجلس بين يدى السلطان — نصره الله — بقضاة القضاة بسبب أن القاضى برهان الدين ابن ظهيرة للعزول عن قضاء مكة للشرفة ثبت عليه وقف يتعلق بشخص يعرف بابن الفاكهانى قاضى المدينة الشريفة ثم رجع عنه لما قام عنده فى ذلك ، وحضر المجلس أبو البركات — أخو القاضى برهان الدين المذكور — فقال السلطان: « يامولانا : لانسمع فينا كلام المتعصبين» فبادر السلطان ـ نصره الله ـ ولعن من يتعصب عليه .

ثم إن أبا البركات المذكور سبق لسانه وقال يكون بريئاً عن دين الإسلام إن كان أخوه فعل ذلك لأجل غرض فإنهم نسبوه إنه ما فعل ذلك إلا كون ابن الفاكهانى من أصحاب الخواجا ابن الزمن ، فرسم السلطان ـ أدام الله دولته وثبت قواعدها ـ بكتابة مراسيم شريفة إلى مكة المحروسة وأن يذكروا صورة الحال ، ثم بطل ذلك بغيره .

* * *

يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر الأغر الميمون الموافق له من أيام الشهور القبطيـة سادس عشر مسرى[1] القبطى بعد أن توقف ثلاثة أيام وهو يزيد كل يوم إصبعاً وإصبعين وأصبعا ، وحصل الخير بمعونة الله سبحانه، ورسم السلطان للمقر الأشرف الـكريم العالى المولوى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ — عز نصره — أن يتوجه إلى المقياس على العادة وبفتح فم الخليج فركب فى مماليـكه وخجداشيته وأعوانه وخدمه ، وصحبته من الأمراء سنباى

---

(١) يطابق هذا ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، س ٤٣٨ .

أمير آخور وأزبك ناظر الخاص ويشبك من حيدر الوالى والزردكاش وكان له يوم مشهود ، وفعل ما أُمر به وخلع على من له عادة ثم عاد لحضرة مولانا السلطان — نصره الله — فخلع عليه وشرب مشروبا وعاد إلى داره فى غاية العزة والضخامة ، ولله الحمد على ذلك ، إنه الولى والمالك .

وتوفى الشيخ الصالح المعتقد الربانى شهاب الدين أحمد بن مظفر[1] ، وكان كما ذكر شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر ـ رحمهما الله ـ هو ووالده من الصلحاء الدينيين وله كلمات حسنة سهلة لطيفة وأدعية نافعة [وكان] ملازماً للتلاوة سريع الدمعة (١١٢٨) وهيئته جميلة وزهارته ظاهرة ، اتفقت وفاته فى يوم السبت المبارك الثانى والعشرين من شهر صفر الأغر سنة تاريخه أى ست وسبعين وثمانى مائة ، وحضر جنازته جماعة من الفضلاء والعلماء والصلحاء والفقراء ومنهم شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى وصلى عليه بباب النصر ، وكان له مشهد عظيم مع الثناء الجميل .

يوم الثلاثاء خامس عشريه رسم السلطان — نصره الله — بتسمير فلاحى الأتابك أزبك الذين قبض عليهم قبل تاريخه موسى بن عمران وتوسيطهم وهم من بنى سعد وحرام ، فوسطوا خمسة عشر منهم بباب النصر وأربعة بقنطرة الحاجب ، وأراح الله البلاد والعباد منهم ، ولما بلغ بنى سعد وحرام توسيطهم ركبوا وأغاروا وانتهبوا عدة قرى وبلاد فبلغ السلطان نصره الله ذلك فرسم للأمير تمر حاجب الحجاب أن يتوجه من وقته بمماليكه وأعوانه ليكبس عليهم فخرج فى ليلة الأربعاء المسفرة عن سادس عشرى شهر تاريخه . والذين وسطوا فيهم صبى أمرد دون البلوغ ، وسألوا فى الإعفاء عنه فما أجيبوا .

---

(١) أورد له الضوء اللامع ٢ / ٢٢٢ ترجمة ، غير أنه يجب أخذ السنوات بشىء من الحذر لما وقع فيها من الاضطراب.

وفى هذه الأيام تغيّظ السلطان على القاضى عز الدين بن الدبسى ناظر الأحباس المبرورة ، فرضى عليه بعد أن يقوم بألف دينار ، ووقع بينه وبين الشيخ شمس الدين الجوجرى[1] الشافعى مخاصمة كعادتهما وترافعا عليه أنه قذف زوجته وأساء عليه وثبت ذاك عنده فأمر بحبسه ماشياً إلى البرج بالقلعة ، فحبس فيه ثم أعيد إلى الديلم[2] ثم أفرج عنه .

واتفق أيضاً أن قاسم الوزير المعزول ـ الذى ضمنه رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى حفظه الله لعظيم الدنيا الدوادار الكبير فى مبلغ جملته سبعة آلاف دينار وأنزله فى داره وهرب ، ووزن المقر الزينى ما عليه لمن ضمنه له ولم يوف له بشىء ـ وقف للسلطان ورافع فى ابن غريب وقال إنه مثبت فى جهته للسلطان عشرون (١٢٨ ب) ألف دينار فلم يلتفت السلطان إليه لعلمه أن الأمير الدوادار الكبير حفظه الله من جهته ، ثم إن ابن غريب أغرى السلطان عليه وذكر أن فى جهته الدولة الشريفة مالا ، فرسم لنقيب الجيش بالترسيم عليه وأظهر قاسم فاقةً زائدة ، وأرسل يستعطى بالورق من المباشرين والأعيان ، فأخبر نقيب الجيش السلطان بحاله فرسم بإيداعه فى الحديد بسجن الديلم .

يوم الجمعة ثامن عشريه ركب السلطان من البحرة إلى الجامع والأمراء ينتظرونه بباب الحريم ، وصلى بالجامع وفرشت له الشقق المخمل الكفوى من باب الحريم إلى باب الجامع ونهب ذلك المماليك والغلمان ، والله المستعان . واجتمع بحريم السلطان من المغانى والفرح والمدات ما يليق بهم ، وفى الواقع فلله الحمد والشكر على عافية مولانا السلطان نصره الله .

---

(١) انظر الضوء اللامع ٨ / ٢٩٥ .
(٢) أى سجن الديلم ، انظر خطط المقريزى ٢ / ١٨٧ .

وأصبح يوم السبت فركب السلطان وتوجه إلى القرافة فلعب بحضرته الرماحة فنصره الله على أعدائه آمين .

وفيه وصل الخبر بأن عظيم الدنيا الدوادار الكبير — دامت سعادته — أخذ سيس وقلعتها ، فلله الحمد والفضل والمنة .

﴿ شهر ربيع الأول ﴾

اختلف فى إثباته اختلافاً زائداً ، فشهد جماعة من المؤقتين عند القاضى الشافعى برؤيته ليلة الأحد فما قبلهم[1] ، وصعد يوم الإثنين لتهنئة السلطان بالشهر ورفقته قضاة القضاة وكنت معهم ، فلما جلسوا وهنّوه بالشهر قال له السلطان — نصره الله — : « الشهر من البارح » فأخذ عنه القاضى الحنفى فى الجواب ، فقال السلطان : « أنا رأيته الليلة الماضية وهو كبير » ، فقال القاضى المالكى : « الكبر ما هو شرط » وانصرفوا .

ثم إنى رأيت فى يوم الاثنين قصة بخط القاضى الشافعى مؤرخة بثالث ربيع الأول ، فعلمت أن القاضى الشافعى أثبت الشهر كما قال السلطان[2] ، والله المستعان .

وفى هذا اليوم أو الذى بعده وصل سلاخورى وجان من عظيم الدنيا المقر الأشرف العالى السيفى ت مر مهدى — مهد الله له البلاد (١١٢٩) والعباد — وأخبر أن الأمير كور طيب ، وأن العساكر والأمراء كذلك وهم مقيمون على عينتاب . و ... أن شاه سوار المخذول جهز جماعة من أخصائه وأعوانه وأمرائه نحواً من ستمائة نفر وأكمنوا فى بعض الطرق بالقرب من عينتاب ليمنعوا الميرة الواصلة إليهم والمتاجر والبضائع ، فأرسل إليهم الأمير خير بك

(١) أى ما قبل القاضى الشافعى شهادتهم على أن الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ ، أن أوله الاحد الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٤٧١ .

(٢) الأرجح أن يوم الاثنين خطأ وصوابها « الثلاثاء » .

من حديد الأشرف وصحبته أربعمائة مقاتل من جهة ، وأرسل الأمير إينال الأشقر وصحبته ما ذكر مع خير بك ، وتوجه كل أمير بجماعته من جهة ، فالتقى الأمير خير بك بهم فقتل من أعيان السوارية[1] ثلاثين نفراً وقبض منهم على جماعة وهرب الباقون . وجرح من العسكر بعض جراحات سالمة ، فأكرم السلطان القاصد وخلع عليه كاملية سمور ، وخلع عليه بقية الأمراء الألوف كوامل فاجتمع له ثمانى كوامل ، وأعطاه السلطان فوقانيا بطراز زركش ومائة دينار وفرساً عظيمة ، ولله الحمد على ذلك .

يوم السبت سابعه طلع الوالى بثلاثة من الحرامية بين يدى السلطان فرسم بتوسيطهم فشفع فيهم الدوادار الثانى فقطعت أيديهم .

وفى هذه السنة كثر غرق الناس بالبحر والخلجان حتى النسوة ، والأمر لله .

ووصل الخبر فى هذه الأيام أن شاه سوار ركب للصيد فساق فرسه فكبا به فانكسرت رقبة الفرس وانكسرت رجله اليسرى ، فحمل إلى محل إقامته ، وحصل ريح عاصف فانكسرت خيمته .

وفى هذه الأيام كثر النداء بالقاهرة على لسان متولى الحرب عن المقام الشريف — نصره الله — أن أحداً لا يشكو إليه حتى يقف لقضاة القضاة والحكام فإن لم يخلص يصمد إليه ، فإن القصص والشكاوى كثرت لديه على الأكابر والأصاغر حتى شكى عظيمَ الدنيا ابنَ مزهر الأنصارى حفظه الله شخص يسمى يوسف السمسار على ما بلغنى ممن أثق به فإنه احتال عليه من جهة عبد الرحمن بن الكويز وقبل حوالته (١٢٩ ب) وحاسب بالحوالة ابن

---

(١) يعنى بذلك جماعة شاه سوار .

الكويز وكتب عليه بها مسطوراً ، فلما عزل ابن الكويز وله عليه مال غير هذا أراد [أن] يتخلص فلا بارك الله فيه . وشكى المحيى ابن الشحنة قاضى الحنفية للسلطان بسبب دين عليه .

وفى يوم الأحد خامس عشره عمل المولد السلطانى على العادة وحضره قضاة القضاة والأمراء الألوف الموجودون بالقاهرة — وهم ثمانية أنفار — خلا قراجا(١) الطويل فإنه لم يحضر ، وكان مولدا عظيما وسماطاً حافلا وهيئة عظيمة .

وانقطع سد سنيت على البحر ، ولا بالى به .

وانتهت زيادة البحر إلى يوم تاريخه الذى هو السابع عشر من ربيع الأول الموافق الخامس توت إلى أصبع من تسعة عشر ذراعاً .

وفيه كسر سد الأميوبة كسره الوالى وأعوانه ، والحمد لله على هذه النعمة الجليلة .

وفى يوم السبت رابع عشره ركب السلطان — نصره الله — وتوجه لجامع عمرو بن العاص ليكشف عنه ، فإنهم وقفوا له أرباب الشعائر وذُكر له أن أرباب الوظائف ما يباشرون ، فركب وكشف الجامع بنفسه وتصدق على جماعة من المجاورين به ورسم بعمارة ما تهدم منه ؛ فتقبل الله منه قبولا جميلا ونصره نصراً عزيزاً .

وتوفى الشيخ الصالح المجذوب المعتقد محمد بن صالح الأزهرى(٢) فى يوم الأحد ثانى عشريه وكانت تذكر له كرامات ، وكانت له جنازة مشهودة وحضرها جماعة من أعيان الدولة ، نفع الله به .

---

(١) انظر السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٢١٥ .

(٢) انظر السخاوى : الضوء اللامع ٧ / ٦٨٧ .

يوم الخميس سادس عشريه صعد المقر الزينى أبو بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط إلى القلعة من سفره من البلاد الشامية وقبل الأرض وعليه كاملية مخمل أحمر بسمور خلعها عليه الأمير حاجب الحجاب بدمشق عن نائبها هذا ، بعد أن خرج الناس للاقاته إلى الخانكاه وإلى بلبيس ، وركب فى نويسات ، وأوقد له أهل الذمة اليهود والنصارى لكونه ناظر الجوالى ، وهرع الناس للسلام عليه ، ولم يخلع عليه السلطان شيئاً .

يوم الجمعة سابع عشريه قَدّم المقر الأشرف الزينى سيدى أبو بكر (١١٣٠) ابن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط للسلطان من الخيول خمسة وثلاثين فرساً ، ومن البغال عشرة أرؤس ، ومن البعلبكى مائة ثوب ، ومن الشقق الحرير مائة شقة ، ومن المخمل الكفوى والصوف والسنجاب والسمور والوشق والشواشى شيئاً كثيراً .

وسمعت غريبة هى أن شاه سوار المخذول جهز جماعة من جهته فى هيأة العثمانية خديعةً للأمير الدوادار الكبير يسألونه فى الصلح بينه وبين شاه سوار المخذول ، فلما وصلوا إليه أكرم مثواهم وأنزلهم وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، فنم جماعة منهم عليهم عند بعض الأمراء أن سواراً هو المجهز لهم وأنه قصد الكبس عليهم ويكون هؤلاء معهم الخبر فقُبض عليهم وقُيِّدوا ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، إنه العالم والحاكم .

﴿شهر ربيع الآخر﴾

أهل بيوم الثلاثاء الموافق له من أيام الشهور القبطية تاسع عشر توت .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكنت حاضراً مع النواب ، فوقف شخص للسلطان يشكو القاضى الشافعى بسبب خان السبيل الذى تحت نظره ، وأنهى أن بالخان مسجداً وأن الجاليين

جعلوه مخزناً لمتاع الجمال ويخيطون فيه الزرابيل ، وأنه منعهم من ذلك فتعصب عليه جماعة وأحضروا له رسلا من عند القاضى الشافعى ونائبه ابن مظفر وصار يشتكى ويستشكى ، ومن جملة ما صدر منه الكلام واللغط أن قال : « أطلع إلى الله ! ! » ، وسمع ذلك قاضى القضاة المالكية وأنكره وأراد أن يفعل معه الشرع فقال له بعض رفقته : « يبلغ السلطان فيقول تعصب القضاة عليه » ، كل ذلك بجامع القلعة ، ثم طلبوا ودخلوا بالحوش السلطانى فهنوا السلطان وجلسوا ، فبادر المقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصاوى كاتب السر حفظه الله وقال لقاضى الحنفية : « عرفت السلطان عن وقف بنت يشبك بن آقبردى تدخل عليكم حتى قررتموه نائباً عنكم وأنه لم يصرف لأحد من المستحقين شيئاً ولا يوقفكم على حساب (١٣٠ ب) الوقف وأن سيدى عبد البر الذى توجه لحلب ماتكلم على الوقف المذكور ، فلما بلغ المسامع الشريفة ذلك رسم على آقبردى ورسم بتجهيزه إليكم لتعملوا مصلحة المستحقين ويعمروا التربة من الفائض » ، ثم خاطب رئيس الدنيا ابن مزهر المذكور حفظه الله قاضى الحنفية فقال له : « وقفت عجوز فى قفص حال للسلطان بهذه القصة مضمونها أن لها استحقاق[1] فى نظر على وقف ، وأن ثم من يعارضها وينازعها فى ذلك بغير طريق شرعى ، وأن غريمها سألكم فى قصة تعينوها له فامتنعتم ، ثم بعد ذلك عينتموها على الشيخ خير الدين السنسى » فقال القاضى المالكى : « هذه المرأة حضر لى غريمها بمكتوب مكشوط مظلم فما رضيت أعيبه » فقال له الحنفى : « مرسوم السلطان أنت تكلم فيه بنفسك » ، وهذا بعد أن قال الحنفى للسلطان وللحاضرين إن كتابعه على القصة حياء مما سأل فى التعيين ، وانصرفوا على أن لا يحكم فى هذا الوقف إلا القاضى الحنفى وإن توجهوا إلى غيره من القضاة فلا يحكم فيهم إلا قضاة القضاة ، وقرءوا الفاتحة ودعوا وانصرفوا .

---

(١) هكذا فى الأصل وقد أبقيناها على صورتها .

يوم الجمعة رابعه وصل شاهين الجمالى شاد بندر جدة إلى الصحراء ، وأصبح يوم السبت خامسه فصعد للسلطان وقبّل الأرض فخلع عليه وعلى مَن له عادة .

وفى هذا اليوم رسم المقام الشريف بنفى دوادار الوالى الأقطع إلى طرابلس وتوجه رأس نوبة نقيب الجيش ونقباؤه ، والسبب فى ذلك أن السلطان نصره الله بلغه أن الخواطىء يفعلن المنكر بالجنينة التى هى أرض الطبالة ، ففحص عن من يأخذ جُملهم ورسم بالكبس عليهم ، فتوجه دوادار الوالى المذكور فوجد جماعة أجنبيين من هذا المعنى فضربهم وحبس شريفاً ثم أخذ جُملهم وأطلقهم ، فبلغ السلطان ذلك ففعل به ما فعل ، وقيل غير ذلك. والله أعلم .

وثبت البحر فى هذه السنة على عشرين إصبعاً من تسعة عشر ذراعاً ولله الحمد والمنة والفضل والشكر الجزيل ، لا إله غيره .

وفى يوم السبت خامسه طُلب السيد الشريف قاضى القضاة سراج الدين عمر بن حريز المالكى للسلطان لشكوى أقاربه بسبب تركة أخيه قاضى القضاة حسام الدين (١٣١ ا) فطلع للسلطان وحصل كلام كثير أفضى آخره على الترسيم على قاضى القضاة المالكى وبات فى الترسيم فى طبقة الأمير الزمام ، والأمر إلى الله الملك العلام .

يوم الاثنين سابعه خلع على الأمير يشبك الجمالى بإمرة الحاج على عادته بعد أن كان تعين لها برسباى أستادار الصحبة فما نهض بها واستعفى منها .

وخرّج السلطان الأرزاق التى كانت باسم القاضى حسام الدين بن حريز بالوجه القبلى القديمين والمتجددين . واستمر القاضى المالكى فى الترسيم بطبقة

الأمير الزمام ليغلق للناس مالهم على أخيه من الديون بحكم الربع كما التزم بذلك ، خلا مال السلطان فإنه الكامل ، والله المستعان .

وأطلق الوزير قاسم من سجن الديلم إلى حال سبيله بأمر السلطان ومساعدة المقر الأشرف الكريم العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين .

[وفى] يوم السبت المبارك ثانى عشره رسم لقاضى القضاة سراج الدين عمر بن حريز بالتوجه إلى منزله من طبقة الزمام بعد إقامته بها ثمانية أيام وهرع الناس للسلام عليه ، وصنع عظيم الدنيا ابن مزهر الأنصارى ناظر الإنشاء حفظه الله مدة عظيمة وقرأ ختمة فى ليلة الجمعة المباركة المصبحة ثانى عشر شهر تاريخه وأصبح فعمل نفطاً وأطلقه بالبركة فكان له مجلس عظيم ، واجتمع فيه عدة خلائق على عادة للتفرجين والمتهتكين ، فحفظه الله على المسلمين .

وفى الرابع عشر من شهر تاريخه سقط بيت فى الجسر المشهور بجسر بسباى فى البحر وغرقت امرأة مرضعة وطلعوا بها ولم يعرفوا للولد أثراً ولا خبراً .

وفيه شفع فى الأقطع دوادار الوالى الذى كان المقام الشريف رسم بنفيه فرجعوا به واستمر بطالا بداره .

يوم السبت رابع عشره ركب السلطان وفى خدمته الأمير الكبير وبقية الأمراء وتوجه إلى خليج الزعفران فنصبوا له الخام وتغدى وأقام إلى آخر النهار وركب العصر وتوجه إلى القلعة ، وبينما هو فى أثناء الطريق رأى جنازة امرأة فصلى عليها إماما وصلى عليها الأمراء مأمومين فنصره الله (١٣١ ب) وما رأيت أكثر من محاسن هذا السلطان — نصره الله — ومن عدله ولطفه ورفقه وتواضعه للضعيف والفقير والبائس والمحتاج مع شدة سطو حرمته على الجبابرة والمتمردين والظلمة والفجار والمتكبرين فجزاه الله أحسن الجزاء

ونصره الله على الأعداء ، وأدام ملكه وثبت قواعد دولته ؛ فمن محاسنه الشريفة ومآثره المنيفة على ما بلغنى أنه توجه مرة لخليج الزعفران وانفرد عن عسكره بمفرده كما هى عادته فوجد شيخا عاجزاً بيده حمارة محملة من البطيخ الذى هو بالفقيرى وقد عيت الدابة وثقلت وسقط الحمل ، فنزل عن فرسه - نصره الله - وحمل الحمّار وسأله عن حاله فأخبره « الحمار عاجز » فأعطاه خمسة دنانير وقال له « اشترى بهذه بهيمة أقوى من هذه » ، وأمثال هذا كثير .

وأنشأ - نصره الله - بالحوش السلطانى إلى جانب الدكة التى يجلس عليها مقعدا عظيما وهو مهتم به كاهتمامه أيضا بعمارة الإيوان - الذى كان خرب - المجاور للقصر وجاءا فى غاية الحسن من البناء الجليل والرخام الملون والأحجار العظيمة والذهب واللازورد وأمثال ذلك ، ولعل مصروفهما يصل إلى خمسين ألف دينار .

وعمر أدام الله ملكه آثاراً كثيرة كانت درست وعفت رسومها وتغيرت فأحياها بنشر فضله العميم وأعادها فوق ما كانت عليه فى أحسن تقويم . هذ امع إحجام من تقدمه من الملوك العظام ، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله هو الملهم والسلام ، والعجب أن القامة أصبحت مشرقة من الهناء والبياض الساطع بعد أن كانت سوداء مظلمة فى الهيئة والسكان ، فصارت يُشار إليها بالأصابع لما أمر بعمارتها وهان عليه صرف المال ، فألهمه الله الحق والعدل فى الحال والماضى والمآل .

ومن أعظم محاسنه : كاتم سره ورئيس دولته ولسان مملكته القائم فى الحق بقلبه ولسانه ويده ، وهذا ديدنه فى ورده وصدره ، محب عباد الله من الصلحاء والعلماء والفقهاء سيما الفقراء ، وهذا أشهر من علم على قبس تحدى به

(١٣٢ ا) الركبان فى الآفاق والبلدان ، وليس الخبر كالعيان ، فجلّ الملهم للثان .

وأما عفته وتفضله وخضوعه وخشوعه وزهده وديانته وأمانته وعقله ولين جانبه وقربه ممن يعلم أنه من حزب ضده وإظهاره البشاشة والقرى وعدم احتجابه عن أحد من خلق الله مع أصالته الباهرة المعزوة للأنصار ، وعوائده الناطق بها كل لسان فى الأقطار والأمصار فلا أطيق عدها ولا حصرها ، ولو أن أعضائى جميعا تكامت حتى صار ملجأ وملاذاً لمن يقصده ، وغياثا ونصيراً لمن يؤم بابه أو يسترفده ،حتى إذا حلف الحالف أنه ليس له فى عصره نظير وهو فوق الغصن النضير حفظ الله مهجته وأدام بهجته وحماه من طوارق الحدثان هو ومن يلوذ به ما ائتلف الفرقدان واختلف الجديدان .

ووقع فى يوم الجمعة ثامن عشره أن شخصاً من كبار المفسدين من بنى حرام يعرف بابن زامل كان مسجونا مدة طويلة بسجن الجرائم ، وأراد السلطان قتله مراراً،وكان حضر صحبة المفسدين الذين حضر بهم الأتابك أزبك أمير كبير من بلاده وصلبهم ورسم بقتل هذا ، غير أن عليه مالا لجهة ديوان السلطان فسجن ليوزن المال ويمضوا فيه أمر الله تعالى ، ثم نقلوه من سجن الجرائم إلى أن أودعوه بقاعة المسجونين بين السورين المجاورة لبيت المقر الأشرف الأتابك أزبك ـ عز نصره ـ فصار يحسن لأصحاب السجن والقائمين بأعبائه وصاروا يخرجونه فى كل قليل بالحديد فى عنقه ويتوجه فى القاهرة إلى بعض أصحابه فيدفعوا له دراهم ويأكل ويعود فيعطى من يتوجه معه المائة درهم والمائتين ولو كانوا اثنين أو ثلاثة ، واستمر على ذلك حتى [إذا كان] هذا اليوم المذكور الذى هو الجمعة ثامن عشر شهر تاريخه ذهب على عادته ليأخذ من أصحابه مايتنفق به فخرج فى الحديد وصحبته صبى السجن ، وأراد الرسول يتوجه معه فقال

فصى السجن : « أنا فى الحديد والذى يأخذه الرسول أنت أحق به » ، فقبل قوله وتوجه معه إلى الباطلية أو ما يقرب منها إلى قاعة برحبة الأيدمرى من ناحية البرقية ، وأراد (١٣٢ ب) الدخول إليها فامتنع المرسم عليه وكان قد أكمن له فيها رجالا ذوى عدد وعدد ، فضربه إنسان على رأسه وأخذ المفتاح وفتح القفل وضُرب أيضاً بدبوس محدد فسقط ، وأركبوا ابن زامل المذكور فرساً وتوجهوا به إلى حيث شاءوا ، واستمر الذى كان معه ملقى على قارعة الطريق ، فبلغ أهله ذلك فحملوه وهو لا يعى ولا يفيق .

يوم الأحد حادى عشريه سافر المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك من ططخ إلى البحيرة لأجل تخضيرها .

وفيه وصل جماعة من بلاد ابن عثمان فى البحر وصُحبتهم عدة من الفرنج وأسرى من المسلمين ظفر بهم العثمانية عند دمياط ، فاقتتلوا معهم وانتصروا عليهم وصمدوا بهم للسلطان : والحمد لله على ذلك ، إنه الولى والمالك .

يوم الخميس رابع عشريه عزل السلطان ـ نصره الله ـ القاضى السيد الشريف الأرميونى[1] نائب قاضى القضاة المالكية الذى حانوته ومحكمته فى جانب شوارع الشوايين ، وسبب عزله أن شخصاً يسمى «فلان الرماح» ـ وهو من جهة السلطان ـ تخاصم مع جماعة من أهل جامع الأزهر وشكاهم إلى الوالى وغرمهم نحو المائتى درهم ، فلما خلصوا من بيت الوالى شكوه من الشريف المذكور وادعوا عليه أنه شكاهم وغرمهم المبلغ المذكور ، فاستفسر عن ذلك فقال : « هم ضربونى فضربتهم » ، فسألهم : « هل ضربتموه ؟ » ، فأنكروا وحلفوا ولم يكن له بينة ، فأمر بتعزيره وألزمه بدفع المبلغ الذى غرّمه لهم ، ثم

---

(١) راجع الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

ألزمه القاضى المذكور أن لا يطالبهم بنفسه ولا وكيله إلا بمستند شرعى بعد دعواهم فقال : «من السلطان» فقال له القاضى : «ولا من السلطان» ، مع أن الخصم المذكور - كما قدمناه - من جهة السلطان نصره الله ، فصعد لحضرة السلطان وأخبره بما وقع له وزاد ونقص ، فطلب السلطان الشريف فلما مثل بين يديه قال له : «أنت معزول» وعدّد عليه ذلك . وكان السلطان فى حدة مفرطة بواسطة سعد عبد الأمير زين الدين ، فإنه طلبه وسأله عن مال أستاذه فقال : «أنا عبد ولا يطلعنى على المال» ، فنهض السلطان (١٢٣ ا) من مجلسه ولكمه ثلاث لكمات فسقط مغشياً عليه ، وفعل [السلطان] بعبد الوهاب مباشر زين الدين المذكور كذلك ، ورسم بسجن عبد الوهاب بالبرج وبسجن سعد فى الطشطخاناه ، وبعيد إن وجدوا لزين الدين مالا .

ومما وقع من الحوادث فى الأحكام العجيبة أن شخصاً شكى ولده عند المحتسب وادعى عليه بثلاثة آلاف دينار ، فأنكر الولد ذلك وحلف ولم تقم عليه بينة ، فرسم بحبسه ليدفع مالا فى جهته .

وفيها أن شخصاً ادعى عند المحتسب على شخص بمال فأمر بوزن المال فى بابه وإلا يضربه ، فتدخلوا على صاحب الحق فأفرج عنه ودخلوا يشاورونه عليهما ، فاحتد وغضب كون خصمه أفرج عنه وصار يهدده إلى إن عاد يشكو من عنده أحد ليفعلن به ويفعلن .

وفى هذه اليوميات توعك قاضى القضاة الحنبلى بعلة حلقه وضعف بدنه ، وتوجه إليه غالب الأعيان .

يوم الإثنين ثامن(١) عشريه نودى بوفاة بدر الدين محمد سبط البلقينى

---

(١) فى الأصل «ثانى» ثم صححها المؤلف بخطه فى الهامش إلى ما أوردناه بالمتن .

المشهور بابن[1] جنة ، وحضر جنازته القاضى الشافعى والشيخ أمين الدين الأقصرائى وأعيان البلد وله أخوان لم يحضرا غسله ولا جنازته ، لأنهما صعدا للسلطان وشكيا له أن أختهم احتاطت على موجود أخيهم الميت وأحضرت شهوداً وهو ضعيف فشهدوا عليه أنه ملّك داره لها ، فعارضه رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى — كاتب السر حفظه الله — وقال للسلطان : « هذه وصية ومرجعها إلى الشرع » فحصل غاية الإنصاف ، ولله الحمد .

﴿ شهر جمادى الأولى المبارك ﴾

أهل بيوم الاربعاء الموافق لثامن عشر بابه لأن ربيع الآخر جاء ناقصاً .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر ، وكنت حاضراً المجلس ، وكان السلطان ـ نصره الله ـ يلعب الرمح فانتظره القضاة طويلاً بالجامع ، وانتظره الشيخ أمين الدين بباب الدهيشة وسبق فسلم على السلطان قبل القضاة على خلاف العادة ، وكان (١٣٣ ب) جالساً بالمسطبة التى أنشأها بآخر الحوش عند سكن ولد الملك الظاهر جقمق والأشرف إينال فى عظمة زائدة ببشتميخ هائل بعد أن لعب الرمح إلى قريب الظهر وهم ينتظرونه وهو لابس سلاريا صوفاً أبيض بسنجاب ، فسلم القضاة ودعوا وانصرفوا ، وعظم السلطان القاضى الحنفى وسأله بالجلوس على مقعده الذى هو جالس عليه مراراً حتى امتثل مرسومه فى ذلك .

وفى هذه اليوميات أو قبلها بيسير تولى دمياط شخص من الأتراك يسمى

---

(١) نسبة إلى أمه لكونها ابنة البدر محمد بن السراج البلقينى ، راجع السخاوى : الضوء اللامع ٧/٤٠ . انظر فيما يلى ص ٣٥٠ س ١٨ ـ ١٩ .

جان بك الخاصكى الظاهرى عوضاً عن جقمق بحكم عزله ، وغضب الأتابك أزبك عليه .

واتفق فى هذه الأيام أن شخصاً من قضاة الريف يعرف «بقاضى البرلس» باع صغيراً حراً لبعض العربان فعرفه أبواه وشكيا القاضى للسلطان فضربه بالمقارع وسأله عن القصة فقال : «إن هذا الذى يدعى أنه أبوه باعه لى بشهود» فطلب منه الشهود فلم يشهدوا بشىء واستمر فى الترسيم ، والله عالم بكل شىء .

يوم الخميس ثانيه حضر قاصد عظيم الدنيا الأشرف الكريم العالى المولوى المدبرى المنقذى المشيرى الوزيرى أمير دوادار كبير وأمير أستادار العالية وملك الأمراء بالوجهين القبلى والبحرى وأمير الباش على العساكر المصرية والشامية وما مع ذلك يشبك من مهدى مهد الله له البلاد والعباد من أنطاكيا إلى القاهرة فى سبعة عشر يوما ، والمحضر ناصر الدين محمد بن نائب قلعة بهسنا ونائبها وعلى يده مطالعة تتضمن «إن العدو المخذول شاه سوار تفلل جمعه ، وحضر إلينا عدة من عساكره ، وأن الغلاء عنده عظيم ، وأنه فر من الجبل الذى كان مقيما عليه وإنا ملكنا الجبل المذكور منه ، ونستأذن الصدقات الشريفة هل نتبعه فى الجبال أم لا ، وقد بلغنا قتل قرقماس نائب ملطية ودمرداش نائب سيس وضرب أعناقهما صبرا» .

واتفق فى هذه اليوميات أن السلطان أمر بتجهيز مال للأمراء والعسكر المسافرين صحبة الأمير يشبك (١٣٤) الدوادار الكبير ، سهل الله له كل عسير ، جملته مائة ألف دينار ، ورسم للمباشرين بتجهيزها وتوجيهها فجهز المقر الزينى — كاتب السر حفظه الله — له أربعة آلاف دينار والمقر الكمالى ناظر الجيش نظيره ، وكان قبل هذا طلب من المباشرين ثمن خيل ، فجهز المقر الزينى — كاتم السر حفظه الله — أربعة آلاف ، والمقر الكمالى ناظر الجيش مثله ، ووزن الأستادار وناظر الخاص خمسة عشر ألف دينار ، والمقر الشرفى الأنصارى

ألفى دينار ، والمقر العلمى ابن الجيعان مثله ، وجهزت أم الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم ـ جدة ناظر الجيش ـ ألف دينار ، ومن كاتب المماليك وناظر الاصطبل أيضاً .

ووصل الخبر أن المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك من ططخ الظاهرى أمير كبير الذى هو مسافر فى البحيرة تنغيظ على نائبها تنبك الأشرفى برسباى[١] وضربه ، ولما بلغ السلطان ذلك ما أعجبه ولام المقر الأشرف العالى السيفى تمر[٢] الحاجب على هذا ليكاتبه فإنه خجداشه .

يوم الخميس تاسعه خلع السلطان — نصره الله — على الأمير أزبك الظاهرى المشهور بناظر الخاص الخازندار الثانى واستقر به فى نيابة عنتاب التى أخذت من شاه سوار وعينت وظيفته ثم بطل ذلك بعد يومين بسعى كبير واستقر على عادته .

ليلة السبت المصبحة عن حادى عشر شهر تاريخه توفى قاضى القضاة عز[٣] الدين أحمد بن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن قاضى القضاة نصر الله بن أحمد بن أبى الفتح الكنانى العسقلانى الحنبلى عالم الحنابلة ، وصلى عليه من الغد بسبيل المؤمنى لأجل أن السلطان سأل فى الصلاة عليه ، ودفن بحوش الحنابلة المقابل لمدرسة كوكاى بالقرب من تربة السلطان إينال ، والحوش فيه أسلافه وقضاة الحنابلة كابن العماد وغيره ، وكانت له جنازة حافلة اجتمع فيها القضاة والعلماء والرؤساء وأرباب الوظائف ولم يخلف بعد مثله ، وأجمع المسلمون

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٣ / ١٧٢ ، أن تنبك الأشرفى برسباى كان قد ندبه خشقدم مع المجردين إلى البحيرة حيث قتل بها على يد عرب الطاعة سنة ٨٦٦ ، على أن ابن أياس ، فى البدائع ص ١٠٧ ـ ١٢٠ خلى من الإشارة إلى هذا الحادث .

(٢) راجع الضوء اللامع ٣ / ١٧١

(٣) راجع الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨ ، وشذرات الذهب ٧ / ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

كافة على عفته وتواضعه وزهده وتقلله من متاع الدنيا حتى (١٣٤ ب) إنه كان لا يدع على بابه - من حين ولى القضاء وإلى أن مات - نقيباً ولا رسولا ولا نائباً يحكم على بابه فى نوبة .

أخبرنى رحمه الله أن مولده فى ذى القعدة سنة ثمانى مائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ كتاب الله وكتبا فى العلم، وقرأ القرآن تجويداً على شيخنا ابن الزراتيتى ، وسمع الكثير على خاله الجمال عبد الله بن العلاء الكنانى ، وكذا سمع على الشرف ابن الكويك[1] وخلق ، وأجازه الشيخ زين الدين العراقى وعائشة[2] ابنة محمد بن عبد الهادى ، ولازم شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمهما الله فى بداية أمره كثيراً ، وانتفع به فى أشياء منها كتابه الذى صنفه فى الأشعار التى سمعت فى المنام ، وكان للدهر به جمال . وأخذ الفقه عن مجد الدين سالم وقاضى القضاة علاء الدين بن مغلى[3] وقاضى القضاة محب الدين بن نصر الله ولازمه ملازمة كثيرة ؛ وأخذ النحو عن الشمس البوصيرى[4] واليسير منه على الشطنوفى ، ولازم حضور الدروس عند جماعة من العلماء فى عدة من العلوم منهم العز ابن جماعة وانتفع به كثيرا ، وبالعز ابن عبد السلام البغدادى فى علوم شتى منها العربية والأصلين والمعانى والبيان والمنطق والحكمة وغيرها من العلوم ، وشمر عن ساعد الجد إلى أن شاع ذكره واشتهر فضله وعلمه ، وفاق الأقران ، وناظر وأفتى ودرس ، وصار هو المشار إليه فى الحنابلة ، وناب فى القضاء وهو شاب — وسنه نحو العشرين سنة — عن شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن مغلى ، ولم يشتهر عنه بل ولاقيل إنه أخذ على الأحكام شيئاً

---

(١) راجع عنه الضوء اللامع ٩ / ٢٩٤ .
(٢) وتعرف بمسندة الدنيا ، شرحه ١٢ / ٤٩٥ .
(٣) هكذا فى الأصل ، والوارد فى الضوء اللامع ٦ / ١٠٢ ، أنه يعرف بابن المغلى .
(٤) الضوء اللامع ٩ /٧.

فإنه كان له ما يكفيه من أملاكه وأطلابه ومرتباته إلى غير ذلك ، ثم بعد ذلك ترك هذا الباب أصلا وصار يُقرأ عليه فى منزله وغيره ، وكان يركب حمارة ويحمل تحته خرجاً مملوء خبزاً ويتصدق به فى الجبانات وغيرها ، وكان كثير التردد لأصحابه والتودد بلفظه وبشاشته وتواضعه حتى ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية مسئولا (١٣٥ ا) فى ذلك بعد القاضى برهان الدين البغدادى ، واستمر إلى أن مات .

وصنف وحدث واشتهرت تصانيفه وكثرت حتى إنه لم يدع علماً من العلوم إلا وصنف فيه ، ودرس بالشيخونية والمؤيدية والأشرفية وقبة الصالح والحاكم والبديرية ، كل ذلك غير التداريس المضافة له ، وحج مراراً منها الحجة التى حج فيها ورفيقه المقر المرحوم الزينى عبد الباسط ، وأهدى له فيها عدة أشياء من أصناف المأكولات والمشروب فلم يقبل منها شيئاً ، وكذلك أرسل إليه الأمير جانبك الجداوى وصولا بقمح له جانب فأخذ الوصول لعلمه أنه لا يرضى إلا بقبوله ولم يرسل بقبضه ، فلما كان فى العام الآتى أرسل له نظيره فأخرج للقاضى الوصول السابق وأعلمه بعدم قبول شىء ، وكذا أرسل إليه الظاهر خشقدم تقدمات فما قبلها . وهذا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى — نصره الله — رسم له بشىء فلم يقبله ، وقيل إنه قبله وفرقه على الفقراء ، وزار بيت المقدس ودخل الشام فما دونها ، وسافر إلى دمياط وغيرها من المحلة والقرى .

وله مآثر جميلة وأوصاف حميدة وسيرة صالحة ، فمن مآثره الحسنة الجميلة إنشاؤه سبيلا ومسجداً ببيته المجاور لبيت الأمير تمر حاجب الحجاب ، ومدرسة مجاورة لبيته الذى بباب سر الصالحية ، وأنشأ أيضاً مدرسة بشبرا مجاورة لملك أنشأه بها على شاطىء النيل من ضواحى القاهرة إلى غير ذلك ، وفى الواقع

فماله من نظير ، وقد شهد له شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمهما الله بعد موت المحب أنه «عالم الحنابلة» وعظمه فى عدة مواضع من مصنفاته منها « رفع الإصر عن قضاة مصر » ، وكذا عظمه الشيخ شمس الدين السخاوى الحافظ المحدث فى الذيل الذى صنعه على رفع الإصر ترجمة عظيمة تبلغ كراسة فى كامل السالى . وكان بارعاً فى الأدب ، يحب الداعبات والألفاظ الفصيحة ، وكتب أشياء من ذلك لأصيل الخضرى ، وله نظم رائق ونثر فائق وخط شائق ، إلا أنه كان يعلقه بحيث (١٣٥ ب) أنه فى غالب الأوقات لا يعرف يقرؤه ، وكتب من مؤلفاته البدر السعدى تلميذه كثيراً وانتفع به ورباه ورقاه وجعله أكبر الدواب ، وأذن له فى الإفتاء والتدريس فصار هو المشار إليه ، ولقبه « بالشيخ » ، وعظم قدره ، وترفع عن تعاطى الأخذ على الأحكام ، وصار يحضر عقود المجالس عند الأمراء ، وهو المشار إليه بين الحنابلة فى مذهبه ، وهو أقرب وأصلح لدخوله فى هذا البـــاب بعد أستاذه لعقله وعلمه وخبرته بالأمور . ومن نظم صاحب الترجمة عفا الله عنه فى لغات الأنملة والإصبع قوله :

وهمز أنمـــلة ثلث وثالثة   والسبع فى أصبع واختم بأصبوع

وقوله رحمه الله مضيفا لبيت الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض نفع الله به :

بانكسارى ، بذلتى بخضوعى   بافتقارى ، بفـاقتى ، بغناكا

لا تكلنى إلى سؤالى وجدلى   بالأمانى والأمن مِن بلواكا

ووقفت على نظم ونثر وفوائد جمة لو ذكرتها فى هذا لطال ، والله ولىّ الأفضال .

وتوفى القاضى ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوى القاهرى الشافعى أحد النواب بالديار المصرية فى ليلة الجمعة عاشره، وكان قد حفظ فى صغره « المنهاج » وعرض على جماعة منهم مجد الدين إسمعيل الحنفى والحافظ ولى الدين بن العراق والهيثمى وابن الفصيح وغيرهم، وأجاز له ابن الملقن والأنباسى قطعة، وحدث، وسمع منه الفضلاء، وأخبرنا مخدومنا الشيخ الحافظ شمس الدين السخاوى أن البقاعى قرأ عليه بعد أن أطلق لسانه فيه، وصنف فيه جزءاً سماه «أشلاء الباز، على ابن الخباز» وما علمت وصفه بابن الخباز لماذا، وكان - رحمه الله - مزجى البضاعة من العلم، وبيننا وبينه صحبة، وسفر إلى الحجاز الشريف فى سنة أربعين وثمانى مائة أو بعدها لما كان الأمير تمر باى التمربغاوى رأس نوبة النوب دواداراً ثانياً فى دولة الأشرف (١٣٦١) برسباى لما قرره أمير الحاج، وكان صاحب الترجمة إمامه. وكان ظريفاً خليماً بسطاً منادماً كثير الحشمة، وعمره تخمينا نحو الثمانين سنة، رحمه الله وعفا عنه.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن على بن جعفر بن مختار، الحسينى نسباً، القاهرى مولداً، الشافعى مذهبا. عرف « بابن قمر » ودفن من الغد بعد أن صلى عليه بمصلى باب النصر، وكان مولده بعد الثمانى مائة، ونشأ نشأة حسنة فحفظ القرآن واشتغل فى الفقه وأصوله والعربية وغيرها، وأذن له فى التدريس، وأقبل على الطلب، فسمع من جمع، ورحل إلى حلب وما دونها فى طلب الحديث ولازم شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر — رحمهما الله — ملازمة تامة فى المساء والصباح، وكتب أكثر مصنفاته وغيرها بخطه، وضبط أسماء الذين يحضرون السماع عنده وكان يحصل له بذلك شىء من الحطام، وقدمه للاستملاء عليه بعد وفاة مستمليه الشيخ رضوان وكان يميل إليه ويرفده بالعطاء والإحسان كثيراً، وأمّ بالخانقاه البيبرسية مدة فعرف بها، ولما توفى شيخنا المذكور

— رحمه الله — ناب فى القضاء عن القاضى شرف الدين المناوى الشافعى ، وحصل له فاقة فرغب عن إمامة الخانقاه .

وكان إنساناً جيداً متواضعاً ليناً متقللا من الدنيا قانعاً باليسير منجمعاً عن الناس خصوصاً فى آخر عمره ، واختصر « الأنساب لابن الأبار » وكذا شرع فى اختصار « الأطراف للمزى » ، وأخذ عنه بعض الطلبة ، وخلف بنتين متزوجتين وبيت المال ، وضمت تركته مائتى دينار ، وخص سعيد السعداء منها شىء يسير ، والله تعالى يعفو عنه ويسامحه ويغفر له .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره توفى يوسف شاه العلمى ابن الكويز بعد ضعف وانقطاع ، وكان قد استمر فى « المعلمية » عوضا عن البدرى حسن ابن الطولونى مرتين ، واستقر فى نظر القرافة عوضاً عن أبى بكر المصارع الذى كان من جهة الظاهرى جقمق ، وولى كشف الجيزية بواسطة الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم (١٣٦ ب) وولى كشف التراب من باب الأستادار ، وتكلم فى سواقى القلعة التى تحمل إليها الماء من مصر القديمة ، وتنقلت به الأحوال وأملق حاله لكنه [كان] مستوراً ، وصاهر القاضى بدر الدين الحلاوى بواب أدر الضرب وفى الواقع كان ههنا لينا لا بأس به . رحمه الله .

وفى ليلة الاثنين ثامن عشريه توفى بدر الدين محمد بن على المناوى القاهرى ، عرف بابن جنة ، ونسب لأمه وهجر انتسابه لأبيه لكونها ابنة الشيخ بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام البلقينى ، وكان قد باشر نيابة القضاء عند القاضى سراج الدين عمر الحمصى لما ولى قضاء دمشق ، وصاهر الخليفة أمير المؤمنين . ثم ناب فى القضاء عن القاضى علم الدين البلقينى بسفارة ما بينهما من النسب ولكنه لم يتعاط الأحكام بالقاهرة إلا فى النادر ، ثم عزل وصار يتجر فى النحاس وغير ذلك ، وصلى عليه

من الغد بجامع الحاكم ودفن فى حارة بهاء الدين بفسقية كان القاضى ولى الدين ابن تقى الدين صنعها لنفسه بمدرسته التى استجدها بحارة بهاء الدين قراقوش بالقرب من المدرسة الشريفية القديمة ، ودفن الولى الىلقينى فى فسقية أعدها صاحب الترجمة لنفسه بدمشق فكانت غريبة

وخلّف ثلاثة إخوة : امرأة ورجلين ، وحرم أخويه المذكورين وخصص للأُخت وابنتين داراً فأوقفها على إحدى بناته وأخته ، والله تعالى يجمع بينهم ويحكم فيهم بعدله ، إنه العليم بكل شىء .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه شكى المحتسب للسلطان شركاؤه فاحتد السلطان عليه وهدده وذكر له أمورا .

وفيه قبض على شمس الدين محمد صيرفى جده المشهور بابن عبدالرحمن وطلبه فى خلوة وهدده بأمور ، وذكر له أنه صدر منه قبائح وقال له : « كم لك سنة صيرفيا بجدة » ، فقال: « أربع سنين » ، فرسم أن يؤخذ منه عشرون ألف دينار وهو مقيم بالطشطخاناه ، وسبب القبض عليه أن السلطان طلب من المحتسب وشاهين نائب جده خجداشه أن يقترضا له عشرة آلاف دينار من أم أستاذهم فما وافقت على ذلك وأظهرت عجزاً وشكاية ، فغضب السلطان على (١٣٧) ما بلغنى فى الباطن ، وفى الواقع فهذا السلطان آخر الملوك العادلة فإنه خوّل المحتسب وشاهين فى البلاد المصرية والحجازية .

ووصل المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى من البحيرة فى ليلة السبت المسفرة عن خامس عشرى شهر تاريخه ولم « يتكمل » تخضير البحيرة مما صنع فيهم ابن غريب من الظلم فى العام الماضى من القياس .

وشكى إلى السلطان فى هذا اليوم شخص من الخاصكية يسمى « دولات

باى حلاوة الأشرفى على تغرى برمش من حميد الدين الإينالى الأشقر الذى استقر أمير عشرة ، وهو صهر خليل بن أرغون شاه وأخذ إقطاعه ، ورسم له السلطان أن يعطيه منه فى كل سنة مائة ألف درهم ، وسبب ذلك أن دولات باى المذكور كان أمير عشرة فعيّنه السلطان لتجريدة شاه سوار فامتنع فقال له السلطان : « كيف تأخذ الإمرة » ؟ فقال : « مالى بها حاجة ، خذوها » فقال له السلطان نصره الله : « استخير الله » ، فاستخار ورمى إمرته فأخذها السلطان ودفعها لهذا المذكور ، ورسم أن تكون له إمرة بمبلغ أربعمائة ألف درهم ، والمائة الألف التى تفضل من الإقطاع تكون لدولات باى وهو بطال ، وطالبه أول سنة فما دفع له شيئا وقال له : « لو جانى قايتباى ما أعطيتك شيئا » وشكاه للسلطان فأضمرها فى نفسه ، وجاءت هذه السنة ففعل كما فعل فى الماضى فشكاه للسلطان فأغلظ فى الجواب ، فرسم له السلطان بلزوم بيته وهدده فيه ، فخرج من الحلقة واجتمع خجداشيته من الإينالية بوسط الحوش فرآم السلطان فطلبه وطلب العصى ، فشفع فيه الدوادار الثانى ومن كان حاضرا ، فرسم السلطان بالدواة وكتب بإقطاعه فكتب لغريمه دولات باى وانفصل الحال على ذلك ، والله الولى والمالك .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه وقف أولاد ابن إينال للسلطان هم وأرباب الوظائف بمدرسة جدهم ، وأظهر كل منهم فتاوى بخط الشيخ أمين الدين الأقصرائى والشيخ محيى الدين الكافيجى والشيخ قاسم الحنفى ، فرسم السلطان - نصره الله - (١٣٧ ب) لرئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى - حفظه الله - أن يعلم قضاة القضاة والمشايخ الذين أفتوا بينهم أن يحضروا مجلسه فى يوم السبت خامس عشريه ، فلما كان يوم السبت المذكور صعد قضاة القضاة الثلاثة ونوابهم - وكنت حاضرا - ومن نواب الحنابلة إثنان : الخطيب الحنبلى والسعدى ، والشيخ أمين الدين الأقصرائى والشيخ قاسم وأتباعهم وجلسوا بالحوش السلطانى

بالمصطبة التى أنشأها فى آخر الحوش تحت المكان المقيم فيه الخليفة الذى كان سكن المنصور بن الظاهر جقمق والمؤيد بن الأشرف إينال ، وجلس الشيخ أمين الدين تحت المالكى والشيخ قاسم تحته ، ومن يسار السلطان القاضى الحنفى وتحته الشيخ بدر الدين ابن القطان ، وتحته الخطيب الحنبلى والشيخ خير الدين الشنشى وبقية الناس خلفهم ، وامتلأت المصطبة من القضاة ونوابهم والفقهاء خصوصاً جماعة الشيخ أمين الدين ، وأبطأ الشيخ محيى الدين الكافيجى وطال انتظاره فجهز له السلطان قاصداً ، وسأل السلطان من الحاضرين عن فتواهم فقالوا : « الحق معنا ونحن أفتينا بالمذهب » وصار أتباعهم يقولون : « الكافيجى غلب هرب » . ثم إن الشيخ بدر الدين بن القطان تكلم مع السلطان أنه يدرس بالخروبية بمصر ، وأن بها جماعة لم يحضروا ، وأن المتحصل بها ما بقى الثلث وأن الجابى عجز مما يشتكى بالنقباء والجلبية ، والمسئول من الصدقات الشريفة بروز المرسوم الشريف للقاضى كاتب السر حفظه الله بكتابة مرسوم للجابى أن لا يطالب إلا من الشرع الشريف ، فرسم له بذلك ؛ ثم سأل السلطان ـ نصره الله ـ من الشيخ بدر الدين بن القطان مَن هو الناظر على هذه المدرسة فقال : « القاضى الشافعى » ، فالتفت السلطان إليه وقال له : « أخربت الأوقاف » مرتين ، فصار الشافعى فى هيئة الأموات ، ثم أنه باس يد السلطان ، وسأله أن يخرج الأوقاف عنه ويصير القضاء معه بلا أوقاف ، فقال له : « أنت عاجز » فحاق عنه المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر ـ عظم الله شأنه ـ وصار يتلطف بالسلطان ويقول : « يامولانا السلطان ، من مائتى سنة ما رآى (١٣٨ ا) المسلمون سلطاناً مثلك » فسكن غضب السلطان . وبينما هم فى ذلك حضر شيخ الشيوخ محيى الدين الكافيجى ومعه نحو ستة نفر فى خدمته من طلبته ، وهم العماد الكردى والقاضى شرف الدين يحيى الدميسى الشافعى وغيرهما ، فلاقاه الدوادار الثانى ـ حفظه الله وعضده ـ وصار حامله من إبطه حتى وصل به

إلى السلطان ، فقام له المجلس بتمامه واعتنقه السلطان وأكرمه ، فجلس تحت قاضى الحنفية المحب ابن الشحنة فسأله السلطان : « أنت أفتيت فى الإدخال أو فى الإخراج » ؟ فقال « لا وإنما سئلت عن لفظ من وكلما ، فأفتيت بأنهما عام » .

فقال جماعة الشيخ أمين الدين الاقصرائى : « مرحبا بالوفاق ، اقرؤا الفاتحة وانصرفوا » ، فقال السلطان نصره الله : « إلى أين تذهبوا » ؟ ثم التفت إلى الشيخ محيى الدين وسأله : « قولك هذا عام : أولاد إينال يجوز إدخالهم وإخراج غيرهم » ؟ فقال : « نعم » ، فالتفت إلى الشيخ أمين الدين وقال : « لو أقمتم إلى المغرب ما فارقتكم . إيش الجواب عن ذلك ؟ »

فقال الشيخ قاسم وغيره من الحاضرين : « هذا خاص بأهل المدرسة » ، فالتفت الشيخ محيى الدين وقال للسلطان وللدويدار ولقاضى القضاة الحنفى : « هذا الرجل — يعنى قاسم الحنفى — لا يعرف النحو ولا اللغة ولا الأصول ولا الفقه ، وإنما يعرف الجهل ، وهو محجور عليه فى الفتوى لأنه يأخذ عليها رشوة ، وهذا يسمى مفتى ماجن وقد ألفت هذا الكتاب » — وأخرج كتابا فيما كان وقع بينه وبين الشيخ قاسم من الكلام قبل هذا وأعطاه للدويدار ، فأخذه الدويدار فدفعه للشيخ قاسم فقال : « أنا ما قصدته بشىء » فأحضر كتاب الوقف وقرأه للمقر الزينى ابن مزهر حفظه الله بين يدى السلطان ومضمونه بالمعنى : أن السلطان الظاهر جقمق وقف على مدرسة إينال وقفا ، وجعل النظر فيه لابن إينال ، وجعل له أن يدخل من شاء ويخرج من شاء كلما بدى له ، فقال السلطان : « هذا كتاب الوقف إيش جوابكم عن ذلك ؟ » ، فقال الشيخ محيى الدين للشيخ أمين الدين : « أنت رجل مفتى وعالم (١٣٨ب) ، وأبو حنيفة — رضى الله عنه — وأبو يوسف كانا يتناظران فى المسألة الواحدة كم مرة ، فلا أنت أبو حنيفة ولا أنا أبو يوسف ، وهذا المقام من أى العموم ؟ من

عموم الأفعال ولا من عموم الأوقات ولا من عموم الأقوال ؟ » فقال : « هذا من عموم الأوقات» فتبسم الشيخ محيي الدين الكافيجي وقال : « هكذا العلم !! هذا من عموم الأفعال » فقال : « أنا ما قلت إلا من عموم الأفعال » فقال : «السلطان سمع والحاضرون »، ثم قال له : « هذا التخصيص الذى تدعونه من أى تخصيص ؟» فأجاب بشيء ،فقال :«هذا تقييد وفرق بين التقييد والتخصيص» ، واستمر البحث بينهم فى ذلك ، فانتقلوا أعنى الشيخ أمين الدين والشيخ قاسم إلى أن قالوا إن السلطان إذا وقف وقفاً من أراضى بيت المال لا يجوز له فيه شرط ولا زيادة ولا نقصان ولا إدخال ولا إخراج ، فقال الشيخ محيي الدين : « هذا القول بخلاف ما تقول » وأخرج كتاباً فقرأه المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ، فقال الشيخ قاسم : «النقل بخلاف ذلك ، وهو فى قاضى خان» ، فقال قاضى القضاة الحنفى :« قاضى خان طالعته وليس فيه ذكر شرط ولا زيادة » قالوا « مفهومه » قال الشيخ محيي الدين : « المفهوم عندنا ليس بحجة » فقالوا له : « مفهوم الدليل لا مفهوم الكتاب» فقال لهم:«هذا محكم» ، ثم قال الشيخ محيي الدين : «هذا الوقف محكوم به ، والقاضى إذا حكم عندنا فى شىء — ولو كان زوراً — ينفذ ظاهراً وباطناً » فثار عليه — أعنى على الشيخ محيي الدين — جماعة الشيخ أمين الدين مثل الشيخ صلاح الدين الطرابلسى وغيره ، وصار الشيخ قاسم يقول له : « أنت ما تعرف هذه المسألة فى كتاب بل ولا وقفت عليها » ، وصار علاء الدين المنوفى — نائب الحنفى — راكباً على كتفى الشيخ أمين الدين والشيخ قاسم وهو من خلفهما يكلم الشيخ محيي الدين بما لا يليق ، ومن جملة قوله : « إيش هذا الخباط ؟ » وهو خلف الحلقة وينادى بأعلا صوته(١١٣٩) : «ياقاضى كاتب السر اسمع لى كلمتين» ، ويقول لدوادار السلطان أيضاً كما يقول لكاتب السر ،

فما وسع كل منهما إلا ترك خطابه إلى أن قال له السلطان نصره الله : «اسكت» فصار يقول : « والله لولا أن السلطان قال لى اسكت ما سكت » .

هذا مع أن السلطان قال لصلاح الدين ولغيره : اسكتوا ، ومع هذا لجماعة الشيخ أمين الدين يطلقون ألسنتهم فى الميمونى ويقولون له : « قم ياصبى النحس عن كتف الشيخ » ، واستمر البحث بينهم والكل يساعدون الشيخ أمين الدين بالألفاظ الخارجة عن البحث خلا قاضى القضاة محب الدين والشيخ بدر الدين بن القطان .

وقام السلطان من المجلس ورسم لهم أن لا يتوجهوا من المجلس حتى ينهو هذه القضية ، فقام الشيخ أمين الدين والشيخ قاسم ليقضيا حاجتهما ، فانتدب الشيخ عثمان المقسى وسأل من خلف الحلقة من قاضى القضاة الحنفى عمّا ماقاله المشايخ من أن السلطان إذا أقطع أرضا من بيت المال هل له زيادة ونقص وإدخال وإخراج أم لا ؟ فأمره القاضى الحنفى بالدخول إلى وسط الحلقة فجلس والسلطان غائب ، وجلس بجانب المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله والأمير الدوادار الثانى وصار يعلى صوته بأن كلام الشيخ فى العموم لا منازع فيه وإن صح ، كلامهما ، أعنى الفريق فطاح ذلك . ثم حضر السلطان وطال النزاع فبعد ذلك سئل القاضى الحنفى عن هذه القضية « الحق فيها مع من ؟ » فقال : « مع الشيخ محيى الدين ولو كان الظاهر حقاً » ورآى أن إبنال أخرج وقفه فضربه وأدبه ، ثم قيل لقاضى الحنفية : « أنت إمام المذهب ، أحكم فى هذه القضية » ، فقال : « إذا أفتى المفتيان ليس للقاضى أن يحكم حتى يتبين له الراجح من المرجوح » ، ثم إن القاضى المالكى قال : « إذا اختلف الأمر [عن] مذهبنا فالسلطان يقضى فى القضية » ، فحولها القاضى الحنفى للمالكى فنفر منها . ثم إن القاضى الحنفى قال : « للصلحة (١٣٩ ب) أو ما يشبه ذلك .

فى المصلحة » ، فقال الشيخ أمين الدين مجيباً له : « هذه دورتكم » فقال له القاضى الحنفى : « والله وتالله وبالله ما هو صحيح منك ، ولا لى فى هذا دورة ولاغرض » فأمّن الحاضرون على صدق مقالة القاضى ، ثم التفت القاضى الحنفى له وقال : « هذه فتاوى بخطك إحداها فيهاجواز الإدخال والإخراج ، والأخرى بخلافها » فأمره السلطان بقراءتهما فقرأهما القاضى الحنفى فاشتد الأمر ، ثم سأل السلطان عن أهل المدرسة كم أخرج عنهم ، فقيل له عشرة آلاف درهم فى كل سنة ، وسأل عن الذى أوقفه السلطان :أهو على أهل المدرسة بعينهم أم على قوم غيرهم يحضرون ؟ فقال : « بل عليهم وغالبهم لا يحضر » ، وقال الجلالى : « المتكلم على المدرسة يتكلم » فقال له السلطان : « أنت مرافع ». وآخر ذلك رسم السلطان أن يشترى للمدرسة من ماله رزقا يعمل عشرة آلاف درهم فى كل سنة ويوقفه عليهم عوضاً عن ما أخرجه ابن إينال لأولاده ، فقال : « بل يكون ذلك لأولاد ابن إينال » فغضبَ السلطان من ذلك وقال : « أناما أحب تعصُّب » ، فقال القاضى الحنفى : « يُعمل الذى قال السلطان ويعذروا ويحكم به ويلتزموا » ، وانفض الأمر على ذلك ودعوا وانصرفوا ؛ فسلَم الشيخ محيي الدين أولا وانصرف ، ثم سلم الجماعة كلهم حتى الجلالى ؛ فلكمه السلطان فى رأسه وقال له : « أنت ما تخرج زكاة » وانصرفوا ، فبينما هم فى أثناء الطريق وإذا بالعلاء الميمونى قام يتكلم بمخباطه بين يدى القاضى الحنفى فقال له : « ياقليل الحيا ، ما يكفيك ما فعلت مع الشيخ محيي الدين فى مجلس السلطان ؟ » قال : « فغيرى ما تكلم » ، قال : « غيرك أقل أدباً منك ، تنادى القاضى كاتب السر فى مجلس السلطان ليساعدك على الكافيجى ؟ ».

• • •

يذكر عن الشيخ شمس الدين الشروانى العالم الزاهد أنه من أربعين سنة رآى الكافيجى ببلاد الروم يقرىء «الكشاف» وحلقته فيها من العلماء خلق.

لا يحصون . وأمثال ذلك من (١١٤٠) محاسنه ، واستمر الميمونى فى عياط وسباط وخفة وهو راكب على ظهر فرسه إلى أن وصل إلى باب الوزير فأمره القاضى بنزوله من ظهر فرسه تحت بيت الشيخ أمين الدين الأقصرائى ، فأنزلوه ثم شفع فيه فأطلق .

ولعمرى هذا الميمونى عديم التدبير فإن كلا الفريقين غير راض عنه ، وأسمعوه ما يكره ، ثم أذكر فى جنونه أنه تقدم له واقعة سقناها قبل هذا من أشهر مع القاضى كاتب السر فى حكم حكمه ثم رجع عنه ، وشكى إلى السلطان فدفعه إلى القاضى كاتب السر فسأله عن البينة لينظر فيهم فأجاب بجواب خشن ، فأمر بإحضار العصى فشفع فيه الحاضرون فأمر به إلى السجن فتوجهوا به ، ثم تدخلوا عليه حفظه الله حتى أطلقه ، وأمثال ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وخرج وظائف قاضى القضاة عز الدين الحنبلى بعد بعد موته التى هى غير مضمونة لوظيفة القضاء لجماعة . فالأشرفية خرجت لابن الشيشيني ، والشيخونية باسم السعدى ، والمؤيدية باسم الشيخ جمال الدين يوسف بن قاضى القضاة محب الدين نصر الله البغدادى ، وقبة جامع الصالح والأطلاب باسم ولد بنته ، ووالده ابن هشام هو المتكلم عليه .

يوم الاربعاء تاسع عشريه ركب السلطان على عادته وتوجه إلى الخانكاه وقد قدمنا فى غير موضع من هذا الكتاب أن نحن لسنا بصدد ضبط ركوبه فإنه تزايد جداً .

وفيه[1] رأوا الهلال وقوسه أربع عشرة درجة وخمسا وأربعين دقيقة ونوره

---

(١) فى الأصل « تراوا . . . . أربعة عشرة » .

إصبع ونصف ، وثبت على القاضى محب الدين أخى قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى .

﴿ شهر جمادى الآخر ﴾

أهلّ بيوم الخميس(١) لأن الذى قبله جاء ناقصاً ويوافقه من أيام الشهور القبطية سابع عشر هاتور القبطى .

فيه صعد قضاة القضاة خلا الحنبلى — لوفاته — لتهنئة السلطان بالشهر وهنوه بالمصطبة التى استجدها بآخر الحوش ودعوا وانصرفوا .

يوم الجمعة لبس السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى [١٤٠ ب] عز نصره الصوف المعد لبسه للشتاء ، وكان لبسه فى هذه السنة سابقاً على العام الماضى بقليل ، وخلع على الأمراء على العادة .

وفيه توجه القاضى الحنفى المحب ابن الشحنة لملاقاة ولده القاضى سرى الدين عبد البر من سفرته لحلب فحضر فى يوم السبت ثالثه ودخل الخانكاه فى موكب من نواب أبيه وجماعتهم ، ووالده راكب معه فأقام بالمدرسة الأشرفية يوم السبت ورحل منها أول الصبح ، وكانت غيبته سبعة شهور وأياماً فكانت على والده قدر سبعين عاماً ، فإنه عبارة عن أبيه فى القضاء من جهة العبانين(٢) وتنفيذ الأمور وقضاء الحوائج ، وحصل للشريف الوفائى المبين لعمل الاستبدالات والحوى نقيب الجوهرى ابتهاج وسرور زائد به ، ولاقوه فى بلبيس وصحبتهم صهره الذى عمله نائب ابن ظهير ، ولاقاه جماعة من الرؤساء منهم الأمير يحيى

---

(١) فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٨ ، يوم الجمعة ويوافقه ١٨ هاتور ١١٨٧ ، و ٩٥ نوفبر ١٤٧١ .

(٢) كلمة لم نستطع قراءتها .

ابن الأمير يشبك الفقيه والأمير فارس المحمدى الذى كان ولى الوزارة والقضاء، وحضر له قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى إلى الخانكاه وبات عنده وحضر معه إلى بيت والده ، فهرع الناس للسلام عليه ومنهم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله والمقر الشرفى الأنصارى والمقر الكمالى ناظر الجيش وأخوه والمقر التاجى ابن المقصى ناظر الخاص والمقر الشرفى ابن غريب والأمير تنبك قرا الدوادار الثانى والأمير جانبك حبيب أميرآخور ثانى ومن يشابههم ويماثلهم ، واستمر الناس يردون لهم أفواجاً أفواجا ، وتوجه لهم الشيخ محيي الدين الكافيجى وعمل مَدة عظيمة وأكلنا منها ،وتوجهنا .

يوم الاثنين خامسه صعد القاضى عبد البر بن الشحنة إلى السلطان وقبّل يديه فأكرمه وأرسل يسلم على والده ونزل إلى بيته وقد ركب معه بعض نواب الحنفية فى خدمته ولم يلبس خلعة وكان فى لبسه ،إلى أن حضر إليهم رئيس الدنيا ابن مزهر للسلام عليهم وصحبته الشرفى الأنصارى وأراد الانصراف وقام القاضى ليسلم عليهم فأخبروه أن السلطان (١١٤١) عزل الشريف الوفائى — الملقب « بِدَمّوع » — من الحكم والقضاء ولذلك أسباب منها أن الشيخ شمس الدين الأمشاطى الحنفى له مدة يسعى فى ذلك ووجد له فرصة ، وقد تكلم الناس فيه وفى عبد البر قاطبة بما تمجه النفوس مما يصدر منها ، وبلغ ذلك مولانا الإمام الأعظم نصره الله وأنه يتعاطى كذا وكذا ، ومنها أن العلائى سيدى على بن خاص بك أعزه الله أخبروه عن الشريف أنهم وجدوا غلمانه وشهوده عند زوجة شخصٍ من غلمانه وأخبروه أنه يجلس فى بين القصرين فى محل الحكم وهو غائب الذهن ، فطلبه وهدده فَيمْكِن[1] أنه أعلم السلطان به ،

---

(١) آثرنا ضبطها بهذه الصورة لتتفق مع عبارة المؤلف شبه العامية .

ومنها أن العلاء الميمونى لما عزله القاضى الحنفى فى واقعة الشيخ أمين الدين والشيخ محيي الدين سعى عند الأكابر وأعيان الدولة إن السلطان يوليه فامتنع من ذلك وقال : « أستاذه يوليه » فتكلموا فى الشريف وأفعاله .

وأما قضيته مع الشيخ شمس الدين الأمشاطى فهو — أعنى الشريف — ظالم عليه لأن ابن زوجته توفى وكان شابا رجلا نائبا فى الحكم الحنفى ومجلسه بالصالحية، وقد أسف عليه فإنه كان عنده كولده وكذلك والدته فأخذ مجلساً بالصالحية وجلس بالإيوان وصار لايحتشم معه ويتكلم مالاينبغى ، ثم أخذ له دكة عظيمة وضعها بدهليز الصالحية وصار يجتمع فيها بجماعة من شهوده وخدمه[1] وصبيانه وإذا مر عليه لايقف له وقال له الشيخ : « هذه الدكة جلوسها بدعة فى هذا المكان لأن الواقف ماجعلها » ، فأجابه : « وإن الواقف ما أمرك أن تجعل لك دِكَكاً داخل المدرسة » وتكلم الشيخ شمس الدين مع الأمير تنبك الدوادار فى أمره ، وهذا ماوصل إلى علمى ، مع أن الشريف المذكور كريم النفس وعنده ذكاء لكنه جميع مايحصله يضيعه فى وقته وزيادة عليه ، وعليه مرتبات لعبد البر وجماعته ولأجل هــذا [فإن] عبد البر مايعين الاستبدالات والأشغال الهائلة إلا عليه .

يوم الثلاثاء سادسه ركب السلطان بعد العشاء بخمسين درجة وتوجه لبركة الجب ورمى الرماية فتوجه معه الأمير (١٤١ ب) الكبير وغيره من الأمراء الألوف ، خلا أمير آخور فإنه مقيم بالاصطبل السلطانى ، واصطاد السلطان ثلاث كراكى وبلشون ورجع فدخل القاهرة من باب النصر فى موكب عظيم جسيم هائل ملوكى بالقماش والشاش ، والأمراء الألوف بكوامل سمور بعقالب سمور ، والسلطان

---

(١) فى الأصل « خدمته » .

نصره الله راكب وبين يديه البزادرة والخيول الجنائب والطبر دارية والأوزان والشبابة السلطانية والجاويشية والوالى ونقيب الجيش والدوادار الثانى والأمراء العشرات والطبلخانات والمحتسب، والخاسكية مشاة فى الخدمة الشريفة من باب النصر إلى القلعة، وقدمت له عدة قصص فرسم بأخذهم[1] لينظر فألهمه الله العدل فى أقواله وأفعاله، وركب المباشرون وأرباب الدولة ورؤس النوب وغالب مماليكه المشتروات ومقدم المماليك ورأس نوبة النوبة الكبير، وكان له مهابة زائدة وأبهة عظيمة. وتصدق السلطان نصره الله بصدقات كثيرة، فنصره الله وأيد به الدين وخلد ملكه أبد الآبدين، آمين.

ومما لا يستغنى عنه وينبغى تدوينه ما أخبرنى به رفيقنا وصاحبنا القاضى محيى الدين البدماصى قاضى بولاق عن صهره الشيخ الإمام البرهان الكركى إمام مولانا السلطان أن الأتابكى أزبك من ططخ أخبره[2] شخص من الصلحاء أن سواراً مقبوض عليه فى هذه الأشهر، وأنه انكسر وأن العسكر انتصر عليه، فاللهم حقق ذلك بمحمد وآله.

وفى هذه الأيام وصل قاصد سلطان الهند المسمى غياث الدين، وصاحب الهند هذا تولى عن السلطان خلج الدين وحضر صحبته بهدية سنية للخليفة والسلطان وكتب تتضمن الدعاء والمحبة ويريد تقليد الخليفة له ما وليه، فإن العادة إذا تسلطن سلطان بتلك البلاد يجهز هدية ويسأل أميرَ المؤمنين أن يرسل له خلعته ويوليه على عادة من تقدمه.

وفى ثامنه أو تاسعه وقف للسلطان تجار سوق الأخفاف وكانوا قدموا له قصة وهو طالع القلعة من الرماية مضمونها أن [١٤٢ ا] الوزير استجد عليهم

---

(١) هكذا فى الأصل وقد أبقينا الضمائر هنا على ماهى عليه.

(٢) فى الأصل « أخبره أن شخصا من الصلحاء أخبره أن سوار ».

مظلمة ، وهو أنه كان عليهم فى كل شهر أربعمائة درهم فلوسا فصار يأخذها ثلاثة آلاف ، فرسم السلطان نصره الله لابن غريب أن يجريهم على عادتهم ، فتوجهوا إليه فما وافق لكنه جعلها ألف درهم وخمسمائة درهم ، فوقفوا له ثالثا فأبطل مكس الأخفاف مطلقا ، فالله ينصره ويحفظه ويخذل أعداءه ، آمين .

يوم الاثنين ثانى عشره وقعت بطاقة من قطيا مضمونها أن قاصد الدوادار حضر ببشارة خير وفى أثرها حضر هجان المقر الأشرف العالى السيفى يشبك عظيم الدنيا أمير دوادار كبير وباش العسكر وعلى يده كتاب للسلطان ، فأخذه الدوادار الثانى ودفعه لرئيس الدنيا ابن مزهر كاتب السر فقرأه على السلطان والدوادار يسمع فوجدوه يخبر بكل خير ، وكانت قراءة الكتاب سراً فأمر السلطان — نصره الله — المقرّ الأشرف الكريم الزينى ابن مزهر بقراءته جهراً على العسكر فامتثل ذلك .

ومضمونه على ما خبرنى به من لفظه المقر الزينى المذكور حفظه الله على المسلمين بعد البسملة والدعاء والثناء « إنى أردت التوجه من المكان الذى أنا به إلى غيره فما واتفق أحد من العسكر ، فقلت أستخير الله وأستعين به وبنبيه وما أرجع عن طابى ، وسرت فتبعونى إلى أن وصلت بالقرب من نهر جيحون فجهزت المقر الأشرف الكريم العالى السيفى إينال الأشقر أمير رأس نوبة النوب وصحبته عدة من الأمراء الشاميين وغيرهم من المشاة وهم بطبول وزمور وسلاح وشطفة ونفوط وما أشبه ذلك ليحاصروا ويقاتلوا من وجدوه ، ثم أردفتهم بالأمير دولات باى سلاق وصحبته عدة من المماليك السلطانية والأمراء العشرات وصحبته طبلخاناة ونفط وزمور وشطفة ، وتوجه من ذكر إلى أدنة ثم أعقبهم أيضاً بالأمير جانم الزردكاش فى عدة من المماليك السلطانية والأمراء

من المشرات والطبلخانات وصحبته مكحلة صنعها بمدينة إياس ، فلما رآى[1] أهل أدنة ما حل بهم أرسلوا يعلمون شاه سوار — خذله الله وأذله — وصار الباش المذكور — نصره الله — يعدم بغالب ما عنده من العسكر (١٤٢ ب)، وعند الأمير المذكور — وقاه الله كل محذور — كشافة يكشفون له خبر شاه سوار ، فأعلموه أنه قريب من وطاقه وأنه فى عسكر يسير .

«فركب — نصره الله — فى عدد قليل ومشى هيناً فلاح له عسكر شاه سوار عند نهر جيحون فبادر المماليك السلطانية للهجم عليهم والوقيعة فيهم فمنعهم من ذلك ورمى عليهم بالنشاب حتى رجعوا وأفهمهم أنه فر منهم خائفاً فتبعوه واستمروا فى أثره حتى يتكامل العسكر وأقام بعضه وهو الكفيلى برقوق نائب الشام على ما قيل لى عند الوطاق والباقون فى خدمة الدوادار وتلاقوا مع عسكر سوار ، فما كان إلا مقدار عشر درج - وللمبالغة - أو شربة ماء حتى انكسر عسكر شاه سوار وركب العسكر أقفيتهم فقتلوا منهم خمسمائة نفس وأسروا منهم ثلاثمائة نفر ، وما صدهم عن قتلهم أجمع إلا دخول الليل ، ومات من المماليك السلطانية إثنان وغرق واحد وجرح الأمير تمراز الشمسى أحد المقدمين الألوف بسهم فى رجله إلا أنها سالمة ، وقاتلوا إخوة شاه سوار قتال الموت وبيضوا وجوههم وأخبروا أن الأمير الباش — عز نصره — أرسل خادَعَ أخا شاه سوار حتى حضر إليه ، فخلع عليه وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش وأنعم عليه بخمسمائة دينار ، وفعل بأخيه الآخر كذلك، وإنا نحن جهزنا هذه المكاتبة فى ليلة التاسع والعشرين من جمادى الأولى وغد ريحه ينظر فى بقية القتلى فى المعركة ويتتبع آثار العدو المخذول » .

وذكر عظيم الدنيا — نصره الله — الذى هو الدوادار الكبير سهل الله

---

(١) فى الأصل « رأوا ... يعلموا »

له كل عسير عن العربان الذين سافروا فى خدمته أنهم قاتلوا أحسن عراكا من قتال التركان فإنهم مالهم منعة ولا قوة سوى أن ولوا الأدبار ، فخلع السلطان على المجان — الذى هو القاصد — كاملية سمور وخلع عليه بقية الأمراء وأرباب الدولة وعظاؤها وحصل بذلك غاية السرور للسلمين والمسئول من كرم الله تعالى القبض عليه بعد ذلك ودخوله إلى القاهرة (١١٤٣) كما وقع فى زمن الأشرف برسباى رحمه الله لما ملكوا قبرص ودخلوا ملكها وما ذلك على الله بعزيز .

وظهرت كرامة الشيخ الصالح الذى أخبر المقر الأتابكى فى ثامن عشرى جمادى الأول أن شاه سوار المخذول انكسر وسيقبض عليه وأخبر السلطان بذلك حتى إن السلطان أخبر كاتم سره بها حفظه الله فأرخها .

وأخبرنى إمام مدرسة الأشرف برسباى بالعنبريين إنه كان فى صلاة الصبح فى المدرسة المذكورة ثامن عشرى شهر تاريخه وإذا بشخص دخل المدرسة وصاح بأعلى صوته: «سوار انكسر» ولما سَلَّمْتُ سألتُ من الحاضرين: «سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا «سمعنا ورأينا هيئة صوفى أو ما أشبه ذلك وانصرف» .

وفى ثالث عشره عزل قانصوه الجمالى عن كشف الجسور والدم بالشرقية واستقر تغرى بردى الذى كان دوادار الصاحب علاء الدين بن الأنباسى عوضه ووزن ألف دينار وقرر عليه مالاً يقوم به لديوان المفرد السلطانى، ووقع فى أمسه أو فى الذى قبله أن أبا السعادات البلقينى الذى تولى قضاء الشافعية بالديار المصرية بعد صلاح الدين المكينى فى دولة الظاهر خشقدم شكته زوجته وبنت عمه بنت البلقينى التى كانت زوجاً للخليفة المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ـ دام شرفه ـ للسلطان بإغراء أخيها صلاح الدين المذكور ، فأرسل إليه الأمير ناصر الدين ابن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة رأس نوبته وأربع نقباء صحبة

عبدِ زوجة القاضى صلاح الدين المذكور بغير إذن السلطان ، فلا جزاه الله خيراً ، وتوجهوا إلى منزله بحارة بهاء الدين وأرعبوه وذهبوا به إلى بيت نقيب الجيش وهم حوله ، حتى إنه أراد التوجه لبيت المقر الأشرف الزينى ابن مزهر حفظه الله فما مكنوه ، وبلغ ذلك المقر الزينى المذكور فطلبه وطلب زوجته وسألها ما سبب ذلك فادعت أنها استدانت له مائتى دينار وخمسين[1] ديناراً ، وأنها كلما طالبته بذلك يأسى[2] عليها ولا يدفع لها شيئاً ، فرسم لهما أن يحضرا غداً تاريخه [١٤٣ ب] فى بيته ويحضر الشيخ جلال الدين ابن الأمانة ويقضى بينهما فى ذلك على الوجه الشرعى ، فانظر إلى إهانة القضاة والعلماء والأصلاء ، وانظر إلى النساء وكيدهن وانظر إلى حقارته ودناءة نفسه كيف أبقاها فى عصمته ، ماذاك إلا عدم عقل ، فالله المستعان .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره وقت الأذان ركب السلطان من قلعة الجبل وفى خدمته الأمراء الأكابر والأصاغر على العادة لرماية القُمّازة[3] وبيبت ليلة الخميس ويحضر فيه تقدمة ما جهز له من الأغنام والأوز والدجاج والحلوى والسكر والفواكه من المباشرين وأرباب الدولة .

وفى ليلة الخميس هذه التى هى الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وثمانى مائة خسف جرم جميع القمر من بعد عشاء الآخرة بأربعين درجة وقيل ثلاثين واستمر نحوا من ثلاثين درجة وعملوا[4] النسوة عادتهم القديمة القبيحة من ضربهم على الأوانى النحاس وهو محرم جميعه .

---

(١) فى الأصل « خمسون » .
(٢) لفظ مصرى دارج بمعنى « يقسو » .
(٣) هكذا مضبوطة فى الأصل .
(٤) هكذا جرت هذه العبارة فى الأصل .

يوم الخميس خامس عشره حضر السلطان من الرماية بعدما اصطاد عدة من الكراكى والبلشون وصعد إلى القلعة من ناحية الصليبة ، ولم يصح شىء مما قالوه[1] العوام من القبض على شاه سوار لكنه تفاءل ويكون ذلك قريباً ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

يوم السبت سابع عشر موصل قاصد من الأمير تمراز الشمسى وعليه مطالعته ومطالعة غيره من الأمراء المجردين للبلاد الشمالية ومتحصل مافى مطالعتهم بالمعنى « أن عظيم الدولة باش العسكر المقر الأشرف العالى السيفى أمير دوادار كبير وما مع ذلك سهل الله له كل عسير انتصر على شاه سوار وضرب رقاب نحو خسمائة نفر وأسر ثلاثمائة نفس ، وجهز قبل ذلك الأمير إينال الأشقر رأس نوبة النوب والأمير دولات باى سلاق والأمير جانم الزردكاش ومن معهم إلى حصار أدنة، واستمر الأمير يشبك المذكور على الخيول وأخذ معه عليق ثلاثة أيام وتبع شاه سوار ، وأن أدنة أخذت ووجد فيها من المعاملة مائة وخمسون مثقالا ، ومن إخوة سوار ثلاثة أنفار » ، وحصل بذلك السرور والابتهاج .

وفيه وقف [١١٤٤] جماعة من عوام المحلة للسلطان وشكوا له من ظلم ابن زوين الكاشف بها وتكلموا مالا يليق وطلب منهم بينة فأجابوا إن مالهم بينة ، فضربوا على أكتافهم وانصرفوا .

ليلة الثلاثاء العشرين منه ركب السلطان نصره الله من قلعة الجبل والباقى للأذان ستون درجة وتوجه لرماية بركة الجب والمعروفة أيضاً ببركة الحج على العادة ، وفى خدمته الأمراء الأكابر والأصاغر فاصطاد خمس كراكى وأنواعا من الطيور ودخل من باب النصر فى أبهة زائدة ، والطبر دارية حوله والبزادرة بين يديه والجاو يشية أمامه والجنائب السلطانية والشبابة والأوزان، ومشى الأمراء

(١) هكذا فى الأصل .

الذين لهم عادة - كالوالى ونقيب الجيش والمحتسب والعشرات وبعض طبلخانات والأمراء رؤوس النوب والحجاب - أمامه والمباشرون على عادتهم ، ودعى له الناس دعاء عظيما وابتهجوا به وقدّموا له القصص فمنها قصة تتعلق بالأطرون ، وقصة فى القاضى المقسى ادعى عليه شخص يسمى تقى الدين الطيورى الحلبى المشهور بخروف بمائة دينار عند قاضى الحنفية ابن الشحنة فاعتقله عليها وغير ذلك ، فأما الأطرون فله مدة ومحتال به السقايين بالقلعة الشريفة فى جوامكهم ويتعذر إزالته ، ووقفوا له قبل ذلك فأمر بضربهم وإخراجهم ، وأما المقسى فقال: «الشرع يعمل معه» وشاع وذاع وملأ الأسماع أن بطاقة قاصد القاضى ابن مفلح الذى طلب من دمشق وهو قاضى قضاتها ليستقر فى قضاء الديار المصرية أخبر عنه أنه ضعيف وعاجز عن الحركة والهرم وأنه لا طاقة له بذلك ، وأشيع حضور تاج الدين ابن شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة سعد الدين سعد بن الديرى الحنفى من القدس ليستقر فى وظيفة قضاء الحنفية بمال تقدم ذكره ، وبعيد أن وصل إلى مُنى وسَوّا عَلَىّ رحلتى ومقامى .

يوم الخميس ثانى عشريه دار المدراء يخبرون بوفاة ولد المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى أمير كبير وعمره سنتان أو دونهما ، وصلى السلطان عليه والأمراء وقضاة القضاة وكانت له جنازة حافلة وكيف لا وأبوه الأتابك ، وجده لأمه الظاهر جقمق ، ودفن بتربة جده المذكور ، وإلى الله ترجع الأمور .

[١٤٤ ب] يوم الخميس بل الأحد خامس عشريه وصل بطاقة الأمير قنباى صلاق من البلاد الشامية من قطيا قاصداً من عظيم الدنيا الدوادار الكبير عز نصره فاهتموا به وبعلا قاته ، ووصل ، القاهرة فى يوم الاثنين سادس عشره . وصعد القلعة وتمثل بين يدى السلطان فخلع عليه بعد أن قبل الأرض ويد السلطان وقرئت مطالعته ومضمونها بالمعنى أن بعض العسكر استمر فى طلب

شاه سوار المخذول إلى أن ظفروا بما يتعلق به من قماش وبرك وخيوله وأعوانه ، وصاروا فى قبضته . هذا بعد أن استكملنا أخذ القلاع التى كانت معه بأجمعها ، وقلعة سيس سلمت بالأمان ، وأما العساكر المصرية فالنادر منهم يقيم بحلب والباقون يريدون التوجه للديار المصرية » فما أعجب السلطانَ ذلك وكظمها وخلع عليه بقية الأمراء الأكابر والأماثل والمباشرون الخلع السنية بالطرز الزركش والسمور والمخمل وغير ذلك ، وبالغوا فى إكرامه لأنه من جهة السلطان وزوج قرابته .

واتفق أن المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر كاتب السر ورئيس الدنيا بل ذى الرئاستين لما حضر إليه قانباى المذكور أحضر له مأكولا ومشروبا ، وخلع عليه طرازاً زنته مائة مثقال وعشرون مثقالا ، ودفع له صرة فيها مائة دينار ، فأعجب السلطان ذلك وبالغ فى مدحه المقر الأشرف المذكور حتى قال له لما رآه : « بيّض الله وجهك » ؛ وفى الواقع فهو عمدة هذا الوجود بلغه الله المسؤل والمقصود ، فإنه محط رجال الملهوفين والقائم بحقوق المسلمين ، ومجمع العلماء والأدباء والمحققين وروح المسلمين وما بالك بالجسد إذا كان بلا روح ؟ فجزاه الله عن المسلمين خيراً . آمين .

يوم الثلاثاء سابع عشريه وقعت حادثة غريبة بحارة بهاء الدين قراقوش وهو أن بالقرب من دار شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر قاعة مظلمة طويلة ساكن فيها شخص حلبى أعزب غريب ، والقاعة ملك لشخص من أولاد عرب القديم ، فاستمال الحلبى امرأة من بنات الخطا وأمها ، ودفع لهما شقة حرير وذهب حضر بها إليه عجوز قوادة ، وعليهما أقمشة مزركشة وحرير وأساور ذهب وحلق (١١٤٥) ببلخش وفيروز ومرسلة ذهب بمسك وأمثال [ذلك] فأوسعهم شرابا من الخمر وصنع فيهم مالا يحل وخنقهم وأخذ ما عليهم وهرب وتركهم

فى القاعة المذكورة قتلى ، فاستمروا نحو ثمانية أيام فشاع وذاع نتنهم ، فهرع الناس إليهم فوجدوهم مخنوقين وآلات الخمر وبعضه باق والنسوة عرايا ، فركب الوالى ونائبه فدفنوهم ورسموا على من عرفوا قتلاهم ، وكذا قبضوا على صاحب الملك فأخذوا منه شيئاً من الحطام ، ثم أشيع بعد أيام من العوام أنهم قبضوا على جماعة يبيعون فى أعيان القتلى وما صح ذلك ، والله الولى والمالك .

يوم الاربعاء ثامن عشريه حضر ولد الناصرى نقيب الجيوش المنصورة ابن أبى الفرج إلى قضاة القضاة الشافعى والحنفى والمالكى خاصة فإن الحنبلى من حين توفى من حادى عشر جمادى الأولى إلى تاريخه و[لمنصب] شاغر ، وأخبرهم أن السلطان رسم للقضاة أن يحضروا بنوابهم بين يديه ليعرضهم . وسبب ذلك أن السلطان لما عزل الشريف كمال الدين عند حضور مخدومه القاضى عبد البر من البلاد الحلبية ، وكان الشريف لاقاه من قطيا وتكلموا فيهما عند السلطان ، ووجدوا القول مساغا فصالوا وطالوا ، فما هان عَزْلُ الشريف على بيت الشحنة ، فسعوا بكل طريق من الأمير تمر الحاجب ومن الأمير تنبك الدوادار الثانى ومن رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى فتكلموا مع السلطان مرتين أو ثلاثاً فما وافق على ذلك ، فألحوا عليه حتى أن الأمير تمر المذكور قبّل رِجْل السلطان فرسم بعوده فأرسل رأس نوبته لبيت القاضى الحنفى وكذا الأمير الدوادار الثانى، فتوجه القاضى عبدالبر بن الشحنة إلى بيت رئيس الدنيا ابن مزهر كاتب السر حفظه الله على المسلمين ، وأخبره بما أرسل به الأميران إلى والده من رضى السلطان على الشريف وعوده إلى الحكم والاستبدالات ، وسأله أن يسأل السلطان عن ذلك ، فطلع فى يوم الاربعاء ثامن عشريه فوجد السلطان منشرحا فتكلم معه فى ذلك فاحتد وتغير وقام وقعد وغضب،وطلب والى الشرطة وأمره أن ينادى فى البلد حسب المرسوم

الشريف : أن أحدا من القضاة لا يحكم حتى يصعد [١٤٥ ب] إلى السلطان ، فلا زال به المقر الأشرف المذكور حفظه الله على المسلمين إلى أن رسم لنقيب الجيش بما تقدم ذكره ، وبات قضاة القضاة ونوابهم من كل مذهب بكل شر وسوء ، فإن هذا عار عظيم وبهدلة زائدة وكسر قلوب لعباد الله المؤمنين ، ومعلوم ما يترتب عليه من قوله صلى الله عليه وسلم : «هدم الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من كسر قلب مؤمن » وما حصل للناس بواسطة عبد البر وصاحبه خير والله المستعان . وكانوا سبباً فى قطع أرزاق المسلمين الذين لا يقدرون على إظهار السؤال المستحق غالبهم لتعاطى البر والصلات ، والمسئول من وابل فيض دنيا الكريم الخلاق أن يحل هذه العقدة بالإطلاق وأن يستمروا على حالهم ببركة المصطفى المنزل عليه « ق » صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، وكم وقع مثل هذا فى القديم حتى أن بعض السلاطين - وأظنه الظاهر برقوق - رسم بعرض الشهود فضلا عن القضاة وما تم ذلك ، وكان فى دولة المؤيد شيخ والأشرف برسباى رسم السلطان لفضلة القضاة بتخفيف نوابهم ثم يتراجع الحال على ما كانوا عليه ، واتفق مرة فى دولة الأشرف برسباى - وكان شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله إذ ذاك قاضى القضاة - أنه رسم له بعدد مخصوص فصار يجعل لكل جماعة منهم أياما معلومة ليتساووا فى الأحكام ، وهذا من غاية الأحكام ، فرحمه الله تعالى على عدد الشهور والأيام والأعوام ، ونفعنا ببركته وأزال همنا وغمنا ، آمين آمين .

﴿ شهر رجب المفرد الأصم ﴾

أهل بيوم السبت الموافق له من أيام الشهور القبطية سادس عشر كيهك لأن جمادى الآخر جاء تماماً ، وحصل فى أمسه مطر عظيم وغيم مطبق .

فيه صعد قضاة القضاة الثلاثة — وهم القاضى ولى الدين الأسيوطى الشافعى

والقاضى محب الدين ابن الشحنة الحنفى والقاضى سراج الدين عمر بن حريز المالكى ونوابهم - وكنت فيهم - فإن القاضى عزالدين أحمد العسقلانى من حين وفاته من حادى عشر جمادى الأول سنة تاريخه والمنصب شاغر — إلى القلعة ليهنوا [١٤٦ ا] السلطان بالشهر على العادة : وجلسوا ينتظرون السلطان بالجامع هم ونوابهم ليعرضوهم عليه حسبما برز المرسوم الشريف وكان السلطان فى الحكم بالاصطبل وهو مبدء حكمه به ، واتفق أن القاضى فتح الدين السوهاجى رتب امرأة كانت عنده فى مخاصمة أن تقف للسلطان وتسأله أن تكون دعواها عنده ، فلما ذكرت ذلك له لم يتمالك نفسه من الغضب على المذكور وصار يعدد له مساوىء ، وطلبه فأخبر أنه هو وقضاة القضاة ونوابهم بالقلعة يحضرون بين يدى السلطان ، فلما فرغ من الحكومات وصعد إلى الحوش طلب قضاة القضاة ونوابهم فدخلوا وكاتبه معهم ، فأول ماعرض نواب الشافعية وهو جالس على الدكة بل المسطبة التى استجدها آخر الحوش ، ووقف بين يديه المقر الأشرف الكريم العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين ، والمقر الأشرف الكريم العالى السيفى تنبك قرا الإينالى الدوادار الثانى عظم الله شأنه ، وكان الشيخ أمين الدين الأقصرائى الحنفى وجماعته سبقوا القضاة فهنوا وانصرفوا ، ثم تبعهم الشيخ سراج الدين العبادى الشافعى ، وكان المذكور لما جلس مع قضاة القضاة فى الجامع بالقلعة ونوابهم ورآى ماهم فيه من الاضطراب والوجل بسبب عرض نوابهم قال لهم : « ليش ترضوا لأنفسكم ؟ » أو مامعناه فقال له القاضى الحنفى : « نحن الآن إذا تكلمنا بسببهم ننسب إلى مساعدتهم ، لكن أنت لست بصاحب وظيفة ، وأنت شيخ الشافعية وإذا تكلمت ما تُنْسب لشىء » فلما سبقهم وسلم على السلطان قال له : « أريد أن أتكلم بكلام على نوع الفضول ، إن رسم السلطان

تـكلمت به وهو نصح » فقال له : «تـكلم » فقال : « هذه الخرقة أعنى خرقة الفقهاء رفيعة » أو مامعناه . وحكى له أن ابن تقى الـكبير المالـكى نائب قاضى القضاة الأقفاصى كان له مجلس بالقرب من المشهد النفيسى [١٤٦ ب] فاتفق أن شيخنا مسك به لحماه وادعى عليه عنده بدعوى، فأرسل جقمق الدوادار الـكبير يطلبه منه فامتنع من إرساله وقال للذين حضروا يطلبوه : « ما المادة إلا أن القضاة يأخذون من أبواب السياسة ، انعكس الموضوع » فوقفوا قليلا ثم شاوروه على أخذ الغريم ثانيا فالتفت إليهم وسبهم ففروا من بين يديه إلى الأمير وأخبروه بصورة الحال ، فأرسل إلى القاضى عشر نقباء ليأخذوا الغريم منه ، فلما وصلوا إليه وعرف القاضى ماجاءوا فيه قال لهم : « من أراد أن تضرب عنقه بخيمة الغلمان فليبادر إليه أو يمسه بيده » فرجعوا القهقرى ، وبلغ ماقاله الأمير فأرسل عشرة مماليك صحبة العشر النقباء ، ووافق أن القاضى دخل بيته ليقضى ضرورة فأخذوا الخصم ،فلما بلغه ركب وتوجه لمستنيبه فعزل نفسه ، فسئل عن ذلك فأجاب بعد ألف جهد وحكى ما اتفق له ، فركب مستنيبه وتوجه صحبته إلى قاضى القضاة علاء الدين بن مغلى فحكوا له ما اتفق وقال له : « أنت صاحب السلطان وأنا مابقيت أعمل قاضياً » فطيّب خاطره وركب معه وتوجهوا إلى قاضى القضاة صدر الدين الأدمى الحنفى وحكوا له القصة فشق عليه إلى الغاية ، وركبوا وتوجهوا إلى القلعة فجلسوا على باب الستارة وأرسلوا أعلموا السلطان بحضورهم (وكان المؤيد شيخ رحمه الله) فبادر السلطان إليهم وسألهم عن حضورهم فى غير عادتهم وماحاجتهم فذكروا له القصة مفصلة ، فأرسل فى الحال قاصداً من غلمانه يسمى جقمق وكان غلاما لجقمق الدويدار المذكور وهو يبغضهم، فأمره بإحضاره فى أسرع وقت على الهيئة التى يكون عليها من غير أن يمكنه بتغيير شىء من ملبوسه ، فلما رآه جقمق الدوادار فهم منه الشر وقال: « ما الخبر ؟ » فأعلمه « أن قضاة القضاة

صمدوا للسلطان وتكلموا عنك بكذا وكذا فأمر بطلبك » فعند ذلك طلب قماشه ليلبسه فقال له: « ما معى دستور أنك تلبس غير [١٤٧ ا] الذى عليك» فامتثل وركب خلف إنسان على بغلة وصعد إلى أن صار بين يدى السلطان فأراد تقبيل يده فأعرض عنه، ثم التفت إليه وقال له: «أنت فعلت كذا وكذا » فأجاب بنعم، فأمر أن يعمل معه الشرع، فادعى عليه ابن تقى بما وقع عند الشافعى أو الحنفى، فأجاب فحكم بتعزيره ونفذ الباقون فقال ابن تقى: « لا أعزره إلا فى مجلس » فقال: «افعلوا » ونزلوا به وعزروه وأودعوه مكانا لا يذكر. هذا خطاب الشيخ سراج الدين العبادى للسلطان أو ما معناه، فإنه أخبرنى بذلك من لفظه فقال له السلطان: « ياشيخ سراج الدين أنا [ما] بهدلت الشرع والقضاة، وإنما أريد أن يكونوا على الأوضاع » وحنق السلطان من هذه الكلمات فصار المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله وأطال بقاءه، يخفض على السلطان ويرضيه ويريضه ويبسط له العذر ويصوب أقواله وأفعاله.

ثم إن الشيخ سراج الدين ختم مجلسه مع السلطان بأن قال: « يامولانا السلطان: إن الناس من باب المدرج إلى آخر باب النصر اجتمعوا لينظروا ما يفعل بالقضاة ومن ينزل منهم مجبور ومن ينزل منهم مكسور »، ودعى له وانصرف، فجازاه الله خيرا عن المسلمين. آمين.

ثم إن رئيس الزمان وعين الأعيان ذا الرياستين الذى اشتهر بالخير فى أفعاله وأقواله المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف ستره الله فى الدنيا والآخرة صار يطلب الناس واحداً بعد واحد إلى أن وصل إلى القاضى فتح الدين السوهاجى، فبمجرد سماع السلطان نصره الله اسمه شاط وعاط وقال له: « أنت تعمل الحر عبدا والمسلم كافرا والحق باطلا!! » ولم يزل المقر الزينى يتلطف

به حتى قرره على عادته، وكذا لما دعى أبو بكر الأبشيهى الشافعى الحاكم عند مدرسة جانبك الدوادار الأشرف برسباى حنق عليه وغضب منه وصار يذكر عنه أموراً، كل ذلك وهو [١٤٧ ب] ينشد فى بيتين أولها :

لا تكسرن قلوباً قد أتيت بها
وقابلنّها بحسن العفو والرحب
وعُمّ بالخير من قد جاء منكسراً
وبالخصوص إذا ما كنتَ فى رجب

ثم وصلوا إلى استدعاء ابن الشيخ محيى الدين الطوخى فقال السلطان : « إيش[1] معنى القضاة الكبار مثل الطوخى وأمثاله، ما تولُوم ؟ » وانتهى أمر الشافعية بمساعدة المقر الزينى ابن مزهر إلى هذا .

ثم استدعى المقر الزينى المذكور — زينه الله بالوقار والبهاء والفخار — نواب الحنفية إلى أن وصلوا إلى ابن إمام الشيخونية أمام الأمير آخور الكبير فلما رآه السلطان ابتدره وقال له : « أنت تعرف الحكم الذى حكمت فيه ؟ » وصار يهدده ويوبخه ويقول له : « ابنك قاضى » فما ساعه إلا الإنكار بأنه ليس بقاض حتى سكت، ثم استدعى بكمال الدين بن الطرابلسى فبمجرد ما وقع بصره عليه سبه وذكر أبوه، وذكر زين الدين الأستادار ومنصور، وقال للقاضى الحنفى : « من عمل هذا قاضى ؟ » فأجاب بأنه قاضى من أيام ابن الديرى . هذا مع أن كل من يقدم للسلطان من نواب الحنفية ويدعى باسمه يسبق قاضى القضاة الحنفى ويقولُ للسلطان « هذا من جهة فلان » .

ثم طلب الطولونى السمين الذى يجلس بحانوت مجاور لبيت الشيخ خير الدين السنى الذى كان فى خدمة خير بك الدوادار الظاهرى خشقدم ،

---

(١) لعلها « ايس معنا »

فحين رآه سبه وعزله صريحاً ، وقال للقاضي الحنفي : « من عمل هذا قاضياً ؟ » فقال له : « خير بك الدوادار » ، ثم طلب ابن ظهير ، فلما رآه قال له : « أنت مباشر لص حرامي ، من عملك قاضيا ؟ » ، ثم التفت إلى مستنيبه وقال له : « هذا صهرك ؟ » فقال له : « أحضر لي خط الشيخ تقي الدين الشمني على كتاب الكنز بإجازته له » فقال له : « تحتج عليّ بالأموات ؟ » فلم يزل المقر الزيني يتلطف به حتى سكت .

ثم طلب ابن الردادي فقال السلطان : « من عمل هذا قاضيا ؟ » فقال مستنيبه : « سألني فيه أكبر الشافعية سراج الدين العبادي » ثم طلب كاتبه من فوق المصطبة ، وأوصلني المقر الزيني حتى وقال عني للسلطان : « إني من طلبة الشيخ محيي الدين الكافيجي (١٤٨ أ) وأنه سأل في ولايتي وأني قرأت على علماء ومشايخ منهم شيخ الإسلام ابن حجر » فلم يتكلم ببنت شفة مع أن المقر الزيني ستر على قوم من الشافعية والحنفية والمالكية ، فمن الحنفية الشريف الوفائي المقسي وابن الفصيف وغيره . وممن طلع ولم يقف للسلطان وتعلل بأنه حصل له قولنج خير الدين الرميثي الشافعي ، وكان لما عرض القاضي بدر الدين الدميري كتكوت قال له : « أنت أيضا قاضي » فقال « يامولانا السلطان لي عشرين سنة قاضي » قال : « يكفاك استريح » . ثم عرضوا نواب المالكية فلم يقع فيهم كلام سوى أنه سأل عن واحد أو اثنين مَن وَلّاهم ، وانصرف المجلس على ذلك . ووقع من الحنفي في وسط المجلس للسلطان : « أنا نوابي لو علمت على أحد منهم سوءاً ما وليته . يامولانا السلطان : شخص يسمى عمر المقاوي من نوابي وقعت له قضية فضربته وعزلته وحبسته ، ولولا الشيخ تقي الدين الحصني ما أعدته ومع أبى ما أعدته ، وإنما فوضت للشيخ المذكور فإنه سألني فيه والشيخ يفوض له وسيعرض عليكم » ، فلم يدعوه[١] المقر الزيني وستره ستره الله في نفسه ومن يلوذ به ، وآخر الأمر سأل

---

(١) هكذا في الأصل والصحيح « يدعه » .

المقر الزيني فى إعادة الميمونى والشريف الوفائى المعروف بكمال الدين وباس الأمير الدوادار الثانى الأرض وقبل يده فرسم بعودهما ، وسألوا فضل السلطان فى إعادة الطواونى وغيره ، فرسم لهم ولله الحمد والشكر والمنة .

يوم الثلاثاء رابعه كان الموكب بالاصطبل السلطانى وكثر الشكاوى على الأكابر والأصاغر ، وفى أمسه كان السلطان فى الرماية ببركة الجب واصطاد وعاد .

يوم الأربعاء خامسه وصل قاصدٌ من عظيم الدنيا الدوادار الكبير ومعه كتاب مضمونه بالمعنى أنه قد استمر يتبع سوار المخذول حتى صعد إليه فى المكان الذى هو فيه ، فهرب فى نفر يسير وأخذ زوجته فوقعت وحملت إلى بين يديه ، فأقامت لحظة وماتت .

يوم الخميس سادسه تغيّظ السلطان على [١٤٨ ب] الأستادار والوزير الذى هو ابن غريب وما أفاد ذلك شيئاً ، وشكى قراجا الجمالى إلى السلطان من خجداشه قنصوه ـ الذى كان كاشف بلبيس وعزل ـ إنه ضربه بسيف شل يده ، فدفعهما للشرع والناس فى رجيف من إقامة السلطان بالاصطبل السبت والثلاثاء ، والله يقدر بخير إن شاء الله تعالى .

وفى يوم الجمعة سابعه رسم السلطان نصره الله ببعض الخدام من الطواشية أن يتوجه لبيت الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم والد القاضى كمال الدين ناظر الجيش ويحضر حساب والده المتعلق بثغر سكندرية . وسبب ذلك أن السلطان بلغه من مماليك المقر الجمالى أن المحتسب وزوجته التى كانت زوجاً لأستاذه وشاهين الذى هو نائب جدّة وأم الصاحب جمال الدين وضعوا يدهم على بهار وأموال وذخائر تقاسموها ، فرسم السلطان بطلب للمباشرين ومن اطلع على ذلك ، فإن وزنوا راج أمرهم وإلا بهدلوا ، وطلبوا من المباشرين مالاً على

سبيل الخدمة ، ومن أم ناظر الخاص يوسف عشرة آلاف دينار ، فأرسلت خمسة آلاف فردت إليها .

يوم السبت ثامنه كانت الخدمة بالاصطبل على العادة وشكى الأستادار وناظر الجيش وناظر الخواص وأمير آخور كبير وقاضى القضاة الشافعى وابن زوين كاشف الوجه القبلى ؛ فأما ناظر المدرسة فرسم له بالكشف عما ادّعاه خصمه ، وإن وجد أن خصمه سابق عليه فى الأخذ يقدم . وخصمه من أقارب الخطيب الحنبلى ويعرف بابن قدامه .

وأما ناظر الخاص فشخص له عليه مال فرسم له بدفعه ، وأما ابن غريب المتكلم فى الوزر والأستادارية فشكى عليه بسبب ابن العالمة الضامن أنه زاد على التجار الذين يحضرون بالبضائع فى المكس ، فرسم السلطان بإحضاره فذكر ابن غريب أنه ضعيف فرسم بحضوره فى قفص حمال .

وأما القاضى الشافعى فشكاه شخص شرير وذكر أن تحت نظره [١٤٩ ا] خان السبيل ، وأن متحصل وقفه فى كل شهر سبعة عشر ألف درهم ، وأن به مسجداً لم توقد فيه فتيلة ، وأن المذكور صار يشحت ويعمره ويؤم به ، وأن شخصاً من نواب الحاكم الشافعى ضربه على وجهه ورسم بإخراجه ، وأن هذا الأمر خرج من ذمتى وصار فى ذمة السلطان ، فرسم السلطان لأحد البريدية أن يتوجه بالمذكور إلى قاضى القضاة الشافعى ويرد الجواب . وأما أمير آخور كبير فشكاه جماعة من النحرارية فدفعهم ، واشتكى رأس نوبة الدوادار الثانى للسلطان بحضور أستاذه ، شكاه رجل من أهل البلاد القبلية وادعى أنه اشتكى شخصاً من بيت أستاذه أنه أخذ منه سبعون دينارا بغير طريق شرعى ، فحلف الخصم وخرج المدعى ليبيّن عليه فأطلقه فرسم له بتحصيل غريمه ، وانفضّ المجلس وبعد ذلك حضر الداقفون بين يدى السلطان ولعبوا ،

ووقف له جماعة من الفقراء بقصص فرسم لغالبهم بدينار ورسم لشخص مقطوع الرجلين بثلاثة دنانير ، وشكى له نصره الله نائبُ غزة فجهز له بريدياً ، وشكى له قضاة حماه فرسم بإحضارهم ، والله المستعان .

حادثة غريبة : يوم الأحد تاسعه شكى شخص من أولاد الأتراك مطلقته برسول شريف من بيت المالكى وادعى عليها بمبلغ فأجابت بالإنكار ، فالتمس بيتها عند مقام سيدى خلف بالقرب من سويقة السباعين ، وكان المذكور يتهمها بشخص غلام ، فلما أرادوا الدخول للحلف ضربها بسكين فى خاصرتها فسقطت ميتة ، وتوجه والسكين فى يده ملطخة بالدم وذهب دمها هدراً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

يوم الاثنين عاشره وقف للسلطان شخص يسمى الشيخ عثمان الحطاب مقيم بالمدرسة السيفية المجاورة لسوق الجوار[1] وادعى أن تغرى بردى المحمودى أخذ منها[2] إيواناً وجعله فى ربعه وإصطبله ، وتكرر ذلك منه مراراً ولم يظهر لمقاله برهان ، وتكرر وقوفه للسلطان والمذكور فيه نوع صلاح ، وعمر بالمكان المذكور خلاوى [١٤٩ ب] وجدد به منبراً وعنده فقراء ويصل إليه البر من الأمير برسباى قرا ومن السلطان وهو أمير ومن غيره ، وهذه المدرسة المذكورة أصلها كنيسة وليس لها كتاب وقف ، والمحمودى أخذ قطعة أرض مهولة بالتراب من جوارها بقصّة استأذن فيها قاضى القضاة ابن حجر وأخذ خطه بإجارتها سنين وثبت ذلك ، ثم استبدلها بخط قاضى القضاة بدر الدين العينى وثبت ذلك ، ونفذ على قاضى القضاة شمس الدين البساطى وقاضى القضاة

---

(١) لعلها « سوق الجوارى » .

(٢) أى من المدرسة السيفية .

عز الدين المقدسى الحنبلى ، فرسم السلطان المقر الأشرف الزينى ابن مزهر وللمقر الأشرف العالى السيفى تنبك الدوادار الثانى أن ينظرا فى هذه القضية ويعملا بالشرع فيها ، ووقفُ المحمودى آل النظر فيه لقاضى القضاة الحنفية من مدة يسيرة . فلما وقف عثمان المذكور للسلطان احتد وغضب وأساء على رئيس الدنيا ابن مزهر حفظه الله وبهدل القاضى نور الدين الإنبابى نائب المقر الزينى بن مزهر وهدده بضربه بالمقارع ، فإن أخاه مباشر الوقف المذكور . ثم أن السلطان قال : « أنا أرسل فى قضية كاتب السر والدوادار والحاجب وما ينقضى لى شغل ؟ أنا أتوجه بنفسى ، هاتوا الفرس » . فوقف الأمير جانبك الفقيه الأمير آخور الكبير وتدخل على السلطان فى عدم الركوب فلم يقبل وتوجه فى خدمته من القلعة من الأمراء المقدمين الألوف تمر حاجب الحجاب وأزدمر الطويل وقراجا الطويل وطبلخانات وعشرات ورؤوس نوب وخاصكية وأخصاء من المماليك السلطانية خلا الدوادار الثانى فإنه لم يحضر صحبة السلطان إلى المدرسة المذكورة ، وفى خدمته المقر الزينى ابن مزهر والمقر الشرفى الأنصارى وكيل السلطان والإنبابى ووصلوا إلى المدرسة وجلس السلطان بها وطلب قضاة القضاة الثلاثة : الشافعى الولى الأسيوطى ، والحنفى المحب ابن الشحنة ، والمالكى السيد الشريف عمر بن حريز ، والحنبلى لم يطلب لشغور المنصب من قاض (١١٥٠) من حين وفاة العز الحنبلى ـ طلباً حثيثاً برأس نوبة نقيب الجيش والأوجاقية والبابية حتى لم يمهلوهم أن يركب معهم أحد من نوابهم . ومروا بالقاهرة ، والخلق من العوام والأوباش ينظرون إليهم ويقولون[1] فيهم ما شاؤا ، وصار بعضهم ينسبهم إلى خراب الأوقاف ، وبعضهم ينسبهم إلى بيعها ، وبعضهم ينسبهم إلى بيع إيوان المدرسة .

---

(١) فى الأصل « ويقولوا » .

والعجيب أن القاضى الحنفى لم يصل إليه النظر فى هذا الوقف إلا من مدة سنة أو أقل ، فلما حضروا عند السلطان بالمدرسة تكلم معه الحنفى وهو فى غاية الحدة فكان جواب الحنفى للسلطان : « لا دافع لى ولا مطعن فيما يثبت بالطريق الشرعى » لكونه ناظراً على وقف المحمودى ورفيقه الأمير أزدمر تمساح الرأس نوبة الثانى والأمير جوهر الزمام ، فطلب من القاضى الحنفى كتاب الوقف فقال : « يحضر » .

فاشتد غضب السلطان منه وقال له : « قضاة القضاة يستحسنوا ويدلّسوا علّى و يغطّوا ، قل لى كتاب الوقف عند من ؟ » فقال له : « يحضر » ، وأرسل أحضره وأحضر الإجارة فرسم السلطان للشرفى الأنصارى أن يدّعى على وكيل القاضى الحنفى الذى هو القاضى نور الدين الإنبابى أن من الجارى تحت نظرهم وقف تغرى بردى المحمودى ، وأنهم واضعون اليد على إيوان المدرسة السيفية وعمروا عوضه ربعاً وإسطبلا وسؤاله هَدْمُ ذلك وأخْذُه للمسجد ، وصحبته شاهدين من غلمان الخيول عوام ، فسمع الدعوى قاضى القضاة الشافعى .

وطال الأمر على السلطان فركب ورسم للقاضى كاتب السر والأمير تمر حاجب الحجاب والقضاة أن لا ينصرفوا من هذا المجلس حتى ينهوا أمره .

وكان قبل ركوب السلطان من المدرسة تكلم مع القاضى الحنفى فى كونه استقر بتغرى بردى خازندار الأمير الدوادار الكبير شاداً بالوقف ووبخه وقال له : « عملته شاداً لأجل جاهه ؟ » فأجابه بأنه أحضر إليه (١٥٠ب) قصة وفيها أن السلطان رسم له بذلك بمقتضى مكتب ومربع شريف ، فأنكر السلطان ذلك وطلب تغرى بردى المذكور ، فحضر فى الحال إلى مجلس السلطان بالمدرسة فسأله من استقر به فى هذا الوقف فقال : « السلطان بمقتضى مكتب ومربعه » وظهر للقاضى الحنفى بذلك ما رامه .

وكان السلطان ـ نصره الله ـ رسم لقضاة القضاة بالكشف عن القطعة الأرض المتنازع فيها التي بنيت ربما وإصطبلا ، فتوجهوا وصحبتهم المهندسون، كل ذلك والسلطان جالس . ثم ركب السلطان وحضر مكتوب الوقف والإجارة فلم يجدوا فيه ما يثبت للمدرسة به شيئاً ، فرسم للمقر الزيني ابن مزهر أن يكتب للشيخ عثمان الحطاب فتاوى بأجوبته ليأخذ عليها خطوط العلماء بما يهدم به البناء الذي له خمس وثلاثون سنة مثبوت بخط شيخ الإسلام ابن حجر وشيخ الإسلام العيني ، وبتنفيذ شيخ الإسلام البساطي المالكي والمقدسي الحنبلي ، فكتب له فتاوى بخلاف ما يرومه ، وكلمه القاضي المالكي بكلام خشن فأجابه بأخشن منه فقال له : « حكمت عليك بالتعزير » ، وجاء خطيب المكان يتكلم وساعده عثمان المذكور فقال له الشيخ برهان الدين اللقاني خليفة الحكم : « رأيتم المقال وقلتم التعزير باق » فانصرفوا ولم يعمل شيئاً .

يوم الثلاثاء كانت الخدمة بالإصطبل السلطاني وشكى الأمير جانبك الفقيه الأمير آخور الكبير ووقف تحت الدكة عند القاضي كاتب السر ، وشكى ابن غريب المتكلم والوزراء والأستادارية من عدة أقوام ، فوبخه السلطان وبهدله وأساء عليه ورسم لابن العالمة الضامن أن يتوجه لبيت الأمير الدوادار الثاني ويطلب قاسم الوزير المفصول وابن الأهناسي ويسأل منهما عن المكس الذي يؤخذ من الركاضة .

وشكى علاء الدين ابن زوين كاشف الغربية والتراب من عدة : منهم جقمق وغيره ، فرسم السلطان بإحضاره وضربه فضرب بحضرته ورسم له ولأخصامه أن يتوجهوا إلى الأمير الزمام .

(١١٥١) وحكى لي رئيس الدنيا المقر الزيني ابن مزهر الأنصاري ـ حفظه الله ـ أن من جملة القصص التي قرأها في هذا اليوم قصة من مضمونها أن شخصاً تزوج

بامرأة وطلقها فادعت عليه أنها حامل فأنفق عليها ولم يظهر لها حمل وتزوجت ؛ وسؤاله الاسترجاع عليها ما أخذته منه .

وكذا وقف شخص آخر وادعى أن شخصاً من أصحابه أضافه وبات عنده فسرق حاره ، وأشياء كذلك من هذه الأمور ، فتكلم مع السلطان فى ترك ذلك فرأى له غرض تام فيه فمن جملة ما قال له السلطان : « أنا كنت وأنا أمير أنظر أحكام من تقدمنى فآكل لحمه وأنا والحاضرين ، فاعمل مثلهم » وأنشد نصره الله بيتاً مضمونه :

لا تستغيب فتستغاب فربما   من قال شيئاً قيل فيه مثله .

● ● ●

وفيه خلع على شاهين الجمال بشادية بندر جدة على عادتهم بعد بذله عشرين ألف دينار ، وعلى المجلس الشمسى محمد بن عبد الرحمن صيرفى جدة كاملية سمور ووزن عشرة آلاف دينار . فطلب من والده القاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ثلاثين ألف دينار فسألت بخمسة آلاف فما قبلت .

وفيه وصلت بطاقة من قطيا بوصول أخى نوروز يبشر بخير .

وفيه أى فى يوم الاثنين عاشره وهو استكمال مملكة السلطان بمصر وأعمالها أربع سنين وأربعة أعوام ، وقف له شخص يسمى الشيخ عثمان الخطاب للقيم بالمدرسة السيفية القديمة المنسوبة لابن بويه المجاورة لسوق الرقيق التى ذكرها المقريزى فى خططه وكان أصلها كنيسة وهدمت ، واتفق أن تنرى بردى المحمودى الذى فتح قبرص مع من فتحها فى دولة الملك الأشرف برسباى فى سنة تسع وعشرين وثمانى مائة عمّر ربعا وبيوتاً مجاورة[1] للمدرسة المذكورة ، فادعى الشيخ عثمان المذكور أن تنرى بردى المذكور أخذ من المدرسة إيوانا وجعله فى ربعه وعمارية ، وتكرر وقوفه للسلطان فرسم للأمير الدوادار الثانى

(١) فى الأصل « مجاورين » .

وللمقر الأشرف الزينى ابن مزهر - حفظه الله - على المسلمين أن يحضرا هذه الواقعة هما وقضاة القضاة (١٥١ ب) ويتكلموا مع القاضى الحنفى الناظر على وقف تغرى بردى المذكور الذى آل إليه النظر عليه من نحو سنة أو أقل ، فتكلموا مع القاضى الحنفى فى ذلك وطلب مباشرى الوقف وهم القاضى نور الدين الإنبابى وأخيه وتغرى بردى خازندار عظيم الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير سهل الله له كل عسير فإنه الشاد بالوقف ، وأظهروا قصة رفعت لقاضى القضاة شيخ الإسلام خادم السنة والأثر الشهير نسبه العريق بابن حجر أن هذه الأرض التى يدعى الشيخ عثمان أنها للمدرسة أنها ليست منها ، وأنها كانت مهولة بالأتربة ، وثبت ذلك على شيخ الإسلام المذكور واستأجرها مدة ثم استبدلها وحكم بذلك شيخنا قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى .

ونفذ له شيخ الإسلام قاضى القضاة شمس الدين المالكى البساطى ، واتصل بقاضى القضاة المقدسى الحنبلى فما وجدوا لهم مجالا فى ذلك ، فإن العين تغيرت وصارت مساكن مسكونة ، فلم يعجب السلطان ذلك فإن عثمان الحطاب مشهور بصلاح ودين ، وعمر فى المدرسة خلاوى بغير شرط الواقف وجعل بها[(١)] صغاراً يقرؤن القرآن ورجالاً يذكورن الله ويصلون ، وجعل بها منبراً وخطيباً وصار بعض الأمراء الأكابر كالمقر الأشرف العالى السيفى برسباى المحمدى المشهور بقرا أحد المقدمين الألوف والسلطان - نصره الله - وهو أمير وغيرهما يحسنون إليه ، فلما بلغ مسامعه الشريفة أن إيوان مدرسة يؤخذ ويصير مساكن حصل عنده غاية الغيرة على حق الله تعالى وبيته وقام فى ذلك بقلبه وقالبه ، وبمجرد ما وقف الشيخ عثمان المذكور للسلطان كما قدمنا بالحوش احتد على المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى حدة مفرطة وكلمه بكلام ما سمعه منه قط .

---

(١) فى الأصل « بهم » .

وأساء على القاضى نور الدين الإنبابى إساءة مفرطة من جملتها : « ياشيخ رجلك فى القبر وأنت تداحى على ؟ والله أضربك بالمقارع » وكان الأمير الدوادار الثانى غائباً عن المجلس ومن شدة غضبه طلب الفرس (١٥٢ ا) وركب من القلعة واستمر إلى أن وصل إلى المدرسة المذكورة فجلس بها ، وطلب القضاة الثلاثة الحنفى والشافعى والمالكى بخمسة أوجاقية ورأس نوبة نقيب الجيش وعدة من غلمان الطشطخاناه فحضروا وجلسوا ، وتكلم مع القاضى الحنفى بكلام مزعج لمّا طلب منه كتاب الوقف وتأخر بحضوره ؛ وأخبرنى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين أنه خشى عليه من العزل ، ومن جملة قوله : « أنت مستحسن » مرتين « وأنت تغطى علىّ ؟ أنت تخاف ممن ؟ قل لى كتاب الوقف عند من ؟ » فصار يقول : « يحضر ، وهو عند القاضى نور الدين الإنبابى » وخشى عليه من البهدلة وما سلم فإنه أسىء عليه بالمدرسة أيضاً إساءة مفرطة ثم سأل من القاضى الحنفى : « كيف استقريت بمشد وقف المحمودى الذى هو تغرى بردى خازندار الدوادار الكبير ؟ لأجل الجاه ؟ » فقال له : « يامولانا السلطان رفع لى قصة مشمولة بالخط الشريف بتكتيب وتوقيع » فأنكر السلطان ، وطلب تغرى بردى فى الحال فأُحضر وقال له : « من استقرّ بك مشد هذا الوقف ؟ » فقال كما قال القاضى الحنفى ، فظهر صدقه ورسم السلطان للقضاة أن يكشفوا المكان المدّعى فيه ، فتوجّهوا بأنفسهم وصحبتهم المهندسون ، هذا بعد أن التفت السلطان من القاضى الحنفى إلى القاضى الشافعى وقال له : « أنت إيش عملت فى وقف قراقوش الذى أرسلت لك بسببه صحبة المهمندار ؟ » فإنه كان أرسله لما شكى من الشافعى قبل تاريخه ، فصار القاضى الشافعى يقول عن الذى اشتكى إنه مجنون ، وإنه قال إنه يصعد إلى السماء « ونحن نعمّر المكان بحسب الحال » واستمر السلطان يتخوف منه وطال الكلام بينهما ثم إن السلطان

ورسم المقر الأشرف الكريم العالى السيفى تمر حاجب الحجاب والمقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله تعالى «أن لا تتصرفا حتى يحضر كتاب الوقف وينظروا فيه ولا تتصرفوا حتى تنهوا القضية»[١٥٢ب].

وركب السلطان وتوجه إلى القلعة وكان يوماً مشهوداً اجتمع فيه جم غفير من الأمراء المقدمين الألوف كالأمير أزدمر الإبراهيمى الطويل والأمير قراجا الطويل والأمير تمر الحاجب الكبير وعدة طبلخانات وعشرات وخاصكية، وادعى القاضى شرف الدين الأنصارى على وكيل القاضى الحنفى النور الإنبابى برفع يده عن هذه الأرض وهدم الأماكن لأنها من المدرسة، فأظهروا ما قدمنا ذكره من الإجارة والاستبدال والحكم والتنفيذ. وقد امتلأت الأزقة والمدرسة من العوام والخواص وانصرفوا على ذلك وأخبروا به السلطان فلم يعجبه، وكانوا عند الانصراف كتبوا للشيخ عثمان الخطاب فتاوى يأخذ عليها خطوط العلماء إن كانت بينة تسمع أن هذا المكان من جوار المسجد وإيوانه، واتفق أن القاضى المالكى لما كتبوا الفتاوى قال لهم: «ا كتبوا كيت وكيت» فكلمه الشيخ عثمان بكلام خشن فقال له: «حكمت عليك بالتعزير».

ثم إن القاضى برهان الدين القانى نائبه قال لخطيب المكان: «أنت شاهد زور»، وقال لعثمان «التعزير باق عليك» وانصرفوا.

• • •

ورسم السلطان بعقد مجلس فى يوم السبت خامس عشره بحضور القضاة الثلاثة والأمير تمر الحاجب والأمير الدوادار الثانى وللقر الأشرف الكريم الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله وأن يحضروا فى المدرسة المذكورة ويفعلوا الشرع، فحضروا، وعين القاضى نور الدين البلبيسى لذلك

وادعى عنده بذلك ، وشهد عنده اثنان أو ثلاثة أحدهم الشيخ عز الدين السنباطى أحد جماعة قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر : أن للسكان كان مجلساً من المدرسة وشاهَدَه يصلى فيه ويدرس فيه ، وأنه أخذ بغير حق ، ومستحقٌ للهدم . وثبت ذلك على البلبيسى ، وقال قاضى الحنفية : «لادافع لى ولامطعن فيما ثبت بالشرع الشريف » ، وانفصلوا عن ذلك لعل يقع صلح أو ما أشبه ذلك .

وبلغ السلطان ذلك فرسم بالهدم فهدم .

يوم الجمعة رابع عشره أرسل السلطان يقول للقاضى الشافعى : « اكشف عن [١٥٣ ا] الطيبرسية ، أعنى المدرسة التى تحت نظرك ، فإن المرحاض غرق الناس فيه » ، فحصل عنده من ذلك أمر مهول ورعدة وتشويش .

يوم الاثنين سابع عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجّه إلى [أبى] زعبل أو غيرها فإنه عمر هناك سبيلاً وغير ذلك ورجع من قنطرة الحاجب ، فأذن المغرب عليه بها فصلاه بمدرسة الجناب العلى ابن الجيعان ، وصلى إماماً ، ودخل من باب القنطرة من بين الصورين ، ومرّ من سويقة الصاحب وجاز من بين العواميد على المدرسة السيفية وتكلم فى أمرها ، وحول فرسه الخلق من العوام يدعون له بالبقاء والدوام ، وفى خدمته من الأمراء الألوف تمر حاجب الحجاب ونحو سبعة ثمانية : عشرات وطبلخانات ، ومن المماليك السلطانية نحو ثلاثين نفراً أمامه، وخلف ظهره من غير فوانيس ولا منجنيق ، حتى أخبرنى من شاهده بباب زويلة كذلك إلى أن صعد القلعة ، فنصره الله .

يوم الثلاثاء ثامن عشره كان الموكب بالإصطبل السلطانى على العادة وحكم وأمر ونهى وكثرت الشكايات فى الأكابر والأصاغر ، وضرب ابن العاملة الضامن نيروز الوزير بالمقارع ، ووضع فى عنقه الحديد ثم شكى أيضاً ، فطلب وأمر بحضوره للحوش ، وشكى الأستادار فى هذا اليوم عدة شكاوى بسبب

الديوان المفرد والدولة ، وشكى تقى الدين ضامن الخضر بسبب ظلمه كان المالة فأبدى حجته فخلص وكشف رأسه ودعى للسلطان .

ومنها شخص له مرتب على الجسر فلم يصرف له من أول الشهر .

ومنها امرأة شكت أن لها مرتبا هى وإخوتها على الشونة بالوجه القبلى من إخميم : فى كل سنة أربعون إردبا ، ولها ثلاث سنين لم يصرف لها شىء ، فأجاب ابن غريب : أن الأمير الدوادار الكبير لم يصرف لها شيئاً ، ثم إن الأمير نقيب الجيش ابن أبى الفرج مسك عصابتها وصار بين العسكر وهم ينظرون إليه وهو يقول (١٥٣ ب) : « القنزع ملأ المدينة من هذا النساء ، وكذا السراقوس » فرسم السلطان أن ينادى للنساء أن لا يلبسن[1] عصائب مقنزعة ولا سراقوس ، وأشهر النداء بذلك بين يدى الوالى على لسان السلطان فى القاهرة ، وخافت[2] النسوة من لبس ذلك ، وتركنه ، وشكى القاضى ناظر الجيش وشكى على المحتسب أنه سجن إنساناً ولم يمكنه من بيع حوائجه حتى يوفى دينه ، فرسم للمقر الأشرف الكريم العالى السيفى الدوادار الثانى أن يطلب الغريم من بيته وينظر فى أمره بالشرع الشريف .

وشكى ناظر الخاص مراراً وغيره وانفض المجلس على ذلك ، والتفت السلطان للعلامة فنهض الدوادار الثانى وفى خدمته المباشرون ، ثم خلع على الأمير برسباى أستادار الصحبة بإمرة الحج عوضاً عن يشبك الجمالى بحكم عزله عنها ، وغضب السلطان عليه بسبب ماظهر أنه فى جهته وجهة زوجته التى كانت زوجة أستاذه من أخذ تركة المذكور من المال ، فإن السلطان كان طلب منهم

---

(١) فى الأصل « يلبسون » .

(٢) فى الأصل « وخافوا : . . وتركوه » .

عشرة آلاف دينار قرضاً فامتنعوا ، وصار يشهك عليه من الله ما يستحقه قريبا عاجلا - يعتذر عنهم ، فطلب السلطان ولى الدولة وسأله الحساب الخاص ، فأخبره أنه فى بيت الصاحب جمال الدين يوسف فرسم بالختم على الحساب ، وصاروا يسألونه بالعشرة آلاف التى طلبها فامتنع حتى سئل أربعين ألف دينار وهو يمتنع ، وبلغوا السلطان ما على باب المحتسب من الظلم والرسل والأعوان ، وأن كل واحد منهم يحصل له فى كل يوم دينار وأكثر وأقل ، وصار لهم البغال والحير الفره والأقمشة : شىء ما فرحوا به على باب محتسب قط ، وكل ذلك من أضلاع المسلمين ؛ وأما الورق الذى[1] يكتبونه للسوقة فى كل يوم فنحو ثلاثة آلاف ورقة ، كل ورقة بثلاثة دراهم فى كل يوم ، وأمثال ذلك ، وذلك مع كبر نفسه (١٥٤ ا) على الأكابر والأصاغر وبهدلته للعلماء والصلحاء والقضاة والشهود ، فالله أسأل بجاه خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم أن يعامله بعدله قريبا ، ما أشقّه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

يوم الاربعاء سابع عشره وقع مكان مقابل المدرسة التى بالأبارين ومات تحت الهدم أربعة أنفار من المسلمين فلا قوة إلا بالله ، وأرسل السلطان إلى الغربية بالحوطة على موجود ابن زوين الكاشف بها من صامت وناطق فأحضروه فأخذ أحسنه ورد عليه أخسه ، وذلك بمرافعة المقدم الذى فى خدمته ، فإنه كان ضربه وأهانه وقاسى منه ذلا ، فعرف شرف الدين ابن غريب بذلك فحصل عليه ما ذكرنا ، والجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان .

يوم السبت ثانى عشريه عمل الموكب بالإصطبل السلطانى على العادة

---

(١) فى الأصل « الذين يكتبونهم » .

ووقف الشكاة ونودى فى المدينة حسب المرسوم الشريف أن من له دعوى على ضامن الخضر من النيطانيين أو غيرهم يحضر بين يدى السلطان ، وشكى المقر الناجى ابن المقسى ناظر الخواص الشريفة ، شكاه شخص يبيع القراء وادعى أن له فى ذمته مبلغاً ثمن أصناف ابتاعها منه ، وكتب له بها وصولات على الجهات فلم يصرفوا له شيئاً ، فالتفت السلطان إلى الأمراء وصار يذكر لهم مساوىء ابن المقسى فبرز المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله وقال : « أنا أعمل مصلحته » فدفعهما السلطان له . وشكى قبل هذا ابن قتى رأس نوبة الدوادار بسبب غيط فأجيب عنه بأنه مسافر ليقبض مغل السلطان للديوان المفرد ، فرسم السلطان إذا حضر يخلص حق الشاكى منه.

وفى يوم الأحد المبارك ثالث[1] عشريه حضر المقر الأشرف الكريم السيفى الأتابك أزبك من ططخ الظاهرى أمير كبير من سرحته ونزهته وصعد القلعة فى يوم الاثنين رابع عشريه فاجتمع بالسلطان ورجع إلى منزله مبجلا معظماً مكرماً مهاباً .

(١٥٤ ب) وتقدم سفر والد القاضى النابلسى إلى البلاد الشامية وعلى يده مرسوم شريف بإعادة القاضى الحنفى بها المشهور والمعروف بابن العجلونى عوضا عن الحلاوى ، ويقوم بعشرة آلاف دينار ، فإن امتنع يحمل إلى القلعة فما ساعه إلا الإذعان والاستقرار ، وأن يكشف على قاضى القضاة العلامة قطب الدين الشافعى بها وكاتب السر أيضا وأخذ ما ظهر فى جهته ، فلم يظهر فى جهته شىء ، وأراد الترسيم عليه وإيداعه القلعة والكتابة فيه بما يختار ، فما ساعه إلا أن اختفى وحضر إلى القاهرة ، ويقال إنه مختف فى بيت المقر الأشرف الأتابكى ، وبأنه حضر فى السابع والعشرين من شهر تاريخه ، فالله أعلم .

---

(١) فى الأصل « ثانى عشريه » .

يوم الثلاثاء خامس عشريه كان الموكب بالإصطبل وشكى على جماعة: منهم الشيخ عفيف الدين الزاهد العالم المقيم بسطح جامع الحاكم بسبب الخلوة التى هو ساكن بها ، فأخذ رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله قصته ووعده أن يعمل مصلحته فحضر إليه وأعطاه شيئاً من الحطام وكتب عليه إشهاداً . وشكى صاحبنا الزينى عبد الحفيظ الدوادار من الصيادين ببحر منجا ، فطلبه السلطان فتكلم بين يديه بكلام مِتِّع ، فرسم له أن يواظب طلوع القلعة ورسم له أن يتوجه إلى الأمير الدوادار الثانى لينظر فى أمرهم . وشكت امرأة على زوجها للسلطان أنه تزوّج عليها ويضاجرها ، فردها رداً قبيحاً ، فلا قوة إلا بالله .

وكثرت الشكاة حتى إن بياع الفجل قال : « أشتكِى للسلطان » .

* * *

وفى هذه الأيام حضر من بلاد جاركس أخت المقر الأشرف العالى السيفى تنبك قرا الدوادار الثانى وأخت المقر الأشرف الكبير العالى السيفى الأتابكى أزبك عز نصره ، وكثر ركوب السلطان ونزوله من القلعة جدا حتى إنى تركت كتابته ، ووصل[1] خيول الأمراء الذين بالبلاد الشمالية ليبيعوها ويتوجهوا إليهم بعد ذلك ، والله الولى والمالك .

يوم السبت تاسع عشريه كانت الخدمة بالإصطبل [١٥٥ ا] السلطانى ـ كما تقدم فى أول شهر تاريخه ـ السبت والثلاثاء ، وشكى ناظر الخاص ابن المقسى من ثلاثة أنفار متفرقين أحدهم الذى تقدم وقوفه للسلطان كم مرة ، ودفعهما السلطان للقاضى كاتب السر لعمل مصلحته فما وافقه التاجى ابن المقسى لأمر يريده الله فعندما وقع بصر السلطان عليه طلب ناظر الخاص وسبّه ولعنه والتفت

---

(١) فى الأصل « ووصلوا ليوبيعوهم » .

إلى المقر الزينى ابن مزهر فاحتدَّ عليه وقال له : « إنت ما تنضحنى ؟ » ، ورسم بضرب ابن المقسى فبطح بين يديه وضُرب من الروس النوب على مقاعده ، وكان يوماً بارداً شديد البرد جداً ، ورسم السلطان بنزع ثيابه وضربه على اللباس ، وصار يستغيث فلا يُغاث حتى انقطع حسه بعد ذلك ، فقام من حضر المجلس من الأمراء فشفعوا فيه فازداد غضب السلطان وحدته ورسم بضربه مقترعا فجرد من ثيابه وصار عرياناً مكشوف الرأس ، فضربه الوالى وأعوانه نحواً من خمسين مقرعة ، فشفع الأتابك أزبك وبقية الأمراء ، فأراد السلطان قطع ثيابه من الحدة فأقاموه وصار يقول له : « أنا أعدل وانت تظلم ؟ أنا أعمر وأنت تخرب ؟ » ثم التفت إلى رئيس الدنيا ابن مزهر حفظه الله ورسم له بحضور ولده سيدنا القاضى بدر الدين أعزه الله ليستقر فى نظارة الخاص وكرر ذلك مراراً فأخذ يعتذر على ذلك ، فلم يُقبل منه وما ساعه إلا حضوره ، فحضر صحبة قاصد السلطان ، هذا مع أن من حضر هذا المجلس من الأكابر عد كالهالك خصوصاً مباشرين الدولة وأعظمهم رعباً وخوفاً شرف الدين بن كاتب غريب المتكلم فى الوزارة ، والأستادار عوضاً عن عظيم الدنيا يشبك من مهدى الدوادار الكبير عز نصره ؛ وأما ناظر الجيش وكاتب المماليك فما نزلا إلا محمولين وكانت ساعة نسأل الله السلامة ، ورسم بالترسيم على ابن المقسى وأودع الطشطخاناة ، ثم نقل إلى طبقة الخازندار .

وشكى فى هذا اليوم ابن قمتى رأس نوبة الدوادار فرسم بحضوره من أى مكان فيه [١٥٥ب] . وشكى قاضى جدة أبو البركات بن ظهيرة من امرأة بسبب ميراث أبيها ، ثم شكى ضامن الحصر والفيطان المشهور بتقى الدين وهو من أسماء الأضداد فرسم السلطان للوالى أن ينادى فى المدينة لأصحاب الفيطان أن يحضروا غداً تاريخه بين يدى السلطان ، ثم خلع على القاضى بدر الدين

محمد بن رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ، ابن مزهر كاتب الإنشاء الشريف حفظهما الله كاملية بسمور بالتحدث فى الخاص . وفى يوم الإثنين يلبس التشريف والطرحة على العادة بعد أن استعفى والده . وذكر للسلطان نصره الله أنه رجل من أهل العلم ومن ذرية الأنصار والعلماء ، ولبيتهم فى الإسلام ثلاثمائة سنة كتاب سر مصر وغيرها من الوظائف السنية فكيف يباشر وظيفة المكس فقال : «ابنك نائبى ويطالعنى بالخبر وأنا أعمل مصالحة» وانصرفوا على ذلك . أخبرنى المقر الأشرف الكريم العالى الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى ـ حفظه الله على المسلمين وصرف عنه كل سوء وأعانه على ما هو بصدده ـ أن باسمه مرتبات على جهات المكس مايرضى بتعاطاها ، وله عادة على قضاة البلاد الشمالية وكل سنة نحو أربعة آلاف دينار فتركها ، فكيف يتكلم فى المكس فقلت له مخفضا عليه : « ابن بنت الأعز جمع بين الوزارة وقضاة القضاة » وأنشدته بعد أن أخبرته عن ابن الأعز إنه إذا رفع له أمر مكس يكتب عليه يحط من ذلك . والذى أنشدته له حفظه الله على المسلمين :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

ثم أنشدته :

لن تبلغ الأعداء فيك مرادهم
كلا ولن يصلوا إليك بمكرهم
فلك البشارة بالبلاء عليهمو
فالله يجعل كيدهم فى نحرهم

وصار رئيس الدنيا ابن مزهر فى مباشرة الخاص كلما وجب على أحد التجار

مكس مثلا ألف دينار وخرجوا ليوزنوه يطلبهم ويقول لهم : « أنتم تعلمون أنى منصوب فى هذه الوظيفة ، تروا أنى أدفع لكم من هذه الألف مائة دينار وأ كثر أو أقل وتبروا ذمتى [١١٥٦ ا] مما تزنوه وتأذنوا لى فى صرفه ؟ » فيجيبوه من طيب قلب وانشراح صدر : « أذنّا ورضينا » ويدعون له ؛ وكذا صنع مع المرتبين فى صرف معاليمهم شيئاً ماراْوه فى زمن من كان قبله حتى صاروا يعدوا أنفسهم أنهم فى المنام ، وآخر الأمر غرم من ماله أكثر من مائة ألف دينار واقترض من الأنابك ومن الدوادار الكبير ومن التجار ، وكسب الثناء والدعاء وما خاب من دعى له ، والله تعالى يحفظه على المسلمين .

ولقد تأسف بعض الناس على ابن المقسى وحزنوا عليه حزناً شديداً حتى أعداؤه ، وما أحسن من قال :

رثى له الشامت مما به   ياويح من يرثى له الشامت

غير أنهم أيضاً ذكروا عنه أنه سيء المعاملة جداً ومعلوم أن المعاملة هى الدين ، وأنه إذا ابتاع شيئاً لا يقول فى نفسه إلا أنه ملكه ولا يدفع ثمنه إلا لمن له جاه أو صولة أو شوكة ، أما الضعفاء والفقراء والمرتبون الخاص فنهاية ما عنده كتابة الوصولات ويكتب بخطه بالصرف على كل وصول نحو العشر مرات ولا يصرف لهم شيئا ، وغالبهم يضيع وصوله ، وغالبهم يتعب ، وغالبهم يترك ، والنادر من يتجوه بأحد حتى يصل إلى بعض شيء .

وله المملوك والمماليك الحسان يركبون الخيول الخاص والسروج الذهب والأقمشة الملونة من الديباج والحرير والصوف والسمور ، وكذا العبيد الحبوش ، وفى خدمته شخص يسمى ابن الصناج دواداره يلبس كل بدلة بمائة دينار ،

وبلغنى أنه طلع إلى السلطان بشىء من عند أستاذه فوجد عليه مفرية بعلبكية لابسها، فقال له : « قل للقاضى ناظر الخاص يفصّل لنا مثل هذا » وأمثال من إنعامه على من يجتمع عليه من ندمائه وجلسائه بالصوف والسنجاب والسمور وغير ذلك .

وسمعت أن جامع المقسى الذى هو متحدث عليه قطع غالب معالم قومته ، وأبطل ملىء فسقيته وغير ذلك ، فدعوا عليه عشاء وضحى وظهراً وعصراً ومغربا ، والدعاء من المظلوم فى الأسحار لا يخطىء ، ولما بلغتنى قصته تذكرت قصة البرامكة لما (١٥٦ ب) صاروا بعد العز الشامخ إلى الذل والهوان والسجن والقتل حتى قال الولد لوالده : « ياأبه انظر ما نحن فيه وما صرنا إليه » فقال له « ياولدى : دعوة مظلوم غفلنا عنه » وما أحسن من قال ، ولقد أفاد وأجاد وأبلغ فى المقال :

أتهزؤ بالدعــاء وتزدريه ... وماتدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل لاتخطى ولـكن ... لها أجل وللأجل انقضاء

﴿ شهر شعبان المكرم ﴾

أهل بيوم الأحد الموافق الخامس عشر طوبة القبطى لأن رجب جاء ناقصا وثبت هذا الشهر على قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى .

فيه صعد قاضى القضاة المذكور ورفقته من قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكنت صحبتهم فوجدوا السلطان بالحوش على المصطبة التى استجدها بجوار طبقة المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، وكان أمير المؤمنين الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف دام شرفه هنى السلطان وانصرف إلى

طبقة المنصور التى هى الآن سكنه من حين سلطنة الظاهر خشقدم ، فسلموا عليه بعد أن قام لهم وجلسوا فى خدمته على عادتهم ، فخاطب رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله القاضى الشافعى فى أمر المدرسة السيفية المجاورة لسوق الرقيق التى تقدم الكلام عليها، وقال السلطان نصره الله يسأل : «ما فعلتم فى هدم المجاور للمدرسة المذكورة؟ » فقال : « نهدم منها ثلاثة أروقة وما تحتهم، ونضيفه المدرسة إلى عند الحوض ، والشيخ عثمان ما يرضيه إلا أن يهدم جميع ما بناه المحمودى » ، فقال السلطان نصره الله : « افعلوا الشرع واعتمدوا على الشهود الذين يشهدون عندكم » ، فتكلموا مع السلطان فى مائة دينار يدفعها لمستحق وقف تغرى بردى المحمودى ليستبدلوا بها مكانا يحصل منه عوض ما نقص لهم أو بعضه ، وتكلموا مع السلطان أن فى هذه المسألة خلافا فى الصلاة فبعضهم يقول إنها (١٥٧ ا) تكره ، وبعضهم يقول إنها تحرم ، فلم يوافق السلطان على شىء من ذلك . ثم طُلب الفقيه نور الدين بن الفاكهى المكى وغرماؤه فتداعوا عند القاضى الشافعى وادعى الفقيه نور الدين المذكور على خصومه أن امرأة تسمى كذا وتعرف بأم كال أوقفت وقفاً عليه وعلى إخوته ، وثبت ذلك على قاضى القضاة برهان الدين ابن ظهيرة قاضى مكة ونفذ بالقاهرة على المذاهب ، ثم رجع عن حكمه لما قام عنده فيه يذكره ولم يبينه « وأنا أسأل السلطان فى إيصال حقى وخلاصى من القاضى الذى أبطل حكمه ورجع عنه ، وهذا إشهاد على خصومى بأن لا دافع لهم ولا مطعن » فأجابه [1] خصومه بأنهم ما أشهدوا هذا الإشهاد إلا ليدفع لهم مالا من تركة أم كال المذكورة ؛ فإنها بنت عمهم ، وتكلم على ابن الفاكهى بعلم غزير مع فصاحة ونطق صحيح وما عرف خصومه بل ولا من ادعى ضدّه يحجوه [2] . وآخر هذا الأمر دفع إلى قاضى القضاة

---

(١) فى الأصل « فأجابوه » .

(٢) أى يقارعونه الحجة بالحجة .

الشافعى أمرهم لينظر فيه ويلغى ماحكم به ابن ظهيرة ، كل ذلك والمقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر كاتب السر الشريف حفظه الله جالس بجانب قاضى القضاة المالكى ، ثم ادعى أيضاً الفاكهى على عبد العزيز بن الراحلى التاجر أنه واضع يد له على حصة من مكان سماه وجدده بمكة ، فأجاب بأن بيده مستنداً شرعياً أنه ابتاع المكان المذكور من شخص من التجار يسمى مير محمد ، وحكم بذلك حاكم شرعى ، وأن قاضى القضاة برهان الدين ابن ظهيرة «حكم بعدم دعوى خصمى هذا على وسماعها ومطالبته لى بشىء » وأظهر مستنده ، فأبدى فيه الفاكهى عشرين وجها من البطلان ، وانصرفوا على الصلح .

ثم حضر ابن الناصرى التاجر وادعى عند القاضى الشافعى على القاضى شرف الدين التنائى الأنصارى بأنه وضع يده له على عدة أملاك وسمام، مخلفون له من قبل والده وسمام وجدهم ، وإن قيمتهم كذا كذا ألف دينار ، فأجاب القاضى شرف الدين أن عمه هذا المدعى أثبت على أبيه الذى هو أخوها مالاً جملته كذا كذا ألف دينار وضع يده عليه من تركة أبيها ببلاد اليمن وتصرف فيه ولزم ذمته ، (١٥٧ ب) وثبت ذلك على قاضى سكندرية شعبان المشهور بابن جنيبات بشهادة جماعات من التجار ، واتصل حكمه بالشيخ جلال الدين البكرى وحكم به ، ثم إن الشيخ المذكور رجع عن ذلك لما وقع له ما وقع من طلبه وإقامته فى الترسيم ببيت عظيم الدنيا الدوادار الكبير . فأمر السلطان القاضى كاتب السر أن يطلب ابن جنيبات بين يديه وأن قاضى القضاة الشافعى ينظر فى ذلك ، والله الولى والمالك .

وكان تقدم أن شخصاً شكى على ابن قتى رأس نوبة المقر الأشرف الكريم العالى الدوادار الكبير السلطان وادعى أن الرأس نوبة أشهد عليه بشىء ولم يقبضه له ، وأن عنده بينة بذلك ، فأمر بإحضار البينة فعجز عنها فأحضر ابن

ثنى القاضى والشهود بين يدى السلطان فشهدوا بصحة مقالة ابن قمق ، فرسم للدوادار بطلب غريمه وتأديبه .

يوم الاثنين ثانيه قبض الوالى على شخص من أولاد الناس المتهتكين وهو سكران فصعد به للسلطان فضربه الحد وحلفه أن لا يعود يسكر ولا يضرب بالآلة.

وفيه خلع على ابن زوين بكشف التراب والدم بالغربية فقبل الأرض بين يدى السلطان فتقدم الأمير تمر المحمودى حاجب الحجاب والأمير آخور الكبير فتكلما مع السلطان فى ظلمه وفجوره ، فهدده السلطان ووبخه وقرعه وأوعده إذا لم يمش مليح وإلا أتلفه ووصاه أن لا يسكر ، فبرز شخص من الأمراء العشرات يسمى تانى بك الجمالى الذى كان السلطان جهزه إلى تروجة لعمارة سورها وبالغ فى سبه بالتركى ، وقال : « من يولى هذا اليهودى هذا الكلب على المسلمين » ؟ وكنت [1] حاضرا لهذا المجلس ؛ فغضب السلطان غاية الغضب واحتد حدة مفرطة إلى الغاية ، وطلب ابن زوين ونزع الخلعة من عليه وخلعها لتنبك المذكور حتى الكانفاه فصار يمتنع ويتدخل ويبوس الأرض والسلطان مصمم على ولايته، فعند ذلك تقدم الأمير آخور الكبير والأمير تمر حاجب الحجاب والأمير تنبك الدوادار وصاروا يقبلون الأرض ويقبلون يد السلطان حتى نزعوا (١١٥٨) الخلعة عنه وعادوها على ابن زوين بعد ألف جهد ، ثم طلب سيدنا القاضى بدر الدين ابن رئيس الدنيا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى حفظه الله تعالى فخلع عليه بنظر الخاص وقبل الأرض ، فأقبل عليه السلطان وأكرمه وعظمه وبجله وقال له: « أنا ناظر الخاص وأنت يابنى مهما كان لك حاجة قل لى ولا تظن أن أباك ناظر الخاص ، وتكلم وافتح عينك» وأمثال ذلك . فركب معه قضاة القضاة والأمير تمر الحاجب الكبير والأمير تنبك

---

(١) الضمير هنا عائد على الصيرفى .

الدوادار الثانى وناظر الجيش والإمام البرهان الكركى وأعيان الدولة وأركانها، وحضر إليه بعد ذلك بقية الأمراء الألوف ، وكان له موكب عظيم وعليه خفر جسيم ، حفظه الله وحفظ والده من كل محنة ورعاهما بعين عنايته بمحمد وآله وصحابته.

يوم الثلاثاء ثالثه توجه السلطان إلى ضيافة الجناب الزينى أبى بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط فى ربيعه بخليج الزعفران وعمل له أشياء تليق به.

وفى هذا اليوم رسم السلطان للفقراء بمبلغ ثمانى مائة دينار تفرق عليهم بالإصطبل السلطانى ، فإنهم كانوا يصعدون إلى السلطان فى كل موكب من مواكب حكمه وقد انتهت الخدمة بهذه السنة، أخبرنى بذلك رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى حفظه الله . ورأيت بعض الفقراء ممن حضر التفرقة وذكر أن حصل له تسعة أنصاف وقيل أكثر ، وقيل أقل ، فالله يتقبل منه قبولا حسنا جميلا .

وفى أمسه توفى الأمير طوخ الأبو بكرى المؤيدى شيخ الزردكاش ، وكان له مدة مقيما [1] فى داره بطالا ، وكان قد قبض وسجن فى وقعة يشبك الفقيه الدويدار كما ركب على الخشقدمية بدمياط ثم رسم بحضوره إلى القاهرة ، ورتب له على الذخيرة فى كل شهر ماينفقه ، وكان قد أسن وقارب السبعين وضعف يومين ، وكان عفيفاً عن الفروج والمنكرات لايلوط ولا يزنى ولا يسكر ، إلا أنه لم يشهر عنه شجاعة ولا كرم ، وكان المرحوم المقر الزينى عبدالباسط تسرى بأخته ثم تزوج بها فصار يعرف به ، وحضر السلطان الصلاة عليه بسبيل المؤمنى ولم تكن جنازته حافلة (١٥٨ ب) كغيرها من [جنازات] الأمراء رحمه الله تعالى . وتقدم حضور قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى كاتب سر دمشق وقاضيها فاراً من الشام من ابن النابلسى بسبب ما أنهاه عنه وطلبه منه وهو مقيم بتربة الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره من سلخ رجب أوقبله

---

(١) فى الأصل « مقيم »

بيرعيات وشاوروا السلطان عليه ليصعد بين يديه فقال: « لا يتوجه من مكانه حتى يوزن خمسين ألف دينار ، ولا يدخل من باب النصر ، ولا يصعد إلىّ »، وتوجه إليه المقر الأشرف الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه الله والمقر الشرفى الأنصارى وغيرهما للسلام عليه ، فالله يلطف به والمسلمين آمين .

يوم الأربعاء[1] رابعه كانت الخدمة بالقصر السلطانى بقلعة الجبل ولها مدة بطالة ، وابتدىء بقراءة البخارى به ، وحضره قضاة القضاة الثلاثة خلا الحنبلى لشغور المنصب بعد وفاة قاضى القضاة عز الدين أحمد من حادى عشر جمادى الأول من قاض حنبلى ، وقرأ الشيخ برهان الدين الكركى الإمام على عادته ولم يحضر السلطان والله المستعان .

وفى الأحد ثامنه رسم للقاضى تاج الدين ابن المقسى أن يتوجه من طبقة الزمام إلى بيت المقر الأشرف الشرفى الأنصارى ليسعى فى وزن ماحوسب ، فظهر فى جهته من مال السلطان وذلك بمساعدة الأنصارى وغيره له من أعيان الدولة فإنهم حزنوا عليه .

وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن [عبد الله بن على][2] الشهير بابن الحمار الواعظ المشهور وكان قد أسن وأظنه فى الثمانين تخميناً ، وكان له مناسبات عقب قراءة البخارى بالقلعة من القراءة والقصائد والغرائب والعجائب ، وكان قليل البضاعة فى العربية ، وربما صحح علىَّ أشياء ينشدها لما يجتمع بى ، وكان من الأقدمين فى معرفة الأمور المتعلقة بالوعظ والمجالس ، طوالا سمينا حسنا دينا لاتعرف له صبوة ، ولا تشتهر له شهوة ، ولا يستغيب أحداً ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، ولا يشاحح فيما يعطى ، وله سماع قديم . رحمه الله تعالى .

(١١٥٩) وفى هذا اليوم الذى هو الثلاثاء عاشره وقف شخص يشكو من رأس نوبة نقيب الجيش للسلطان ، وصار يشكى ويتقول ، فضربه السلطان

---

(١) فى الأصل « الأحد » .

(٢) فراغ فى الأصل ، وقد أضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة السخاوى : الضوء اللامع ٨ / ٢٠٥ ، ج ١ ص ٢٤٤

فطاش الرأس نوبة وسب خصمه ولعنه وصار يقول : « ما أخذت منه سوى دينار واحد » ، فعند ذلك رسم السلطان بضربه ، فضرب بين يديه بالعصى ، ورسم الوالى أن ينادى فى المدينة: « أن أحداً لا يشكو أحداً للسلطان حتى يقف على القضاة والحكام ، فإن أنصفوه وإلا يقف له » ، ونودى بذلك فى المدينة حسب المرسوم الشريف .

وفيه برز المرسوم الشريف على لسان رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله لقاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى بتولية القاضى بدر الدين السعدى الحنبلى قاضياً للحنابلة لتقضى أشغال الناس ففعل ذلك ،وهذه مقدمة تنتج له المطلوب إن شاء الله .

واتفقت[1] حادثة غريبة هى أن مملوكا من المماليك الظاهرية جقمق [كان] ساكنا بالقاهرة بباب سر بيت الأمير تمر الحاجب من إخوة جانبك الوالى الذى صار زردكاشاً فى بداية دولة الأشرف إينال ، له جارية بيضاء وجارية سوداء وغلام شيخ وعبد أسود ومعه مال له صورة نحو ألفى دينار وخمسمائة دينار ،فاتفقوا على قتله وأخذ ماله فأخذوا العبد هربوه وقبضوا على الغلام وسألوه عن حال أستاذه فقال : « إنه خرج من يومين وصحبته خنجر وعليه قرصنة ولم يعرف له مكان ، وأنه ينوى المطالب »، فسألوه عن العبد فأنكر ، فطلبه الأمير تمر الحاجب وقرره وأوعده ووعده وأطلقه من الجنزير ، وقال له: «هذا الجندى له قتلى كثير من الجوارى والعبيد والأحرار ، ولو قتل ما يقتل به أحد » ،والان له القول فعند ذلك أحضر العبد الصغير واعترف بأن جواريه خنقوه[2] وقتلوه

(١) فى الأصل « واتفق ».
(٢) فى الأصل « ألنا » .

ودفنوه بإصطبله تحت نعليه ، فقام الأمير تمر الحاجب بنفسه وتوجه إلى إصطبله وحفروا عليه فوجدوا القول صحيحاً وهو مخنوق ، ومسكوا مَن ساعد على قتله ومن حضر له فى الإصطبل ، وتوجه المباشرون فى [١٥٩ ب] ديوان الخاص إلى أخذ موجوده ، وقيل إن جواريه والغلام تقاسموا المال والأمير الحاجب يريد تركته من السلطان إنعاماً عليه لكونه جاره وخجداشه ، وما أدرى ما تم له ، والغلام والجوارى فى الترسيم ليقتلوا كما قتلوا .

وفيه ـ أو فى الذى بعده ـ وجد شخص مسلوخ الوجه مقطوع الأنف تجاه باب الفتوح بحدرة عكا ، ولم يُعرف ولا عرف له أقارب بل ولا قاتل ، ودفن وذهب دمه هدراً .

وفى أول هذا الشهر أو الذى قبله ظهر هيئة نجم من الغرب ، وقيل إنه صار يطلع من الشرق نصف الليل ويستمر إلى بعد الأذان وله ذنب فيه شعاع نور زائد مستطيل أطول من رمح ، وتعجب الناس من ذلك وصاروا يلهجون بالأقاويل الكاذبة الباطلة التى لا يعول عليها .

وفى يوم الجمعة الثالث عشر منه سافر المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله إلى دمياط وصحبته الأمير جانبك الدوادار الأشقر للكشف عن تعلقات الذخيرة وعمل مصالحها ، ودعى[1] له الناس دعاء كثيراً يقبله الله ، وذلك بعد سؤال السلطان له فى ذلك وقسَمِه عليه وتأكيده فيه .

وفى يوم السبت رابع عشره خلع على فتح الدين المنوفى ناظر البيمارستان

---

(١) فى الأصل « ودعوا » .

والأوقاف وثانى قلم فى كتابة المماليك ، واستقر فى شادية بندرجدة على عادته ليسافر بنفسه من غير أن يرسل نائبا من جهته .

وفى هذا اليوم رأيت عجيبة من مخلوقات الله تعالى وهو أن شخصا من أصحابى الأفاضل ـ أعزه الله ـ أحضر إلىّ فى مجلس الحكم بباب القنطرة عجلا صغيراً وعجلة بيد واحدة ورجلين واليد الواحدة أغلظ من الرجلين والجبهة[١] ، واليد الأخرى التى من جهة الشمال لا أثر فيها ولا كتف ولا لوح ، فسبحان الخالق .

وفى أمسه الذى هو الجمعة ثالث عشره سافر الأمير الأجل سيف الدين قانباى سلاق[٢] الظاهرى إلى البلاد الشمالية وعلى يده خلع الأمراء والنواب التى هى[٣] كوامل الشتاء صحبته لعظيم الدنيا ورأس الأمراء الدوادار الكبير سهل الله له كل عسير ، نحواً من سبع[٤] وعشرين قطعة مابين وشق وسمور وغير ذلك ، ومبلغ [١٦٠ ا] جملته أربعون ألف دينار ليفرق ذلك فيما يحتاج إليه من العسكر وما يختاره ، وأن يصلح النواب مع الأمير الدوادار ، وأيضاً فإن المماليك السلطانية كانوا وقفوا للأمير الدوادار الكبير وطلبوا منه نفقة غير جوامكهم ولحمهم وعليقهم وألحوا عليه فقال : « أنا ما عندى شيء أعطيه لكم ، فمن أراد يقيم ومن أراد يذهب إلى حيث شاء » فخشنوا عليه فى القول ، هذا كله والنواب حاضرون لم يتكلم منهم أحد ببنت شفة ، وآخر الأمر قال لهم : « أنا أرسل ساعى[٥] فى أربعة عشر يوماً ويحضر إلينا فى مثلها ومهما رسم السلطان فعلت » ، فسكنوا وسكتوا .

---

(١) فى الأصل « الجهة » .

(٢) ومعناها « الأعسر » ، راجع الضوء اللامع ٦ / ٦٦٢ .

(٣) فى الأصل « الذى هم » وهى عبارة عائدة على الخلع ومن ثم صححناها لما هو بالمتن لتتسق العبارة .

(٤) فى الأصل « سبعة » .

(٥) أبقينا هذه الكلمة على ما هى عليه حفاظا على نص القول .

ووقع بين الأمير الدوادار وبين نائب الشام واستمر الأمير الدوادار نصره الله مغضباً نحو العشرة أيام ثم حضرا واصطلحا ، وكان سبب الصلح بينهم الأمير تمراز الشمسي والأمير برسباى المحمدى المشهور بقرا . هذا ماوصل إلىّ خبره والعهدة على الناقل .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره عرض السلطان نصره الله المسجونين الذين بسجن الجرائم والذين بسجن الشرع ، فأطلق من سجن الجرائم فى يوم تاريخه وفى اليوم الذى بعده نحوا من أربعين نفراً ، منهم شخص يسمى محمد المنبرى له نحو ثلاثين سنة بالسجن ، وشرط عليهم أن من وقع منهم شنقه السلطان ، والعجيب أنه فى ثانى يوم إطلاقهم قبض الوالى على شخص منهم فضربه بالمقارع .

وأما المسجونون بسجن الشرع فلم يطلق منهم أحداً غير أنه رسم أن تعمل مصالحهم . ومن جملة المسجونين بالشرع رجل سجنته زوجته ولها فى صحبته عدة سنين ، فشكى للسلطان حاله فرسم بعمل مصلحته فأطلقه وأطلق جماعة من الفلاحين .

ووقع فى هذه الأيام أن القاضى ولى الدين الأسيوطى قاضى القضاة الشافعية أبطل حكم قاضى القضاة برهان الدين ابن ظهيرة قاضى مكة المعزول الذى رجع فيه عن حكم الوقف لابن الفاكهانى ، وقاسى القاضى الشافعى الولى الأسيوطى من الفاكهانى إساءة عظيمة من خشن عبارة ، وتكلم معه فى العلم بكلام متع[1] .

---

(١) متع : بكسر الميم والتاء وسكون العين لفظ مصرى دارج بمعنى « قوى » .

وفى هذه [١٦٠ ب] الأيام طلب من قاضى القضاة الشافعى على لسان مولانا السلطان نصره الله برسالة الأمير يعقوب شاه المهمندار كتب الأوقاف التى تحت نظره ، وما أدرى بما اتفق بعد ذلك . وكان تقدم أن السلطان أرسل للقاضى الشافعى قاصداً لأجل الفاكهى المكى يقول : « إما تعمل الشرع فى أمره وإلا » .

وحضر السلطان البخارى فى العصر فى شعبان مرة واحدة فى خامس عشره .

وأما ركوب السلطان فقدمنا غير مرة أنه زاد على الحد حتى إنه لا يضبط.

يوم السبت حادى عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى الجيزة لخيوله وعزم عليه ابن برقع كبير عرب اليسار وصنع له مَدَّة عظيمة من أغنام ودجاج وغير ذلك ، وبات عنده ، وأصبح فتوجه إلى أوسيم لضيافة ابن شقير فلم يستطع للماء الذى فى الطريق، فرجع وعدى من أنبوبة ورسم للأمراء أن يرجعوا إلى أماكنهم ، وتوجه وصحبته المقر الأتابك أزبك من ططخ والأمير الدوادار الثانى ونحو المائة وخمسين مملوكا من مماليكه ومقدم المماليك والوالى ، ولم يتوجه المحتسب صحبته ، وتوجه إلى العباسة فصنع له ابن شعبان الأمير بيبرس ضيافة عظيمة إلى الغاية والنهاية ، واستمر مقيما بالعباسة إلى ما سيأتى ذكره .

وأمطرت السماء ليلة الأربعاء خامس عشريه مطراً متراسلا واستمر إلى ليلة الخميس التسبيح سادس عشريه فعمت البلاد وحصل بها نفع وبعض ضرر ، فإن الزرع كان فيه ما هو محتاج وفيه غير محتاج ، وانهدم من الأماكن والبيوت بسبب ذلك عدة ، وامتلأت البلد بالطين والوحل ولم يعهد مثلها إلا نادراً ، هذا كله والسلطان غائب . وأخبرنى بعض من كان مع السلطان أن

قاضى ناحية الملاقة على للسلطان مدة عظيمة وأحضرها إليه فلما وصلت وعرف مرسلها قال : « هذا القاضى الذى قتل اثنين ؟ ، أطلبوه » ، فحضر فلما قرب من السلطان نزل عن الفرس فسقط ميتاً .

وحضر السلطان يوم الأحد تاسع عشريه وصعد القلعة .

وفى [١٦١ ا] ليلة الثلاثين من شوال[1] توجه قضاة القضاة إلى رؤية هلال شهر رمضان لقبة المنصورية بالمرستان على العادة خلا الحنبلى لفقده بالموت من حادى عشر جمادى الأول سنة تاريخه ، ورؤى الهلال، رآه جماعة : منهم القاضى تقى الدين الزيتونى[2] والقاضى أبو بكر الأبشيهى وغيرهما من الناس ، ونادى نائب المحتسب أن غداً من شهر رمضان ، وأرسل القاضى الشافعى نقيبه فأعلم السلطان بذلك على جارى العادة .

{ شهر رمضان المعظم قدره }

وأهل بيوم الإثنين لأن الشهر الذى قبله جاء تاماً ويوافقه من أيام الشهور القبطية خامس عشر أمشير القبطى . فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكنت فى صحبتهم فهنوه ودعوا له وانصرفوا ولم يقع كلام غير السلام .

وفيه خلع السلطان على قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى قاضى الشام الشافعى وولده كامليتين صوف أبيض بسمور ، ونزل ببيت المقر المرحوم الجمالى ابن البارزى بعد أن قرر عليه ثلاثين ألف دينار ، وركب معه قاضى القضاة الشافعى الأسيوطى والسيد المالكى ابن حريز .

---

(١) فى الأصل « شوال » ثم كتب تحتها « لعله شعبان » .

(٢) راجع الضوء اللامع ، ٦ / ١٠٦٦ .

وفيه رسم السلطان بألف دينار تفرق على العلماء والصلحاء والفقراء مثل شيخ الإسلام محيى الدين الكافيجى والشيخ سراج الدين العبادى والشيخ زكريا وأهل القرافة وغيرهم .

وفى رابعه رسم السلطان بإحضار الأميرين المقيمين بدمياط وهما[1] الأمير جرباش المحمدى الشهير بكرد الناصرى الذى كان أتابكا والأمير يشبك من سليمان شاه الفقيه المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا ، وسبب حضورهما على ما بلغنى أن الأمير جانبك دوادار السلطان الأشقر لما توجه لدمياط فى خدمة رئيس الدنيا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب الإنشاء الشريف حفظه الله أرسل أخبر السلطان أن الأمير جرباش فى ضعف شديد وليس عنده من يخدمه، وأن دوادار الأمير يشبك الفقيه فى القاهرة ضعيف جدا ، فرسم بإحضارهما وكتب مرسوما لهما بذلك ، والعمدة على [١٦١ب] الناقل فى ذلك، ونعم[2] الأميران خيرا ودينا وعفة .

ووصل فى هذا اليوم قاصد من متملك بلاد الروم ابن ابن عثمان وأنزل وأكرم، وإلى الآن لم يصعد بين يدى السلطان .

وفى يوم الأربعاء عاشره وصل رئيس الدنيا ومزهرها وعظيمها المقر الأشرف الكريم العالى المولوى القاضوى الزينى أبو بكر بن مزهر الأنصارى ناظر ديوان الإنشاء الشريف حفظه الله من ثغر دمياط بعد الظهر وهرع الناس للسلام عليه وأصبح فى غد تاريخه فصعد بين يدى السلطان فخلع عليه كاملية صوف بسمور بمقلب سمور ، وتوجه لداره فى ضخامة زائدة .

وكان لما توجه لدمياط توجه فى خدمته المحيوى الطوخى الشافعى والجمال

---

(١) فى الأصل « وهم » .　　(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصل .

السكورانى الشافعى والعينى الحنفى الدمشقى والزين العجلونى الدمشقى ، فرجع الطوخى والعجلونى قبل حضوره بعشرة أيام واعتذرا بعذر مقبول ، غير أن العجلونى : أخوه ضعيف ، والطوخى ولده يصلى بالناس فى هذه السنة ، فحصل من المقر الأشرف الزينى ابن مزهر المذكور وقاه الله كل محذور أمر أعجب كل من فى قلبه مثقال ذرة من الإسلام - فضلا عن المسلمين الكاملين والعلماء العالمين والصلحاء والزاهدين والسوقة والأراذل والظالمين خصوصاً أهل البلاد الشامية مثل جبل نابلس والقدس والخليل ومن بهم قاطنين حتى أهل الذمة اليهود والنصارى والمنافقين - هو الترسيم على شرف الدين الفيومى الشهير بشريف أخى الشيخ عز الدين الذى كان ضرب وجرس بباب الأمير بردبك البجمقدار لما كان حاجب الحجاب على حمار مقلوب بالبلد كونه توكل عن القاضى محب الدين ابن الشحنة الحنفى على غريمه ابن الصواف بسبب تزويج بنته لسرى عبد البر بن الشحنة ، ثم ضرب من الأتابك أزبك مرتين بسبب دخوله بين عبد الرحيم بن البارزى وبين المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله ثم من قصروه أحد الحجاب لما طغى وتمرد على الشيخ المعتقد [١٩٢ ا] إبراهيم المتبولى ، ثم وضع الجنزير والحديد فى رقبته بباب نقيب الجيش من الأمير جانبك الجداوى الدوادار الكبير ، ثم كتب عليه قسامة ببابه وإلزامه ببيت قاضى القضاة حسام الدين ابن حريز أن لا يركب بغلة ولا فرساً ولا يعمل وكيلا ولا يتكلم بين اثنين ، فأزرى به الحال إلى أن صار فى أشد ما يكون من الفقر والخمول ، وكفى الله المسلمين شره .

فلما باشر عبد الرحمن ابن الكويز [نظارة] الخاص فى أيام الأشرف إينال تقرب منه بالظلم والكذب والفجور والبهتان والجرأة الزائدة وصار كأنه لم يحصل عليه شىء مما ذكر ، غير أنه صار يركب حماراً وهو أجهل منه ، لا يعرف مسألة كاملة من مسائل العلم بل ولا قرأ ولا فهم ولا وعى ، وإنما كان فى خدمة القاضى صلاح

الدين بن بركوت المكينى على باب قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى يخدمه ويرشيه فى كل قضية تكون بالباب ويأخذ مثله ، وصار هو عنده يدخل عليه فى الخلوات والجلوات .

وأخبرنى من أثق بنقله عن رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى غير مرة أنه كان ينقم على القاضى الشافعى فى جلوس شريف على بابه وأمره بمنعه مرارا ، وكذا وهو عند ابن الكويز ولا يلتفت إليه أصلا ، فما كان إلا بعد برهة وتوصل بساحة جنابه وصار يظهر له خدمة وشطارة ونهضة ومحبة فقربه وأدناه ، فمدحته الست والدته — حفظها الله — منه وحذرته فما قبل ، وقال له : « ياشريف : والدتى نهتنى عنك فاتق الله وارع حقوقه واحفظ ماأوصيك به من المعروف » ، فلم يزده ذلك إلا رقاعة وشمما وتعاظما ، وصار يفتن بين القاضى وغلمانه وحواشيه ويتكبر ويتجبر ويقضى الحوائج المهمة عند مخدومه المذكور حفظه الله ويفصل الأشغال ، فحصّل الأموال وعظم وضخم وسكن الدور المائلة واشترى العبيد والجُوارى وركب الخيول والبغال ولبس السمور والسنجاب ، هذا كله ومَن [١٦٢ ب] فى بيت أستاذه يكرهه حتى والدته حفظها الله .

ثم لما مات يونس دوادار المقر الأشرف المذكور كان يسافر إلى البلاد الشامية لقبض أموالها مثل جبل نابلس وما جاوره فإن مال هذه البلاد محتال به القاضى كاتب السر حفظه الله عليهم فى كل سنة وهو مبلغ ثقيل جدا ، والقاضى يوزن المال فى كل يوم لجهة الدولة الشريفة ويحصل له من ذلك فى كل سنة جملة من المال ويضم إلى ذلك جهات المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله ، فقرر شريف عوضه فى الجهات المذكورة وركب الخيول بالسروج والغلمان خلفه بالبغال والجنائب والقطر والبغال والبابيّة وأمثال ذلك ، وتوجه إليهم أول سنة فظلم وغشم وأخذ

ونهب وحكم وأمر بما لا يحل على ما بلغنى ، ثم حضر إلى القاهرة فلم يغلق المال الذى قبضه وتأخر عليه ، وصار له ندماء وأخصاء يحضرون مجلسه وسماطه فى رمضان وغيره ، ومن جملة ندمائه عبيد صبى الطيارى الحلاوى وابن البلبيسى ومقمق الحلاوى وابن الشيخ قاسم الحنفى وأمثال ذلك ، وصار إن ركب ركبوا فى خدمته وإن جلس جلسوا معه ، حتى أخبرنى من حضر سماطه أنه يفوق سماط أستاذه ، وهو مع ذلك يرقع على الأكابر والأصاغر ويأكل لحوم المسلمين بغير حق ، ولما يحضر من سفرته يحضر السلام عليه فى بيته بعض قضاة القضاة فضلا عن غيرهم .

ثم سافر المرة الثانية وظلم كعادته فشاع وذاع ظلمه وصار يركب بالقواسة والمشاة والفوانيس والمنجنيق ويروح بالرملة ، وغرم على عرسه جملة مستكثرة ، وعمل أشياء صارت مثلا فى البلاد حتى إن المقر الزينى ابن عبد الباسط كان بالبلاد الشامية فوافق أنه مر عليه فى أثناء ذلك فقدم له أشياء عظيمة من جملتها المخبوز فأعجبه وناهيك بالذى أعجبه ، وبلغ ذلك القاضى كاتب السر حفظه الله -بحضورى- من بركات برد داره فبلغ زوجه ذلك فحضرت إلى الست والدة القاضى حفظه الله [١١٦٣] وأعلمتها بما يفعله ويعتمده وما يقول فى حق مخدومه ، فلما حضر من سفره أخر بعض مال كما هى عادته ، وأدرك المقر الزينى سفره إلى دمياط فأمره بوزن ما بقى عليه لولده سيدنا القاضى بدر الدين ناظر الخاص حفظه الله فامتنع من ذلك ، فطلبه ورسم عليه وبطحه وأراد ضربه وياليتها كانت القاضية ، فوزن بعض شىء ودار على بيوت أعيان الدولة كالمقر الشرفى الأنصارى والمقر الزينى أبى بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط والقاضى برهان الدين الكركى إمام المقام الشريف نصره الله ، وتكلم بكلام كثير لا يليق فشاع ذلك عنه حتى بلغ المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله وهو بدمياط ،

فلما حضر — أيده الله — طلبه ورسم عليه ، فحضر ابن أزبك رأس نوبة الحاجب وتسلمه منه على مال يقوم به ، ومع هـذا كله أرسله إلى دمياط وسكندرية المرة بعد المرة ، وحصل له جملة من المـال فيضيّعها شذر مذر ، وأصبح وأمسى خاملا مهموما موسوقاً ديناً وعثرة ، وذاك ذنب عقابه فيه .

يوم الاثنين خامس عشره عرضت كسوة الحرم الشريف بمكة على العادة بالقصر السلطانى ، وخلع السلطان على ولد القاضى شرف الدين الأنصارى وعلى القاضى برهان الدين الكركى إمام المقام الشريف فإن الأول ناظرها والثانى مباشرها ، وخلعة كل منهما كصاحبه ، والعادة أن تكون خلعة الناظر كاملية سمور والمباشر دونه ، وهذا كونه إمام المقـام الشريف ومن المخصوصين بحضرته فلا بدع إن كان له ذلك ، وخلع على من له عادة كالشاد والمعلمين وغير ذلك ، والله الولى والمالك .

وفيه صعد رسل ابن بن عثمان متملك بلاد الروم بين يدى السلطان بالقصر الأبلق بقلعة الجبل وكان موكباً جسيما والسلطان نصره الله فى أبهة زائدة وقدموا هديتهم فقبلت وهى مماليك أربعة ، ومن القاصد واحد سمور بدن وواحد وشق ، كذلك سنجاب أربعة أبدان ثياب مخمل مدثر وغير مدثر ضمن عشرة أقناص فضيات كبار وصغار : [١٦٣ ب] عشرون قطعة ، وصحبته ورقة صغيرة فيها « أنّ صحبة القاصد كتاب » فقرىء سرا والله أعلم بحقيقته .

وفيه كان أول برمهات القبطى ، وكان برد هـذه السنة شديدا إلى الغاية فظهر أن القـاصد المحضر من ابن بن عثمان قصد التوجه إلى الحجاز الشريف .

وفى ليلة الرابع والعشرين من رمضان سنة تاريخه فطر القاصد المذكور

عند السلطان نصره الله بطلبه له ، وصمد قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى للفطر عند السلطان فلم يمكن من ذلك، ورُد عند أذان المغرب .

ليلة السبت المسفرة عن سابع عشريه توفى سيدى يحيى ولد المقر الأشرف السيفى يشبك من سلمان شاه الفقيه أمير دوادار كبير كان وله مدة متعللا بعدة أمراض منها القولنج الصفراوى وداء الأسد ، وطالت علته وآخر أمره حصل له الصرع ولازمه . ومن محاسنه أنه كان فارساً شجاعاً بطلا فى كل فن من الفنون المنسوبة للحرب مثل لعب الرمح ورمى النشاب وسوق الخيل ، وأقام سنهما يسوق المحمل مع الباشات ، وكان هو الدوادار الكبير فى أيام والده ويكتب خطاً حسناً جداً وخطه أحسن [أما] شكله وبهاؤه وزهارته وأصالته فإليها المنتهى ، فإن الملك المؤيد شيخ جده لأمه وأن والدته لأمه آسية بنت المؤيد ، وصار هو المتكلم فى أوقاف جده بالمؤيدية وغيرها، وأمر عشرة وطبلخاناه فى دولة الظاهر خشقدم لما قتل أمير من الأمراء الذين توجهوا إلى البحيرة ،وصاهر قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى على ابنته ورزق منها بنتاً وماتت فى الفصل الذى كان قريباً وعمره دون الأربعين سنة ، وخلف ولداً ذكراً وشكلا حسناً بالغاً ، ولم يخلف بعده فى أولاد الأمراء مثله شجاعة وبهاء وكمالا وجمالا ، وله فهم فى العلم ، وهتكت حرمه وسراريه ووالدته وصاروا خلف جنازته إلى الرميلة ، فنزل السلطان إلى سبيل المؤمنى وصلى عليه هو وعدة من الأمراء أمير سلاح وحاجب الحجاب وأمير مجلس والأمير قانصوه الأحمدى والأمير قراجا الإينالى وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية وقضاة القضاة [١١٦٤] خلا الحنبلى لموته والشيخ أمين الدين الأقصرائى والشيخ سيف الدين ، ولما أرادوا الانصراف من الجنازة كلم السلطان الشيخ سيف الدين فى ولد محيى الدين المتوفى : «حضرت

فى أمسه إلى مدرسة المؤيد شيخ وفعلت مالا يليق من اللطم والعزاء بالدفوف والأفعال المنكرة » ، فرسم السلطان للأمير حاجب الحجاب أن يتوجه إلى المدرسة ولا يمكنهم من فعل شىء من ذلك ، ودفن بالمدرسة المذكورة رحمه الله وعفى عنه وعوض والده الجنة .

وفيه صعد سيدنا القاضى بدر الدين ولد رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظهما الله بالخلع التى [هى] عادة ناظر الخاص فصعد بها وهى نحو من ألف خلعة ، فخلع السلطان عليه كاملية سمور وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وكان له موكب جليل جداً ، وركب معه المباشرون والأعيان والرؤساء ؛ وبلغنى أن السلطان نصره الله من مدة يومين صعد القاضى ناظر الخاص المذكور لخدمته وكان بعض أزراره محلولة فطلبه إليه وزرر طوقه بيده بحضور العسكر ، وهذا من باب التعظيم والتبجيل له ، فما شاء الله كان ، اللهم احفظهما من طوارق الحدثان .

يوم الاربعاء ثامن عشريه ختم البخارى بقلعة الجبل بالقصر الكبير على العادة ، وحضر قضاة القضاة الثلاثة خلا الحنبلى لعدم قاض بعد القاضى عز الدين أحمد ، فإن المنصب شاغر من حادى عشر جمادى الأول سنة تاريخه وإلى هلم حتى إذا خلع أحد زوجته على قاعدة الحنابلة لا يجد من يعيدها له ، إلى أن كانت واقعة المدرسة السيفية التى بالقرب من بيت العوامية والتى نزل السلطان إليها لما بلغه أن تغرى بردى المحمودى أخذ قطعة من المدرسة المذكورة وجعل منها بيوتا وغير ذلك كما سقناه مفصلا فى غير هذا الموضع . وحكم القاضى نور الدين البلبيسى بهدم ذلك وأرادوا التنفيذ للحكم المذكور ، فشاور رئيس الدنيا ابن مزهر كاتب السر حفظه الله السلطان فى عاشر شعبان على الشيخ بدر الدين

السعدى أن يكون حاكا إلى أن يحضر البرهان ابن مفلح قاضى دمشق ، فأذن للقاضى ولى الدين الأسيوطى الشافعى فى توليته فولاه وعين عليه [١٦٤ب] وقبل منه وهذه مقدمة الوظيفة ، ولما حضروا الختم وفرقت أجزاء البخارى وحضر السلطان وقرأ القارئ الذى هو الشيخ الإمام برهان الدين الكركى وحضر والده فجلس فوق الشيخ قاسم الحنفى تحت الشيخ تقى الدين الحصنى ، والشيخ تقى الدين الحصنى تحت الحنفى موضع قاضى الحنابلة ، وحضر السعدى فلم يجد له مكانا يجلس فيه من الزحمة فجلس خلف الحلقة فإنه تقدم له من أيام أنه جلس تحت سبعة: منهم القاضى الشريف كال الدين الحنفى الذى هو مرصد لحل الأوقاف ،وعند انتهاء المجلس ودعاء القارئ للسلطان وللقاضى الشافعى بالخصوص وبعدهما للقضاة [وبعد] فراغه من ذلك تقدم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله للسلطان وأعلمه أن شخصا يعرض كتبه بحضرته وهو ابن العفيف رئيس الطب فأذن له فدخل وعرض على القاضى الشافعى ، ورسم لقضاة القضاة بلبس خلعهم على العادة فانصرفوا لذلك ، ونادى الدويدار الثانى بحضرة السلطان بأعلى صوته : « القاضى بدر الدين السعدى » مرتين أو ثلاثا ، فحضر فرسم له أن يلبس خلعة القضاء فلبسها وحضر والقضاة ، ففوض السلطان له ، وذلك من لفظ المقر الزينى كاتب السر وقال له السلطان: « امشى مليح ولا تسمع لأحد » فقال له : « من حضر يمشى على قاعدة شيخه » ، فقال السلطان : « بل أحسن » وانصرفوا على ذلك ، وسقط فى يد الخطيب الحنبلى وابن الشنشى والبرهان ابن مفلح قاضى قضاة دمشق مع أنه وصل الخبر من دمشق عنه أنه طلع له جمرة وهو ضعيف منها ، وبالغ بعض المتعصبين على السعدى فقال : « وانقضت عدة الميت وذكروا أنه كان حبا كا وأبوه عوانيا » ، وفاتهم أنه قرأ على الشيخ تقى الدين الشمنى والشيخ شهاب الدين

الآمدى والشيخ جمال الدين ابن هشام والشيخ عبد السلام البغدادى الحنفى ، وشيخ مشايخ الإسلام ابن حجر فى الحديث وكتب عنه فى الإملاء ، وعلى الشرف المناوى، ولازم العز الحنبلى إلى أن رقاه ورباه وصيره كبير النواب وصار إليه المرجع ، وأعظم ما نفتخر به أنه قرأ على شيخ مشايخ الإسلام محيى الدين الكافيجى ، وصار يفتى ويدرس ويحضر مجالس الحكام ويفصل الأحكام عند الدوادار وأرباب [١٦٥ ا] الدولة ، وتعفف عن الأخذ على الأحكام مدة ، وأخذ تدريس الشيخونية عن شيخه عز الدين قاضى القضاة بعد وفاته ، وشُكر عند السلطان من عدة من الناس منهم شيخنا المحيوى الكافيجى ؛ ولما لبس الخلعة ما وجد له بغلة يركبها لأنه كان راكباً فرسا فركب بغلة أمين الدين المنصورى وتوجه إلى الصالحية ومعه القضاة فدخل وجلس وهم معه ، وعلّم على بعض القصص ، فتأخر المالكى لصلاة العصر، وتوجه صحبته الشافعى والحنفى ، فلما وصلوا إلى الناصرية سلم الحنفى على الشافعى لينزل فى بيته فامتنع وتوجه صحبته الحنبلى ، فلما توجهوا إلى بين القصرين حلف الحنبلى على الحنفى ليتوجه لمنزله وتوجه معه الشافعى والقاضى سرى الدين عبد البر بن الشحنة وعدة من الأعيان . والله المستعان .

يوم الثلاثاء تاسع عشريه كانت الرؤيا لهلال شوال بقبة المنصور قلاون الصالحى بالبيمارستان فحضر القاضى الشافعى والحنبلى ولم يحضر المالكى ولا الحنفى، وحضر ولد الحنفى عوضا عنه بعذبة هائلة وأبهة زائدة وجلس مكان المالكى على يسار الشافعى فلم يروا شيئا ، ونادوا غدا من[1] رمضان .

---

(١) هكذا فى الأصل ولعله يقصد « آخر » ، ومع هذا فنى غده الأربعاء كان أول شوال كما ذكر المتن بالصفحة التالية .

﴿ شـــوال ﴾

أهل بيوم الأربعاء ويوافقه من أيام الشهور القبطية خامس عشر برمهات، وفيه نزلت الشمس برج الحمل وتساوى الليل والنهار ومن غد تاريخه يزيد، وهذا أول يوم من الربيع.

فيه صعد قضاة القضاة إلى السلطان فصلوا صلاة العيد بالإيوان الذى جدده بالقرب من باب القصر وكنت فى خدمة قاضى القضاة الحنفى، فلما شاهدت هذا الإيوان وما جدد به تذكرت قول من قال لما دخل على بعض الملوك ورأى له قصراً مشيداً منيفاً وسأله عنه فقال: «فيه عيبان»، فغضب منه وسأله عنهما فقال: «يخرب ويموت صاحبه»؛ ودخلت القصر فحضر السلطان وكان له موكب عظيم الجاويشية تزعق، والأوزان تضرب، والنشابة السلطانية والصنوج وأمثال ذلك، والعسكر والأمراء الأكابر بخلعهم وهم الأمير جانبك قلقسيز أمير سلاح والأمير لاجين أمير مجلس والأمير جانبك من ططخ الفقيه أمير آخور والأمير تمر حاجب الحجاب والأمراء: أزدمر الطويل والأمير قراجا الطويل والأمير قانصوه المحمودى المشهور بالخسيف والأمير سودون [١٦٥ ب] الأفرم وبقية العسكر، والأمراء يقبلون الأرض ويقبلون يد السلطان، وأمير جندار وأمير دوادار ثانى يمسكانهم حتى يقبلوا يد السلطان.

ووقعت للسلطان غريبة تكتب من محاسنه، وهو أن الظاهر خشقدم خلف ولداً صغيرا عمره نحو خمس سنين صعدوا به بين يدى السلطان فطلع لابساً قماشاً وكلفتة فخلع عليه متمراً، فلما رآه السلطان أمر بحمله إليه فجلس بجانبه على الكرسى بعد أن كان حضر هو وولد الأمير الكبير وجلس ابن الأمير الكبير فوقه، ودخل قضاة القضاة بمذابس خلعهم وهنوه فتمام لهم ولم يقم

لأحد من الترك فى هذا المجلس سوى للأمير جانبك الإينالى الأشرفى الشهير بقلقسيز نصف قومة ، ودخل[(١)] المباشرون وبقية العسكر فهنوه وقبلوا الأرض وباسوا يده وانصرفوا على ذلك ، والله مالك الممالك .

وفيه أطلق سعد عبد الأمير زين الدين الأستادار وعبد الوهاب مباشره وكان لهما مدة أشهر مسجونين ليدلوا على مال زين الدين ، وكذلك جاريته قمر وهى متزوجة بشخص من الأتراك الخشقدمية [وكان] مسافراً مع الأمير الدوادار الكبير سهل الله له كل عسير ،فشفع لها عند السلطان فرسم بإطلاقها، فسألت خوند السلطان فى إطلاق المذكورين وهذا من باب الفرج بعدالشدة، والسرور بعد النوح ، والأمن بعد الخوف .

وفى يوم السبت ثانيه توجه القاضى شرف الدين الأنصارى إلى الكرك لعمارة عين يصل منها الماء إلى الحاج، وقيل لإصلاح الكرك وقلعتها وقيل غير ذلك ، وشاع الخبر وتواتر وترادف على تصميم السلطان إلى السفر ، فمن قائل: « الحجاز ويعود إلى البلاد الشامية » ومن قائل :« إليها من غير حج »،وشرع المهم فى عمل الاحتياج وشراء الحوائج من آلات السفر عند خواص السلطان ، فالله أعلم بحقيقة ذلك ، إنه الولى والمالك .

يوم الثلاثاء سابعه عقد مجلس بقضاة القضاة ونوابهم بحضور السلطان نصره الله بالقلعة بسبب برهان الدين المجلونى المحضر من القدس ، وقضيته على مابلغنى بل ماسمعته يذكره فى مجلس رئيس الدنيا وعظيمها المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر كاتب الإنشاء الشريف حفظه الله على المسلمين أنه استأجر [١٦٦ ا] من وكيلين عن أميرين بالشام قطعة أرض مدة معلومة

(١) فى الأصل « ودخلوا » .

وحكم بها حاكم شرعى وتوجه ليزرعها فوجدها مزروعة لغيره ، فأخذ من الذين زرعوها مقاسمته على عادة البلاد الشامية، فحضر الأميران اللذان وكلا الوكيلين إلى القدس وسألا عن ابن العجلونى فاجتمعا به وطلبا منه المال الذى استأجر به الأرض فأجابهم: «إثبتوا !» فحصل عندهما قهر منه فعزلا الوكيلين ، فلما حضر إليه الوكيلان وطالباه بالمال قال لهما: «أنتما معزولان من التوكيل» ، فقام عليه ناظر القدس الذى هو محمد الشامى وجماعته وحضر فخاصمهم ووصل إلى القاهرة فشكى عليه من عند الأمير نائبك الدوادار الثانى وكان جالساً فى مجلسه فقال له: « قم اسمع دعوى غريمك أو وكل» فغاظ وشاط وقال: «أنا رجل عالم ما أكرم»، فلم يلتفت لكلامه ورسم عليه فنزل من القصد وسمع للدعوى ، مع أن المذكور من أهل العلم غير أنه خفيف العقل أهوج ، فوقف للسلطان يشكو من الدويدار ويذكر عنه أنه سفيه وأنه كذا ، ويقول للسلطان إنه ما يحل له أن يوليه ناظر القدس لأنه ضيع أوقاف القدس ويحط على علماء مصر ويقول عنهم إنهم ما يعرفون شيئا من العلم وأن السلطان مأكله حرام هو وجميع مَن فى رعيته ، وأن السوهاجى حكم عليه بدفع المال ، فأخرجه عن دائرة الإسلام بحضور السلطان وغيره . فلما عقد المجلس فى هـذا اليوم المذكور قال السلطان لرئيس الدنيا كاتب السر : «إنت تاكل حرام » ؟ وقال القضاة: «أنتم ماتعرفوا شيئا هذا قال عنكم » أى ابن العجلونى ، وقال عن ناظر القدس: «أن ولايته ما تحل » فقال السلطان نصره الله : « هو لوطى أو زانى أو يشرب خمر» فرسم بنفيه فى جنزير إلى القدس، فدخلوا عليه بسبب ذلك حتى بطل النفى ووقع الثناء الزائد على الدويدار الثانى وأحكامه وعدله فى مجلس السلطان . وانفض المجلس على أن القاضى الشافعى نفذ حكم نائبه السوهاجى ورسم على ابن العجلونى حتى يعطى الحق فى رسل القاضى [١٦٦ ب] الشافعى . وآخر الأمر عمل المقر الزينى كاتب السر مصلحته بجاهه وماله ، حفظه الله .

وغير ذلك أنه وصل كتاب عظيم الدنيا المقر الأشرف العالى السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير - سهل الله له كل عسير وأعانه على ماهو بصدده - يخبر فيه « أن العسكر طيب بخير وسلامة ، وأن العدو المخذول يسأل فى إرسال ولده وأمه ومفاتيح قلعة ادرنده ويأمن على نفسه ، ويكون نائبكم فما وافقتُ على ذلك ، وقلت لابد أن يحضر ويدوس[1] بساط السلطان وهو يوليك ويؤمنك وأمثال ذلك ، وطريق الشام إلى غزة أمان ، وكذا إلى قطيا مع الخلق ، والعالم كثيرون ، ومن قطيا إلى القاهرة لا يقدر واحد يمشى أقل من مائتى جمل أو أكثر خوفا من العربان وفسادهم » .

يوم الجمعة ثامنه توجه سنباى الخاصكى من جهة السلطان إلى عظيم الدنيا الدويدار الكبير وصحبته مبلغ جملته سبعون ألف دينار ، وتوجه صحبته القاضى زين الدين العجلونى وأخوه الشيخ نجم الدين وهو ضعيف بحيث أنه ترهل وورم جسمه ، وله من حين حضر من دمشق فى شعبان أو قبله وهو ضعيف منقطع ملازم للوسادة لم يجتمع بأحد ولا بالسلطان ولا حضر صلاة الجمعة ، وكان السلطان رسم بحضوره وعينه لقضاء الشافعية بالديار المصرية فما ساعدته الأقدار ، واستمر متعطلا إلى أن سافر فى محفه وأبهة ، وأرسل إليه السلطان ولأخيه مائة دينار ليتزودوا بها ، وسأله المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه الله تعالى أن يقيم هذا الشهر بالقاهرة حتى يستقيم حاله فما وافق ، وما كان إلا بعد خمسة أيام من سفره ووصل الخبر أن الشيخ نجم الدين [مات] بين بلبيس والخانكاه فرجعوا به إلى القاهرة ودفن بتربة المقر الأشرف الزينى ابن مزهر حفظه الله ، ولم يحضر السلطان ولا غالب العلماء والفقهاء دفنه .

أما السلطان فإنه كان ركب من القلعة صبيحة يوم [دفنه] وعدى من بولاق إلى أوسيم لضيافة الأمير خشقدم الساقى ولينظر هجنه وجماله ، ووافق أن السلطان

---

(١) يجوز فيها أيضا « يبوس »

عدى من تحت بيت القاضى زين الدين سالم فقيه المقر الأشرف والأتابك أزبك [١٦٧ ا] بعد أن رآى وشاهد الروك وما اجتمع فيه من الخلائق والعوالم ومن اختلاط النساء والرجال والولدان ، فلما رأوه صاحوا بالدعاء له وعجوا وضجوا وهو ينظر إليهم وهم حول فرسه ولا يمكن أحداً من ضربهم ولا إبعادهم عنه إلى أن عدى فى شختور لطيف بمفرده وصحبته مملوك حامل السيف والترس وتبعه جانبك حبيب فصار واقفا فى خدمته لاغير ؛ ولما كان يوم الثلاثاء دخل القاهرة من باب البحر بعد أن بات وأصبح مقيما فى ضيافة ابن شقير شيخ أوسيم .

ولما دخل من باب القنطرة شق المدينة وفى خدمته الأمير سودون الأفرم أحد المقدمين الألوف والأمير تنبك قرا الدوادار الثانى والأمير جانبك حبيب الأمير آخور الثانى والإمام العلامة برهان الدين الكركى وعدة من رءوس النوب والوالى وعدة من الخاصكية والمماليك السلطانية إلى أن وصل إلى باب الصالحية النجمية المقابلة للصاغة انفرد عن العسكر وتوجه إلى جهة خان الخليلى ، فرآى عمارة الأمير الدوادار الكبير ودخل إلى بيت نفسه الذى كان فيه وهو أمير ، لأن قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى نزل فيه ، فبلغه أنه نائم فقال لهم : «سلموا عليه» ، وتوجه للقلعة فسبحان من منح هذا السلطان الشجاعة والتوكل .

ولنعود إلى ترجمة الشيخ نجم الدين فهو محمد بن ولى الدين عبد الله بن زين الدين عبد الرحمن الزرعى كان والده قاضى عجلون ، وعجلون قرية من دمشق ، كان رحمه الله عالماً بارعاً محققاً عين أعيان الشافعية بدمشق بل وبالقاهرة ، دينا خيراً كيسا هينا لينا زهراً فى ملبسه ومركبه ومنظره ومخبره ، عديم النظير فى الفضائل والصفات الجميلة الجليلة . مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانى مائة بدمشق ونشأ تحت كنف والده فحفظ كتاب الله وجوده بالروايات

وحفظ كتبا كثيرة فى الفقة وغيره ، وقدم به والده إلى مصر فى سنة خمسين تخمينا وسمع على عدة من المشايخ منهم شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمهما الله وحضر الإملاء عليه، وقرأ على الشيخ علاء الدين القلقشندى فى ألفية العراقى، واختلف فى [١٦٧ ب] قراءته على الشيخ شمس الدين القاياتى، وقرأ على الشيخ محيى الدين الكافيجى فى المعقول ، وكذا قرأ على الشيخ شمس الدين الشروانى فإنه كان أعنى نزيلهم وانتفع به ،وقرأ على العلمى صالح البلقينى وحضر دروسه، وقرأ على الشيخ كمال الدين ابن الهمام فى كتابه « التحرير » ولازمه وانتفع به واستفاد منه . كان آية من آيات الله.وعدّة محفوظاته للكتب إثنان وعشرون كتابا يحفظها مثل الفاتحة ، وصنّف التصانيف الفائقة منها «تصحيح المنهاج»،ومنها «التاج على المنهاج» ، ومنها «تحرير المنهاج » إلى غيرذلك من العربية وغيرها .

وكان عنده تواضع ولين جانب، سهلَ الانقياد ،طلقَ المحيّا، أبيض معتدلَ القامة ، كثير العبادة ،شديد الورع فى مأكله وملبسه ،حتى أنه قال بتحريم السنّجاب فإنه مخنوق وخالفه فى ذلك كثير من مصر والشام وهو لا يرجع عن ذلك لما قام عنده من الدليل فى صحة دعواه ، وكان قد اشتهر بدمشق وصار عالمها وفقيهها ، ومدارُ أمورها عليه ، وله صحبةٌ تامة بالسلطان هووأخوه الشيخ زين الدين عبد الرحمن والأمراء وأهل الدولة سيما عظيمها ورئيسها المقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ، وكان جُلُّ قصده فى الحضور إلى مصر لأجل زيارة السلطان والمقر الزينى ابن مزهر المذكور ، ودخل القاهرة موعوكا بالباردة والحمى، ثم اختلف عليه الأدواء وتصرف[1] فيه الأطباء فتزايد ألمه وظهر سقمه ولزم الوسادة فحصل له استسقاء ، وسافر فى محفة إلى دمشق بعد أن سأل غالب المحبين له أخاه[2] الزينى عبد الرحمن فى عدم السفر به حتى إن رئيس

(١) فى الأصل « تصرفوا » . (٢) فى الأصل « أخوه » .

الدنيا ابن مزهر الأنصارى قال له بحضورى : « أقم هذا الشهر وكلفتك وجميع ما تكلفته على السفر نرسله إليك » ، وامتنع الزينى عبد الرحمن من ذلك الامتناع الكلى ، فزاد عليه الألم لما سافر من تعب المحفة وسير الجمال فكان من موته ما كان ، ودخل فى كان ، والله المستعان . ولقد شق على موته من وجوه رحمه الله ، فإنه كان مفننا متضلعا بالعلوم ، كثير التواضع ، دائم البشر ، طلق المحيا ، فيه نخوة ومروءة ودين وزهد ، وخلف زوجة وأخوين عالمين فاضلين هما الزينى عبد الرحمن المذكور والشيخ تقى الدين ووالدة وعدة جوار بيض ودنيا [١٦٨ ا] طائلة من نقد وقماش وكعب ووظائف وضياع ومرتبات وأملاك. ودفن بتربة ذى الرئاستين المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر تاريخه عشاء الآخرة كما قدمنا آنفاً .

وسافر فى صبيحة هذه الليلة بعد أن توجه للسلطان نصره الله إلى الجيزة ، واجتمع به وأنعم عليه بتعلقات أخيه وجهاته ، وصنع له المقر الزينى ابن مزهر فى أول جمعة قراءة وغير ذلك من أنواع البر ، حفظه الله على المسلمين وتقبل منه آمين .

يوم السبت ثامن عشره دار المحمل من الرملة والسلطان يشاهده من القصر ، وركب معه قضاة القضاة ما عدا المالكى وأمير الركب الأول والجناب الشهابى أحمد بن الأتابك تنبك البردبكى الظاهرى وأمير المحمل برسباى أستادار الصحبة ، وخلع عليهما على العادة ، واستقر برسباى المذكور عوضا عن يشبك الجمالى وأحمد عوضا عن آقبردى أحد الرؤس النوب الذى كان زوج خوند بنت يشبك وتزوج ببنت قاضى القضاة ولى الدين الصفطى ، واستراح الحاج بل وبيت الله منهما — أعنى من يشبك وآقبردى لسوء سيرتهما وظلمهما

وكبرها وشممها وسوء(١) أخلاقهما ،قبحهما الله وأهلكهما .

وأمطرت السماء فى هذا اليوم مطراً خفيفاً عند توجه الحج إلى بركة الجب.

وفى يوم الأحد تاسع عشره وثالث برمودة القبطى وهو أول الخماسين ، وعند النصارى أن أولها الاثنين العشرين منه الموافق لثامن عشر شوال فالله أعلم .

وتوجه فى هذه السنة قاضى الركب صحبة الحجاج أبو الحجاج الأسيوطى الذى كان امتحن وضرب من بيت الأمير يشبك الدوادار الكبير بسبب قضية هرب أحد معارفه وأصهاره بواسطة قاسم المتحدث فى الوزر ونهبه عند المقر المذكور ، ورحل الأول فى الثانى والعشرين شهر تاريخه والمحمل فى الثالث والعشرين .

وتوجه قبل هذا بأيام الحافظ العلامة قاضى قضاة دمشق وكاتب سرها القطب الخيضرى على وظيفة القضاء وكتابة السر بعد أن قاسى أهوالا ، وقرر عليه نحو من ثلاثين ألف دينار فوزن بعضها وبجهز ما بقى ، وحصل له جبر بالولاية ، وأنزله السلطان بداره التى كان بها وهو أمير [١٦٨ ب] وحضر إليه فيه فوجده نائماً فما مكن أحداً من تنبيهه لحمل إليه هدية بسبب ذلك فلم يقبلها وأنه ما حضر الا ليزوره .

وفى هذه الأيام وصل ابن الصوة التاجر من حلب إلى القاهرة فى تسعة أيام واجتمع بالسلطان نصره الله وصحبته عدة كتب من عظيم الدنيا الدوادار الكبير ، فقرئت وكتبت له أجوبتها .

وفى العشرين منه اتفق أن شخصا من النجار بن صعد القلعة ليهدم بها مكانا

---

(١) فى الأصل « سوق ».

من أطباق المماليك السلطانية أو غيرهم ، فسبقه الهدم وسقط عليه ، وكان آخر الليل فبات تحت الردم وأصبح أهله وأولاده فوقفوا للسلطان فرسم بمائة دينار يشترى به مكان لبيت الميت تأخذ أجرته ، ورسم للميت بثوب بعلبكى وثلاثة أشرفية لخرجته ومصروفه ، فنصره الله وجزاه خيراً .

يوم الاربعاء ثانى عشربه وقعت حادثة شنيعة غريبة قليلة الوجود والوقوع ، حتى إن شخصا من المغاربة [كان] مقيما بمسجد يعبد الله ويصلى ويؤذن ويقرأ : كل ذلك بالمناوات من الجيزية على ما تواتر به النقل وصار له سمعه وأبهة ، فصار أولاد النصارى يسمعون قراءته وصلاته فيسلموا ، فعز ذلك على أهلهم فتحيلوا على المغربى المذكور وخنقوه حتى تدلى لسانه فقطعوه وشقوا بطنه وقالوا له : « أنت تفتن أولادنا » وحملوه ليلقوه فى جب ، فصاروا كلما توجهوا به إلى جب يجدونه مردوما إلى أن سقط فى أيديهم وقبض عليهم الكاشف وجهزهم إلى القاهرة ، فتسلمهم الوالى وأحضرهم بين يدى الأمير جانبك من ططاخ الفقيه أمير آخور كبير فلم يأمر بقتلهم إذ ذاك حتى يعرضهم على السلطان وأمر بسجنهم ، وكان العوام لما بلغهم ذلك تجمّعوا وتحزّبوا ورجموهم تحت القلعة إلى أن ماتوا ، وقيل إن عدة النصارى ستة نفر ، فأما أحدهم لما شاهد هذا الهول العظيم رفع أصبعيه بالتشهد إشارة إلى أنه أسلم فكفوا عنه وسجنوه ، ولو أسلم بعد أن قتل يقتل لأنه خان عهد الله وذمته بخلاف [لو] ما كان القاتل حربيا وأسلم فإنه لا يقتل والسلام ؛ وبلغ السلطان نصره الله ذلك فتغيّظ وتكلم معه الأتراك فى أن العوام يقتلون بأيديهم ويمسكون لجام المماليك (١٦٩ ا) السلطانية ويحكمون لأنفسهم ، فازداد غضب السلطان ورسم للوالى أن ينادى بالمدينة حسب المرسوم الشريف أن أحداً لا يحكم لنفسه ولا يقبض لجام مملوك وأمثال ذلك .

وفيه حضر المقر الشرفى الأنصارى وكيل بيت المال وغيره ممن توجه لجهة

السكرك أو ما قاربها ، والناس فى اختلاف كثير بسبب سفر السلطان : هل هو للحجاز أو لحلب أو للعرب ؟ وكثرت الأقاويل واختلفت الآراء ، والله الموفق والمسدد .

يوم السبت خامس عشريه للموافق لتاسع برمودة عرضوا على السلطان الغلام والجارية اللذين قتلا سيدهما جانم أحد المماليك السلطانية الظاهرى جقمق المجاور سكنه لباب سر الأمير تمر حاجب الحجاب وقدقدمناذ كرهم فى الحوادث، فأمر السلطان بتسميرهما وشنقهما على باب المقتول ففعل ذلك بعد ما أشهرا بالبلد ، ولم نعهد امرأة مسمرة على جمل كهيئة هذه الجارية البيضاء ، وقد أخبرت بأنها جميلة إلى الغاية ولكن بئس الجمال لما ارتكبته من قبح الفعال .

وكان السلطان نصره الله لما أطلق أهل السجون والجرائم أطلق شخصا مقطوع اليد فعاد وسرق فقبض عليه واستمر فى السجن ، فشاوروه عليه فأمر بقطع رجله فقطعت تحت المدرج بباب القلعة ، وكذا رسم بقطع أيدى ثلاثة نفر من الغلمان تعرضوا لمملوك الأمير جانبك الفقيه أمير آخور كبير فقطعت أيديهم أيضا بالمدرج والله على كل شىء قدير .

يوم الأحد سادس عشريه استعمل السلطان دواء ولم يعلم بذلك أحداً ، فبلغ ذلك للقر الأشرف الزينى ابن مزهر فجهز له مايليق به من حلوى وفاكهة ومشموم وغير ذلك مما لا بد منه .

وتوفى ولد الشيخ كمال الدين شيخ الكاملية الكبير المسمى محمدا فى يوم العشرين من شهر تاريخه ، وكان له أربع زوجات ، مات عن ثنتين ، وخلف أخوين اللذين أخذ أحدهما وظيفة الحديث بالكاملية عن الشيخ شمس الدين السخاوى بالجاه لا بالحق، فالله يحكم بينهم إنه هو الحكيم القدير .

يوم الاثنين سابع عشريه وصل المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى

أزبك من ططخ الظاهرى أمير كبير من سفره من البحيرة [١٦٩ ب] ودخل من باب القنطرة والطبول والزمور فى خدمته والشطفة على رأسه ، ومماليكه وأعوانه فى خدمته ، و[كان] أمامه القاضى زين الدين سالم راكباً بجانبه وهو بتخفيفة لطيفة ، فتوجه لداره وأصبح من الغد فصعد للسلطان فخلع عليه بعد تقبيله الأرض ، وتوجه لداره معظما مبجلا .

وفى الثلاثاء ثامن عشريه دار المدراء يخبرون بوفاة الست المصونة خوند مغل زوج السلطان السعيد الشهيد الظاهر جقمق بنت القاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر أخت القاضى كمال الدين كاتب السر زوج القاضى علم الدين ابن الكويز كاتب السر والد عبدالرحمن بن الكويز قبل تزويجها بالظاهر المذكور ، وكانت مقيمة ببيت الأتابك أزبك من حين تزوج بينتها وسافرت معه القدس ، فلما ولد للأتابكى ولده من بنتها وماتت البنت صارت هى القائمة بالولد ، وهى صاحبة البيت والقائمة بأموره ، حتى جوارى التسرى الذين للأتابكى ،وجعلته ناظراً مكانها على أوقاف أبيهاوأخيها وأوقافها وثبت ذلك له على الشرع الشريف وسرعة حضور الأتابك بسبب ذلك ، وكانت مطلقة قبل موت الظاهر بسنتين مقيمة ببيت بنتها ، وكانت لها جنازة حافلة جدا مشى فيها الأعيان من الأمراء وغيرهم وصلى عليها السلطان والقضاة فمن دونهم ، وعليها بشخاناه عظيمة ، هيئة ما يفعل بالأموات الخوندات ، ودفنت بالحوش المجاور لسيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه . وكانت دينة رئيسة خيرة من بيت كبير فى العلم ،أصلها طيب وفرعها [١] .

ومن الغرائب موافقة وصول الأتابكى قبل موتها بيسير حتى حضر وشاهدها فرحمها الله ، أكثر برها للفقراء والصالحين خصوصا سيدى الشيخ مدين رحمه الله فإنها عمّرت لها مدرسة وأوقفتها وأوقفت عليه أوقافاً ، كل

(١) سيعود المؤلف إلى ترجمتها مستعملا نفس العبارات الواردة هنا .

ذلك برضاها ، وكذا لما توجهت للقدس صحبة صهرها الأتابك أزبك فى الدولة الإينالية ، وأمثال ذلك .

وفى سابع عشريه وقعت بطاقة قاصد حسن بك سلطان العراقين .

﴿ شهر ذى القعدة الحرام ﴾

أهلّ بيوم الجمعة الموافق لخامس عشر برمودة القبطى ، لأن شوال جاء تماماً .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام [١٧٠ ا] لتهنئة السلطان بالشهر وكنتُ صحبةَ النواب ،وكان السلطان رحمه الله ركب من صبح يومه هذا وتوجه إلى الإصطبل والميدان ودار من خلف القلعة وصعد من باب القرافة بعد استنظارٍ طويل ، فدخلوا إليه بالمسطبة التى بالحوش التى استجدها بجوار البيت الذى فيه الخليفة ودعوا له وانصرفوا .

ثانيه أو ثالثه سُمّر على الجمال أربعة من العربان والمفسدين : إثنان من الجيزة وإثنان من غيرها ، وأشهروا بالبلد فوسط منهم اثنان بباب النصر لقربهم من بنى حرام ، واثنان بمصر لقربهم من الجيزة .

وفى خامسه توجه المقر الزينى أبو بكر بن عبد الباسط ناظر الجوالى لملاقاة صهره ابن منجك من دمشق ،فسمعتُ من عدّة أنفس أن أهل الخانكاه اجتمعوا عنده وشكوا له ما نزل بهم من عرب بنى حرام فإنهم أخذوا من كل دار شيئاً معلوماً ، ومن كل حانوت كذلك ، ومن كل معصرة كذلك ، ومن كل طاحون ، وجاء ما أخذوه من أهل الخانكاه نحواً من ثلاثمائة دينار وستين ديناراً ، وشاع هذا وتواتر وصاروا فى وجل فإنهم هددوهم أنهم إن شكوهم

للسلطان ينهبونهم ويقتلونهم ، فلاقوة إلا بالله ، هذا مع ما امتلأت به المدينة من أن السلطان يسافر ، وأنه صنع من الأبقار أشياء كثيرة ومن الأغنام كذلك ومن البقسماط حتى حوائج الهجن وآلات السفر .

وفى هذه الأيام توجه التجار الأروام وصحبتهم عدة من العبيد السودان ـ نحواً من خمسة وثلاثين نفرا ـ وعدة من أحمال الحناء وغير ذلك من الأقمشة والنقد من الذهب والفضة وانحدروا فى مركب بالنيل ، وكانت المركب موسوقة من الناس فغرقت بهم عند قرب بيسوس ، وسبب غرقها على ما بلغنى أن المركب نزل بها مملوك ومعه فرس وكان مسوما فحفر فيها فصعد لها الماء فغرقوا من وقتهم ولم ينج منهم إلا ثلاثة أنفار ، وبلغ خبرهم المسامع الشريفة فرسم للأمير شرف الدين بن غريب الوزير والأستادار أن يتوجه إلى المكان الذى غرقوا فيه ويأخذ صحبته الشيخ جلال الدين ابن الأمانة الشافعى أجل أعيان الشافعية وخليفة الحكم العزيز ، ويطلب الغطاسين لضبط ما يتحصل من ذلك ، فتوجهوا [١٧٠ ب] وحضروا آخر النهار ولم يظفروا بطائل ولا نائل إلا قدر يسير من قماش وغيره ، أخذه أصحابه بعلاماتهم .

يوم الخميس سابعه صعد قصاد حسن الطويل سلطان العراقين الآن إلى القلعة وتمثلوا بين يدى السلطان فكانت الخدمة هائلة عظيمة بالقصر السلطانى من قلعة الجبل وباسوا الأرض وقدموا كتابهم فلم يعلم ما حضروا فيه لأن الكتاب قرىء سرا ، ومن قائل إنه سأل فى كسوة الكعبة كما فعل شاه رخ بن تيمورلنك فى دولة الظاهر جقمق فى سنة خمس وأربعين وثمانى مائة ، ومن قائل إنه سأل فى شاه سوار والعفو عنه وتضمنه ويحمل عنه مالا ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وقدموا هديتهم على مابلغنى : قفص ضمنه خوذة ولبس كامل وعدة أبدان سمور وسنجاب وسجادات أقصرائى فقبلت ، ونزلوا فى دارٍ وأجرى عليهم ما يكفيهم ، وكان لهم مقيمين قبل أن حضروا بين يدى السلطان خمسة أيام .

يوم السبت تاسعه صعد المقر الأشرف الكريم العالى السيفى الأتابكى أزبك من ططلخ الظاهرى إلى حضرة السلطان نصره الله وتفدى عنده وشفع فى حواشى الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم المسجونين من مدة خمسة شهور ، وهم : على الفخرى نائب المحتسب والطواشى ويونس الدوادار ، فأطلقوا إلى حال سبيلهم بعد أن قرر على والدة الصاحب المذكور والمحتسب وزوجته ، والصحيح أن المقرر على أم ناظر الخاص بمفردها مبلغ جملته مائة وخمسون ألف دينار ، والمحتسب ضعيف منقطع بداره وليتها القاضية ايحصل للمسلمين بل ولخلق الله قاطبة بذلك العيشة الرضية فإن هلاكه فيه بقاء لمهج غالب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شق عليهم وعلى طلبة العلم وشيوخ العلم وقضاة الشرع ، فاللهم احكم فيه بعدلك قريبا .

وبطل سفر السلطان بواسطة الأتابك أزبك فإنه أشار عليه بعدم السفر وأن بغيبته يحصل فى البلاد من الفساد مالا يحصر فرجع لذلك ، والله الولى والمالك .

ووصلت كتب الحجاج من العقبة فى ثانيه على العادة وأخبروا بالأمن والرخاء ،وأن العليق أبيع أربع ويبات بدينار وقيل خمسة ، والبقسماط القنطار بأربعين نصفاً ،والجبن الخليلى والسكر كى كل عشرة أرطال بمائة درهم ، وفرح الناس [١٧١ ا] بذلك واستراح الحجاج فى هذه السنة من أمير نهم .

وفى هذه الأيام ضَيَّف السلطانُ القاصد المحضر من ابن عثمان وخلع عليه كاملية سمور وأنعم عليه بمبلغ بعد الضيافة نحوا من أربعمائة دينار .

وفى يوم الخميس رابع عشره صعد القاصد المذكور إلى السلطان فقبّل الأرض وودعه فأنعم عليه بفوقانى بطراز زركش هائل ، ورسم له بمبلغ ألف

دينار ومائة دينار وخمسين ديناراً ، وجهز معه هدية سنية من أحسن القماش والحرير وغير ذلك ، والله الولى والمالك .

وورد الخبر من عظيم الدنيا وباش العسكر الدوادار الكبير سهّل الله له كل عسير ، أن سواراً المخذول أرسل أخاه[1] وابنه وأمه وابن أخيه [و]صحبتهم مفتاح قلعة درنده وزمنطوا ، ويسأل فى الأمان وفى الحضور لخدمة الدوادار المذكور كفاه الله كل محذور ، وقصّاده واصلون بذلك ؛ [و]غير ذلك أن البلد لها خمسة أيام فى أمر مرير[2] وهلع زائد وتشويش مفرط بسبب عدم الخبز من الحوانيت ، فإن الباعة صاروا ما يحضرونه لحوانيتهم ويبيعونه فى الأفران ، فارتاع الناس لذلك وكثر الزحام على الأفران ، وصار من له عادة بشراء رغيف يشترى ثلاثة ، وصغر الرغيف جداً مع سواده وفُحْش صنعته ، كل ذلك والمحتسب ـ عزله الله عن المسلمين على أقبح صورة ـ مقيم بداره فى شممه وغضبه على السلطان ، وَوَكَّل بذلك البلَّاصية والأعوان الذين يأكلون البرطيل ببابه وأخربوا البلد ، حتى صار كل رسول منهم عنده القماش والبغال والعبيد والصوف والسنجب وأمثال ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن أعجب العجائب أن هذا المحتسب من حين ولاّه السلطان الحسبة ما كشف البلد بنفسه ، فأين هذا من ابن العجمي ؟ ومن قاضى القضاة بدر الدين العيني ؟ الذين ما يرضوه أن يكون طالباً عندهم وكانوا مع ذلك يركبون ويدورون بأنفسهم وينظرون فى مصالح المسلمين[3] ، رحمهما الله .

---

(١) فى الأصل « أخوه » .

(٢) فى الأصل « مريج » .

(٣) أبقينا هذه العبارة على حالها للاستدلال منها على أسلوب المؤلف .

ووصلت البطة الدقيق إلى مائة درهم بعد سبعين، وصار القمح بدينار، والشعير بأحد عشر نصفاً، ولعمرى هذه المصيبة التى أصابت المسلمين بولاية الحسبة الأتراك ما كان ابتداؤها إلا فى زمن المؤيد شيخ، وإلا من أين للأتراك [١٧١ ب] أن يباشروا هذه الوظيفة السنية.

يوم الجمعة خامس عشره الموافق له من أيام الشهور القبطية تاسع عشرى برمودة، فيه لبس السلطان — نصره الله — القماش البعلبكى المعد لبسه للصيف قبل عادته بثمانية أيام، وقيل بثمانية عشر يوماً.

يوم السبت سادس عشره رسم السلطان بتوسيط اثنين أحدهما من الحرامية وخرج يستعطى كمادته فقتل الجدار المرسم عليه، قيل إنه عصر بيضه فمات فرسم بتوسيطه، والآخر بدوى من مفسدى الجيزية.

وفيه ضرب السلطان شخصا من الخفر للقدمين بخدمة الوالى متدرك الصحراء ضرباً مبرحاً بالمقارع والعصى بسبب قتيل وجد فى دركه.

يوم الأحد سابع عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى بركة الجب.

وتوفى فى هذا اليوم يونس بن عمر بن جربغا، وجربغا هذا من مماليك الكامل على ما أخبرنى بذلك ولد المتوفى الذى كان بخدمة الأمير فيروز النوروزى الزمام والخازندار مدة طويلة وقربه وأدناه وجعله دواداراً ومتكلما فى جميع أمواله. وعمر والد المتوفى كان فى خدمة جمال الدين الأستادار. وكان فيروز وافر الحرمة، نافذ الكلمة، كثير المال، فحصل صاحبُ الترجمة وأثرى وصار بعد من الرؤساء واشترى الإقطاعات والدور، ثم قرر فى أستادارية الذخيرة بالقاهرة، وسافر إلى الشام ليولى من شاء فى الأستادارية ويعزل من أراد وحصل منها مالا فى الدولة الإينالية، وكان أستاذه رقاه وقدمه ثم أفصل من

---

(١) سيكرر المؤلف هذه الترجمة تقريبا فيما بعد، ورقة ١٨٦ ب ١٨٧ ا.

الأستادارية ونوّه به أن يستقر فى الوزارة عدة مرار وهو يمتنع وأستاذه يدفع عنه إلى أن توفى فيروز وذلك فى دولة الظاهر خشقدم . وتولى المجد ابن البقرى الوزارة بعد هرب على بن الإهناسى ثم [لما] أفصل ابن البقرى طلب يونس هذا فباشر الوزارة ولم ينتج له فيها أمر ، ورافقه فيها البباوى المعامل بواسطة استقراره فى نظر الدولة ، ووثب عليه وأفصله وغرم فيها مالا له صورة وكأنه اشترى اسم الصاحب أو الوزير ، وكان يقرأ ويكتب ويحب مطالعة التواريخ ، وانقطع بداره بجوار بيت المقر المرحوم الزينى عبد الباسط لا يتردّد إلى أحد إلا إلى الجمعة [١٧٢ ا] وزيارة القرافة فى يوم الجمعة وزيارة سيدى حسين الجاكى فى يوم الأربعاء ، كل ذلك بكرة النهار ويعود إلى منزله إما ينسخ أو يطالع فى التاريخ . وطلب منى تراجم عدة من سلاطين مصر والقاهرة فكتبتهم له إلى عصرنا هذا مختصراً ، فأرسلت به إليه بعد طلب حثيث فإن بينى وبين والده المتوفى صحبة واسمه «عمر» ، وهو شكالة حسنة ويكتب خطاً حسنا ، وهو حنفى المذهب ، وولده المذكور متهم بالمال فالله أعلم بذلك . وخلف بنتين[١] إحداهما رزقها قبل موته بثلاثة أيام والأخرى بشهرين من جوارى ، وأم ولده عمر فى عصمته .

وتوفى ليلة الجمعة المسفرة عن خامس عشره : ضربه دَمٌ فما أفاده طب الأطباء ودفن من الغد ، وكان مسيكا وله بالسلطان الملك الأشرف قايتباى معرفة قديمة من حال إمرته وساعده فى خلاصه من الوزر فى دولة خشقدم ، وأرسل ولده إلى الشام فى شغل وأشاعوا أنه يتعرض لماله ولم يصح ، وكيف يكون وله هذا الولد وليس فى يده شىء من مباشرات الدواوين . وكان عفيفا عن القاذورات ويحب العلماء ويتردد إليهم خصوصا لشيخنا شيخ مشايخ الإسلام محيى الدين

---

(١) فى الأصل « بنتان » .

الـكافيجى فإنه كان يتردد إليه ويسأله فى كتابة مصنفاته ، وأما شيخنا الشيخ قاسم الحنفى فإنه كان يحضر لبيت صاحب الترجمة ليقرىء ولده عمراً فيصل إليه منه بر ومعروف ، رحمه الله تعالى .

يوم الثلاثاء المسفر عن تاسع عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى جهة بركة الحبش وطرا وفى خدمته عدة من الأمراء الألوف طلبهم بالخصوص ورئيس دولته المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب سره ، وتوجه الخام وللطبخ وما يلائم ذلك ، فبات ليلة الأربعاء وأصبح مقيما إلى آخر النهار صعد لقلعته ، نصره الله نصراً عزيزاً .

يوم الجمعة ثانى عشريه قبض والى قليوب على شخص من بنى حرام لاقاه مع جماعة نفروا فتقنطرت[1] فرس هذا المقبوض عليه فقيد وسمر على جمل وأحضروه القاهرة فأودعوه السجن ، وقد بلغنى من غير واحد أن عرب بنى حرام زاد فسادهم وطغيانهم بالخانكاه وأعمالها وأخذوا من الناس [١٧٢ ب] وأخذوا من المال شيئاً كثيراً جبوه على الحوانيت والدور وفعلوا مالا يليق ، فاتفق أن عربان الخانكاه الطائعين أرسلوا طلبوا من عرب عظيم الدنيا الدودار الكبير الذين حضروا فى خدمته من الوجه القبلى المعروفين « بغزالة » نحواً من مائتى فارس ليحفظوا الخانكاه ويحاربوا بنى حرام ويحتاطوا على موجودهم

وأما غالب من يتوجه إلى الخانكاه وأعمالها أو يحضر منها فيسلخونه وينهبونه ويأخذون ما معه ، وحضر المقر الزينى أبو بكر بن المقر المرحوم الزينى عبد الباسط من سفره بالشرقية ومرّ من الخانكاه وأراد بنو حرام ـ الفتك به فقام من وقته ودخل الخانكاه فبات بها .

---

(١) فى الأصل « فانقطرت » .

يوم السبت ثالث عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل بعد الآذان وصلى الصبح وتوجه إلى طرى فما فوقها ، وتوجه فى خدمته بعض أمراء : مقدمو ألوف وطبلخانات وعشرات ، وتوجه أيضا معه كاتب سره القر الزينى ابن مزهر الأنصارى حفظه الله فبات ليلته بها ، وأصبح معه إلى آخر النهار فصعد القلعة فى خير وأمان ، والله المستعان . وأصبح يوم الأحد فركب وسير وكذا يوم الاثنين .

يوم الثلاثاء سادس عشريه دار المدراء بجنازة صاحبنا الشيخ عز الدين الميقاتى بالمؤيدية شيخ وتوفى فجأة ، فإنه كان نائما بالجامع للذكور وسبح بمئذنته ونزل إلى صلاة الصبح فحصل له انحدار فى حلقه فأراد القىء فما استطاع ، فسقط مغشيا عليه فحمل فى عباءة بين أربعة أنفس وصعدوا به إلى بيته فمات من وقته ، وكان فاضلا فى علم الميقات وله فيه مصنفات ويقرىء فيه ، ولم يخلفه بعده مثله . وكان سا كنا دينا وللناس فيه محبة وابتهاج به ، حلو المذاكرة لطيف المحاضرة ، وأخذ وظيفته بالمؤيدية بعده مؤذن الأتابكى أزبك بجاهه ، وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .

وفيه شكى القاضى فتح الدين السوهاجى[1] للسلطان نصره الله بسبب قضية سطو بقانصوه الإسحاقى فطلب طلبا حثيثا بجماعة من المهآترة بالطشطخاناه فحصل له بهدلة زائدة ، والقضية هى أن قانصوه المذكور اشترى عقارا أو غيره من شخص (١٧٣ ا) وحكم بموجب البيع حاكم حنفى ، ثم بعد ذلك أراد قانصوه رد المبيع فما صعد من يده ، وشكى إلى الأمير الدوادار الثانى فما أنصفه ورسم على أخصامه بنفسه ، وطلب القاضى فتح الدين السوهاجى فذكر أن بينهم مقاتل ،

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٩ / ٥٠١ .

وسجن غريم قانصوه فوقع ما وقع ، ولولا وجود الأمير الدوادار الثانى ماحصل له خير ، وكان فى أمسه عزله قاضى القضاة الشافعى بعد توليته له قريبا بسفارة الأمير الدوادار الثانى . وسبب عزله أنه أثبت طلاق الظاهر تمربغا من خوند سمانة وزوجها كان ، ولها قصة طويلة لسنا محتاجين لذكرها .

يوم الخميس ثامن عشريه ورد قاصد من البلاد الشامية وأخبر أن شاه سوار المخذول أرسل أخاه المسمى أردوانه وابنه وأقاربه يطلبون له الأمان ، فرسم لعظيم الدنيا حفظه الله أن الأمر راجع اه فى ذلك ، والله الحاكم والمالك .

يوم الخميس تاسع عشريه ضرب الأمير أزدمر[1] الإبراهيمى الطويل الظاهرى عشرة من مماليكه ضربا مبرحا بالمقارع وأودعهم المقشرة ، وسبب ذلك أنهم ضربوا دواداره ومباشريه ضربا مبرحا وطلبوا منه جامكية ثلاثة شهور فأراد ضربهم فوثبوا عليه ورجموه ، فشكى للسلطان ذلك فأمره بضربهم كما قدمنا ، وكذلك وقع للأمير تمر المحمودى حاجب الحجاب مع مماليكه وضربهم لكن غير مقارع ، وأما الأمير قانصوه[2] الأحمدى الشهير بالخسيف الإينالى فهرب من مماليكه ثلاثة نفر مرد وصحبتهم ثلاثة أزواج طرز ذهب وثلاثة حوائص وثلاثة سيوف ذهب قيمة ما أخذوه ألف دينار وهو فى غاية التشويش بسبب نقدم ، وأرسل خلفهم إلى البلاد جماعات بمراسيم ؛ ولله الأمر.

• • •

(١) كان موته سنة ٨٨٥ خنقا ، أنظر الضوء اللامع ٢/٨٠٤ .

(٢) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٦/٦٧٦.

﴿شهر ذي الحجة الحرام﴾

أهلّ بيوم الأحد ويوافقه السادس عشر من بشنس القبطى ، لأن ذا القعدة جاء تماما ، ثم ثبت بعد ذلك أن أوله السبت ووصل الخبر بذلك من المحلة فى يوم الثلاثاء ثالثه بعد الظهر وأخبر السلطان بذلك .

فيه صعد قضاة القضاة ومشايخ الإسلام لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكنت صحبتهم،وهنوه على [١٧٣ ب] المصطبة المستجدة آخر الحوش السلطانى، فطلب قاضى القضاة الحنفى من السلطان عيوناً شُغْل الفرنج التى يُنظر بها للكتابة كانوا أحضروا له منها بِمدّة ، فأجابه : « هذا الذى طلبته مفضضاً ، وأنت ما يجوز لك استعمال ذلك » فما ساعه إلا السكوت ، وكلح من الرد عليه بحضور رفقته ، فليت شعرى ما المُلجِىء له فى ذلك ، والله الحاكم والمالك .

وفى يوم الاثنين ثانيه وصل قاصد من عند الأمير يشبك عظيم الدنيا الدوادار الكبير وأخبر أن شاه سوار المخذول أرسل إليه بمفاتيح قلعة درنده ، وأنه أرسل إليها ثانياً الأمير دقاق[1] أحد أمراء العشرات وصحبته عدة من المماليك السلطانية فتسلموها وقطنوا بها وأنزلوا مَن بها من المقاتلة وهم نحو مائة نفر ، ومقصود شاه سوار الأمان لنفسه ، ولم يتأخر من معاملات السلطان التى كانت بيد شاه سوار قلعة واحدة سوى قلعة زمنطوا فإنه مقيم بها ، وجهز إليه عظيم الدنيا الدوادار الكبير مهمندار حلب إلى المكان الذى هو مقيم به فوجده فى فئة قليلة نحواً من أربعين نفساً ، بعد أن كان هذا القاصد الذى توجه [قد]

---

(١) لعله الأمير دقاق التركمانى ، فقد جاء فى ترجمته فى الضوء اللامع ٣ / ٨١٩ أنه كان فى خدمة الدوادار ، وكانت وفاته سنة ٨٩٥ ، وإن لم ينص على ذهابه إلى درندة .

أرسله قبل ذلك المقر الأتابك قبل هذه المرة إليه فوجده فى نحو من ألفى نفر ، ولا أذى بذلك ، ولا عتب على الزمن .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى القعدة حضر إياس الطويل الذى كان نائب طرابلس فى دولة الظاهر خشقدم ، وكان رسم له أن يتوجه لقبرص لقتال الفرنج صحبة الغزاة وتوجه ثم رجع من غير استئذان لرجوعه وحضر لدمياط ، وبلغ الظاهر خشقدم ذلك فغضب عليه ورسم السلطان ـ هذا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره ـ وكان إذ ذاك شاد الشراب خاناه أن أن يتوجه بالقبض عليه ويسجنه بسجن الإسكندرية ، وقبض عليه وفعل ما أمر به ، وأظهر إياس المذكور السلطان الأشرف هذا ـ لما توجه إليه ـ السرور والابتهاج كون ما قدم عليه إلا من يحبه ويعظمه ويخدمه ، واستمر بالحبس فشفعوا فيه عند السلطان أو ذكروه به فرسم بإطلاقه من مدة ، وأن يكون بطالا بالشام فاستمر بها ، ثم طلب إلى القاهرة فحضر فى هذا اليوم كما [١٧٤ ا] قدمناه وصعد إلى القلعة وقبل يد السلطان فتلقاه بالرحب والإكرام وخلع عليه كاملية مخمل أحمر بسمور بمقلب سمور ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، وأحضر له كرسى خشب عالى حتى ركب عليه الفرس من تحت المقعد بعد تعظيم عظيم ، ونزل إلى دار يسكنها ليشغر له إقطاع أو نيابة وقد شاخ وكبر وهرم ، وقد ذكرت ترجمته فى الحوادث فيما تقدم مفصلا ؛ وأرسل الأمراء إليه خيولا وغير ذلك من الأقمشة .

واتفق فى ثالث الشهر أن سرق القاضى يحيى الصفطى نقيب سيدنا قاضى القضاة المالكى من بيته الذى هو بجوار بيت الزمام فيروز النوروزى بالقرب من الجودرية مبلغ ذهب جملته ألف دينار وسبعة وثلاثون ديناراً ، وكان عماله توجهوا الخيام ، ولا قوة إلا بالله . هذا رجل له سنون عديدة يخدم ويكتب

ويشهد ويوقع ويقضى حتى حصل هذا المال ويفقد منه بغير رضاه ، واستكثر عليه غالب الناس هذا المال ، وبعضهم ما هان عليه ذلك ، ووقف للسلطان وشكى له حاله فرسم للأمير الدوادار الثانى بالتوجه إليه والنظر فى أمره، وأسفر الحال أن عبده نقب البيت وأخذ الذهب الذى ذكرناه وأخفاه عند جماعة من العبيد وجارية بالحسينية ، فتوجهوا إليهم فوجدوا المال قد عجز شيئاً يسيراً جدا ، فأطلقوا من كانوا قبضوا عليه من غلمان جيرانهم وسجنوا العبد ، والله المستعان .

وسرق أيضا لشخصين من الظلمة أحدهما على ابن قتق رأس نوبة الدوادار الكبير والآخر محمد بن أزبك رأس نوبة حاجب الحجاب بيتيهما[1] ، أما الأول فسرق له أمتعة من بيته الذى ببركة الرطلى ولم يوجد له فيها ذهب ولا فضة ، وأما الثانى فسرق لزوجته أمتعة من ذهب ولؤلؤ مما جملته ألف دينار .

وفرقت الأضحية السلطانية بقلعة الجبل فى يوم الاثنين ثانى الشهر ، والصحيح ثالثه على العادة ولله الحمد .

[١٧٤ ب] يوم الجمعة سابعه ضرب يوسف السمين[2] ابن أبى الفتح ناظر البيمارستان وناظر الأوقاف وناظر جدة وثانى قلم بديوان المماليك ومباشر الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره، وبهدل بهدلة زائدة وهو مستحق لأضعاف ذلك على سائر جسده من المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الكفيلى الأتابكى السيفى أزبك بن ططخ الظاهرى أمير كبير عز نصره بالبيمارستان المنصورى بالمقعد الذى به ، ثم أنزل منه فأمر ببطحه فضرب ضرباً مبرحا على

---

(١) فى الأصل « بيتهما »

(٢) لعله هو يوسف بن محمد بن محمد بن أبى الفتح ، الذى أشار السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ١٢٦١ إلى أن الأتابك أزبك أهانه . وانظر أحمد بن يوسف السمين فى شذرات الذهب ٦ / ١٧٩ .

أخفافه نحوا من خمسمائة عصى ، ثم أمر بصفعه فصفع من المماليك إلى أن أخرجوه من المرستان ، ولهذا أسباب منها أنه شاب صغير بلا لحية عديم الأدب ، ومشى مع أهل المرستان على قالب لا يرضون وصار لا يلتفت إليهم ، وانفرد بالكلمة مع وجود القاضى عبد الباسط بن الجيعان ، واستمر على ذلك إلى أن توفى صلاح الدين صاحبنا ابن مولى على الذى كان مباشراً بالبيمارستان وعليه العمدة به ، وتولى عوضه القاضى زين الدين سالم وولده إمام الأتابك المذكور فمشى معهما على عادته ، فلما كان هذا اليوم المذكور حضر الأمير الكبير المرستان على العادة وسأل عن الحاصل من يحضره ، كرر السؤال ، فأخبروه عن المضروب فوقع ما ذكرنا .

ومنها أنه صار يتغدى فى كل يوم فى المرستان بمائتى درهم ويأخذ ذلك من صيرفى المرستان أو أحدٍ من جهاته ويتصرف فيه تصريف الملاك .

ومنها أن شخصاً من فراشى المرستان يسمى أحمد بن الصلف نزل عن ثيابه فى البيمارستان أو فراشه وأمضى[1] ذلك بخطه من غير مشورة المقر الأتابكى ، فسأله عن ذلك فقال ما هى العادة ، فحصل ما حصل ولم ينتطح فيها عنزان وما خابت العصى ، وفى الواقع فأبوه خيرا منه وأحسن أخلاقا وتواضعا وعرفا بالناس .

وفى هذه الأيام توفى القاضى شهاب الدين الدجوى الشافعى خليفة الحاكم العزيز الشافعى وكان يجلس فى حانوت خارج باب زويلة مجاورة لدار التفاح ، وسيرته غير مشكورة .

[١٧٥ ا] ووصل الخبر من البلاد الشامية أن أردوانه أخا شاه سوار

---

(١) الضمير هنا عائد على يوسف بن أبى الفتح بن السمين .

المتقدم ذكر حضوره لعظيم الدنيا الدوادار الكبير وسؤاله[1] فى الأمان لأخيه فرسم له به ، وذكروا أنه وقع بين باش العسكر المصرى وبين بقية الأمراء تناوش وأفضى الحال بينهم إلى لبس آلات الحرب ، فحصل مطر شديد منعهم من ذلك، ولله الحمد؛ وأسفر الحال أن شخصاً من أمراء العشرات هو الذى أثار هذه الفتنة .

وذكروا أيضاً أن عظيم الدنيا الدوادار الكبير دخل لمستراحه فوجد به مملوكاً بيده خنجر مسلول وهو عريان فقبض عليه وضربه مقارع ثم قطع أعضاءه الأربعة ، وأرسل طالَعَ السلطان بذلك ، والله الولى والمالك .

وعُلِم مما نُقِل — وصحّته عند الله — يوم عيد الله الأكبر الذى هو عاشر شهر تاريخه كان الموكب العظيم إلى الغاية ، وذبح السلطان ونحر وخلَع على المقر الأشرف الكريم العالى السيفى أزبك الأتابكى وعلى أمير سلاح والزردكاش وقاضى القضاة الشافعى وناظر الخاص على العادة .

وفيه وصل[2] الأميران الكبيران من ثغر دمياط إلى القاهرة وهما الأمير جرباش كرد المحمدى الناصرى الذى كان أتابكاً فى دولة خشقدم ، والأمير يشبك من سلمان شاه الفقيه — الذى كان دواداراً فى دولة يلباى ومن قبله لخشقدم ، ولهما من سلطنة الظاهر تمربغا إلى يوم تاريخه مسجونين بدمياط — صحبة قاصد المقام الشريف نصره الله أحد الرختوانية المعروف بالصفدى ، وصعدا من الغد بين يدى السلطان وقد لبسا طُرحاً وفى أعناقهما مناديل صفا ، فقبّلا الأرض وباسا يد السلطان فخلع عليهما ، فكانت خلعة الأمير جرباش كاملية مخمل أحمر بسمور ، وأما خلعة الأمير يشبك فكانت كاملية صوف أخضر

---

(١) فى الأصل « وسأله » وانظر ماسبق ص ٤٣٥ .
(٢) فى الأصل «الأميرن الكبيرن . . . وهم » .

بسمور ، وشفع جرباش المذكور فى الأمير جانبك[1] كوهيه المسجون بدمياط فقبل ، ولما لبس جرباش المذكور الكاملية وحضر وقبل الأرض ثم يد السلطان قام إليه وأكرمه ، ورسم لهما بالإقامة فى القاهرة ، وحصل للصفدى الرختوان الذى أحضرها نحو من ثلثمائة دينار وكاملية سمور وغير ذلك من العسل والسكر والقصب وماشابه ذلك .

وفى هذه الأيام عمر [١٧٥ ب] السلطان بالقلعة طبقة الزمام ووجد فيها هيئة محراب لمسجد قديم لم يعرف له بانٍ ولم يُصَلَّ فيه مدة سنين، فرسم السلطان بنقله فخالفه فى ذلك — أعنى به — الشيخ الإمام البرهان الكركى الحنفى، فاستفتى السلطان شيخ الإسلام المحبوب الكافيجى الحنفى فأفتاه بنقله ، وحكم بذلك القاضى خيرالدين الشنشى أكبر نواب الحنفية ونفذ له بقية المذاهب ، والله المستعان وعليه التكلان .

وحضر فى هذه الأيام قاصد نائب قبرص [وهو] شخص من الفرنج وعلى يده الجزية من الصوف وغير ذلك ، وركب فرساً مسرجاً مفضضاً مطلياً ، وأخبرت أن هذا القاصد توجه رسولا إلى متملك الروم يسأل أن يكونوا تحت نظره ، وأن عليهم جزية لسلطان مصر يقومون[2] بها له، فأجابه بالإكرام مع أنه عظيم صاحب مصر ، ولله الحمد .

وفى هذه الأيام حضر[3] أهل رشيد وأخبروا السلطان أن خمس مراكب من الفرنج تعرضوا لمركبين من مراكب التجار المسلمين وأخذوهم فوقع بينهم قتال شديد ، إلا أن أهل رشيد أخذوا من الفرنج مركباً واحداً وأخذ الفرنج المركب الأخرى وما فيها وأسروا من بها من المسلمين فلا قوة إلا بالله ، وبلغنى

---

(١) لم يستطع السخاوى ، الضوء اللامع ٣ / ٢٤٠ تحديد سنة وفاته .
(٢) فى الأصل : « يقرموا » .
(٣) فى الأصل « حضروا » ، وقد سار المؤلف فى بقية الخبر على جمع الفعل .

ممن أثق بنقله أن السلطان لما بلغه ذلك انزعج انزعاجاً شديدا وحلف أنه لولا المهم الذى هو به من متعلق المملكة لكان[1] بنفسه .

ثم فى يوم الخميس العشرين منه ورد الخبر من دمياط أو الطينة أن الفرنج أخذوا مراكب للمسلمين فشق ذلك على كل من يسمعه من قريب أو بعيد ، والحكم لله يفعل ما يريد .

ماهذه الفتن فى هذه الأيام إلا كثيرة : الفتن مرة من بنى حرام بالشرقية ، ومرة من عربان قبلى ، ومرة من المخذول شاه سوار ، وهذه المرة من الفرنج ، فالله يلطف ويدبر بحق محمد وآله آمين .

وتكرر ركوب السلطان الكرة بعد الكرة ، وركب فى يوم السبت خامس عشره هو والأمير الكبير وأعيان المقدمين الألوف والأمير تنبك الدوادار الثانى ، وركب المحتسب فى هذا اليوم بخدمة السلطان بشفاعة الأمير الدوادار الثانى فإن له مدة [١٧٦ ا] وهو مغضوب عليه ، وتدخل على المقر الأشرف العالى السيفى تنبك الدوادار الثانى حتى أذن له فى اللعب مع السلطان بعد أن شاوره نصره الله فى ذلك ، فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشره ركب السلطان ولعب الكرة على العادة ، فضرب الأمير الكبير الكرة ضرباً شديداً مبرحاً مزعجاً فطارت وانقسمت وخرج منها قطعة فى وجه ابن غريب الظالم الأستادار فجرح منها وجهه وسال دمه ، فبلغنى أن السلطان نصره الله ومن حضر سرهم ذلك وأقول : يا ليتها كانت القاضية ، مع أنه لما توجه إلى داره هرع إليه بعض الناس وسلموا عليه .

يوم الجمعة حادى عشريه بعد صلاة العصر سافر عظيم الدولة ورئيسها

---

(١) أى لكان هناك بنفسه .

وأصيلها وعالمها وابن عالمها — من لم يعرف له صبوة سوى حب الفقهاء والعلماء والصلحاء والفقراء — إلى دمياط بسبب كشف تعلقات الخاص والذخيرة وهى[1] الدوالهب وأمثال ذلك ، بلغه الله مأموله وكتب له السلامة فى السفر والإقامة ، وحفظه وحفظ ولده ووالدته ورده رداً جميلا مع بلوغ القصد آمين . ما أرجح معقوله ومنقوله .

يوم السبت وقع بظاهر القاهرة غوغاء زائدة وهى أن عرب بنى حرام تحاربوا هم وعرب بنى وائل وسعد محاربة شديدة آل أمرهم فيها [إلى] هروب عرب بنى حرام منهم ودخلوا الحسينية وإلى قنطرة الحاجب وصاروا يشلحون المسافرين والقادمين ، وامتنع المسافرون من التوجه إلى الخانكاه وغيرها وصار العوام يلهجون بألفاظ مختلفة ، واستمر ذلك إلى آخر النهار ، والأمر لله الواحد القهار . ولما كان آخر هذا اليوم بلغ المقام الشريف أبا النصر قايتباى عز نصره ذلك ، فأمر فى الحال للمقر الأشرف الأتابك أزبك من ططخ والمقر العالى السيفى جانبك الإينالى المشهور بقلقسيز الأشرفى الظاهرى [١٧٦ ب] أمير سلاح والأمير أزدمر الإبراهيمى الطويل الظاهرى أحد مقدمى الألوف [بالخروج] إلى العرب المذكورين فخرجوا فى الحال قبل المغرب ، وأرسل صحبتهم عدة من المماليك السلطانية . فأما الأتابك أزبك ومن صحبه [فقد] باتوا بالخانكاه وأعمالها وحضروا من الغد ، وأما الأمير قانصوه فرسم له أن يقيم بالشرقية . وحضر صحبة الأتابك بعض عرب قبض عليهم ، ووافق حضور شخص من الأمراء العشرات من بلده فى ذلك اليوم يسمى كذا فرآى جماعة من المسافرين يصيحون ويبكون [و] قد عرام[1] العربان المفسدون

(١) فى الأصل « وهم » ويقصد بها متعلقات السلطان .

(١) فى الأصل « عروهم العربان المفسدين » .

فتلاحق بهم فرد عليه العرب واراد واحد منهم ضربه وطعنه بحربة طويلة فأخل له وتصادما ، فضربه الأمير بالسيف فسقط عن الفرس فكتفه ودخل به القاهرة فكان له بعض حركة ، وصعدوا به إلى السلطان صحبة من حضر مع الأمراء ، فضرب بين يدى السلطان بالمقارع ورسم بحبسه وحبس من أحضروه . واستقر قانصوه الأحدى أحد مقدمى الألوف مقيماً بالشرقية إلى أن يفعل الله ما يريد .

وفى يوم الاربعاء سادس عشريه وصل قاصد نائب سكندرية ببشارة ، وصعد للسلطان نصره الله فأخبره بالقبض على مركب من مراكب النصارى المفسدين بالبحر وأنهم غنموم وغرقوا المركب وقتلوا منهم نحواً من ثلاثين نفراً وأسروا عشرة أنفار .

وفى يوم الخميس سابع عشريه بعد العصر حضر قاصد [نائب] (١) الاسكندرية وصحبته الفرنج المفسدون المقدم ذكرهم وهم فى الحديد فأودعوا السجن حتى يعرضوا على المواقف الشريفة .

وفيه وضعت امرأة أربعة أولاد فى بطن واحد : اثنان ذكور واثنان إناث ، ووالدهم فقير من حارة الوق وماداناها ، فوقف بهم للسلطان فلما رآهم قال لأبيهم : « إنت شاطر »، ورسم له بعشرة دنانير وخمسة أرادب قمح على مابلغنى من عدة خلائق ، ومات منهم بعد ذلك [١٧٧ ا] اثنان ، والله المستعان .

ووصل مبشرو الحاج فى سابع عشريه وأخبروا أن الوقفة الاثنين على حكم القاهرة ثم نقض بعد ذلك بما ورد من قاضى المحلة أنه ثبت عليه ذلك ، وأخبر بعضهم فى كتابه بأن الأشياء رضية وموجودة .

يوم السبت تاسع عشريه صعد الفرنج المقبوض عليهم من أتكوا فى

(١) راجع أعلاه ، س ٦ .

الحديد بين يدى السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره ، مع أن الأمير قجماس الإسحاق أرسل يُعلم السلطان أنه هو الذى قبض على الفرنج وأخذ مركبهم وحضر أهل أتكوا وقالوا إنهم هم الذين قبضوا عليهم فالله أعلم بذلك ، إنه الولى والمالك ؛ ولما عرضوا الفرنج على السلطان كما قدمنا وصحبتهم أهل أتكوا وكان قجماس عرّف السلطان أن أهل أتكوا تعدوا ونهبوا ما فى مركب الفرنج فلما وقفوا بين يدى السلطان رسم على جماعة منهم ـ من أكابر أهل أتكوا ـ وأودعوا الفرنج سجن المقشرة ، فما هان على غالب الناس الترسيم على أهل أتكوا فإنهم مجاهدون وصلحاء وصنعوا جميلا ، غير أن مولانا السلطان نصرة الله غُطّىَ عليه فى أمرهم ؛ وأصبح يوم الأحد سلخه فطلب السلطان الفرنج المسجونين بالمقشرة فأسلم منهم ثلاثة فأطلقوا ، وسجنوا من تأخر بلا إسلام بالمقشرة .

وفيه أُشهر بالمدينة وشوارعها ثلاثة مسلوخون من أكابر عرب بنى حرام قَبَض عليهم الأمير قانصوه من جوار غيط سيدى الشيخ إبراهيم المتبولى(١) فسلخهم وجهزهم وصحبتهم أربعة أنفار أخر أودعوا بالسجن ومروا بهم إلى خارج القاهرة ليُصلبوا أياما ويرتَدع المفسدون بذلك ويُقمعوا .

وبلغنى وصول الشيخ علاء الدين الحصنى من عند عظيم الدنيا الدوادار الكبير حفظه الله ولم يحضر صحبته كتاب من الأمير المذكور بسبب تغيّظه عليه [١٧٧ ب] فإنه لما جهزه رسولا (٢) إلى متملك بلاد الروم بلغنى أنه

(١) هو المعروف لدى المصريين إلى الوقت الحاضر بولى الله سيدى إبراهيم المتبولى ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، وأشار السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ إلى بعض كراماته وقال : « كنت ممن زرته وملت مع محبيه » ، وكان موته فى ١٨ ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٥ / ١٠٠٩ أنه أقام ببلاد الروم نحو سبع سنين ولم يعمر إلى إرساله رسولا لمتملكها ، ولكنه كان سفيره « لبعض ملوك الأطراف » .

قصر فى تأدية الرسالة وتكلم فيه الأعادى بما أرادوا ، فنقص من عهده ووقاره ، وهذا ملخص ما بلغنى من عدة ثقات .

يوم الجمعة ثامن عشريه نزلت النقطة ، وهذا اليوم هو الذى يسمونه عيد ميكائيل ، ووزن الطين فيها على العادة وذلك أنهم يزنون ستة عشر درهما من الطين الذى بمجرى الحوت فبلغنى أنه زاد ثلاثة قراريط وأن القيراط بذراع ، فالله أعلم بذلك ، إنه الولى والمالك .

وانقضت هذه السنة على ما سمعت ورأيت .

﴿ ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ﴾

١ ــ إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن سعد قاضى القضاة برهان الدين بن قاضى القضاة شمس الدين أخو شيخنا قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى ، نشأ تحت كنف والده وقرأ وتعانى المباشرات أولا فباشر نظر الاصطبلات السلطانية والجوالي فى دولة الملك الظاهر جقمق ، ثم عزل عنهما فناب عن أخيه الشيخ سعد الدين سعد فى قضاء الحنفية ، وكان هو القاضى ، والكلام صدره وورده إليه وإلى نقيبه السيد الشريف ، ثم ولى نظر الجيش فى دولة الملك الأشرف إينال عوضا عن المقر الأشرف الشرفى الأنصارى فى دولة الأشرف إينال ، ثم عزل عنها وتولى كتابة السر فى دولة الملك الظاهر خشقدم عن المقر المحبى ابن الشحنة فأقام به خمسة عشر يوماً وعزل عن الوظيفة بعد أن وزن فيها خمسة آلاف دينار ، وسبب ذلك أن والدة المقر الشهابى أحمد ابن العينى الذى هو ابن زوجة الظاهر خشقدم توفيت فى يوم سبت وأخرجوها من الحريم السلطانى بالقلعة ، وجلس الأمراء والمباشرون ينتظرون خروجها وقضاة القضاة ، والعادة أن كاتب السر يكون صحبته الأمير الدوادار

الكبير وكان الدوادار إذ ذاك الأمير جانبك الجداوى وكاتب السر جالس بإزائه ، فتكلم [١٧٨ ا] صاحب الترجمة معه وقال : « العادة إذا خرجت ست يوم السبت من مكان أو دار يتبعها كبير ذلك المكان » فقال له الدوادار : « فالسلطان يتبعها ؟ » قال : « نعم » ، فلما مضت الجنازة والدفنة صعد الدوادار المذكور للسلطان وأعلمه بما وقع فتكيف السلطان واحتد وكتب عدة فتاوى عليها خطوط العلماء مثل الشيخ أمين الدين الأقصرائى والشيخ محيى الدين الكافيجى وغيرهما بأن هذا الكلام لا يعبأ به وإن اعتقد صحة ذلك يقع فى كيت وكيت . ثم إن الأمير قانم من صفر خجا المؤيدى عارض الدوادار فى نقله ذلك عنه ، فما ساغ الدوادار إلا أن صبر عليه حتى صعد للسلطان وقال بحضوره وأقسم عليه برأسه أنه ما ذكر له ذلك ، فقدر الله أن سكت وأذعن ، فحصل له من السلطان نقده وعزله ، وكان قد وزن خمسة آلاف دينار فى الوظيفة واقترض غالبها من عدة أقوام ، فلما رأوه عزل شكوه وطالبوه بحقوقهم وضيقوا عليه فباع الغالى بالرخيص وأرضى خصومه واستمر بطالا بداره ، وكان قد تسبب فى عزل أخيه وصعد للدوادار والسلطان فأخبرهما أن أخاه عجز عن القضاء وأنه ذهل ، ووعد فى كتابة السر بثمانية آلاف دينار فعجل منها بخمسة وتأخر عليه ما بقى ، فحصل لأخيه منه حصر زائد ، فيقال إنه دعى عليه بالقهر فما مضى خمسة عشر يوما حتى قهر ، وقد ذكرنا هذه الحكاية فى الحوادث بأطول من هذا .

ثم ولى قضاء الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة فأقام بها ستة شهور وعزل عنها بمن أخذها عنه مع أنه باشرها مباشرة حسنة سيما فى أوقافها ، وبعد ذلك ما سلم من الخفة الزائدة ، ثم ولى مشيخة المؤيدية ومزدادة ، وسكن بقاعة المشيخة بالمدرسة المذكورة وصار

يزرع فى عدة مواضع يستأجرها وهو ملازم لداره ، غير أن نفسه تحدثه بالعود إلى المناصب السنية وظهور الشمم الزائد والترفع على الأكابر ، وصار يحضر مجلس البخارى بالقلعة لكونه شيخ [١٧٨ ب] المؤيدية ويجلس تحت قاضى الحنابلة ، وبحث مرة فى مجلس البخارى بالقلعة بحضور الظاهر خشقدم مع شيخ مشايخ الإسلام الكافيجى فقطعه الكافيجى بحضور الجم الغفير . ومات فى ليلة الجمعة تاسع شهر الله المحرم من هذه السنة ، وعمره نحو سبعين عاماً تخميناً .

وكانت له جنازة حافلة عظيمة حضرها قضاة القضاة ومشايخ الإسلام وأعيان الرؤساء والمباشرين ، ومشى غالبهم فى الجنازة من المؤيدية إلى سبيل المؤمنى ، وركب السلطان ونزل إليه حتى صلى عليه ، وتقدم للصلاة عليه إماما قاضى القضاة ولى الدين أحمد الأسيوطى الشافعى ، وشكر رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله على المسلمين بين يدى السلطان فيه وأثنى عليه بحضور السلطان وقضاة القضاة ومشايخ الإسلام ، ووصفه بالعفة والديانة والنظر السديد فى الأمور سيما فى أوقاف الحنفية وصرر الحرمين .

وتكلم سيدنا الشيخ زكريا الشافعى مع السلطان فى هذا المجلس بالوصية على ولده محمود ، وسأل صدقات السلطان نصره الله أن لا يخرج عن ولده شىء من وظائفه فسكت ولم يجب لما بلغ السلطان عن ولده أن بضاعته من العلم مزجاة وأنه لا يصلح لمشيخة المؤيدية ، ثم ولى المشيخة المذكورة شيخنا المحقق الزاهد سيف الدين بسؤال له فى ذلك من غير سعى منه . وولى مزدادة الشيخ العلامة شمس الدين العنتابى الأمشاطى (١) وأخذ بقية وظائفه وجواليه ومرتباته ولده محمود بتوقيع شريف ، واستمر رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر

---

(١) نسبة لبيع الأمشاط وعملها .

حفظه الله يحسن لولده محمود المذكور فى كل سنة بالصوف والبعلبكى والذهب والفضة ، وكل ماطلبه منه أنعم له به ، ومن العجب أن جميع الوظائف التى[1] وليها صاحب الترجمة أخذها عنه مخدومنا ابن مزهر المذكور إلا القضاء ، واستمر يحسن لولده المذكور إلى سنة اثنتين وثمانين وثمانى مائة [ولما] سافر الحجاز مجاورا أنعم عليه بنفقة جليلة [١٧٩ ا] تكفيه فى سفره ، وكتب له عدة كتب إلى سلطان مكة وقاضيها وأكابرها بالوصية والإحسان إليه ، فجزاه الله خيرا .

وكان رحمه الله تعالى عالماً فاضلا زكياً بهجاً زهراً نوراً يحب الملبس النظيف والشهامة والمركب الجميل ، ويحضر عنده بعض جماعة ويأكلون عنده على سماطه بالفقيرى ، ومات مقهوراً عفا الله عنه ورحمه بفضله ، فإنه كان لى على إقبال ويودنى ويصلنى فى كل قليل ـ لما ولى القضاء ـ بشىء من الدنيا .

٢ ــ أحمد بن مظفر الشيخ الصالح المبارك : كان غالب إقامته فى المدرسة المنسوبة للقيمرية والمنكوتمرية بحارة بهاء الدين قراقوش ، وكان له خلوة فى كل منهما ، وكان هو ووالده على خير كثير وصلاح ودين متين ، وقد ترجم شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله والده وأثنى عليه بصلاح وخير ، وكان له كلمات صادعة فى القلوب منها « اللهم إنا راغبون إليك ، ندعو ونرجو نفلك ، أنت يامن لم تخب دعوة راج ، أسألك فأعطنا من سعة يا من تعالى فلك . سبحانك اللهم ما أجل عندى مثلك » وكان كثيراً ما يتمثل بالأبيات التى تذكر وهى :

يا من يرى مد البعوض جناحها ... فى ظلمة الليل البهيم الا اليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها ... والمخ فى تلك العظام النُّحَّل

وغيرها من الألفاظ الحسنة السهلة اللطيفة والأدعية المأثورة النافعة ، مع

---

(١) فى الأصل « الذى » .

الهيئة الجليلة الجميلة الزاهرة الظاهرة ، مع ملازمته لتلاوة كتاب الله وسرعة دمعته وشيخوخته النضرة .

وكان والده شاهداً بحانوت يتكسب منه مع عفته وصلاته . وأما صاحب الترجمة فكان لايتعاطى شهادة ولا غيرها ، فقيراً مجرداً إن وصل إليه شيء قبله ، متقللا من الدنيا نظيف الثوب والبدن بشوشاً كثير الدعاء لمن يسأله ، منطرح النفس قليل الكلفة متواضعاً متوددا للناس ، وكان لطيفاً ظريفاً ، بينى وبينه صحبة ومودة . وكان إذا أراد التنزه [١٧٩ ب] يتوجه إلى الأهرام بالجيزية فيقيم به الخمسة أيام والأكثر والأقل . توفى رحمه الله تعالى بخلوته بالمدرسة القهمرية المجاورة لسوق أمير الجيوش ، وكانت له جنازة جليلة فى يوم السبت ثانى عشر[1] صفر الأغر سنة تاريخه حضرها جماعات من العلماء والصلحاء والفقهاء والفقراء والفضلاء والقضاة . وممن حضر جنازته ودفنه شيخنا الشيخ أمين الدين الأقصرائى ، وأثنوا عليه خيرا ، ودفن بالصحراء رحمه الله ونفعنا به .

٣ ـ أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن أبى الفتح قاضى القضاة عز الدين ابن قاضى القضاة برهان الدين بن قاضى القضاة زين الدين بن شهاب الدين الكنانى العسقلانى قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية وابن قاضى القضاة وعالم الحنابلة فى عصره . أجمع المسلمون كافة على عفته وتواضعه وزهده وتقلله من الدنيا بحيث أنه لما ولى المنصب عوضاً عن القاضى بدر الدين البغدادى الحنبلى لم يجعل على بابه نقيباً ولا رسلا ولا نائباً من نوابه يحكم فى بابه بالنوبة على عادة قضاة القضاة .

---

(١) فى الأصل « ثانى عشرى صفر » وهو خطأ يصححه ماورد فى الضوء اللامع ٢/٢٢٢ ، والوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٤٨ أن أول صفر من هذه السنة كان الثلاثاء .

أخبرنى رحمه الله أن مولده فى ذى القعدة سنة ثمانى مائة بالقاهرة ونشأ بها لحفظ القرآن الكريم وكتبا فى مذهبه ، ثم جود القرآن تجويدا على شيخنا ابن الزراتيتى ، وسمع الكثير على خاله الجمال عبد الله بن العلاء على الكنانى ، وسمع على الشرف ابن الكويك وعلى خلق غيرهما ، وأجازه الشيخ زين الدين العراقى وعائشة ابنة محمد بن عبد الهادى ، ولازم شيخنا — شيخ الإسلام خادم السنة والأثر المشهور نسبه الكريم بابن حجر رحمهما الله — فى بداية أمره كثيرا وانتفع به فى أشياء منها كتابه الذى صنعه فى الأشعار التى سمعت فى المنام وكان للدهر به جمال . وأخذ الفقه عن قاضى القضاة علاء الدين بن مغلى وعن قاضى القضاة مجد الدين سالم وقاضى القضاة محب الدين بن نصر الله ولازمه ملازمة كثيرة ، وأخذ النحو عن الشمس [١٨٠ ا] البوصيرى واليسير منه على الشطنوفى ، ولازم حضور الدروس عند جماعة من العلماء فى عدة علوم منها العربية والأصلين والمعانى والبيان والمنطق والحكمة وغيرها[١] من العلوم، وشمر عن ساعد الجد إلى أن شاع ذكره وانتشر فضله وعلمه وفاق الأقران ، فناظر وأفتى ودرس ، وصار هو المشار إليه فى الحنابلة ، وناب فى القضاء وهو شاب سنه نحو العشرين سنة عن مخدومنا قاضى القضاة علاء الدين بن مغلى ، ولم يشتهر عنه بل ولا قيل بل ولا ذكر عنه أنه أخذ على الأحكام شيئا ، فإنه من حين نشأ وهو فى غنية عن الناس له ما يكفيه من أطلابه ودروسه ومرتباته وأجرة أملاكه إلى غير ذلك، ثم ترك هذا الباب أصلا وصار يقرأ[٢] عليه الفضلاء بمنزله وبالمسجد الذى أنشأه بجوار بيته وبغيرهما من المدارس ، وكان يركب حمارة ويجعل على ظهرها خرجا مملوءا من الخبز ويتوجه إلى الجبانة فيتصدق به

---

(١) فى الأصل « وغيرهم » .

(٢) فى الأصل « يقرءون » .

على الطلاب وغيرهم من الفقراء المحتاجين ، وكان كثير التودد لأصحابه حلو المفاكهة غزير البشاشة مطبوعا على التواضع وهذا ديدنه إلى أن ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية مسئولا فى ذلك بعد وفاة القاضى بدر الدين البغدادى الحنبلى ، واستمر على هذه الطريقة إلى أن توفى فى ليلة السبت الحادية عشرة من جمادى الأولى سنة تاريخه[1] وصلى عليه من الغد بسبيل المؤمنى لأجل أن السلطان سأل فى الصلاة عليه ، ودفن بحوش الحنابلة المقابل لتربة كوكاى بالقرب من تربة السلطان الملك الأشرف إينال ، والحوش فيه أسلافه وعلماء الحنابلة أيضا كالقاضى ابن العماد وغيرهم ، وكانت له جنازة حافلة شهدها قضاة القضاة والعلماء والرؤساء وأرباب الوظائف ، ولم يخلف بعده مثله ، وصنّف وحدث ، واشتهرت تصانيفه وكثرت حتى لم يدع علما إلا وصنف فيه ، ودرس كما قدمنا بعدة أماكن كالشيخونية والمؤيدية الأشرفية وقبة الصالح والحاكم والبديرية وتداريس القضاء ، وحج مرارا منها الحجة التى حج فيها [١٨٠ ب] صحبة المقر المرحوم الزينى عبد الباسط وأهدى[2] له فى هذه السفرة أشياء من تحف ومن أصناف المأكولات والمشروبات فلم يقبل منها شيئا ، وأرسل إليه الأمير جانى بك الدوادار الجداوى وصولا بقمح له جانب فأخذ الوصول لما علم أنه لا يرضى إلا بقبوله ولم يقبضه ، فلما كان فى العام الآتى جهز إليه نظيره فأخرج القاصد الوصول السابق وأعلمه بعدم قبوله شىء ، وكذا أرسل إليه الظاهر خشقدم نقدات فما قبلها ، وهذا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله وخلد ملكه فى العالمين رسم له بشىء فلم يقبله ، وقيل إنه قبله وفرقه على الفقراء سرا من غير أن يعلم أحداً بتفرقته .

---

(١) جمل الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٧ س ١٢ وفاته سنة ٨٧٦ وكذلك فى ذيل رفع الإصر ص ٤٠ .

(٢) يعنى بذلك أن الزينى عبد الباسط أهدى لصاحب الترجمة أشياء فأباها .

وزار بيت المقدس ودخل دمشق فما دونها ، وسافر إلى دمياط والمحلة وغيرها من القرى ، وله مآثر جميلة وأوصاف حميدة وسيرة صالحة ، فمن مآثره الجميلة إنشاؤه سبيلا ومسجداً ببيته المجاور سر بيت الأمير تمر حاجب الحجاب ، ومدرسته أيضا مجاورة لبيته المجاور لباب سر الصالحية ومدرسة أيضا مجاورة لإنشاء بيته الذى بشبرا الخيمة المطل على البحر من ضواحى القاهرة المحروسة إلى غير ذلك ، وفى الواقع فما خلف بعده له نظير ، وقد شهد له شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة ابن حجر رحمهما الله بعد موت المحب البغدادى أنه عالم الحنابلة وعظمه فى عدة مواضع من مصنفاته كرفع الإصر عن قضاة مصر وغيره ، وكذا ذكره الحافظ العلامة الشيخ شمس الدين السخاوى الشافعى فى الذيل الذى وضعه على رفع الإصر المذكور بترجمة عظيمة طويلة فمن أراد الوقوف عليها يراها[1].

وكان بارعا فى الأدب ويحب المداعبات والألفاظ الفصيحة ، وكتب أشياء من ذلك الأصيل الخضرى ذكرناه فى وفاة أصيل المذكور وله نظم رائق وخط فائق إلا أنه كان يغلقه بحيث يصير عسر الفك من القراءة ، وكتب الكثير من مؤلفاته تلميذه القاضى بدر الدين السعدى وانتفع به ورقاه ورباه وصيره أكبر نوابه لما ظهر له من الفهم الجيد والذكاء الوافر والعقل الباهر ، وأذن له فى الإفتاء [١٨١ ا] والتدريس وصار هو المشار إليه فلقيه الشيخ وعظم قدره وترفع عن تعاطى الأخذ على الأحكام وصار يحضر عقود المجالس عند الأمراء وهو المشار إليه فى مذهبه وهو أقرب وأليق وأصلح لدخوله فى هذا الأمر بعد صاحب الترجمة لعقله وعلمه وخبرته بأحوال الناس ، ومن نظم قاضى القضاة عز الدين رحمه الله فى لغات الأنملة والأصبع قوله :

وهمز أنملة ثلث وثالثة   والسبع فى أصبع واختم بأصبوع

---

(١) راجع هذه الترجمة فى السخاوى : ذيل رفع الإصر ، ص ١٢ ـ ٦٢ .

وقوله رحمه الله مضيفا لبيت الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض نفع الله به :

بانكسارى ، بذلتى ، بخضوعى   بافتقارى ، بفاقتى ، بغنا كا[(١)]
لا تكلنى إلى سواك وجدلى   بالأمانى والأمن من بلواكا

ووقفت له على نظم ونثر رائق شائق وفوائد جمة لو أوردتها فى هذا الكتاب لطال والله ولى الأفضال . وكان رحمه الله يودنى ويميل إلى ، ووقف على جزء من تاريخى الكبير فى فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وكتب لى عليه كتابة جيدة ، والتاريخ المذكور الذى وقف عليه « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الأزمان » ابتدأت فيه من آدم عليه السلام و إلى الآن .

٤ — طوخ بن عبد الله الأمير سيف الدين الأبو بكرى المؤيدى شيخ الزردكاش ، كان فى دولة الظاهر خشقدم والظاهر يلباى ثم ركب مع خجداشه الأمير يشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدى الدوادار على خير بك الظاهرى خشقدم ومن فى حزبه وقد قدمنا ذلك فى الحوادث مفصلا ، وآخر الأمر قبض عليه ونفى لدمياط بشفاعة السلطان الملك الأشرف قايتباى وهو أتابك ، ثم لما ولى السلطنة أحضره إلى القاهرة فلزم داره بطالا ورتب له فى كل شهر مايكفيه لنفقته وكان قد أسن وجاوز الستين وضعف يومين ومات فى مستهل [١٨١ ب] شعبان من هذه السنة وكانت له جنازة بالفقيرى ، وصلى عليه السلطان وبعض أمراء . وكان عفيفاً عن الفروج والمسكرات إلا أنه لم يشهر عنه شجاعة ولا كرم ولا حرمة ولا همة ؛ باشر نظر كوكاى الناصرى وله على الديوان المفرد خراج رزقه فى قليوب كل سنة أربعون ألف درهم يتحصلها أضعاف ذلك خمس

---

(١) هذا البيت لابن الفارض أما التالى فلصاحب الترجمة .

مرات ومع ذلك ضيّع على الوقف ستين بإهماله، وإمهاله وضيع من الزردخاناة أشياء كثيرة . وكان المقر المرحوم الزينى عبد الباسط تسرى بأخته لما اشتراها وصارت عنده فى الأوج وكان اسمها سكرباى فعرف به وقدمه ورقاه عفا الله عنه .

٥ — عبد العزيز ابن . . . الميقاتى كان واحد عصره فى علم الميقات والزايرجا وما أشبه ذلك ، ويكتب فى كل سنة عدة تقاويم للاكابر بطلب منهم له فى ذلك ، وقرأ عليه جماعة من الناس والأكابر وكان لا بأس به وله مصنفات مفيدة فى هذا الفن ، وكان باسمه رئاسة مدرسة الملك المؤيد شيخ فاتفق وفاته فجأة فى يوم الثلاثاء سادس عشرى ذى القعدة سنة تاريخه فإنه كان نائما بالمدرسة المذكورة وسبح بها وحضر لصلاة الصبح فحصل له فى حلقة انحدار فأراد القىء فما استطاع فسقط مغشيا عليه فحمل فى عباءة بين أربعة أنفس وصعدوا به إلى بيته فمات من فوره ولم يخلف بعده مثله ، وكان ساكنا دينا هينا لينا وللناس فيه محبة وابتهاج زائد فإنه حلو المذاكرة لطيف المحاضرة، وأخذ وظيفته من بعده التى بالمؤيدية مؤذن المقر الاشرف الأتابك أزبك بجاهه وكان له مشهد عظيم وأثنوا عليه ثناء حسنا ، وأبيعت مصنفاته وأوراقه وكتبه بأضعاف قيمتها وتسابق الكبراء لمشتراها ، ونقل لى عنه أنه قال عن نفسه إن عليه قطعا فى يوم موته وإن سلم منه فيكون عجيبا ، وكان كذلك والله الباقى على الدوام وما سواه فان .

٦ — [١٨٢ ا] محمد[1] بن عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ نجم الدين ابن الشيخ ولى الدين ابن الشيخ زين الدين الزرعى كان والده قاضى عجلون ،

---

(١) الصحيح أن اسمه « محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن » أما أخوه فاسمه عبدالرحمن ، انظر الضوء اللامع ٨/١٩٧ .

وعجلون قرية من قرى دمشق . كان صاحب الترجمة إماما عالما علامه بارعا فاضلا حجة محققا مدققا دينا خيراً ، عين أعيان الشافعية بدمشق بل وبالقاهرة ، كيّسا زهرا نضرا فى ملبسه ومركبه ومنظره ومخبره عديم النظير .

مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانى مائة بدمشق ونشأ بها تحت كنف والده فحفظ القرآن وجوده بالروايات على الأشياخ ، ثم قدم به إلى القاهرة المحروسة فى سنة خمسين وثمانىمائة تخمينا فقرأ بها على عدة من المشايخ منهم شيخنا إمام الحفاظ خادم السنة والأثر الشهير نسبه الكريم بابن حجر وحضر الإملاء بين يديه ؛ وقرأ على الشيخ علاء الدين القلقشندى فى ألفية العراق ؛ واختلف فى قراءته على الشيخ شمس الدين القاياتى وقرأ على شيخنا شيخ مشايخ الإسلام محيى الدين الكافيجى فى الأصول والمعقول ، وقرأ على شيخنا العلامة الأمة شمس الدين الشروانى[1] فيما قرأ على الكافيجى ، وقرأ على قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى وسمع عليه وحضر دروسه ، وانتفع بالشيخ شمس الدين الشروانى فإنه كان نزيلهم ، وقرأ على شيخنا العلامة المحقق كمال الدين ابن الهمام فى كتابه « التحرير » ولازمه وانتفع به واستفاد منه ، وكان آية من آيات الله تعالى فى التحقيق والحفظ ، حفظ اثنين وعشرين كتابا كالفاتحة ، وصنف التصانيف الفائقة منها « تصحيح المنهاج » ومنها « التاج[2] على المنهاج » ، ومنها « تحرير المنهاج » إلى غير ذلك من العربية وغيرها .

وكان عنده تواضع ولين ، سهل الانقياد ، طلق المحيا ، أبيض معتدل القامة ، كثير العبادة ، شديد الورع فى مأكله وملبسه ، حتى إنه قال بتحريم

---

(١) هو محمد بن مراحم الدين الشروانى الذى جعل السخاوى : الضوء اللامع ١٠/١٦٥ وفاته سنة ٨٧١ هـ .

(٢) ذكره السخاوى ، شرحه ، باسم « التاج فى زوائد الروضة على المنهاج » .

السحاب لأنه مخلوق وخالفه جمع كثير من مصر والشام [١٨٢ ب] وهو لا يرجع عن ذلك لما قام عنده من الدليل فى صحة دعواه . وكان رحمه الله قد اشتهر بدمشق وصار عالمها ومفتيها ، ومدار أمورها عليه وله صحبة تامة بالسلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى عز نصره هو وأخوه الشيخ زين الدين عبد الرحمن والأمراء وأهل الدولة سيما رئيسها وعظيمها المقر الأشرف الكريم العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله على المسلمين .

وكان جل قصده فى الحضور إلى مصر لأجل السلطان والمقر الزينى المذكور، وبلغنى أنه رشح لولاية قضاء الشافعية بالديار المصرية فلم يتهيأ له ذلك ، ودخل القاهرة موعوكا بالحمى والباردة ، ثم اختلف عليه الأطباء والأدواء وتصرفوا فيه فزاد ألمه وظهر سقمه ولزم الوسادة ، فحصل له استسقاء فسافر به أخوه فى محفة إلى الشام بعد أن نصحه غالب الفضلاء والأحباب فى عدم السفر به ، ومن جملة من ذكر له ذلك المقر الزينى ابن مزهر حفظه الله وبالغ حتى قال له بحضورى: « أقم به هذا الشهر وجميع ما تكلفته على السفر أنا أدفعه لك » فما وافق ، مع أن المقر المذكور ما ضبط عليه أنه كان يأكل وحده لما يحضر صاحب الترجمة وأخوه ، مع وافر فضله وإحسانه العميم إليهما وقبول كلامهما فى جميع ما يرومانه[1] ، وسافر به فحصل له تشويش على ضعفه من وعثاء السفر ولم يوافقهم على الإقامة حتى كان ما كان ، وسافر صحبة سنباى بعد أن أرسل به لهما السلطان نفقة مائة دينار فى يوم الجمعة عاشر شوال من هذه السنة ، فما كان إلا يوم الاثنين المبارك ثالث عشره [حتى] وصل الخبر بوفاة الشيخ نجم الدين ببلبيس ورجعوا به إلى القاهرة فدفن بتربة رئيس الدنيا المقر الأشرف الكريم

---

(١) فى الأصل « يرومه » .

العالى الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ولم يحضر السلطان ولا الأمراء ولا غالب العلماء والفقهاء دفنه .

أما السلطان فإنه نصره الله كان ركب [١٨٣ ا] من القلعة يوم الأحد ثانى عشره صبيحة اليوم المذكور وعدى من بولاق إلى أوسيم لضيافة الأمير خشقدم العثمانى الساقى وليكشف على هجنه وجماله وبلاده ، وأما بقية الأمراء والعلماء فإنهم لم يعلموا بدفنه فإنهم دفنوه من غير مدبر .

وخلف أخا من أهل العلم غير الشيخ زين الدين بدمشق ووالدة وزوجة وجوارى بيضا ودنيا عريضة من كتب ووظائف وضياع وأملاك أخذها أخوه زين الدين عبد الرحمن من السلطان بعد أن عدى لخدمته ثانى يوم دفنه الذى هو الرابع عشر ، وتأسف عليه السلطان ورئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله ، وصنع له أعزه الله فى أول جمعته قراءة وغير ذلك من أنواع البر ، وكان أخوه قد سافر فتقبل الله منه وجعله كنز الأحياء والأموات .

٧ — محمد بن صالح الشيخ صالح المجذوب المعتقد المشهور بالأزهرى لكثرة إقامته بجامع الأزهر ومخالطته بأهله من الفقراء والطلبة ، وكان مع جذبته يصلى ويتعبد ويلازم الحضور لجامع سيدى محمد[1] الغمرى وجامع الزاهد وغيرهما سيما لما يكون سيدى أبو العباس ولد الغمرى مقيما به ، ويطلب من الأكابر الذهب والفضة فيبادرون بها اه ، وله أولاد وحفدة وخدمة يحصل لهم بواسطته من الناس الحطام . وكان له مكاشفات وكلمات خوارق ، ووقع لصاحبنا الحافظ الشيخ شمس الدين السخاوى معه قضية بحضورى فكانت

(١) هو محمد بن عمر بن أحمد الغمرى المولود سنة ٧٨٦ بمنية غمر وكان يتقوت بقشر الفول والبطيخ ونحو ذلك وقد لازم التجرد والعبادة ، وقد بنى جامعه بطرف سوق أمير الجيوش بالقاهرة بالقرب من خوخة المنازل ، راجع ابن حجر : انباه الغمر ، وفيات سنة ٨٤٩ ، السخاوى : الضوء اللامع ٨/٦٤١ ، وابن العماد : شذرات الذهب ٧/٢٦٥ .

أمراً عظيماً وهو أن الشيخ شمس الدين المذكور أخذ درس الحديث بالمدرسة الكاملية بين القصرين — التي هي دار الحديث عن الشيخ كمال الدين ابن إمام الكاملية المذكوره بحكم وفاته وله أولاد ثلاثة رجال — بن الناظر الشرعي، وحكم له به [1] فوقف أولاد الشيخ كمال الدين ينازعون في وظيفة والدهم، ووصل أمرهم للمقر العلائي ابن خاص بك والمحتسب والحاجب الحجاب والسلطان وعجزوا أن يأخذوا الوظيفة من السخاوي [١٨٣ب] لأمور منها أن الحق صار له وأنه من أهل التحديث وزيادة بخلافهم [2] ومنعوه ثم تعصبوا عليه، ثم رسم له السلطان بكتابة توقيع باستقراره في وظيفته ومنع من يعارضه، وانقطع اليأس من الوظيفة لأولاد الشيخ كمال الدين، واتفق حضور صاحب الترجمة في ختمة قريبة بجامع الغمري وحضر فيه جمع جم ومن جملتهم الشيخ السخاوي فقال له: «لا تغتر بأنك أخذت الوظيفة من أولاد فلان عد [3] لهم وظيفتهم، وإلا نحن بعد يومين أو ثلاثة ناخذها لهم» فامضى ماذكره حتى رسم لهم بأخذ الوظيفة بمساعدة خوند وجوهر [4] المعيني الساقي، وماساع الشيخ شمس الدين

---

(١) أي بدرس الحديث

(٢) أي بخلاف أولاد الشيخ كمال الدين.

(٣) أي أعد عليهم وظيفتهم.

(٤) كان جوهر المعيني كثير التردد على إمام الكاملية ويقرأ عليه واختص بصحبته، وقد أشار السخاوي، ج ٣ ص ٨٥ إلى هذه القصة فذكر أن جوهرا المعيني أخذ وظيفة مشيخة الحديث بالكاملية منه بعد أن صارت إليه «بطريق شرعي متوهما أن ذلك قربة، سيما ولم يعدم مخاصماً ممن يتشبه بالفقهاء ونحوهم يحثهم على ذلك، ومع ذلك فلم ينجر السلطان معهم وملت» ثم يقص القصة مطولة.

هذا ولقد كان السخاوي يتألم لأخذها منه كما يقول فيه حين ترجم للزفتاوي، شرحه ٨/ ٣٨ حيث قال إن الزفتاوي قال له «لم أزل أسمع شيخنا يقول لا أعلم الآن وظيفة في الحديث مع مستحقها، ويردف ذلك بقوله: العلم يعطى ولا يخطى».

إلا الامتثال وأعذر[١] لهم فيها وترك حقه .

وكانت له جنازة حافلة وصلى عليه جماعة من أعيان الدولة ، وتوفى يوم الأحد ثانى عشرى شهر ربيع الأول من هذه السنة ، نفع الله به .

٦ — قرقماس بن عبد الله الأمير سيف الدين الظاهرى جقمق نائب ملطية وما معها ، وصل إلينا الخبر بوفاته على الوجه الذى سيذكر فى العشرين من شهر الله المحرم سنه تاريخه ، وسبب موته على ما وصل إلى أنه خرج فى هرتك جسيم وجحفل عظيم لقتال شاه سوار وكان شجاعا ، وبلغه أنه فى فئة قليلة ، وله عادة بالوثوب عليه وعلى جماعته ونهبهم والفتك بهم حتى أبادهم ، وقيل إنه وصل إليه خبر أن التجار المسافرين حضر صحبتهم مماليك وجوار فخرج عليهم جماعة شاه سوار وأخذوا ما معهم ونهبوهم وذكروا أنهم فى فئة يسيرة ، فخرج إليهم فكسرهم كما هى عادتهم معه وفروا منه فلحقهم ، فخرج عليه كمين وتكاثروا عليه ، فقيل إنه أصيب فى عينه من سهم ولا زال يقاتل حتى قطعت أيدى فرسه الذى هو راكبه ورجلاه فسقط وأسر وقيل إنه قتل ، ورسم لإينال الحكيم باستقراره فى نيابة ملطية عوضاً عنه ؛ وكان أميراً باسلا فارساً مقداما له عزم وقلب ، وحصل له ما حصل فى قبرص وسلم مع رفقته المماليك وكانوا نحوا من مائتى نفر [١٨٤ ا] أو يزيدون ، وقتل جانبك الأبلق وما كانت منيته إلا كما ذكر ، رحمه الله تعالى .

٧ — محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوى القاهرى الشافعى القاضى ناصر الدين أحد النواب بالحكم العزيز ، نشأ فى صغره تحت كنف أبيه فحفظ كتاب الله و« العمدة فى الحديث الشريف » و« المنهاج » فى الفقه ، وعرض على جماعة منهم مجد الدين إسماعيل الحنفى والحافظان العراقى والهيثمى و [التاج] ابن الفصيح

---

(١) أى اعتذر لهم .

وغيرهم ، وأجاز له ابن الملقن والأنباسى قطامة وحدث . سمع منه الفضلاء . وأخبرنى الشيخ الحافظ شمس الدين السخاوى أيده الله أن البقاعى قرأ عليه بعد أن أطلق لسانه فيه أيضا جزءاً أسماه « ابتلاء[1] البازعلى ابن الخباز » وماعلمت وصفه بابن الخباز لماذا ؟ وكان رحمه الله تعالى مزجى البضاعة من العلم ، وبيننا وبينه صحبة ، وسفر إلى الحجاز الشريف فى سنة أربعين وثمانى مائة أو بعدها لما كان الأمير تمر باى رأس نوبة النوب أمير حاج المحمل وكان هو إمامه ، وكان ظريفاً خليعا طريفاً نظيفاً بسطاً منادماً كثير الحشمة ، وعمر نحو الثمانين سنة . وتوفى فى يوم الجمعة عاشر شهر جمادى الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى .

٨ — محمد بن على بن جعفر بن مختار ، الحسينى نسباً ، القاهرى مولداً ، الشافعى مذهبا ، الشيخ شمس الدين المشهور والمعروف بابن قمر ، مولده بعد الثمانى مائة ونشأ نشأة حسنة فحفظ القرآن وأقبل على طلب الحديث فسمع من جمع كثير ، ورحل إلى حلب وغيرها ، ولازم شيخنا شيخ الإسلام قاضى القضاة خادم السنة والأثر الشهير نسبه الكريم بابن حجر ملازمة تامة ، وكتب أكثر مصنفاته وغيرها بخطه وضبط أسماء الذين يحضرون السماع عنده ، وكان يحصل له من ذلك شىء من الحطام ؛ وقدمه للاستملاء عليه بعد وفاة مستمليه الشيخ زين الدين رضوان ، وكان يميل إليه ويرفده بالإحسان ويصله بالوظائف والعطاء ، وأم بالخانقاه البيبرسية مدة فعرف بها ، ولما مات شيخنا ابن حجر - رحمه الله - ناب فى القضاء عن الشرف المناوى ، [١٨٤ب] وحصل له فاقة فى آخر عمره فرغب عن إمامة الخانقاه .

وكان إنساناً حسناً جيداً متواضعاً هيناً ليناً متقللا من الدنيا قانعا باليسير منجمعاً عن الناس خصوصاً فى آخر عمره ، واختصر « الأنساب » لابن الأثير ،

---

(١) فى الضوء اللامع ٩/٣٠٢ « أشلاء البازعلى ابن الخباز » .

وكذا شرع فى اختصار « الأطراف » للمزى . وأخذ عنه بعض الطلبة . وتوفى فى شهر جمادى الأول من هذه السنة، وكانت له جنازة شهدها الفضلاء والطلبة وأثنوا عليه خيراً ، وخلف بنتين متزوجتين [ولما مات[1]] جاءت تركته نحو المائتى دينار ، فخص خانقاه سعيد السعداء منها شىء لأنه كان صوفياً بها فشاركت بيت المال ، والله يعفو عنه ويرحمه .

٩ — [محمد بن عبد الرحمن] أبو الفوز ربيب سيدنا قاضى القضاة شمس الدين الأمشاطى العنتابى الحنفى ، كان خليفة الحكم بالديار المصرية عن قاضى القضاة سعد الدين وقاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة ، وكان زهراً نوراً حشماً له خلوة بالصالحية[2] النجمية بجوار زوج والدته قاضى القضاة شمس الدين المذكور يحكم فيها والناس يكرمونه[3] لأجله ، وهو خفيف الوطأة كثير التواضع حسن الشكل ، يركب البغلة الجليلة ويلبس الأثواب البهية ويقرأ على عمه المذكور وعلى الشيخ أمين الدين الأقصرائى وغيرهما ، وكان باسمه تصوف بمدرسة الأشرف برسباى المجاورة للوراقين فخرج عنه بعد وفاته لقريبه الشيخ شهاب الدين بن اسماعيل بن الصائغ[4] وكان ذلك من أهله فى محله ، وفجعت به والدته[5] وأسفت عليه أسفاً زائداً وهى معذورة .

وتوفى فى يوم الأحد خامس عشرى شهر الله المحرم من هذه السنة ، وخلف بنتا صغيرة وزوجة ووالدته المذكورة ، وكانت له جنازة حافلة مشهودة حضرها القضاة والعلماء والفضلاء والمشايخ وأعيان الرؤساء ، وصعدوا معه إلى

---

(١) فى الأصل « وبيت المال وجاء » وقد بدلناها ليستقيم المعنى .

(٢) مدرسة الصالحية النجمية من إنشاء الصالح نجم الدين أيوب ، وكان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى وذلك بخط بين القصرين ، وكانت للمذاهب الأربعة ، انظر المقريزى : الخطط ٢/٣٧٤ .

(٣) فى الأصل « يكرموه » .

(٤) راجع عنه الضوء اللامع ج ١ ص ٢٣٩ .

(٥) ذلك أنه مات وعمره زاد على الأربعين سنة ، انظر الضوء اللامع ٨/٤٥ .

قربته التى دفن بها بالقرب من جوشن ، وكثر الثناء الحسن عليه . رحمه الله .

١٠ ـ محمد بن حنه سبط البلقينى ، عرف بوالدته لأنها بنت الشيخ جلال الدين البلقينى ، [١٨٥ أ] واسم والده على ويعرف بالمناوى القاهرى ، وكان قد باشر نيابة القضاء عند سراج الدين عمر الحمصى(١) صهر الخليفة لما ولى قضاء الشام زمنا طويلا ، واجتهد فى تحصيل وظائف هناك فتمت له ثم ناب فى القضاء عن قاضى القضاة علم الدين البلقينى بسفارة ما بينهما من النسب ، ولكن لم يتعاط(٢) الأحكام فى القاهرة إلا نادراً ثم عزل وصار يتجر فى القماش وغير ذلك ، وتوفى يوم الاثنين ثامن عشره أى شوال ، وصلى عليه من الغد بالحاكم ، ودفن بفسقية كان للقاضى ولى الدين ابن تقى الدين أعدها لنفسه بمدرسته التى استجدها بحارة بهاء الدين المجاورة لمنزله وبالقرب من المدرسة الشريفية القديمة ، واتفق أن صاحب الترجمة أعد له فسقية بدمشق فقدر الله أن الوالى البلقينى لما ولى قضاء الشام فى دولة الأشرف إينال وضعف فيها مات(٣) فدفن بالفسقية المذكورة فكانت هذه القضية من غرائب الوجود .

وخلف بنتاً وأختا وأخوين رجلين فحرمهما ميراثه : أعنى الذكرين .

وشكوا(٤) السلطان أمرهما وما أفادهما ذلك وعند الله يجتمع الخصوم ، فهو كريم .

١١ ـ محمد بن [عبد الله بن على(٥)] المعروف والمشهور بابن الحفار الواعظ ،

---

(١) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) فى الأصل « يتعاطى » .

(٣) فى الأصل « فمات » .

(٤) جمع الفعل مع أنه يعنى أخويه .

(٥) فراغ فى الأصل ، وقد أكمل ما بين الحاصرتين بعد مراجعة السخاوى الضوء : اللامع ١١ص ٢٤٤ ، ٨/٢٠٥ ، هذا ويلاحظ أن المرجع الأخير أشار إلى أنه ولد سنة ٧٨٥ ، وبذلك يكون قد مات وقد بلغ الحادية والثمانين من العمر ، كما جعل وفاته يوم الخميس ثامن شعبان ، ويستدل من الجداول الواردة فى التوفيقات الإلهامية ان أول شعبان كان الاثنين .

كان قد أسن وشاخ وزاد على الثمانين[1] وكان له مناسبات عقب قراءة البخارى بالقلعة بحضور السلطان وقضاة القضـاة والجم الغفير من العلماء والطلبة ويأتى بعجائب وغرائب ؛ وكان مرصداً لإنشاد المديح فى ختم « البخارى » عند شيخ الإسلام ابن حجر ، وهو جيد ساكن عديم الشر والأذى إلا أنه كان قليل البضاعة فى العربية ، وربما صحح عَلَىّ الأشياء التى ينشدها لما يجتمع بى ؛ وكان له قدم فى معرفة الأمور المتعلقة بالوعظ والمجالس ، طوالا شكله ، حسن الهيأة فى نظافته ديّنا لا تعرف له صبوة ولا شهوة ، ولا يستغيب أحداً ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، ولا يشاحح فيما يعطى ، وله سماع قديم . توفى رحمه الله [١٨٥ب] فى يوم الأحد ثامن شعبان من هذه السنة ، وكانت له جنازة حافلة وأثنوا عليه خيراً .

١٢ ـ محمد بن محمد بن محمد المشهور والده بالخير والصلاح والعلم [والمعروف] بابن إمام الكاملية ، هو أحد أولاده الثلاثة الرجال الذين أخذوا وظيفة تدريس الحديث بالكاملية عن الشيخ شمس الدين السخاوى الحافظ ولم يمهل له فى أجله بعد أخذه الوظيفة الا أياماً يسيرة ، وكان دينا خيراً ملازما الصلوات فى أوقاتها والأذكار والأدعية ، وتوفى فى العشرين[2] من شوال سنة تاريخه وخلف أربع زوجات وبنتين وأخوين ، وكانت له جنازة حافلة ، وأثنوا عليه خيراً . رحمه الله تعالى .

١٣ ـ خوند مغل بنت القاضى ناصر الدين ابن البارزى كاتب السر أخت القاضى كمال الدين كاتب السر زوج القاضى علم الدين ابن الكويز كاتب السر ، ثم من بعده تزوجت بالملك الظاهر جقمق وهو أمير فأقامت معه حتى تسلطن وصعدت القلعة واستمرت خوند صاحبة القاعة ورزقت منه بنتا ،

---

(١) انظر ص ٤٦٣ حاشية ٥ .

(٢) الوارد فى السخاوى ... ٩/٨ ... فى الرابع والعشرين من شوال.

فزوجها السلطان للمذكور لمملوكه الأمير أزبك من ططخ الساقى ورقّاه وربّاه وعظّمه ، واتفق موت حظية السلطان المسماة « سور باى[1] » وكان يهواها ؛ فنسبوا خوند صاحبة هذه الترجمة إلى أنها تسببت فى موتها بشىء أدخل عليها من السم وحاشاها من ذلك ، فهجرها السلطان الظاهر وطلقها فنزلت من القلعة وسكنت عند بنتها ببيت الأمير المذكور واستمرت مفهمة عنده وصارت هى القائمة بأموره وأمور بنتها وأمور بيته ، ومات الظاهر . ثم ولدت بنت الظاهر ولداً فاستمرت خوند مغل قائمة بتربيته حتى أن الجوارى اللائى[2] يتسرى بهن الأمير عندها لم يعلمن ما خلفته بنتها لما ماتت لأنها أسندت وصيتها للأتابكى وجعلته ناظراً ، وكذلك فوضت إليه خوند مغل النظر على أوقاف أبيها وأخيها وأوقافها وثبت ذلك على الشرع الشريف ، وكانت وفاتها فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى شوال من (١٨٦ ا) هذه السنة ، ووافق حضور المقر الأشرف الأتابك أزبك من سفرة كان فيها قبل موتها بيوم واحد أو أقل من ذلك ، وكانت لها جنازة حافلة جدًا مشى فيها الأعيان من الأمراء وغيرهم وقضاة القضاة وغيرهم من رؤساء الدولة ومباشريها وأعيانها ، وعمل على تابوتها بشخاناه مثل ما يصنع للخوندات على العادة ، ودفنت بالحوش المجاور لسيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه ؛ وكانت دينة خيرة رئيسة أصيلة عريقة من بيت كبير فى العلم أصلها طيب وفرعها ، وكانت كثيرة البر والمعروف والخير للفقراء والفقهاء والصلحاء والمعتقدين ، خصوصاً للشيخ مدين رحمه الله ، فإنها عمرت له مدرسة

(١) فى الأصل « سوار باى » والتصحيح من الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٦ رقم ٤٠٣ ، ولم يشر السخاوى إلى اتهام خوند بدس السم لها وإنما ذكر أنها توعكت فقط فكانت منيتها فى توعكها هذا فى ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ ، كما أنه فى ترجمة خوند مغل ، نفس الجزء ص ١٢٦ رقم ٧٧٦ قال « إنها حظيت عنده جدا ثم انهبطت بعد ما تسلطن وفارقها » وجعل وفاتها خامس ذى القعدة .

(٢) فى الأصل « الذى ... بهم »

وزاوية ومدفنا وغرمت عليها أموالاً كثيرة فى الرخام والأحجار والذهب واللازورد والأخشاب والآجر والبناء وأشبه ذلك ، وجعلت بها خطبة ومؤذنين وقومة ، وأوقفت عليها أوقافاً تقوم بالمذكورين وبفقراء الشيوخ ، وعمرت لهم عدة خلاوى يسكنون بها وهم إلى الآن قاطنون فيها يذكرون الله ويصلون ويدعون لها عقب كل صلاة ؛ وكذا لما توجهت إلى القدس الشريف صحبة صهرها المقر الأتابكى أزبك فى دولة الملك الأشرف إينال وضعت فيه من الخيرات مالا مزيد عليها ، فرحمها الله .

— يحيى ، الأمير سيف الدين ابن المقر الأشرف الكريم العالى السيفى يشبك من سليمان شاه الفقيه المؤيدى الدوادار الكبير وسبط الملك المؤيد شيخ ، كان نادرة من نوادر العصر والزمان فى أولاد الأمراء ، فارساً شجاعاً بطلا مفنناً فى كل فن من الفنون من لعب الكرة والرمح والنشاب وسوق الخيل وغير ذلك ، وقام سنيناً يسوق المحمل مع الباشات ، وكان هو الدوادار الكبير فى أيام والده فى دولة الظاهر خشقدم ، واستقر فى إمرة عشرة أوطبلخاناة عوضاً عن شخص من الأمراء قتل بالبحيرة ، وصار له ضخامة وفخامة وعظمة وأبهة ورياسة وشهامة وزهارة فى ملبسه ومنزلته وتجمله [١٨٦ ب] . وكان شكلا حسناً ظريفاً لطيفاً فصيحاً أريباً عاقلا لبيباً ، يكتب الخط الحسن ، وحظه أحسن ، و [أما] هيئته ونضارته وبهاؤه وأصالته فإليها النهى لأن الملك المؤيد شيخ جده لأمه ، فإن أمه آسية بنت المؤيد المذكور وصار هو المتكلم فى أوقاف جده بالمؤيدية وغيرها ، وصاهر قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى على ابنته ورزق منها بنتاً ، وكان للملك الظاهر خشقدم أرسله فى شغل إلى البلاد الشامية فحصل فيه للمال الجزيل ورجع ضعيفاً فاستمر متعللا بأمراض منها القولنج الصفراوى وداء الأسد ، وطالت علته وآخر أمره صرع كم مرة ، ومات فى ليلة

السبت المباركة للسفرة من سابع عشرى شهر رمضان المعظم قدره من هذه السنة ، وتهتكت[1] حريمه وسراريه ووالدته وسرن[2] خلف جنازته واندهل والده وفجع فيه وساروا خلف جنازته إلى الرميلة ، فحضر السلطان إلى سبيل المؤمنى وصلى عليه هو والأمراء الموجودون الأكابر والأعيان والخاصكية وقضاة القضاة ـ خلا الحنبلى لفقده بالموت ـ ومشايخ الإسلام ، وأثنوا عليه خيراً وفهما فى العلم وذوقا سليما وطبعا مستقيما ، ودفن بالمؤيدية شيخ عند جده ؛ رحمهما الله تعالى وعفا عنه وغفر له .

١٤ — يونس بن عمر بن جربغا بن عبد الله ، وَجربغا المذكور من مماليك الملك الكامل ـ كان دواداراً بخدمة الأمير فيروز[3] النوروزى مدة طويلة، وكان من المقربين لديه والمعتبرين عنده ، وألقى مقاليد أموره كلها إليه فصار متكلما فى أمواله وتعلقاته حتى فى الذخيرة ، وكان فيروز نافذ الكلمة وافر الحرمة كثير المال فحصل صاحب الترجمة الوظائف والعقارات والإقطاعات وأثرى وضخم وعظم وصار معدوداً من الأكابر والرؤساء ، ثم قُرر فى أستادارية الذخيرة بالقاهرة ، وسافر إلى الشام ليولى من يشاء ويعزل من يشاء من الأستادارية ، ثم أنفصل ونُوِّه به للوزر عدة مرار وهو يمتنع وأستاذه يدفع عنه إلى أن كانت دولة الظاهر خشقدم وتولى المجد ابن البقرى الوزارة بعد اختفاء العلاء ابن الأهناسى ، ثم انفصل ابن البقرى وطُلب صاحب الترجمة (١٨٧ ا) فقرر فى الوزارة ولم ينتج له فيها أمر ، ورافقه فيها البباوى المعامل بعد أن قُرر فى نظر الدولة ، ثم وثب عليه وأفصله وغُرم فيها مالا له وكأنه

(١) فى الأصل « تهتكوا » ويقصد انهتك ستر حريمه .

(٢) فى الاصل « وصار » .

(٣) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٦ / ٦٠٠ .

اشترى له بالمال اسم « الصاحب » أو « الوزير » . وكان يقرأ ويكتب ويحب النظر فى التاريخ ، وصار فى داره منقطعا بجوار بيت المقر المرحوم الزينى عبد الباسط لا يتردد لأحد إلا إلى الجمعة وزيارة القرافة فى يوم الجمعة وزيارة سيدى حسين الجاكى فى يوم الأربعاء ، كل ذلك بكرة النهار ويعود إلى منزله إما ينسخ أو يطالع فى التاريخ ، وطلب منى تراجم[1] الملوك من السلاطين بمصر إلى عصرنا هذا مختصرا فأرسلت بها إليه بعد طلب حثيث .

وله ولد رجل يسمى عمر[2] [كان] شكلا حسنا ، وهو حنفى المذهب ويلبس زى الأتراك . ومات صاحب الترجمة فى ليلة الجمعة المسفرة عن خامس عشر شهر ذى القعدة الحرام سنة تاريخه ، ضربه دم فسبر[3] عند الأطباء « بالزنطارمه » ، ودفن من الغد ، وكان مسيكا وله بالسلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى نصره الله معرفة حالَ إمرته ، وهو الذى ساعده فى خلاصه من الوزارة ، وكان[4] أرسل ولده إلى الشام فى شغل ؛ وكان صاحب الترجمة عفيفا عن القاذورات ويحب العلماء ويتردد إليهم خصوصا شيخنا شيخ الإسلام محيى الدين الكافيجى ، فإنه كان يتردد لبابه ويسأله فى كتابة مصنفاته . وأما الشيخ قاسم الحنفى فإنه كان يحضر لبيت صاحب الترجمة لقراءة ولده عمر المذكور ويصل إليه منه بر ومعروف ، وأتلف ولده جميع ما خلفه له والده من رزق وأوقاف وإقطاع ، وتحمل ديونا كثيرة واختفى فى آخر أمره من الديون ، والله تعالى يعامله بلطفه والمسلمين . آمين .

---

(١) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/١٣١٢ إلى أن صاحب الترجمة التمس منه ترجمة عبد الباسط وابن زنبور ؛ وبالإضافة إلى ما بالمتن من طلبه تراجم سلاطين مصر فإنه كان حفيا بالتاريخ ، ويتشكك السخاوى فيما إذا كان قد ألف فيه فيقول «وكأنه جمع فى التاريخ شيئا » .

(٢) أتهمه السخاوى : الضوء اللامع ٦/٤٤١ بسوء السيرة.

(٣) فى الأصل « فسبروا » .

(٤) يعنى أن السلطان قايتباى أرسل عمر بن يونس إلى الشام .

١٥ — يوسف شاه ابن عبد الله العلى ابن السكوين، كان أحد المليّة عند ابن الطولونى مرتين ، واستقر فى نظار القرافتين عوضاً عن أبى بكر المصارع الذى كان من جماعة الظاهر جقمق ، وولى كشف الأعمال الجيزية بواسطة الصاحب أمين الدين بن الهيصم ، وولى الكشف أيضاً من أبواب الأستادارية للتراب ، وخبزُه بغالب الأقاليم ، وتكلم أيضا (١٨٧ب) فى السواقى التى تحمل الماء إلى القلعة من مصر القديمة مدة طويلة ، وتنقلت به الأحوال وأملق حاله لكنه كان مستوراً، وصاهر صاحبنا البدر ابن الحلاوى على بنته، وفى الواقع ف[إنه] كان جيداً هيناً ليناً . توفى رحمه الله فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر جمادى الأولى من هذه السنة ، وكانت له جنازة بالفقيرى ، عفا الله عنه وسامحه .

* * *

سنة سبع وسبعين وثمانى مائة

استهلت هذه السنة بخير وسلامة ، وخليفة الوقت المستنجد بالله أبو المظفر يوسف العباسى دام شرفه ، وسلطان الديار المصرية والممالك الإسلامية والأقطار الحجازية الملك الأشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الأشرف الظاهرى عز نصره ؛ والقاضى الشافعى ولى الدين أحمد الأسيوطى ، والقاضى الحنفى محب الدين محمد بن الشحنة ، والقاضى المالكى سراج الدين عمر بن حريز ، والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى ؛ وأتابك العساكر أزبك من ططخ الظاهرى ، وأمير سلاح جانبك قلقسيز الإينالى الأشرفى ، وأمير مجلس لاجين الظاهرى ، وأمير آخور كبير جانبك من ططخ الظاهرى المشهور بالفقيه ، ورأس نوبة النوب إينال الأشقر الظاهرى وهو مسافر لمحاربة شاه سوار ، والأمير الدوادار الكبير يشبك من مهدى وهو

باش العسكر المتوجه لقتال شاه سوار وهو أيضا وزير الديار المصرية وأستادار المالية ويتكلم عنه فى الوظيفتين الشرفى موسى ابنُ غريب وحاجب الحجاب الأمير تمر المحمودى الظاهرى جقمق ، فهؤلاء سبعة أمراء أصحاب وظائف ؛ وأما الأمراء المقدمون الألوف الذين هم بغير وظائف فهم : الأمير سودون تستز الظاهرى ، والأشرفى برسباى ، والأمير قانصوه الأحدى الإينالى وهو فى التجريدة لقتال العربان بالشرقية وصحبته جماعة من المماليك السلطانية ، والأمراء ، ومنهم : الأمير أزدمر تمساح الظاهرى ، والأمير أزدمر الطويل الإبراهيمى الظاهرى ، والأمير قراجا الطويل الإينالى الأعرج(١١٨٨)وأمر الأعوان أن يتوجهوا معه فإن أحضر المال والقماش فبها ، وإن لم يحضر ما ذكر فيوسط هناك ولا يشاور عليه ، فتوجهوا به فأحضر ثمانى مائة دينار وقماشا وكتبا ومتاعاً ، ثم خاطب عظيم الدنيا ابن البقرى وقال له : « يا خائن تحلف لى إنك لا تخون ولا تخفى منى شيئاً ، وهذا خطك يشهد عليك مما استأديته ؟ » ، ثم أمر بضربه فضرب نحو أربعين شيباً وهذه رابع علقة بالمقارع ، ثم ضُرب على رأسه نحو عشر شيوب ، وطلب له جمل فوضع عليه فى وسط دوار الأمير وهو فى الحديد ليشهره بالمدينة على من يحلف ويكذب ويخون ، فنهض رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى حفظه الله وترامى على الأمير ولا زال به حتى قبلت شفاعته وأُنزل عن الجمل والحديدُ فى عنقه ، وتوجهوا به فى الترسيم ليقوم بما عليه ، ثم قبض على جماعات اتهموا بصحبته ومن جهته ، منهم محمد بن الأستادار المشهور بباب النصر ، وكذلك ولده فإنه تسبب إلى أنه هو الذى حمله وهرب به ، وضُرب ووضع فى الحديد ، وعن العزيز بن البرهان وبردار الديوان للفرد فإنه كان قضى عليه ثم أطلقوا بعد ذلك ، وصار الأمير مجد الدين يباشر وهو فى الترسيم مقيماً بدار الأمير قانصوه لا يركب ولا يتوجه إلى منزله ، وأُطلقت والدة المجد بن البقرى وعياله ورد عليه قماشه وكتبه ومتاعه .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره رسم الأمير عظيم الدنيا أمير سلاح بنفى شخص من المماليك السلطانية يسمى خشقدم من جيران الأمير مجد الدين ابن البقرى بلغ الأمير ـ دامت سعادته عنه ـ ما أوجب ذلك ، فأخرجه نقهب الجيش من فوره على العادة .

وفى يوم الاربعاء خامس عشره ويوافقه مستهل شهر بشنس القبطى ، ففى ثالثه الموافق له من الشهور العربية سابع عشره عند صلاة الجمعة لبس السلطان نصره الله القماش البعلبكى المعد لبسه للصيف ونزع الصوف ، وهذا سابق على العادة بأربعة أيام وموجب ذلك هجوم الحر وشدته .

(١٨٨ب) وفى يوم السبت ثامن عشره عقد مجلس بالقلعة ـ داخل الحوش السلطانى بحضور السلطان، حضره قضاة القضاة وبعض نوابهم ـ بين الأمير خير بك حديد الأشرفى أحد المقدمين الألوف الأشرفى برسباى وبين المصونة خوند شقرا بنت الناصر فرج والظاهر برقوق بسبب ما بينهما من النزاع الذى فى الأراضى التى بالفيوم ، وأصل هذه المسألة على ما بلغنى أن خوند المذكورة كان لها هذه الأراضى بالفيوم فأكل غالبها البحر ثم نشأ بجانبها جزائر ، فاتفق أن البباوى لما توزر فى دولة الظاهر خشقدم بلغه ظهور هذه الجزائر فحبها واستولى عليها[١] ، فوقفت خوند المذكورة للسلطان خشقدم وذكرت له صورة الحال مفصلة وأن الوزير البباوى استولى عليها ، فرسم لها السلطان بالجزائر المذكورة ، ورسم لها بكتابة مربعة شريفة فكتب لها مربعة شريفة ، وابتاعت ذلك من بيت المال المعمور ، وثبت ذلك فى الشرع . ثم باعت ذلك للمقر الأشرف السيفى خاير بك المذكور وأجّرته الوقفَ مدة معلومة بثمن معلوم وقبضت ذلك منه معجلا ، فصمر خير بك المذكور فى المكان غيطاً عظيماً وغرس فيه أشجاراً كثيرة

---

(١) أى استولى على الجزائر .

وصارت[1] تثمر له من سائر الفواكه الطيبة ، وسماه « الروضة » ، وعمر به جامعاً ومعصرة ودوراً وحوانيت وجسوراً وقناطر وغير ذلك . وأقام به عدة من المزارعين والفلاحين والمستأجرين كل ذلك بالأرض التي ابتاعها ، وأقرضهم مالا وقوام . هكذا أخبرني شخص من جماعته. ثم أن الإجارة انقضت فأرادت خوند المذكورة أن يستأجر منها على العادة ويعجل لها ، فاعتذر لها بأعذار منها أن الفلاحين عليهم باقى جملة من المال والخراج وأنه ما بقى يستأجر شيئاً وكأنه استغنى عن الرزقة بالموقوفة بالذى اشتراه وعمّره وأنشأه ، فوقفت لعظيم الدنيا أمير سلاح المذكور ولمولانا السلطان عز نصره وذكرت أن الذى باعته وقف، وأنه غصب من أرض الوقف جانباً أدخله [١٨٩ ا] فى ما أنشأه وزرعه، فسأل السلطان من قضاة القضاة عن هذه المسألة وأمرهم أن يخبروه عن الحق هو فى أى جانب ، فذكروا له أن لابُدّ لهم من أمور ومقدمات وشهود، وعجزوا فى الصلح بينهم فلم ينفصلوا ، فرسم لهم بعقد مجلس ثان بقضاة القضاة فى بيت رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله فحضروا إليه فى يوم الأحد تاسع عشره ولم ينفصلوا ، وحصل بين قاضى القضاة المالكى وبين الخطيب الوزيرى مباحثة ومجادلة أدت إلى أن أمر بإقامة الخطيب من المجلس فامتنع ، فنهض الشريف رسول المالكى ونقيبه فمسكوه وانقطع طوقه ولم يقم ، وساعد القاضى الحنفى المالكى وهم بتأديبه وكلّمه كلمات حسنة ، كل ذلك والخطيب لا يقوم من منزله ، فقام المالكى من المجلس مغضباً حنقاً متوجهاً لمنزله فحلفوا عليه فامتنع، فتبعه صاحب المجلس وكلمه كلمات من جملتها: « إن المجلس للسلطان » وغير ذلك ، فرجع وتكلموا فيما هم فيه ، وشهدت البينة بأن الذى ابتاعه الأمير

---

(١) فى الأصل « وصاروا يثمرون » .

من خوند عدة كذا وكذا وأنه لم يدخل فيه شيء من الوقف ، وخرجوا على تزكية البينة ، ولما عاد قاضي القضاة المالكي عاد الخطيب وانفصل المجلس على ذلك ، والله الحاكم والمالك .

وفى ليلة يسفر صباحها عن يوم الأحد تاسع عشره أطلق عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير وما مع ذلك الأمير مجد الدين ابن البقرى من الحديد والترسيم ، وسلمه لأخيه القاضي شرف الدين عبد الباسط ، وتوجه إلى داره ليقوم بما عليه من المال ، وقيل إنه ساع فى إقامته فى الوظيفة . فالله أعلم بحقيقة ذلك .

يوم الاثنين العشرين منه لعب عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير الكرة والصولجان فى بيته هو والأمراء المقدمون الألوف ، وأمر مماليكه بإخراج من فى الدوار والبوابة من الناس ونَهَرَهم فلم ينتهوا ولم يخرجوا فضربوهم ، ومن جملة من ضُرب نقيب الجيش على ظهره وأكتافه ، وكانت ساعة عظيمة مهولة .

وفيه شكى لعظيم الدولة المذكور وقاه الله كل محذور (١٨٩ب) على شخص تاجر أنه أخذ من التجار أصنافاً إلى أجل واستحق الأجل ، فطالبوه فادعى أنه كان عليه ديون لغيرهم وأن جميع ما كان يملكه وفى حانوته أخذه أرباب الديون ، فأمره بدفع الحق فتعلل بما ذكرناه فضُرب وصار يقول له : « ادفع الحق » فأمر أن يعمل فى الحفير ويدفعوا أجرته لمن له فى ذمته شيء ، وما ذاك إلا من حدته منه وإلا فما يتحصل من أجرته ؟

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه بعد العصر ركب السلطان نصره الله من

قلعة الجبل وتوجه إلى القبة التى بالمطرية بعد أن أعرض المجن من أول النهار ليتوجه إلى جهة القرين لينظر ما صنعه وأنشأه من المعروف به ، وهو الحوض والسبيل وغيرهما ، فبات بالقبة وأصبح فتوجه لما ذكرنا وصحبته عظيم دولته يشبك من مهدى من مهد الله به البلاد والعباد أمير سلاح وما مع ذلك والأمير خشقدم الوزير والإمام والخزندار والأمير قانباى صلاق أحد أمراء الطبلخانات ، والأمير يشبك الزردكاش والأمير شاهين الجمالى نائب جده كان . ومن العلماء والفقهاء قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى الشافعى وعدة من الخاصكية المقربين والبيوتات وأرباب الوظائف من السقاة ، فالله يكتب له السلامة فى السفر والإقامة .

ثم بلغنى أن الأمير قانصوه خمسمائة الدوادار الثانى والأمير جانبك حبيب الأمير آخور الثانى توجها صحبة الركاب الشريف وصحبتهما عدة من الخاصكية .

يوم الخميس ثالثُ سفرِ السلطان أرسل نصره الله إلى المقر البدرى بن السكويز ناظر الخاص قاصداً يطلب منه خلعاً وكوامل وما أشبه ذلك فجهز ذلك سريعاً عاجلا ، ثم قيل إنه أرسل يطلب الشطفة ، فقيل فيها دلالة على أنه نصره الله يريد التوجه إلى ما يريده من زيارة القدس ، اللهم أرشد طريقه ، واقبل سعيه ، ومكنه من البلاد والعباد ، واجعل العدل دثاره ، ووفقه بحق[(١)] محمد وآله وأتباعه وأشياعه وحزبه .

ثم وصل الخبر عن السلطان أنه توجه وكشف على جسر بلبيس وأهان كاشف بلبيس وحرضه على عمارة الجسور [١٩٠ ا] ، وتوجه لشيبين وغيرها من

---

(١) فى الأصل لحق .

البلاد لعمل مصالح الجسور والعباد وإزالة الظلم والفساد، فنصره الله نصراً عزيزاً وفتح له فتحاً مبيناً .

وفى هذه الأيام غرقت معدية ببحر النيل فيها عدة أنفس من رجال وصبيان ونساء ، وغرق فيها شخص من جماعة قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى أعزه الله .

وفى هذا الشهر وجدت[1] امرأة وبنت بكر مقتولة بجوار بكى فى الأزبكية لم يعلم لها قاتل ولا وارث وذهب دمها هدراً ، وقيل : إنها ماتت ناقصة العقل.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه وصل سيف الأمير أزدمر نائب حماه قريب السلطان وسيف طومان أمير كبير بها ؛ وسبب ذلك أن سيف البدرى أمير آل جار وثب على شخص من أقاربه يدعى غسان بينه وبينه عداوة فخرج النائب لنصرة قريب سيف فإنه فى طاعة السلطنة فمنعوه من ذلك وقالوا له : « مالنا وقتال العرب ؟» فلم يمتنع وتبعه عسكر حماه فقاتلوا وتبعوه ، فأكمن لهم كمينا فاقتتلوا مع الكمين قتالا عظيما قتل فيه النائب وأمير كبير وخاق ، ووصل الخبر بذلك للسلطان فنكد كدراً زائداً وهو معذور فما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما شاء الله كان .

﴿ شهر ربيع الأول ﴾

استهل بيوم الخميس بالرؤية وثبت على ثلاثة من نواب سيدنا قاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى ووافقه من أيام الشهور القبطية[2] خامس عشر بشنس ، والسلطان مسافر فى مصالح العباد ، لكشف الجسور وتجديد المعروف .

---

(١) لعل هذه العبارة هى « وجدت امرأة بنتا بكرا » .

(٢) بمراجعة التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٣٩ ، يستدل على أن أول ربيع الأول كان يوم الخميس كما بالمتن ، ولكن يوافقه من أيام الشهور القبطية ١٣ مسرى ١١٨٨ وليس ١٥ بشنس.

وفى يوم السبت ثالثه وصل السلطان نصره الله وأدام أيامه ، وصحبته عظيم دولته أمير سلاح الدوادار الكبير ووزيره الأمير خشقدم الأحدى الإمام والخازندار ومَن توجهوا فى خدمته وصعد القلعة قبل الظهر ، فوقف له العوام بين القصرين يطلبون منه محتسباً لما نزل بهم من السوقة من تصغير وزن الخبز وزيادة ثمن اللحم النيىء والجبن وسائر المطعومات مع أن القمح بمائتى درهم الأردب ، والخبز نصف رطل بدرهم ، والأبقار والأغنام رخيصة جداً ويبيعه[1] الباعة من المعلوف بإثنى عشر درهما الرطل [١٩٠ ب] والبقرى بثمانية الرطل مطبوخاً مع أن رطل السوقة عشر أواق ، والجبن المقلى فى هذه الأيام بتسعة دراهم الرطل ، والأزرار والشوى المالح بستة دراهم الرطل فأضر ذلك بحالهم ، ثم وقفوا للسلطان فى هذا اليوم مرة ثانية بالرميلة ، فرسم السلطان للأمير قجماس أمير آخور أن يطلب الخبز وينظر فى أمر المسلمين ، فنزل[2] الأوجاقية وصعدوا له من غالب الحوانيت بالخبز فنظر فيه ، ثم صعد قضاة القضاة عقب صعود السلطان إليه فشاوروا عليهم فعادوا عليهم بالجواب بأن السلطان فى الحريم فرجعوا ، ثم ركبوا بعد العصر وصعدوا القلعة فشاوروا عليهم فأرسل يعلمهم أنه حضر من السفر وعنده بعض وعثاء السفر ولم يحضر لهم ، وأرسل يعتذر لهم بخادم من الخدام فرجعوا ولم يجتمعوا ، وكان قبل طلوعهم إليه أرسل الأمير زين الدين يعقوب شاه المهمندار يعلمهم أن ينظفوا أبوابهم من الوكلاء ويمنعوا الصبيان الذين على أبوابهم فامتثلوا ذلك ، وسببه أن المقر الأشرف السيفى خير بك من حديد الأشرفى أحد المقدمين الألوف كان وكيلا عليه فى مخاصمته مع خوند شقراء بنت الناصر عمر ابن الشيخ عز الدين الفهوى ،

---

(١) فى الأصل « ويبيعوه » .
(٢) فى الأصل « فنزلوا » ، ولعلها فى هذه الحال « فانزلوا » .

وبلغ خير بك عنه أمور فشكاه للسلطان فوقع ما وقع ، وطلب قاضى القضاة الشافعى الوكلاء وعرأ المذكور وشرط عليهم شروطاً وأكد عليهم فيها وبالغ فيها ، وقال عن نوابه إنهم ما يعملون شيئاً ، وأما نواب قاضى القضاة الحنفى فإنهم مقيدون فى الأحكام من ثانى عشرى ربيع الآخر سنة أربع وثمانين حسبما رسم لمستنيبهم أنهم لا يقع منهم حكم إلا بعد خطه على المستندات بالعرض أو التعيين ، وما أحد من القضاة يعمل شيئاً سوى نواب قاضى القضاة المالكى حفظه الله ، فإنه لم يقيد عليهم وشيَّخ أكثرهم ، ويجيب عنهم فى غيبتهم وحضورهم .

وفى يوم الثلاثاء رابعه أصبح السلطان فرسم أن ينادى فى البلد حسب مرسومه الشريف أن اللحم الضأن من المألوف بعشرة دراهم الرطل والصاج كذلك والمشوى باثنى عشر درهما الرطل والسواق بأحدعشر درهماً ، والبترمان [١٩١ ا] بأربعة عشر درهما الرطل ، والبقرى المطبوخ بأربعة ، واللحم الضانى السليخ بعظمه بسبعة دراهم الرطل ، والسميط بستة دراهم ، والجبن المقلى بسبعة دراهم ، والأبيض بخمسة ، والحالوم بستة ، والدقيق بستين البطة، والخبز الماوى تسع أواق بدرهم ، والرومى ثمانى أواق بدرهم ، فاطمأن الناس كافة بهذه المناداة وذلك بعد أن طلب السلطان السوقة لبين يديه والطحانين وهددهم بقطع الأيادى والتوسيط ، ثم رسم للصاحب قاسم الذى هو الآن ناظر الدولة بالتكلم فى الحسبة إلى أن يختار محتسباً بنفسه ، فشكى له السوقة من الفلوس : أن الرطل من الفلوس الجدد يكسب رطلا آخر من الدتق ، فطلب صناع الفلوس ورسم لقاسم أن ينظر أيضا فى ذلك؛ واتفق فى هذا اليوم الذى هو الرابع من شهر تاريخه حضور مدولب الفضة بدار الضرب بدمشق ، فرافعه شخص نصرانى أنه يعمل فى كل مائة درهم فضة خمسة دراهم من الزغل ، فرسم بإيداعهما فى الحديد إلى أن يلهمه الله لما يريد .

وفى يوم الأربعاء سابعه أشهر المقر الأشرف العالى عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير وما مع ذلك اثنين من الأعاجم شهدا بالزور عند شاهين شاه على شخص من التجار ومروا بهما[1] فى شوارع القاهرة مكشوفى الرؤس .

وفى يوم[2] الخميس ثامنه توفى خواجا السلطان المتكلم على البهار السلطانى واسمه محمد ويعرف بابن موسى وخلف جملة من المال : زيتاً وأصنافا ، وعليه للسلطان نحو ثلاثين ألف دينار ، ثم ظهر له ابن عم ، وكان فى خدمته شخص من التجار الأجواد يعرف بابن عواض فرسم له السلطان أن يبيع ماخلفه ويأخذ منه مال السلطان وما يتأخر يكون لوارثه .

يوم الجمعة تاسعه ويوافقه من أيام الشهور القبطية ثالث عشرى بشنس[3] وقد مضى من الخماسين ثمانية وأربعون يوماً حصل شمث زائد وهواء[4] مزعج جداً بحيث سقط منه أماكن مخلخلة وحرقت منه بعض دور ، فقاسى الناس منه تشويشا عظيم ، وبلغوا أن السلطان نصره الله رسم بنصب الخيمة[5] التى أنشأها الأشرف [١٩١ ب] إينال بالحوش السلطانى على العادة لأجل المولد الشريف النبوى على من هو منسوب له أفضل الصلاة والسلام ، فلما انتهوا من نصبها انكسرت أعمدتها وسقطت من عظام الهواء والرياح التى كانت ، فاحتاج السلطان نصب خيمة جديدة صنعوها له غير أنها أصغر من تلك ، فاللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ببركة سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم .

يوم الأحد حادى عشره كان المولد الشريف السلطانى بقلعة الجبل على عادته

---

(١) فى الأصل « بهم » .

(٢) أمامها فى هامش المخطوطة « وفاة خواجه ابن موسى » .

(٣) يصر المؤلف على كتابة شهر بشنس ، وهنا خطأ صوابه ٢١ مسرى .

(٤) فى الأصل « هوى » .

(٥) أمام هذا الخبر فى هامش المخطوطة « حصول الريح التى هدمت خيمة السلطان فى الحوش ».

ومستقر قاعدته وحضره قضاة القضاة والأمراء والأكابر فقدم [أمراء] الألوف بتمامهم وكمالهم إلا الأمير لاجين أمير مجلس لتعلله وبواسطة قدم سنه وعجزه من الجلوس بين يدى السلطان ووقوفه أيضاً وهو بالشاش والقماش .

وأما الأمراء فهم المقر الأشرف الكفيلى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى ، والمقر الأشرف الكبير العالى عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير أستادار العالية وملك الأمراء بالوجهين القبلى والبحرى وأمير عربان هوارة وما مع ذلك يشبك من مهدى الظاهرى ، والمقر الأشرف الكريم العالى لاجين أمير مجلس الظاهرى ، والمقر الأشرف الكريم العالى قجماس الإسحاقى الظاهرى أمير آخور ، والمقر الأشرف الكريم العالى تمراز الشمسى الأشرفى رأس نوبة النوب ، والمقر الأشرف الكريم العالى برسباى المحمدى المشهور بقرا الظاهرى فهؤلاء ستة نفر أصحاب وظائف سبعة ، لأن أمير سلاح معه الدوادارية زائدة وغيرها .

وأما الأمراء المقدمو الألوف بغير وظائف فهم: الأمير خير بك حديد الأشرفى ، والأمير تغرى بردى من ططر الظاهرى ، والأمير ورديش الظاهرى ، وأزبك الظاهرى المشهور بناظر الخاص ، وتنبك الجمالى الظاهرى ، وأقبردى الأشرفى[1] قريب الملك الأشرف قايتباى فعدتهم بالوظائف ثلاثة عشر أميراً .

و [حضر] الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاسكية أصحاب الوظائف والمباشرون والأعيان إلا ناظر الخاص فإنه لم يحضر ، وكان موكباً حافلا عظيما مهاباً ضخماً ، وهذه الخيمة التى نصبت: عليها اسم السلطان ، وجلس السلطان وقضاة القضاة [١٩٢ أ] عن يمينه وشماله ، وحضر قاضى القضاة قطب الدين الخيضرى قاضى دمشق وكاتب سرها ورئيسها وجلس تحت المالكى ، ومد السماط على العادة فكان هائلا رائعاً فى الحسن والنظافة والزهارة ، فأكل السلطان وقضاة القضاة ونوابهم وكنت معهم ، والأمراء الألوف قائمون على أقدامهم خدمة للسلطان

(١) هذا هو أقبردى الأشرفى قايتباى ابن عم السلطان ، وقد تولى الدويدارية الكبرى بعد موت يشبك من مهدى ، انظر عنه الضوء اللامع ٢ / ١٠٠٢ .

نصره الله . ثم قام[1] القضاة ونوابهم وجلس الأمراء المقدمون مواضعهم ثم انصرفوا ، وقدم المشروب أنواعاً فشربوا . ثم حضر رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله وصحبته الأمير خشقدم الوزير والإمام والخزندار والقاضى الرئيس أبو البقاء ابن الجيعان وصحبتهم ستة أطباق مملوءة[2] بالذهب مستورة بالفوط الكافورى فيها مبلغ جملته ستون ألف دينار بين يدى السلطان والعسكر ، وتكلم رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى فأطرب وأغرب وقال بلسانه : إخباراً عن مولانا السلطان نصره الله : « إنه لما حج — تقبل الله منه — فى العام الماضى ووجد ما بأهل المدينة من القحط والإجحاف من عدم المؤنة والقوت ف[إنه] أخرج من ماله الطيب هذا القدر وأرصده ليشترى به بلاداً ويوقفها على حرم المدينة الشريفة وسكانها ليصنع بها فى كل يوم خبزاً ودشيشة للفقراء والمحتاجين والقاطنين والواردين » ، وجعل السلطان نصره الله ذلك ابتداء وقفاً على من ذكر [و] ليس كما يفعله الملوك وأبناء العصر فى أوقافهم على أنفسهم أولا ثم على أولادهم ثم على أولاد أولادهم ثم على نسلهم وعقبهم طبقة بعد طبقة إلى آخره ، ثم لفقراء المدينة ، وقصد بذلك نصره الله إيصال البر لسكان حرم المدينة الشريفة ابتداء لئلا تخرب الأوقاف وتصير دائرة ، هذا إن سلمت من الاستبدال . فشكر الله له هذا الصنيع وتقبله منه بمحمد وآله ، إنه قريب مجيب .

ثم رسم أن يكون المال المذكور تحت يد قضاة القضاة فتعللوا بعدم حفظه وصونه ، فرسم للأمير الكبير والأمير سلاح وللأمير رأس نوبة النوب فامتنعوا من ذلك . وآخر الأمر رسم أن يكون [١٩٢ ب] نصف المال تحت يد الأمير الكبير والنصف [الآخر] تحت يد أمير سلاح ، فامتنع الأمير الكبير ،

---

(١) فى الأصل « قاموا . . المقدمين » .
(٢) فى الأصل « مملوءين بالذهب مستورين بالفوط الكافورى فيهم مبلغا » .

فرسم أن تكون تحت يد خازندار السلطان ليشترى به بلاداً وضياعاً ويوقفها ، وقال نصره الله : « مهما رأيتم من البلاد وللخراب اشتروه واستبدلوه وأنا أعمرم بالغلال والرجال والأبقار وغير ذلك » ، ثم قال لقاضى الحنفية : « لا نستبدل شيئاً حتى ترسل من تثق به وتكشف عن البلد فإن وجدتها مستحقة للبدل إفعل وإلا فلا » فنصر الله هذا الملك : ما أكثر محاسنه وأعظم شأنه وأغزر همته وأكبر همته .

وانتهى المجلس على ذلك ، والحكم لله الحاكم المالك .

غير ذلك وصل إلى دمياط مركب عظيم مشحون بالبضائع وفيه عدة من المغاربة التجار فأخذه الفرنج بتمامه وكماله ولم ينتطح فيها عنزان ، والله المستعان .

يوم الاثنين ثانى عشره خلع على الأمير مجد الدين ابن البقرى كاملية مفرية سمور بمقلب سمور من بيت عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير واستقر ، والتزم بسداد الديوان المفرد وعمارة البلاد بسعى منه ، وما السعى فى المكس إلا خسارة .

وفى ليلة الثامن من بشنس ويوافقها ثالث عشر شهر تاريخه أمطرت السماء مطراً غزيراً واستمر ذلك ساعة رمل ، والظن بهذه المطرة تهدّى الرياح ، وكان الجراد قد انتشر فأوهته هذه الريح ، فسبحان من يتصرف فى ملكه كما يريده ، وله الحمد على كل حال .

وفى هذه الأيام وقف شخص متمجنن تحت القلعة ومشى(١) على الناس وقيل إنه صمد للسلطان وقال له : « أنت سلطان عادل غير أنك عندك حب فى الدنيا ، وأسألك أن تطلق هذا الذين يستعملون فى الجنازير ويأخذ الوالى منهم

---

(١) تعبير مصرى دارج بمعنى أن سوقه نفق لدى العامة .

جميع ما يحصل لهم هو وأتباعه ، وأريد أن أجتمع بالعلماء وأتكلم معهم » وما أشبه ذلك من هذه المقولات ، فرسم له بمبلغ فلم يقبله ، وتكرر وقوفه تحت القلعة وإساءاته ، فسمعه الأمير عظيم الدنيا فطلبه لبيته وضربه وسجنه صحبة المجانين بالبيمارستان المنصوري .

وفى [١٩٣ أ] هذه الأيام وردت الأخبار عن ابن عثمان نصره الله أنه أرسل إلى رودس ثلاثمائة قطعة ويحاصرها حصاراً عظيما وقد ضيق عليهم ، فاللهم انصره .

وفى يوم الاربعاء سابعه قبض على ثلاثة أنفار من الذين قتلوا أبا السعادات قاضى العباسة ببلد الأمير الكبير عز نصره وأودعوهم السجن .

وفى يوم السبت سابع عشره أشهر النداء بالقاهرة ومصر حسب المرسوم الشريف السلطانى أن أحداً لا يتعامل بالفضة إلا بالميزان : الدرهم بأربعة وعشرين فإنها كثر فيها التشويش وصار النصف مقصوصاً بنقص ثلاثة دراهم وأكثر وأقل ومشى الحال فيها ، وفرح السوقة بذلك لأنهم يسرقون فى الميزان ولهم مدة سنين يتعاملون بها بالعدد ، وكانت الميزان بطلت فعادت .

وفيه خلع السلطان على بطريرك النصارى الروم الملكيين على العادة عوضاً عن الذى هلك .

وفيه حضر سيدى محمد بن المقر المرحوم الشرفى الأنصارى وقابل السلطان وكان له مدة غائباً خائفاً بعد وفاة والده وزعموا أنه توجه للغرب ، فأخبر أنه كان ببلاد القدس والشام وما أشبه ذلك فأمّنه السلطان ، وتوجه إلى بيت عظيم الدنيا أمير سلاح فأكرمه وأنعم له بشىء من الحطام ، فجزاه الله خيرا .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره عين السلطان نصره الله عظيم دولته أمير سلاح الدوادار الكبير ومع ذلك — دامت سعادته وعلت كلمته — إلى البلاد الشامية ، وعين معه أميرين من أمراء الألوف : برسباى قرا المحمدى الظاهرى وتنبك قرا الإينالى ، وقيل إن تنبك سأل السلطان فى ذلك فرسم له ، ثم إنهم أرسلوا قاصدا بكشف الأخبار ويعود سريعاً وهو أزدمر سوس أحد الأمراء العشرات ، وخرج خام عظيم الدولة المذكور فى يوم الخميس ثانى عشره واستمر مضروباً بالريدانية إلى أن يعود القاصد بالجواب .

وفى هذا اليوم خلع على قانصوه دوادار عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير واستقر متحدثاً فى وظيفة الأستادارية الكبرى عوضاً عن أستاذه وصار المجدى ابن البقرى فى خدمته (١٩٣ ب) كناظر الديوان أو ما أشبه ذلك حتى تحقق ما نسب إليه من خراب البلاد .

وفى هذه الأيام قبضوا على جمع كثير بالقاهرة من المنسيين والفلاحين والأرياف وأودعوهم الحديد وأرسلوهم إلى المقر الأشرف الأتابكى بسبب ما يعمره من القناطر بالجيزية ويصرف لهم أجرتهم وافية ، فإن هذا أمر مهم وفيه عمارة البلاد ، وكلما زاد البحر أتلف ما صنعوه ، ومقصودهم أن يؤسسوا ويبنوا على الأساس فإن الماء كلما بنوا شيئاً قلبه ؛ وغرم السلطان على هذا البناء أموالاً عظيمة : وبلغنى أن فى هذا البناء نحو ألفى رجل خارج عن مماليك المقر الأشرف الأتابكى ، وفيه نحو مائتى معمار ومهندس ، وأنهم احتاجوا مع ذلك إلى الرجال فدبروا حيلة وعمروا شخصا ونادوا عليه ببولاق : « هذا جزاء من يقتل النفس التى حرمها الله » فاجتمع الخلائق للتفرج عليه وصاروا خلفه فقبضوا عليهم ورموهم الحديد وجهزوهم إلى العمل ، فهذه من العجائب والسلام .

وفى يوم الأحد بل يوم الاثنين حادى عشر بؤونة القبطى ويوافقه خامس عشر شهر تاريخه عرض السلطان المماليك الإينالية وعين منهم نحو المائتى نفر صحبة عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير .

وفيه ضرب السلطان عدة من أهل بحطيط[1] بالمقارع واتهم فلاحى[2] الذخيرة وانكسر عليهم أموال جمة ولهم ثلاث سنين بالسجن فى المقشرة ، وشكوا له نصره الله أنهم قتلوا ، فرسم بسلخ أربعة منهم بحضور الباقين فسلخوا وأرسلوا إلى البلاد فأشهروا بها ايرتدع بهم أمثالهم ، فنصره الله نصراً عزيزا .

وفى ليلة السابع والعشرين من شهر تاريخه الموافق لثانى عشر بؤونة القبطى نزلت النقطة ووزن الطين فجاء وزنه تسعة عشر قيراطا تنقص يسيراً .

وفى يوم الاثنين سابع عشره نودى فى المدينة حسب المرسوم الشريف بالعرض للمماليك السلطانية والخشقدمية والسيفية فصعدوا يوم الأربعاء وكتبت منهم جانبا لأتحقق ما كتبه ، وقيل إن ذلك برسم التجريدة المجهزة لسيف مع أن سيفاً المذكور تقولوا عنه أنه دخل البلاد [١٩٤ ا] بن حسن الطويل ، ثم سمعت ممن أثق به أن العرض استكمل ما كتبه السلطان من المماليك الأشرفية والظاهرية والإينالية والخشقدمية والسيفية خمسمائة نفر إلى يوم الأربعاء ثامن عشره .

وفيه توفى شيخ الإسلام سراج الدين عمر[3] بن حسين بن حسن العبادى الشافعى شيخ الشافعية مطلقا بالديار المصرية فى الفقه ، كان أعجوبة زمانه فى

---

(١) من أعمال محافظة الشرقية ، انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ج١ ص٧٢ .
(٢) فى الأصل « فلاحين ... أموالا » .
(٣) أمامها فى هامش المخطوطة « الشيخ سراج الدين العبادى » .

الحفظ والسرد والتقرير ، يسرد من صدره كأنما يقرأ من كتاب ، هذا فى الفقه، وأما فى الأخبار والتواريخ والنوادر فكان بحراً عجاجا لا يكل ولا يمل ، ويستحضر الوقائع الموافقة لكل مجلس يحضر فيه عند سلطان أو وزير أو أمير أو فقيه أو فقير .

[كان] مولده فى أول القرن [و] قرأ على العراقى والقمنى وغيرهما من الشيوخ ، وأفتى ودرس وهو ابن ثلاثين سنة ، وما رأيت أطيب من مفاكهته ولا أشهى من نوادره ، [وكان] لطيفاً ظريفاً متواضعاً معتقداً فى الفقراء والصالحين ومَنْ يحضر إليه ، وربما قال أو قيل عنه إنه اجتمع بالخضر عليه السلام ، وله عصبيّة ومروءة لمن يقصده ، ويمشى فى حوائج الناس بنفسه إلى مصر وبولاق وغير ذلك عند الأكابر حتى يقضيها ، بشوشاً ، يكتب على الفتوى إذا وقعت له وهو مار فى الطريق ، وناهيك أن غالب فقهاء الشافعية وأعيانهم الموجودين بالديار المصرية قرأوا عليه ، وكان ينفق كثيراً ولا يبقى شيئاً .

استقر فى بداية أمره فقيه العزيز ابن الأشرف برسباى فعظم ورقى وأثرى وحسنت حاله ورتب له الجامكية واللحم والعليق وغير ذلك مما أنعم عليه من الرزق ، ثم استقر إمامه ثم استقر فى مسجده : مدرسة المرحوم الزينى عبد الباسط ناظر الجيش من الواقف ، ثم أخذ مشيخة سعيد السعداء فى دولة الظاهر خشقدم ، وأخذ تدريس الفقه بالظاهرية برقوق وأخذ نظر الأحباس وقرر له الجوالى ، وكان له فى كل سنة كامليتان بصوور : إحداهما عند ختم البخارى فى رمضان ، والأخرى يوم العيد لوظيفة الأحباس ، فنزل عن مشيخة الباسطية لولده الأصغر كمال الدين ، وأما مشيخة الظاهرية فكتب بها لولد الشيخ جلال الدين الأكبر النظار عليها ؛ وكذا مشيخة سعيد السعداء

فأخذها [١٩٤ ب] الشيخ جمال الدين الكوراني[1] الشافعي بواسطة عظيم الدنيا أمير سلاح فإنه سأله فيها من مدة طويلة بحكم وفاته فأجابه لذلك ؛ وأما الأحباس فخرجت باسم القاضي شرف الدين عبد الباسط بن البقري ، وأما الجوالي وماله من المرتب على الأوقاف فلا تخرج[2] عن وارثه ، وأما الكوامل فلا يحصل لهم منها شيء فإن لكل ولد واحدة في ختم البخاري .

وخلف زوجتين إحداهما قديمة . والأخرى بعدها تعرف بنت الشربدار وكان يميل إليها فيطالب في تركته بحقوق تستغرق تركته بل وأضعاف أضعافها ، فإنه لم يخلف نقداً وإنما خلف بعض كتب وغالبها وقف ، وكان رحمه الله تعالى له سنتين متضعفا ولكنه ما يطيق الجلوس في الدار ، وكان يمشي وهو في غاية الضعف إلى أن انقطع أياما يسيرة وتوفي كما قدمنا رحمه الله .

وكان له جنازة عظيمة حضرها قضاة القضاة ومشايخ العلماء والطلبة والفقهاء والباشرون والأعيان وبعض الأمراء وصلى عليه بباب النصر ، ودفن بتربة الصوفية ، وكثر الثناء عليه والترحم والذكر الجميل ، وسأستوفي ترجمته في الوفيات إنشاء الله تعالى بأطول من هذه .

وفي يوم الخميس تاسع عشريه نودي في القاهرة حسب المرسوم الشريف بالنفقة على المماليك المعينين صحبة عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير في أول يوم من شهر ربيع الآخر وإلى الله عاقبة الأمور .

وفيه ركب السلطان وتوجه إلى وطاق أمير سلاح الدوادار الكبير

---

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن خضر بن إبراهيم ، وكان قد سافر في صغره إلى بلاد الروم وأقام ببرصة فترة من الزمن ثم مضى إلى القاهرة ، وكان عالماً بكثير من العلوم العقلية والنقلية ، كما كان مولعاً بلعب الشطرنج ، ومات سنة ٨٩٤ هـ ، راجع الضوء اللامع ٥/١٨٥ .

(٢) في الأصل « يخرجون »

فاجتمع به ثم رجع ، ودخل من القاهرة وعظيم الدنيا المذكور فى خدمته قريب المغرب . وهم فى كلام كثير ، وإلى الله المصير .

﴿ شهر ربيع الآخر ﴾

أهل بيوم السبت لأن ربيع الأول جاء تماماً يوافق من أيام الشهور القبطية خامس[1] عشر بؤنة ، صعد فيه قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وكان يتقدمهم أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز دام شرفه فهنأه بالشهر ، ثم دخل القضاة بعد أن جلسوا طويلا بجامع الناصر ابن قلاون ينتظرون الإذن فإن السلطان نصره الله كان يلعب بالكرة هو والأمراء المقدمون ، فلما فرغوا جلس بالحوش السلطانى تحت الدكة وكنت معهم فهنئوا ودعوا وانصرفوا (١٩٥ ا) ولم يتكلم أحد منهم ببنت شفة .

وفيه عرض السلطان مماليكه الذين بالأطباق وعين منهم جماعة ، وتأخرت النفقة إلى يوم الاثنين ثالثه ، وأشيع أن السلطان عين جماعة من الأمراء والمماليك يحفظون مينة الإسكندرية ودمياط ورشيد وأنطينة وغيرها ، فاللهم الطف بعبادك براً وبحراً سفراً وحضراً .

يوم الاثنين ثالثه أنفق السلطان على المماليك المجردين صحبة أمير سلاح الدوادار الكبير وعدتهم خمسمائة نفر ، لكل نفر مائة تعجز دينارين ، وبعضهم ثلاثة دنانير للخزندارية ، وبجاميكية أربعة شهور معجلة ، وأنعم لكل واحد بجمل ، فكان مجموع المال خمسين ألفا وخمسمائة جمل خارجا عن الجامكية المعجلة ، وقيل ستمائة وخمسون فالله أعلم بذلك . [وهذا] خارج عن نفقة الأمراء وباش العسكر أمير سلاح .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٤٣ « سادس عشر بؤونه » .

وفيه خلع على الأمير تغرى بردى ططرى الظاهرى أحد المقدمين الألوف واستقر فى إمرة المحمل ، وخلع على الأمير يشبك من حيدر صاحب الشرطة واستقر فى إمرة الأول ، وتهيئوا للسفر .

وفى هذا الشهر صنع عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير وباش العسكر المنصور وما مع ذلك - نجاه الله من المهالك - معروفاً عظيماً للفقراء القاطنين بجامع الأزهر فى كل يوم من الخبز ألف ومائتا رغيف وطعاماً يطبخ لهم فى كل يوم ، فجزاه الله خيراً وتقبل منه ، ثم إنه[1] بعد سفره تخاصم أهل الجامع فيما بينهم ، وصاروا يرافعون بعضهم ويقولون : « هذا له وظيفة ، هذا له قراءة » ، حتى بطل ذلك والأمر بيد الله المالك .

وحضر الشيخ جمال الدين الكورانى الكردى فى أول هذا الشهر مشيخة سعيد السعداء التى أخذها عن الشيخ سراج الدين العبادى ولم يلبس لها خلعة ، وحضر معه عظيم الدنيا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى ناظر ديوان الإنشاء حفظه الله وولده المقر البدرى أعزه الله والقاضى فتح الدين بن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ، والقاضى شهاب الدين بن فرفور الدمشقى الشافعى ونعم الرجل ديناً وأصالةً وحشمةً وكرماً وأدباً وتواضعاً (١٩٥ ب) والقاضى شهاب الدين ابن المحوجب الدمشقى الشافعى نديم مولانا المقر الزينى ابن مزهر ونعم الرجل كما وصفنا من تقدمه ، وحضر عنده أيضاً شيخ الشافعية الآن على الإطلاق الشيخ جلال الدين البكرى[2] شيخ البيبرسية وكان له حضور زهر نور ، وهو من أهل العلم فى النحو والأصول والتفسير والفقه ، فملا قدره فى المنطق وأصول الدين ، وحضر معه سيدنا القاضى بهاء الدين ابن حجر وهو شيخه .

---

(١) فى الأصل « إنهم بعد سفره تخاصموا أهل الجامع » .

(٢) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد البكرى الدهروطى ، برع فى الفقه والعربية ، « وكان للشافعية به جمال فى حفظ المذهب » كما يقول السخاوى فى الضوء اللامع ٧ / ٢٣٤ ، وكانت وفاته سنة ٨٩١ هـ .

يوم الخميس[1] سادسه طلب القاضى بدر الدين بن رئيس الدنيا بن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظهما الله السلطان صحبانا[2] من غلمان الطشخاناة وقال لوالده: « شخص شكى على ولدك » فوجم القاضى، فلما حضر قال: « أين الشاكى؟ » فأحضروا له كاملية مفرية بسمور وبمقلب سمور فخلع عليه بها واستقر فى الحسبة عوضا عن الأمير يشبك الجمالى بحكم إنفصاله من خامس عشر شوال وانتقاله إلى وظيفة الزردكاشية، وكان الوالى يشبك من حيدر تكلم فى الحسبة فى سفر السلطان بالحجاز، ثم لما حضر السلطان من القرين ووقف له العوام رسم للصاحب باسم الذى هو ناظر الدولة الآن بالتكلم فيها فتكلم فيها إلى تاريخه.

وفيه خلع على طرباى البدوى غريم حسن المقيم بدار المقر الأشرف الأتابكى أزبك عز نصره واستقر فى الإمرة، وخلع أيضاً فى هذا اليوم بمحجوبية حماه على... ...[3]، وأرسل السلطان نصره الله بنفقة السفر للأمير عظيم الدنيا أمير سلاح وللأمير برسباى حاجب الحجاب وللأمير تنبك قرا، ورسم بسفر عشرة من أمراء العشرات خارجاً عن الطبلخانات.

يوم السبت ثامنه دار طلب الأمراء المسافرين فى خدمة عظيم الدنيا أمير سلاح الدوادار الكبير وباش العسكر يشبك من مهدى عز نصره وهم: الأمير برسباى المحمدى وتنبك قرا.

وفى يوم الاثنين عاشره خلع على الخواجا زين الدين عبد القادر بن عليبه[4].

(١) أمامها فى هامش المخطوطة « طلب القاضى بدر الدين بن مزهر لوظيفة الحسبة ».

(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصل.

(٣) فراغ فى الأصل بقدر كلمتين مكانهما كلمة « كذا ».

(٤) بالتصغير هو عبد القادر بن ابراهيم بن حسن الشافعى، اشتغل بالتجارة ونفقت سوقه بها، واستقر به قايتباى « تاجر إسكندرية »، وكانت وفاته سنة ٨٩٠ هـ بالاسكندرية. راجع الضوء اللامع ٤ / ٢٧٦.

واستقر تاجر السلطان وناظر الذخيرة[١] .

(١٩٦ أ) . . . .
. . . .

بعرض أجناد الحلقة فصمدوا القلعة وعرضوا فى ذل زائد وهوان واحتقار فإنهم لا يملكون مايلبسونه ولا يركبونه ، وكل واحد منهم أو غالبهم إقطاعه لا يصل إليه منه شىء بواسطة الحماية والجرافة والخفير ، حتى تمنى بعضهم أن يأخذوا منه الإقطاع لأجل لا نهاية له ، وهو وزن مايتقدم ، فإن المباشرين مايعرفون إلا ذلك سواء كانت البلاد عامرة أو خرابا ، وسيما إذا كان أصحاب البلاد مثل هؤلاء الضعفاء المساكين . وآخر الأمر رسم السلطان نصره الله لمقدم المماليك خالص[٢] التكرورى جرباش قاشق بعرضهم وأمره أن يوصيهم بأن يكونوا على أهبة كاملة إذا طلبهم السلطان بين يديه ، ومعنى ذلك أن يصمدوا بالسيف والتركاش والقوس والملوطة النظيفة والعمامة كذلك فما ساعهم إلا الإذعان ، مع أن كل من صمد فيهم أو غالبهم استعار الملوطة والعمامة حتى المنديل ، وتقدم ذكر عرضهم فى التاريخ فى كثير من الدول ، وتشفعوا فيهم عند السلطان والله المستعان .

يوم الثلاثاء سابعه وصل قاصد المقر الأشرف الكريم العالى الكافلى الأتابكى أزبك من ططخ الظاهرى جقمق عز نصره من دمشق وأخبر بصحته وسلامته وأنه توجه إلى حلب يوم إرسال هذا القاصد ، وللقاصد أحد عشر

(١) فى آخر هذه الورقة من المخطوطة كلمة « بالثغر » ، وهى إشارة إلى أنه بها تبدأ الصفحة التالية ، ولكن يوجد هنا خرم فليس فيها مايؤيد ذلك ، ويستدل مما ورد سابقا أن مابقى من الأحداث إنما يتعلق بشهر ذى الحجة ، انظر كذلك إشارته فى قوله « المرحوم السيفى يشبك » وهو قد مات فى رمضان ٨٨٠ ، العزاوى: العراق بين احتلالين ، ٣/٢٦٤ ، ابن إياس : بدائع ١٥٩ ، ١٨٣ .

(٢) أصله من خدام جرباش قاشق ، وصارت له نيابة التقدمة زمن قايتباى ، راجع الضوء اللامع ٣ / ٦٦٨ .

يوماً فى الطريق ، فحصل للمسلمين بذلك السرور والابتهاج فإنهم كانوا أشاعوا ضعفه فلله الحمد ، وسر السلطان نصره الله فإن القاضى زين الدين سالم [صاحب] ديوان المقر المذكور صعد بالكتاب فرحب السلطان به وأكرمه وأدناه وخلع على الهجان والله المستعان ، وفرقت كتبه على أصحابه وخجداشيته كقاضى القضاة وكاتب السر بدمشق حافظ العصر قطب الدين الخيضرى وغيره مثل رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله وما عداهما من الأتراك ، وكتبت الأجوبة وسافر القاصد .

وفرقت أضحية السلطان نصره الله فى هذه السنة بحضوره فى الحوش السلطانى على الخاص والعام من أمير المؤمنين دام شرفه وقضاة القضاة [١٩٦ ب] حتى إلى اليتيم والأرملة والضعيف والفقير والفقيه والعاجز والمسكين وذلك بوصية السلطان فى ذلك ، غير أن الفقهاء والفقراء يقاسون من ديوان الخاص من الشدائد والتعب أمراً عظيماً[١] ، وذلك أن المتكلم فى هذه السنة فى وظيفة الخاص وكيل السلطان القاضى علاء الدين الصابونى فرسم له السلطان أن لا يعوق أحداً ، فصاروا يأخذون الوصول ثم يأخذون خط ابن الصابونى ثم يتوجهون إلى الصيرفى فلا يعطيهم إلا فلوساً ؛ وأما أصحاب الجاه والأقوياء فيأخذون ذهباً وفضة وغنما بل ويرسلون إلى بيتهم من غير مطالبة ، وغير ذلك أن القاضى الحنفى المعروف بابن عبد الزين[٢] [لما] حضر من دمشق وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية خرج وظائف شخص مات قبل موت القاضى شمس الدين الأمشاطى الحنفى يسمى شمس الدين محمداً ويعرف بابن الإنبابى ، والوظائف على أوقاف الحنفية مشمولة بنظر من يكون قاضيا حنفياً بالديار المصرية ، ولهذا الميت ولد رجل بلحية كامل موقع عند الأمير قانصوه الدويدار الثانى وكان يباشر هذه

(١) جاءت هذه العبارة فى الأصل هكذا « غير أن ديوان الخاص يقاسوا الفقهاء والفقراء منه من الشدائد .. الخ » فعدلت ليستقيم المعنى.

(٢) انظر الضوء اللامع ٥ / ٦٣٠ .

الوظائف فى أيام والده ، وهذه الوظائف لها بأيديهم سنون أخذوها عن الآباء والجدود . وكان القاضى الحنفى الأمشاطى ضعف بعد موته ولزم الوسادة فسعى عنده خلق فلم يُخرج منها شيئاً ، وكان يترجى العافية فقُبض ، فلما تولى هذا عوضه وحضر معه جماعة من دمشق أعطى شخصاً منهم وظيفة فيها نحو الألف ومائتى كل شهر ، وأعطى شخصاً من نواب الحنفية يعرف بابن إسماعيل الحريرى وظيفة منهم بواسطة بعض رؤساء دمشق، وأعطى موقعاً بحانوتٍ مقابل الصالحية يعرف ببدر الدين ابن المصرى وظيفة ، وشاط والد الميت وعاط ووقف لأستاذه الأمير قانصوه الدوادار الثانى فأرسل له رسالة فلم يقبلها فإن ما بينهما عامر ، وسبب ذلك أن السلطان نصره الله لما[1] سافر إلى البلاد الشامية من القاهرة فى يوم الاثنين ثانى عشرى جمادى الأول سنة اثنتين وثمانين ووصل إلى الفرات وعاد إلى دمشق كان قاضيها توفى وهو القاضى علاء الدين المجلونى (١٩٧١) الحنفى ، فسأل السلطان : « مَن بدمشق يصلح لقضاء الحنفية ؟» فذكروا الشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن العينى أجل أصحاب مخدومنا رئيس الدنيا المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه الله فطلبوه فامتنع فألزموه غصباً فعزل نفسه ولم يقبل ، فذكر السلطان أن القاضى شرف الدين موسى بن عيد كان نائباً عن المجلونى وشكروه فطلبه وولاه ، فأقام فى ذلك إلى أن وقع بينه وبين ابن عرب شاه ـ أحد النواب الحنفية ـ فحضر إلى القاهرة وتولى عوضه قضاء الحنفية بدمشق ، ووزن فى ذلك مالا بمساعدة الأمير قانصوه الدودار الثانى ، ووقف مخدومنا المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظه فى عزله فإن السلطان نصره الله أعذق الأمر به وصار يراجع فى ذلك ، فكلمه المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير فى عزله ، فما ساعه إلا الموافقة بعد أن أحضر ، وأمْر

---

(١) أمامها فى هامش المخطوطة « لما سافر السلطان البلاد الشامية » .

كتبه مابدل على أنه يسأل فى الاستعفاء ولم يسأل فى ذلك بل حصل له ألم كبير بسبب عزله ، وصار بطالا حتى وصل إلى القاهرة وتولى كما قدمنا ، فهذا هو السبب فى عدم قبول رسالة الدودار الثانى . وأظهر هذا المذكور عن خفة زائدة ، وكنا نقول عن الأمشاطى « أذن » فهذا أضعافه سريع الاستحالة مكلح الوجوه ، سريع الولاية والعزل ، وشرط على نوابه أن لا يأخذوا على الأحكام شيئاً مطلقاً ، ومن أخذ شيئاً كان معزولا ، وإن بلغه أن أحداً تعاطى شيئاً على الأحكام يركب بنفسه لمركزه ويعزره بأمور عددها . هذا لفظه بحضورى العام منهم والخاص وأن لا يعطوا شيئاً مطلقاً حتى إذا أرادوا [أن] يعتقلوا أحداً أو كتبوا وريقة[1] يعرضونها عليه [وكذلك] فى سائر الأحكام الجليلة والحقيرة ، وهم ليس لهم مرتب على بيت المال ، وفيهم من لا يملك قوت يومه فيحتاجون إلى الأخذ للضرورة فتصير أحكامهم باطلة وعقودهم فاسدة ، وهو فلو فعل ذلك مع أنه يعطى الفقير منهم فى كل شهر مايكفيه من مرتباته على الأوقاف أن كانوا يمتنعون وهو فما عليه بعد أن تكون له على الأوقاف والجهات فى كل يوم ثلاثة دنانير أو أكثر أو أقل إيش يفكر ؟ هو كان له فى أوقاف دمشق (١٩٧ ب) ما يبلغ الثمن من ذلك ، وكنت توليت عنه ثم منعت نفسى من الحكم بشروطه ولأمور أخر ، وندم الأعيان على مساعدته ، ويأتى من ألطاف الله تعالى مالم يكن فى البال .

وفى هذه الأيام انتهى حساب الأمير مجد الدين بن البقرى على ماقبضه من البلاد وما قبضه من الخزائن الشريفة وحاسبوه حساباً فتظلم منه وأثبتوا فى جهته أشياء فذكر أنها فى البلاد وعينها لهم فلم يوافقوه ، وطلبوا منه مال السنة الجديدة فذكر أنه صرفه ولم يبق له أمر وهكذا كان يفعل بمن كان قبله ففعل به ، وغير هذا أن شاه بدق وصل إلى جهة حماة فاراً من أخيه على دولات وأتباعه فى نفر يسير ، وأن

---

(١) فى الأصل « ورقية » .

عليها المذكور استولى على البلستين وعلى جميع ما لشاه بدق من صامت وناطق وسلم من القتل وذلك جزاؤه ، فإنه كان السبب على ما ذكر فى كسرة العسكر المنصور إنشاء الله تعالى بعد ذلك . وقيل إن المقر الأشرف الأتابكى أزبك عز نصره سجنه بقلعة دمشق ، وذلك ذنب عقابه فيه .

وثبت شهر تاريخه بعد ستة أيام أن أوله الأربعاء وعلى هذا يكون عيد النحر يوم الجمعة ويخطب فيه بخطبتين .

ووصل الخبر فى أوائل هذا الشهر [1] من نائب ملطية على يد قاصده بها دران كور إسحق الذى هو من عسكر [2] يعقوب بك أو أمرائه انه أخذ قلعة بالقرب من ملطية تعرف بقلعة ملطية ، فإن ملطية بلد ولها سور وليس لها قلعة فيها ، والقلعة بالقرب منها بسيبر ، وأخذ جميع ما فيها وهدمها إلى الأرض وأخذ أهلها ، وقيل إنه أخذ المكاحل والكفيات وآلات الحرب التى كانت مع المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى الدوادار التى كانت بمدينة الرها إلى جهة بلادهم ، وشاع الخبر أن بايندر [3] أرسل مطالعة إلى السلطان يذكر فيها أنه تحت طاعة السلطان ، وأن الدوادار هو الذى طلب القتال فى شهر رمضان وأنهم سألوه بالصلح مراراً فامتنع ، وسألوه أن يعطوه عدة قلاع وأن يرضوه فيما غرمه من الأموال فلم يرجع عنهم حتى وقع ما وقع ، (١٩٨ أ) وقيل إن المقر الأشرف الأتابكى أزبك عز نصره اجتمع عليه القاصد فقال له : « أخشى عليك إن اجتمعت بالسلطان وأنا غائب أن يوقع بك » ثم أنه أخذ منه الكتاب وأرسله للمواقف الشريفة نصرها الله ضمن مطالعته فقرأها السلطان وفهم مضمونه وكان جوابه الكسرة تارة تكون لهذا ، وتارة تكون

(١) المقصود بذلك شهر ذى الحجة .

(٢) انظر العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ٣/٢٦١ ، ٢٦٣ .

(٣) هو أمير الرها وقت هجوم يشبك عليها ، انظر العزاوى : تاريخ العراق ٣/٢٦٤ .

لحذاومزق الكتاب وقال : « لأى شىء قتلوه؟ كانوا شاوروا عليه كبيرهم[1] أو سلطانهم » ، وصار خبر الأمير يشبك الدوادار رحمه الله فى خبر كان ، والله المستعان .

يوم الجمعة كان عيد الله الأكبر الذى هو عيد النحر ، ويوافقه من أيام الشهور القبطية خامس عشر أمشير ، وذبح السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله ونحر ذبائح عظيمة وفرق فيه مِن قِبله أضاحى من أول هذا الشهر بجمل من الأموال ولم يعط المباشرين فيه لأحد عادته كما رسم لهم ، فنصره الله .

وخلع فى هذا اليوم على الأمير يشبك الجمالى الزردكاش كما جرت العادة ، والعادة أيضاً أن يلبس فى هذا اليوم من يكون أتابك العساكر بالديار المصرية فتعذر ذلك كون الأتابك توجه إلى البلاد الحلبية باش العساكر وأمير سلاح ، فتعذر ذلك بواسطة أن الوظيفة شاغرة بعد قتل المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى أمير دوادار كبير فى وقعة الرها .

وخلع فيه على القاضى علاء الدين ابن الصابونى وكيل السلطان كونه سد وظيفة الخاص من بعد وفاة المقر البدرى ابن الكويز من خامس عشر شعبان سنة تاريخه وإلى تاريخه ، وفى الواقع هو منصوبٌ آلةً يخوّفون الناس منه وإنما السداد من مباشرى الخاص ، ولو وكل الأمر إليه لشذ عن السد ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ .

وفى يوم الأحد سادس عشره الموافق له من أيام الشهور القبطية سابع عشر أمشير القبطى نزلت الشمس برج الحوت ، والمثل الساير يتمثلون فيه أنها تقول للبرد : « موت » .

---

(١) يقصد بذلك أبا المظفر يعقوب بيك .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره صعد مباشرو الدولة لبين يدى السلطان ـ نصره الله ـ على العادة ، وانقضى عيد السادة الحنفية وصار هذا اليوم إلى آخره عند السادة الشافعية عيداً .

وفيه حضر ولد شاه بدق الذى تسحب منها ، وأخذ منه البلاد (١٩٨ ب) أخوه على دولات فخلع عليه سلاريا صوفاً خاصاً مفرياً بسمور .

وفيه حضر قاصد من جانم نائب حماه وعلى يده مطالعات لا ندرى ما فيها .

وفيه لما صعد الأمير تغرى بردى الذى استقر فى الأستادارية الكبرى إلى الخدمة طلع معه بجماعة من الفلاحين بالبلاد السلطانية وشاوره عليهم فى عمل مصالحهم فأجاب سؤاله ، وهو الآن ـ نصره الله ـ يقربه ويشاوره وكيف لا فإنه يسد الوظيفة ويطلعه على أموال أستاذه وذخائره وودائعه ، وصار بعد ولايته الأستادارية يقف بين يديه فى الخدمة بسلارى جوخ ، ففصل له بقجة قماش من صوف سمور ووشق وغير ذلك وأرسلها له فصار يلبسها .

وفى هذه الأيام قبض على ولد المقر المرحوم الشرفى الأنصارى يحيى وهو شاب بلا لحية ورسم عليه بعد أن هدد بالضرب ورسم بإقامته فى بيت مولانا رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله وسبب ذلك أن أخاه محمداً الكبير رافعه إلى السلطان وذكر عنه أنه وجد خبية لأبيه وهرب ، فطلبه السلطان وقرره فاعترف أنه اشترى من تركة أبيه قشة وجد فيها خاتم من عاج مخروط وله فص منقور ، فوجد فيه تحت الفص ورقة مكتوب فيها «ذخيرتى فى مكان كذا وأنكم تعطونها أو تقسموها بين أولادى النساء والرجال إلا ولدى الكبير فإنه أخذ حصته » وأنه توجه لم يجدها فى المكان الذى ذكره ، فاحتد السلطان ورسم بالترسيم عليه كما قدمنا عند رئيس الدنيا

ابن مزهر الأنصارى حفظه الله ، فتوجهو به إليه، وبإسعد من دخل فى حماه فإنه يأمن بقدرة من لا إله سواه ، وصار يجرى عليه كما تقدم لأمثاله من المباشرين المطعومات والمشروبات حتى أجرة الرسل والموكلين به، فجزاه الله خيراً دنيا وأخرى ، والله المستعان .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره صعد المباشرون والأمراء والخاصكية لخدمة السلطان على العادة بالحوش السلطانى بقلعة الجبل فردهم الخدام وقالوا لهم : « السلطان رسم أن الخدمة فى (١١٩٩) هذا اليوم بطّالة » فرجعوا ، وكان السلطان — نصره الله — طلب الحريم بين يديه إلى البحرة فأكل وانشرح ، ثم ركب بعد ذلك وسير على عادته وعاد إلى القلعة ، وتقدم له - نصره الله - أنه قبل هذا اليوم فى أيام عيد الأضحى ركب وتوجه إلى القبة التى أنشأها له المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى أمير سلاح الدوادار الكبير وتوجه أيضاً إلى بولاق واستمر فى ركبته إلى قليوب فى نفر يسير وعاد إلى القلعة ، وما سمعنا ولا رأينا بأكثر من ركوب هذا السلطان ونظره فى مصالح بلاده ورعيته فإنه كان لما توجه لقليوب كشف عن إصلاح الجسور، فاللهم انصره واجعل العدل شعاره ودثاره ووفقه وألهمه للحق .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره تواتر الخبر على ألسنة العوام أن السلطان غد تاريخه يخلع على الأمير ألماس[1] شاد الشراب خاناه بنيابة الشام ، فأصبح يوم الخميس سادس عشره فصعد المتكلم فى الخاص بمنمر وأطلسين وفوقانى بطراز عريض وسرج ذهب وكنبوش زركش ، فلم يخلع عليه بشىء ولا أظن أن السلطان يأخذ من وظيفة شاد الشراب خاناه إلى نيابة دمشق دفعة واحدة .

(١) انظر الضوء اللامع ٢/١٠٣٧ .

وصمد المتكلم فى وظيفة الخاص أيضاً بخلعة السيد الشريف الذى كان والده تاجراً مشهوراً بخان النشارين ، واستقر فى وظيفة نظر الأشراف بدمشق فلم يخلع عليه أيضاً ، وسبب ذلك أنه ما وزن ما قرر عليه فى الوظيفة من الرسم ، وهذا المذكور هو الذى كان السلطان تغيب عليه بسبب مخاصمته مع النابلسى لما كان وكيل السلطان وضربه وأهانه وهو مستحق .

واتفق فى هذا اليوم غريبة هى أن شخصاً من أراذل العوام التجار بسوق أمير جيوش [كان] مشهوراً بالربا والنحس والأيمان الباطلة ، خرباً فجراً يعرف بابن الشقيرة كان فى حسبة الأمير يشبك الجمالى ، عمله محتسباً لسوق أمير جيوش ، فضج منه أهل أمير جيوش ومن خلفه وكان له معهم مناصف ، وكان الأمير يشبك المذكور يساعده ويؤيده فإن الأتراك عادتهم إذا صدق عندهم الواحد مرة ولو كذب بعدها مائة ألف مرة ما يحملونه إلا على الصدق ، فاتفق أن يشبك المذكور لما عزل عن (١٩٩ ب) الحسبة وتولاها القاضى بدر الدين ابن المقر الأشرف الزينى ابن مزهر كاتب السر حفظهما الله وامتنع من تولية مثل هذا على المسلمين فإنه يعرف أخباره فإنه بالقرب من منزله ، بل وكان يبتاع من المقر البدرى أصنافاً ويصبر عليه بثمنها ويغالطه فى أشياء منها ويحلف عليه ، وتقدم له أنه أراد [أن] يقف للسلطان قبل هذا ويشكو على المقر البدرى أنه ظلمه وأنه أباعه شيئاً بثمن زائد ، فوقف المقر الزينى بركات حفظه الله نائب والده بينهما ، وكان القاضى كاتب السر مسافراً فى كشف بلاد الديوان المفرد وفى خدمته ابن البقرى والأمير شاهين الجمالى ووفق بينهما على أن يتحاسبا ، ومهما كان عنده من الأصناف يعيده بسعر ما أخذه منه ، فحضر كاتبه[1] هذه القضية ووجدنا للمقر البدرى عنده سطوراً بثمن جارية وعبد وقماش ، فأعاد

---

(١) يعنى المؤلف بذلك نفسه .

الجارية والعهد بعد أن اعترف بوطأ الجارية ، وتأخر المقر الهدرى فى جهته بعد ذلك مال فنزل له منه جانب وكتب بينهما تبارى وشهدتُ به ورفيقىّ معى واستحكمنا فيه ناساً من نواب المالكى بعد إقرار بعد من الاستحقاق ، فصعد فى هذا إلى القلعة بالحوش السلطانى وصار يؤلب ويستشكى على المقر الهدرى المحتسب ويتظلم ويدعى أن له فى ذمته ثمن أرز وغير ذلك،ويفسر بألفاظه العامية ويدعى أنه سعى فى الحسبة بكذا كذا ألف دينار، وراجعه[1] الحاضرون فصار يزيد ويقول:«أنا أحدثت مظالم ؟ أنا آخذ الجبن «الخبز» أشتريه على ذمتى بثمن زائد على المسلمين ؟» ، فطلبه الأكابر مثل القاضى أبى البقاء وأخيه المقر الزينى بركات وغيرهما ونهوه من ذلك ، فقال عن المحتسب إنه ضربه بقبقاب « ووعدنى بالطرد والإشهار ولى عنده حق ، وما أخلص منه إلا بالسلطان بحضرة الخاص والعام » ؛ هذا كله ورئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله تعالى لم يلتفت إليه ، وأما ولده فما ساعه إلا السكوت حتى لا يصير خصمَه مثلُ هذا الفاجر المارق الفاسق السفلة ، بل صار غلمانهم ومن حضر المجلس يعظمونه وجاسوا عليه ، مع أننى بلغنى ممن كان حاضراً أن المقر الزينى ابن مزهر أساء على الغلمان لما رآهم يتخاصمون معه ـ فحفظه الله ـ . (١٢٠٩) وكثرةُ الحلم مع الخصم الجاهل الأحمق ماهى محمودة ، وإن كانت بعد ذلك تفضى به إلى القتل كما قيل « قتله حلم معاوية » ، ولما رأيته لم يساعد ولده على خصمه أنشدت قائلا ومتمثلا البيت المشهور :

إذا كان هــــذا فعله فى محبه فيالت شعرى فى العدى كيف يصنع

وآخر هذه القضية أخرجوا ابن الشقيرة من الحوش وهو يشكى ويتظلم والسلطان جالس على الدكة على تفرقة الجامكية حتى وصل[2] إلى باب الستارة ،

---

(١) فى الأصل « ورجعوه » .
(٢) أى ابن الشقيرة .

فرآه الوزير خشقدم الزمّام فأساء عليه إساءة مفرطة وقال له : « إيش وظيفتك حتى تلبس سمور كشف وتعاند مثل المحتسب ابن كاتب السر؟ ، والله يضربك السلطان وينفيك» فقال : « أدخلوا بى للسلطان » فدخل هو والقاضى بركات والقاضى المحتسب والوزير إلى السلطان فقال المحتسب : « هذا كان لى عنده مال وجحدنى فيه فتركت له منه جانب وكتبت بينى وبينه مبرأة وحكم فيها المالكى » ، فقال الخصم : « كتبت جبراً وضربنى بقبقاب ووعدنى أن يضربنى ويجرسنى، وقال إلى سعيت عليه فى الحسبة » فقال السلطان للمقر الزينى بركات : « توجه بهما إلى بيت القاضى المالكى » ، فصار هو يستشكى إلى أن وصلوا لبيت قاضى القضاة المالكى فذكروا القصة للقاضى وأنه كتب عليه مبرأةَ حكمِ فأنكرها ثم اعترف بهما ، ثم ادعى بعد البراءة [أنه] أخذ منه ثلاث شاشات بقسمة عشر ديناراً ونصف وعشرين أشرفية ، فسأل المقر الهدرى عن ذلك فأجاب أنه لم يأخذ منه بعد البراءة شيئاً مطلقاً فالتمس يمينه ، وعرف كل من حضر المجلس أن دعواه باطلة لا حق له فيها ، ورد المقر الهدرى عليه اليمين فنكل عنها ثم جسر وحلف وقبض أربعين ديناراً .

فياليت شعرى لأى شىء ماضُرب هذا وجُرس فإنه أنكر أنه ما كتبت عليه براءة ثم اعترف ، لكن بلغنى أن قاضى القضاة المالكى ـ أيده الله ـ قال لابن الشقيرة : « لولا يقول الناس أن خصمك المحتسب ابن كاتب السر لضربتك وأشهرتك» . وإيش يفكر هذا فى مثل هذا الكلام ، وكتب بينهما تبارى ، وحكم فيه بباب قاضى القضاة ، وشاوروا السلطان على ذلك فقال : « لأى شىء المحتسب يعامل مثل هذا ؟ » وآخر الأمر الرضى وكل مفعول مضى ، ولو وقع لهذا هذا الفعل مع الصاحب جمال الدين (٢٠٠ ب) يوسف بن كاتب جكم أو القاضى زين الدين عبد الباسط أو غيرهما من المتقدمين لأبدلوا بسبب

هذا أموالا وعملوا على ضربه وإخراجه ونفيه وما هو فوق ذلك ، والدرهم ما يفنى إلا لغرض أو لمرض أو لغرض وأى غرض يكون أفحش من هذا ؟ فالله المستعان .

وفيه رسم السلطان على علاء الدين بن قمتى رأس نوبة القر المرحوم السيفى تشبك من مهدى الدوادار الكبير كان - تغمده الله بالرحمة والرضوان - بسبب ما قسط عليه من بلاد الدولة للمفرد وهى شطنوف فإنه امتنع من وزن المال المقسط وذكر أنها شراق فلم يقبلوا منه ذلك ، وذلك بعض ما يستحقه فإنه من الظلمة المردة المتجبرين .

وفى هذه الأيام أيضا عرض السلطان — نصره الله — أولاد الناس الذين باسمهم الجامكية السلطانية ، فأما أصحاب الألفين فرسم أن يكونوا على أهبة من السلاح واللبس الكامل كالخوذة والقرقل والرمح والسيف والتركاش والنشاب ، ومن جملتهم صاحبنا ومخدومنا سيدى محمد بن جمال الدين وأمره بالسفر فامتثل ، وكذلك ابن المنيرى قال له السلطان : « إنت تأكل جامكية السلطان حرام » فأجاب أنه فى سفرة سوار وزن بديلا ، فغضب السلطان منه بعد أن كان فى غاية الانشراح .

وأما الذين جامكيتهم ألف درهم فى كل شهر أو ما دونها فرسم أن يكونوا مخصوصين ومتأهبين بالقوس والنشاب والسيف وغير ذلك وأن يدمنوا فى لعب رمى النشاب ، مع أن أولاد الناس ما تعرض لهم أحد من الملوك السالفة ولو عرضوهم يهملون أمرهم فالله المستعان ؛ وليت شعرى : مَن جامكيته خمسمائة أو ثلاثمائة وعنده عيال وهو فقير من أين يفضل له ثمن سيف أو رمح أو تركاش ؟ وهؤلاء كان الملوك السالفة جعلوهم وأمثالهم جهة الصدقة عن بيت السلطان ، وجماعة أيضاً يسمون الطراخين [وهم] مقيمون بالقلعة يأكلون

جامكية السلطان ولا يسافرون ولا يلزمون بخدمة ، وجماعة مرتبين على البساط والذى أظنه أن غالبهم ما يحسن رى النشاب . نعم يرى بالهندق فضلا عن لعب الرمح أوضرب السيف فكيف يطلبون[1] منهم ذلك بعد كبرهم وعجزهم وكيف يتيسر (١٢٠١) لهم ذلك وقد قال الشاعر « العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » .

وفى هذه الأيام وصل مبشرو الحاج وعلى يدهم الكتب تتضمن أن الوقفة كانت الجمعة وأن أميرهم سافر بهم سيراً مليحاً وهم يشكرون ، وأنهم طيبون ، وأن الرخاء موجود وذلك فى الثالث والعشرين من شهر تاريخه ، فالله يكتب لهم السلامة .

وفيه وصل للسلطان مطالعة من نائب الروم تضمن مطالعة للمقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك باش العسكر عز نصره ، وفيها أنهم يسألون مولانا السلطان فى عدم الحركة والسفر وأن البلاد[2] والعباد هلكوا من التجاريد ، وأن المقر الأشرف الأتابكى وصل مدينة حلب يوم عيد الله الأكبر وهو طيب بخير وسلامة ، فلله الحمد والشكر على ذلك ، إنه الولى والمالك .

وغير ذلك أن القاضى الحنفى رفعت له قصة [قوم] يشكون على الأمير تنرى بردى الأستادار خازندار المقر المرحوم الدوادار الكبير كان يكتب عليها بحضوره أو وكيله ، وشاع وذاع عند الناس مطلقاً أنه سَمْ مَعِى[3] وأنه أذن وأنه ماعنده صلابة فى الأمور ولا تثبت ، وأنه يقبل الهدايا من الأكابر كالمقر الزينى ابن مزهر حفظه الله والقاضى بدر الدين أبى البقاء بن الجيعان والخواجا شمس الدين

---

(١) فى الأصل « يطلبوا » .

(٢) فى الأصل « البلاد هلكوا والعباد » .

(٣) هكذا فى الأصل ، ولعله يريد بها « إمعة » .

ابن الزمن وقاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة الحنبلى ، وهؤلاء أرسلوا إليه المآكل والمشارب لما حضر من الشام فقبلها وأكلها ولم يرد منها شيئاً ، وزاد على أولئك[1] المذكورين الخواجا شمس الدين ابن الزمن بأن أرسل له جاريتين فقبلهما وعمر له المكان الذى هو ساكن فيه فى الصالحية من ماله وبيّضه ، وأين هذا ممن كانوا قبله وهو الأمشاطى فإنه لما ولى أرسل له المقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله ببقجة قماش من البعلبكى والشاشات وغير ذلك فلم يقبلهم وردهم ، مع أنه كان له عادة أن يرسل له فى كل سنة مبلغا له صورة قبل دخوله فى القضاء فيقبله ، ومع ذلك فامتنع وصار لا يقبل المبلغ المعتاد ، وأهدى له النابلسى وكيل السلطان سجادة فردها عليه ، وأرسل نائب الشام (٢٠١ ب) قانصوه اليحياوى الظاهرى لقضاة القضاة كل واحد بغلة فقبلوا هديته ولم يقبلها هو ، ولم يقبل فى ولايته من أحد شيئا لا كبيراً ولا صغيراً سوى هدية مولانا السلطان لما حضر من الحجاز الشريف فى سنة خمس وثمانين وثمانى مائة وهى هذه السنة ، ورحم القائل فإنه كان يقول : « أنا لى ما يكفينى على أوقاف الحنفية ومدارسها من معلوم التداريس وهو فى كل شهر مائة دينار » وها هى صارت لهذا الرجل .

وحضر صحبته من دمشق جماعة مكلوبون على الدنيا ، فقرر بعضهم فى وظائف مَن مات وله ولد رجل بلحية صالح للوظائف بل كلن يباشرها وأبوه حى ، وجعل بعضهم فى توقيع بابه ، وحضر إليه المقر الزينى أبو بكر بن عبد الباسط بولد من أولاد الشيخ قاسم الحنفى فقرره أحد الموقعين ببابه ، وولى جماعة كان عزلهم الأمشاطى ، أحدهم عمر المناوى نسب إلى الزور مراراً فى أيام قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وضرب وسجن وله إقدام وجرأة على

---

(١) فى الأصل « ذلك » .

الأمور الفاسدة ، والآخر الشريف المقصى فإنه عزله بسبب ما ثبت عنده من أخذ الفلوس الكثيرة والتهوير ، واستمر هو مدة ولايته معزولا وعزل من هو بضد ذلك ، وإلا إلى الله يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما فعل .

يوم الخميس ثالث عشريه خلع الشريف الدمشقى ابن الخواجا بخان النشارين واستقر فى نقابة الأشراف بدمشق على عادته ، وكان الأشراف بدمشق شكوا عليه للسلطان فطلبه فحضر من دمشق فخيروهم ينظرون لهم وأن يستقروا[1] عوضه فى نقابة الأشراف فلم يوافقهم أحد لأجل الوزن ، فوزن هذا ألف دينار . ولله الأمر إنه الواحد القهار .

وفى سابع عشرى شهر تاريخه وصل كتاب المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى السيفى أزبك عز نصره ، وقيل إنه يسأل السلطان فى عدم الحركة وأن الصلح حصل ، وذكر أن نائب قلعة الروم أرسل إليه مطالعة بذلك ، والله تعالى هو الحاكم والمالك .

وقبل هذا بيويمات صعد الشيخ زكريا شيخ قبة الإمام الجليل الشافعى (١٢٠٢) رضى الله عنه إلى السلطان وشفع فى يحيى ولد المقر المرحوم شرف الدين الأنصارى وتكرر ذلك منه مراراً فأمره السلطان أن يحلفه أنه ما أخذ الذخيرة ، فحلفه وأعلم السلطان بذلك فأطلقه بعد أن عد له أموراً من كذا وكذا ، وأنه فى كل ليلة يضيع خمسين ديناراً على الوحابية وأمثالها والله المستعان ، وأخبار الناس عند هذا السلطان معروفة مضبوطة ، فنسأل الله الستر والسلامة ، ونعوذ بالله من كلام العدا واختلاقهم .

وأما الأمير قجماس الأمير آخور الكبير الذى كان توجه للثغر السكندرى

---

(١) لعله يقصد بها « يقروا » .

فحضر ولم يتفق منه شيء مما كانوا أشاعوا أنه توجه بسببه ، فإنهم — أعنى العوام — أشاعوا أنه توجه ليقبض على المنصور عثمان بن الظاهر حقمق من دمياط وعلى قانصوه الأحدى الشهير بالحسيف ، وعلى المؤيد أحمد بن الأشرف إينال ويطلب من المؤيد مالا فلم يصح شيء من ذلك ولا تعرض لما بنت شفة ، وإنما البرج الذى عمره السلطان نصره الله بالثغر السكندرى كان وقع بين الأمير الذى فيه وبين المماليك المقيمين به فتنة ، فبلغ السلطان ذلك فأمر الأمير قجماس بالتوجه فخلع على الأمير المذكور وأصلح بينه وبين المماليك ، وما عدا ذلك فخرافات وهذيانات ، نعوذ بالله من كلام العامة .

وفى يوم الإثنين سابع عشره خلع عَلَى الأمير ألماس شاد الشراب خاناه الأشرفى قايتباى واستقر فى نيابة صفد عوضاً عن الأمير جانبك السيفى قايتباى الأشرفى بحكم القبض عليه من وقعة الرها صحبه بايندر باش عسكر يعقوب بك ابن حسن بك بن قرايلك فى سابع عشر شهر رمضان من هذه السنة ؛ وغير ذلك أن الذى صح عن المقر الأشرف الأتابكى أزبك عز نصره أنه أرسل مطالعته للسلطان تتضمن القبض على شاه بدق وسجنه بقلعة دمشق ، فشكره السلطان على ذلك واستصوب فعله فإنه كان أكبر الأمور فى السبب لكسر العسكر وأنه أرسل يسأل فى تولية علىّ أخيه[1] المشهور بدولات ، فإنه أرسل ولديه رهينة وأنه أرسل مفاتيح عدة قلاع من جملتها قلعة زمنطوا والتزم بجمع عدة [٢٠٢ ب] من العساكر وكان قد أرسل أحد أولاده يسأل السلطان فى ذلك فرده ولم يقبله فلما وصلت مطالعة المقر الأشرف الأتابكى بذلك طلبه وأحضره وخلع عليه بالرضى والقبول ، ورسم للمقر الأشرف الأتابكى أن يوليه ويولى

---

(١) فى الأصل « أخوه » .

غيره من النواب ، وأعلم المقر الأشرف الأتابكى المسامع الشريفة بوصول قانصوه الذى كان نائب طرسوس سالماً من بايندر بعد قبضهم عليه ، وكان السلطان — نصره الله — عين فى وظيفته شخصاً من أمراء الألوف بدمشق يسمى قرقماس التنمى ، فلما بلغه حضوره رسم له بنيابة بهنسا وأن يلبس خلعته بين يدى المقر الأشرف الأتابكى ، وكتب له أن يفعل برأيه السديد ما يراه . انتهى .

وتكرر عرض أجناد الحلقة أولاد الناس فعرضوا أيضاً فى هذه الأيام كل من باسمه إقطاع[١] جليل أو حقير ، أو كل من باسمه جامكية ببيت السلطان كثيرة أو قليلة ، ووصّوهم أن يكونوا على أهبة إما للسفر صحبة الركاب الشريف ، وإما للتركيز بالقاهرة أو بغيرها من الثغور ، والله المستعان .

ومما وقع من الحوادث أن شخصاً ساكناً بحانوت بجوار رأس سوق أمير جيوش وبجوار الحانوت سرداباً[٢] ، قد نظفوه وغطوه فقام من الليل ليقضى حاجة فسقط فى السرداب فمات وذهب دمه هدراً ولا قوة إلا بالله ، وهذا يسمى السرداب الحاكى ، وأخبر الجمال يوسف بن تغرى بردى فى بعض مؤلفاته أن هذا السرداب سقط فيه قطار جمال محملين بالتبن ، وماتوا ولم يظهر لهم أثر ولا يعرف لهم خبر .

يوم الثلاثاء ثامن عشره رسم السلطان أن ينادى على الفلوس العادة التى كل فلس منها نصف : بالميزان ، بستة وثلاثين درهما الرطل فخسروا فيها الثلث ، فإنها كانت تنفق بثمانية وأربعين الرطل فنفر[٣] الناس من ذلك فإنها كان فيها فرج من جهة العدد ، وصار السوق والباعة يأخذون فى الميزان ويسرقون

---

(١) فى الأصل « اقطاعا جليلا أو حقيرا » .
(٢) فى الأصل « سردابا » وكذلك فى بقية الخبر .
(٣) فى الأصل « نفارو » .

ودعى[1] الناس على من أشار على السلطان بهذا ، وقيل إن شخصاً عجمياً حضر من بلاد حلب وضمنها بسبعة دنانير فى كل يوم للسلطان (١٢٠٣) والله المستعان ، وعليه التكلان .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه ركب السلطان — نصره الله — من قلعة الجبل وتوجه إلى جهة المطرية فأقام بالقبة التى أنشأها له المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى الدوادار الكبير وأقام بها الأربعاء والخميس وصعد القلعة ، وكان حصل عنده نكد وحدة مفرطة فإنه بلغه أن جماعة الظاهرية جقمق بلغهم أنه يولى الدويدارية الكبرى لقريبه الأمير أقبردى أحد المقدمين الألوف فأنكروا ذلك وقالوا: «هذا شاب والدويدارية من يتولاها يكون منتصباً للأحكام بين الناس ، وهو باب السلطان ولسانه وهو جلب لا يدرى الأمور ويصير أمر الناس فى تشويش» ، وأنهم قالوا أيضا أنه يولى دويداره الثانى الشاب قانصوه خمسمائة الإمرة الأخورية الكبرى عوضا عن الأمير قجماس الإسحاقى بحكم نقله إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير قانصوه اليحياوى الظاهرى جقمق المقبوض عليه من الرها صحبة بايندرباش عسكر يعقوب باك بن حسن باك ابن قرايلك وهو قد استحق جماعة قبل هذه الوظيفة لتقدمه عليه بالسن والاستحقاق ، ولكن هذا راجع إلى رأى السلطان، وفى الحقيقة فقلوب الملوك بيد الله تعالى يقلبها كيف شاء كما ورد فى الحديث الشريف .

ووصل الخبر أن الأمراء والمماليك السلطانية والنواب المقبوض عليهم صحبة بايندر من وقعة الرها وصلوا إلى يعقوب بك بن حسن بك وزعموا أنه أطلق نائب الشام وجعل فى خدمته عدة من المماليك وأن[2] بقية النواب وأنه أطلق [الجميع] .

---

(١) فى الأصل «ووعدا» .

(٢) جملة غير مفهومة السياق .

ما عدى النواب والأمراء ومن له ذكر أو وظيفة [فقد] أبقاه عنده ، غالبا مماليك الأمراء والنواب ، وإلى الله المرجع والمآب .

وانتهت هذه السنة وانقضت على ما سمعت ورأيت من المصائب والحوادث التى تقشعر منها الجلود من قتل ونهب وأسر وأخذ أموال وحول وجمال وبغال وهجن وخام وسلاح وقماش وبرك ، فلا قوة إلا بالله .

* * *

(٢٠٣ ب) ذكر من بلغتنا وفاته فى هذه السنة من الأعيان بمصر ومن بلغنا مقتله فى وقعة الرها مع بايندر باش يعقوب بك بن حسن بن قرايلك ومن تأخر معهم فى الأسر فى قيد الحياة على حروف المعجم :

١ — إبراهيم [بن عمر][1] بن حسن الشيخ الإمام العلامة المحدث البقاعى الشافعى اشتغل كثيراً ونبغ وفضل ولازم شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضى القضاة حافظ العصر خادم السنة والأثر ، الشهير نسبه الكريم بابن حجر رحمهم الله وغيرهم من العلماء المتقدمين والمتأخرين كالشيخ العلامة المفنن شمس الدين القاياتى الشافعى والشيخ الأمة المحقق كمال الدين بن الهمام الحنفى وآخرهم الشيخ أبو الفضل أعجوبة الدهر فى المعقول والمنقول الحافظ المالكى المغربى ، وصنف وكتب وضبط أسماء الرجال ، وخرج فى الحديث العالى والنازل ، ورقاه قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر حتى جعله قارىء البخارى فى القصر بقلعة الجبل بحضور السلطان فى دولة الظاهر جقمق ، وكان يثنى على قراءته وفصاحته وهو كذلك مع الدين والخير ، إلا أنه سيىء الأخلاق جداً ، نعوذ بالله .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين حتى لا يختلط بسميه أحمد بن حسن الرباط البقاعى فيظن أنهما أخوان .

من ذلك اتفق أنه أخذ التحدث على مسجد بجوار الجمالية ، وأعلى المسجد طبقة سكناه بعياله ومقابله جار له يسمى على بن الفاوى[1] الجوهرى وله ولد كان يصعد إلى سطح أبيه ليلعب بحمام، فاتفق أنه رآه فى السطح فشطح فيه وفى أبيه ومنعهما من الصعود لسطحهما لكون سطحهم أعلى من سطحه فلم ينتهوا ، فرماهم بعدة سهام من النشاب ، فشكوه للملك الظاهر جقمق فرسم بالقبض عليه وسجنه بالمقشرة فسجنوه بها ، وخرجت وظيفة قراءة البخارى للشيخ جلال الدين ابن الأمانة الأنصارى الشافعى أحد نواب الشافعية وأحشمهم ثم شفع فيه وأطلق واستمر على ما هو عليه ، وصنف كتاباً فى «مناسبات القرآن» فقاموا عليه وأرادوا حرق الكتاب ، وتعصب عليه جماعة وأغروا عليه الأمير تمربغا وكان إذ ذاك رأس نوبة كبيراً ، وتعصب له جماعة وكتب لهم أسئلة بسببه وكتبوا عليها بمراده . [2] .. ..

.. ..

* * *

[سنة ٨٨٦]

(١٢٠٤) وفى[3] ليلة الخميس المصبحة عن ثامن عشرى شهر تاريخه اندرج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى جارنا وصاحبنا ومخدومنا وابن مخدومنا الفقير إلى الله تعالى المقر المرحوم الزينى أبو بكر ابن المقر المرحومى الزينى عبد الباسط

---

(١) لم أجد ترجمة لعلى بن الفاوى هذا وإنما توجد لابنه أبى بكر ترجمة فى الضوء اللامع ، ج ١١ ص ٥١ ـ ٥٢ رقم ١٣٦ ، ويستفاد منها أنه كان للأب تركة بددها الابن الذى قضى معظم حياته فى مكة ، والذى مات سنة ٨٩١ .

(٢) ضاعت بعد هذا من الأصل بقية وفيات سنة ٨٨٥

(٣) هذه أحداث شهر محرم ٨٨٦ ، إذ الثابت ان أبا بكر بن عبد الباسط بن خليل مات ليلة الخميس ٢٨ من هذا الشهر ، انظر فى ذلك ترجمته بالضوء اللامع ج ١١ ص ٤٢ ـ ٤٣ ، ترجمة رقم ١١٠ ، كذلك يستفاد من التوفيقات الالهامية ص ٤٤٣ أن أول محرم هذه السنة كان يوم الجمعة مما يتفق وكون الخميس ٢٨ منه كما بالمتن .

ابن خليل الشافعى وكان له نحو عشرة أيام ضعيفاً بمرض حاد مستغرقاً فيه غائب الحواس ، وتأسف الناس عليه فإنه كان رئيسا حشماً زهراً لطيفاً كريماً اجتمعت فيه محاسن ، وصلى عليه من الغد بباب النصر وحضر الصلاة عليه قضاة القضاة الثلاثة خلا الحنفى لوفاته فى يوم الزلزلة كما قدمنا ذلك ، وحضر المباشرون إلا الأستادار ، وحضر من الأمراء المقدمين يشبك الجمالى وتوجهوا معه إلى تربة والده المجاورة لتربة الأشرف إينال فدفن بها . وقيل إن السلطان أرسل إليه الأمير برسباى الخزندار ، فحضر دفنه وختم على بيته وموجوده الأمير برسباى المذكور بحضور رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله تعالى فإنه جعله وصياً وذلك حفظاً لولده النائب ، وأيضاً فالسلطان له عليه مال من حين أفصل من نظر الجوالى وأهمل[1] طلبه له بواسطة والده ، فالآن تعين المطالبة به وقبضه .

وكان المتوفى رحمه الله أوصى للسلطان — نصره الله — بشىء من القماش والصينى والنحاس والخيول بأجمعهم ، ماعدا فرسين للمقر الأشرف الأتابكى أزبك — عز نصره — ، وبغلة للمقر الأشرف الزينى ابن مزهر الأنصارى — حفظه الله — ، وأربعة أرؤس وبغلين لولده ، وذكر فى وصيته ماله وما عليه ، وصنع له رئيس الدنيا ابن مزهر المذكور — حفظه الله — يوم وفاته أشياء وجهزها لعياله بكرة النهار مدة عظيمة فحضر جمع من الأكابر والأعيان ، وأحضر عدة جوق من القراء فأحيوا عنده تلك الليلة ، وهنيئاً له مات فى قبره ليلة الجمعة .

وكتبت مراسيم شريفة بإحضار ولده الناصرى محمد من دمشق ويُبَعْد

(١) أى أن السلطان أهمل مطالبة أبى بكر عاله من مال فى ذمته من الجوالى الشامية والمصرية ، وإن كان السخاوى : نفس المرجع والجزء والصفحة قال إن « السلطان استأصله حيا وميتا »

أن حصل له من تركة أبيه طائل أو نائل فإن السلطان له مبلغ كما تقدم وله عند ابن جنيبة الذى كان صيرفى الجوالى مبلغ جلته نحو ثمانية آلاف دينار ، وابن جنيبة له ذلك القدر فى ذمة الناصرى محمد المذكور فصار[1] للسلطان وعليه غير ذلك لأقوام متفرقين من تجار وغيرهم نحو ثمانية آلاف أخرى .

(٢٠٤ ب) وَخلف أخوين أحدهما يسمى عمر وهو الاكبر والآخر يسمى عبد الرحمن وهو ضعيف على خطة ، وبينازعوا[2] ولد الميت فى النظر لأنهم أولاد الواقف وذاك ولد ولد الواقف . وكان المتوفى ـ عفا الله عنه ـ شكلا حسناً متجملافى مركبه وملبسه ومأكله ومسكنه ، يقتنى الخيول والجياد والأقمشة الفاخرة الفائقة فى الحسن ، وخلف من الخيول والبغال أربعين رأساومن القماش شيئاً كثيراً جداً ، ومن القماش الصوف المسنجب والسمور وغير ذلك نحو أربعمائة قطعة ومن البياض نحو ذلك ، وكذا من الحرير وكذا من الصينى والنحاس واللحم والعبى والسروج والسيوف وعدة من الخدام الحبوش ؛ وانطلقت الألسن بالثناء الجميل عليه ، ونعم الرجل . انتهى .

وفى يوم السبت الثلاثين من تاريخه خلع على الأمير قجماس الإسحاقى الظاهرى جقمق الأمير آخور الكبير كان — الذى استقر فى نيابة الشام — فوقانيا عظيما بطراز زركش عريض جدا ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش . وخرج طلبه إلى الريدانية فى تجمل عظيم زائد الوصف بعد أن مر من تحت القصر بالرميلة وشق القاهرة ، وكان طلباً عظيما لكثرة ما فيه من الخيول الجياد والكنابيش الزركش والسروج الذهب والبرك الهائل والقماش الجديد واليرق الحسن والمماليك والخدم ، وتوجه معه إلى الريدانية

---

(١) فى الأصل « فسار » .

(٢) إدخال الباء على الفعل المضارع من خصائص المصرية الدارجة .

الأمراء الألوف والطبلخانات والروس النوب والعشرات والخاصكية ؛ وكان له يوم مشهود قل أن يجتمع مثله لغيره .

وتوجه إليه فى آخر هذا النهار المقر الأشرف الزينى رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر ـ حفظه الله تعالى ـ فحلفه كما هى عادة النواب ، فقدم فقدم له فرساً خاصاً بسرج ذهب وكنبوش زركش فامتنع من قبوله وحلف وأقسم عليه أن يركبه فبر قسمه وركبه إلى أن وصل به إلى القبة التى أنشأها المقر المرحوم يشبك من مهدى الدوادار وأرسله[1] إليه ، فزاده الله محاسناً وآداباً وأفضالا ورفعة وهمة وسؤددا وعفة ونزاهة وشهامة وفخامة .

{ شهر صفر الأغر الخير }

أهل بيوم الأحد لأن شهر المحرم الذى قبله جاء تماماً ويوافقه من أيام الشهور القبطية سادس برمودة .

فيه صعد قضاة القضاة الثلاثة لتهنئة (١٢٠٥) السلطان ـ نصره الله ـ بالشهر على العادة وحضر الشيخ خير الدين السنسى والشيخ صلاح الدين الطرابلسى من الحنفية بسبب عقد مجلس بين يدى السلطان ملخصه أن القاضى تاج الدين وله ولد إمام الشيخونية قبل عزله وقبل موت القاضى شمس الدين الامشاطى عين عليه أن والدته ملكت أولادها إقطاعا أو رزقا فى أرض مشاع وفى الأولاد من هو صغير عن سن التمييز وحكم بذلك ، مع أن السادة الحنفية عندهم تمليك المشاع غير صحيح لأن التمليك لا يصح إلا بالقبض ، وطلب السلطان هذا الحاكم المذكور فحضر صحبة الحنفية وغيرهم وكان بلغ مسامع السلطان [أنه] طلب فى هذه الأيام بعد موت ابن عبد قاضى الحنفية من مِلك لهم برسول من

---

(١) يعنى أنه أرسل الفرس إليه .

بابه وأنه يريد نقض الحكم فأمرّ له نقدة ، فحلف أنه من حين مات الحنفى ما حكم ولا أرسل ، وأظهر الله براءته عنده وأصرف للقاضى الحاكم فى هذه المسألة نقدة ، وآخر الأمر ذكر الشيخ صلاح الدين الطرابلسى أن الحكم صحيح، وهو منازَع فى ذلك من سيدنا الشيخ الإمام العلامة شيخ الشيوخ برهان الدين الكركى ـ أيده الله ـ ومن الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة ـ لطف الله بى وبه ـ وغيرهما ، وحضرتُ الصلاح المذكور فى أول هذا الشهر بين يدى سيدنا شيخ الشيوخ البرهانى المذكور وأخبر أنه رآى الشيخ سرى الدين عبد البر وسأله عن عدم حضوره لهذا المجلس فقال : « هذا مجلس معصية.معنى كلام السروى عبد البر : أنك قلتَ عن مذهب أبى حنيفة بما لم يقله »، وبحث معه الشيخ برهان الدين فى عدم صحة التمليك فى المشاع ، وذكروا فى المجلس أن الحاكم فى هذه المسألة أخذ فيها ثمانين ديناراً ، فالله أعلم .

عودٌ إلى ما كنا فيه .

ثم خلع على القاضى شهاب الدين بن فرفور[1] الدمشقى أجلّ أصحاب مخدومنا المقر الزينى ابن مزهر الأنصارى كاتب السر الشريف حفظه الله ،واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق المحروسة مضافا لما بيده من نظر الجيش الذى وليه فى يوم الثلاثاء سادس عشرى شهر المحرم سنة تاريخه عوضا عن صلاح الدين العدوى بحكم عدم أهليته ،وأضيف للقاضى شهاب الدين المذكور ما كان بيد العدوى المذكور أيضاً من نظر القلعة ووكالة السلطان ووكالة بيت المال ، وفى الواقع فما تصلح بعدَ مَن كان فيها (٢٠٥ب) إلا للقاضى شهاب الدين فإنه عالم فاضل جواد شهم رئيس نبيل كبير العقل والأدب والسكون ؛ ولما خُلع عليه جلس ـ بعد ما قام له السلطان ـ تحت قاضى المالكية ، فأشار رئيس الدنيا ابن مزهر

(١) راجع عنه ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٨٠ .

الأنصارى كاتب السر حفظه الله لقاضى القضاة ولى الدين الأسيوطى الشافعى أن يستدعى له الولاية من السلطان فاستدعى له : « فوضتم له قضاء الشافعية بالديار المصرية »، ثم استدرك فقال : « قاضى القضاة بالقاهرة » ، ثم فى الثالثة قال: « قضاء القضاة بالشام وأعمالها » فأجاب لذلك ردعوا وانصرفوا. وركب معه قاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة قطب الدين الخيضرى وغيرهما من الأعيان إلى منزله .

وسبب ذلك كونه من أخصاء المقر الزينى كاتب السر وهو له فضائل وفواضل وفتوة ومروءة وبشاشة وأصالةُ بيتوتة وقِرى ، [وهو] كامل الأوصاف ذاتاً ومعنى جميل المنظر والمخبر ، ويقال إنه تكلف إلى نحو ثلاثين ألف دينار ، والله تعالى هو القادر القهار .

وكان سبب عزل العدوى أن سيدنا شيخ الإسلام قطب الدين الخيضرى ـ أيده الله ـ صعد للسلطان وأعلمه أن ابن فرفور فيه أهلية للوظيفة عن العدوى ويقوم بما قام به العدوى فوقع ما وقع ، وهذا الذى وقع أمرٌ نادر عجب من السلطان كيف يولى إنساناً قضاء الشافعية بدمشق ويعزله بعد أربعة أيام وهو عزيز الولاية والعزل ؟ ولكن الله يفعل ما يريد ، وقلوب الملوك بيد الله تعالى يقلبها كيف شاء .

وفى أمسه حضر كاتب من المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأتابكى الكفيلى أزبك من ططخ الظاهرى جقمق باش العسكر المنصور من حلب وعلى يده [كتاب] يخبر بسلامة المقر الأشرف المذكور وعافيته ، فقرأه المقر الزينى ابن مزهر كاتب السر وفيه ما معناه : «إن جماعة يعقوب يطلبون الصلح» فصعد به القضائى الزينى سالم إلى السلطان .

ووصل أيضاً صحبةَ هجان المقر الأشرف الأتابكى مملوكُ المقر الأشرف العالى

برسباى قرا المحمدى الظاهرى جقمق حاجب الحجاب جمعنا الله به على أكمل الحالات وأجمل المسرات وأخبر أن أستاذه المذكور وصل إلى دوركى سالماً ، وأنه كان فى تاريخه وتاريخ الكتاب المحضر من المقر الأتابكى له ثلاثة عشر يوماً ، وأن الأمير برسباى المذكور يكون دخل حلب من ستة أيام(١) .

وأخبر مملوك الأمير برسباى أن المقر الأشرف الأتابكى .. .. ..

(٢) .. ..

.. ..

[١٢٠٦] خلق كثير وأخبر أيضاً جماعةُ المسافرين بالبحر المالح أن قطعة منه انحسر الماء عنها حتى ظهرت الأسماك التى فى قاع البحر وانخسف فى وسطه جانب كبير ، فالله تعالى يكفينا ويحفظنا بحفظ أوليائه وعباده الصالحين بجاه سيد الأولين والآخرين .

وفى يوم السبت المبارك حادى عشريه وهو السادس والعشرون من برمودة ضرب الشريف الأكفانى ـ الذى نسبوه أنه قتل زوجته ـ مقارع وعصياً ضرباً مبرحاً نحو خمسمائة مقرعة وعصى ، وتوجه فى الحديد إلى بيت الوالى ، وقد أجمع الخلق على بغضه والإنكار عليه والوقيعة فيه .

وتقدم فى أمسه وصول قاصد المقر الأشرف الكريم العالى الأتابكى أزبك من ططخ عز نصره وأخبر بصحته وسلامته وعافيته ، وأن الأمير الأجل برسباى المحمدى المعروف بقرا ـ حاجب الحجاب وأحد المقدمين الألوف ـ حضر إلى حلب فى رابع عشرى المحرم سنة تاريخه ، وأن المقر الأشرف الأتابكى اهتم بأمره واحتفل بملاقاته وكان له يوم عظيم وهو طيب بخير وسلامة ، وأن الأمير درويش الظاهرى جقمق أحد مقدمى الألوف خلع عليه المقر الأشرف الأتابكى المذكور فى أول

---

(١) أمامها بخط غير خط الناسخ « الحمد لله بسلامة الأمير برسباى قرا » .
(٢) الظاهر أن هنا خرماً فى أوراق المخطوطة فلبس ثم ترابط بين هذه العبارة وما يليها .

هذا الشهر نيابة حلب عوضاً عن المقر المرحوم أزدمر الأشرفى قايتباى بحكم القبض عليه من بايندر فى وقعة الرها فى سادس عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثمانى مائة كما هو مسطر فى الحوادث فى محله .

ووصل الخبر أيضا أن سيف [بن على] الهلوى أمير عرب [العشير] - الذى قتل نائب حماة وعصى وحصلت هذه الفتن بسببه - حضر إلى خارج مدينة حماة وخلع عليه واستقر على عادته ، وكذلك حضر على دولات أخو شاه بدق وشاه سوار إلى خارج حلب ، وخلع عليه الأمير الأجل جانبك حبيب الإينالى وأرسل ولده رهينة ، ولم يدخل كل منهما البلد خوفا من القبض عليهما .

ووصل فى هذا اليوم مماليك المقر المرحوم بردبك نائب طرابلس وبركه وموجوده وبقضّه وخازنداره ، فقيل إن المماليك نحو ثمانين نفرا فيهم أربعون كتابياً ، فلما رآهم السلطان نصره الله قال لهم : «سوّد الله وجوهكم !» ، ثم إنه أخذ الكتابية ففرقهم على الأطباق ، وأما الكبار فأمرهم أن يخدموا ببيوت الأمراء أو النواب (٢٠٦ ب) ووصل صحبته من النقد عشرة آلاف دينار خارجاً عن البرك والقماش والخيول والسلاح ، فأما القماش فمائة حمل ، وأما الخام فعشرون حملا ، وأما الخيول فمائة فرس ، وغير ذلك .

وفى يوم الأحد ثانى عشريه كان أول الخماسين الذى هو عيد النصارى ويوافقه سابع عشرى برموده القبطى ، ونزلت الشمس برج الثور يوم الاربعاء خامس عشريه قبل العصر بثمانى عشرة درجة .

وفى هذا اليوم أودع الشريف الأكفانى المنسوب لقتل زوجته المقشرة حسب المرسوم الشريف .

وفى يوم الخميس سادس عشريه وهو الثامن من بشنس القبطى لم يركب رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله لوعك اعتراه بجنبه، فالله يحفظ جنبه وجانبه ، وهرع المباشرون والأعيان للسلام عليه ، فركب

يوم السبت الذى هو الثامن والعشرون من شهر تاريخه إلى القلعة فى خير وعافية، ولله الحمد على ذلك .

وفى يوم الجمعة ـ الذى هو السابع والعشرون من شهر تاريخه والثامن من بشنس ـ لبس السلطان نصره الله القماش الأبيض المدلبسه للصيف قبل صلاة الجمعة ، وسبق العادة بخمسة أيام ، وما قارب الشىء يعطى حكمه .

* * *

غير ذلك :

أن القاضى شمس الدين قاضى القضاة الغزى فوض لجميع نوابه بعد تسعة أيام من ولايته على التدريج حتى عمر المناوى ، وتوقّف فى ولايتى واعتذر بأنه ما أذن له أن يولى إلا من مات عنه الأمشاطى وابن عيد وهم مولون ، و « عمر » هذا المذكور مات الأمشاطى وهو غير مولى فانتقض العذر ، فأجاب أنه قيد عليه أنه لايحكم فى شىء حتى يعرضه ولا يعقد عقداً حتى يعرضه ، والله المستعان .

غير ذلك :

أن رئيس الدنيا احتقن بسبب ألم جنبه وانقطع بمنزله من يوم السبت ثامن عشريه ، فالله أسأل أن يمتع المسلمين بوجوده وبعافيته .

ورسم السلطان نصره الله للأمير برسباى قرا المحمدى حاجب الحجاب ـ الذى ذكرنا قبل هذا خلاصه ووصوله إلى حلب وحضور القاصد للسلطان بذلك ـ من الجمال العادة بمائة جمل ، ومن الجمال المعدة للأحمال ستة قطر ، ومن الأكاديش بواحد وعشرين إكديشا ، ومن الخيول الخواص بأربعة أرؤس ، وبجامكية مماليكه أربعة شهور لكل نفر منهم يلبس بلبس كامل (١٢٠٧) ، وبخمسة دنانير ذهب لكل نفر برسم النفقة فى الطريق .

وحصل لمولانا السلطان نصره الله هوى فوعك منه بسبب أنه نزع

الفروة وصار بالجوخة فاستهوى وأفصد واحتمى وحمّ مِن أكل الزفر ، وكان فصده يوم السبت تاسع عشريه .

وأصبح يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأول ويوافقه من أيام الشهور القبطية خامس بشنس والسلطان ـ نصره الله وحفظه ـ طيب فى خير وعافية فلله الحمد والمنة على ذلك ، وحضر الخليفة أمير المؤمنين أبو العز عبد العزيز المتوكل على الله العباسى لتهنئة السلطان بالشهر على العادة وهو لابس الشاش والقماش المعد للخدمة ودعى له وانصرف ، ثم حضر قضاة القضاة الثلاثة خلا المالكى فإنه أرمد فانقطع بسبب ذلك ، فلم يخاطبهم السلطان ببنت شفة ودعوا وانصرفوا ؛ ولم يحضر هذا المجلس رئيس الدنيا ابن مزهر الأنصارى كاتب السر حفظه الله تعالى لوعكه وانقطاعه ، فحضر إليه قضاة القضاة فعادوه ودعوا له ، تقبَّل الله منهم .

وتوفى فى هذا اليوم جمال الدين يوسف أحد نواب الحاكم الحنفى المشهور بالسمرقندى وبابن الفراء وكان قد انقطع ستة أيام وقضى نحبه بعد أن أقبلت عليه الدنيا وصار فى خدمة الأمير قانصوه الدوادار الثانى الذى صار أمير آخور كبيرا وخلف ولداً صغيراً ، عفا الله عنه .

وفيه أنهى إلى مولانا السلطان ـ نصره الله ـ أن شخصاً باع جارية حبشية ليهودى فطلبه وطلب الشهود فصعدوا بين يديه : البائع والمشترى والجارية ، فقال نصره الله للبائع : « أنت بعت هذه الجارية لليهودى ؟ » قال « نعم » وقال لليهودى : « أنت اشتريت ؟ » فقال : « نعم » وقال للشهود : « أنتم أشهدتم عليهما ؟ » فقالوا : « نعم ، لأنها أقرّت أنها يهودية » فقال السلطان للبائع : « أنا أعرف أنك جلاب » وأمر الشهود والبائع بالتوجه إلى حال سبيلهم ، فلما انصرفوا طَلب وكيلُ السلطان العلاء ابنُ الصابونى اليهوديَّ الذى اشترى الجارية وقال له :

«اعمل مصلحة السلطان بألف دينار ولى مائتى دينار وإلا »، فبلّغ اليهودَ ذلك فداروا على أهل المملكة والأعيان مثل سيدنا القاضى بدر الدين أبى البقاء وأخيه سيدنا المقر الزينى بركات بن الجيعان وغيرهما ، فعرّفوا السلطان القضية مفصلة جزاهم الله خيراً ، (٢٠٧ ب) فأنكر ذلك وحلف على أنه لم يأمر به ، وسأل من الوكيل عن ذلك فما ساعه إلا الإنكار ، وأطلق اليهودى فى الحال ، ولله المرجع والمآل.

وفى يوم الخميس رابعه ويوافقه من أيام الشهور القبطية [الخامس[1] من بشنس] طلب السلطان البدرىّ حسن بن الطولونى الذى كان فى خدمة المقر المرحوم السيفى يشبك من مهدى أمير سلاح الدوادار الكبير وسافر فى خدمته إلى البلاد المشرقية وأسر وسلب وخلص ،وهو من أصحابنا ومخاديمنا وبيننا وبينه حضور فى عدة دروس للحنفية عند السادة المشايخ كالشيخ أمين الدين الأقصرائى رحمه الله،وكان لما حضر من الأسر وصعد للسلطان ألبسه سلاريا صوفاً مفريا بسنجاب من ملابسه، واستمر ملازماً ابيته ولدرس سيدنا العلامة شيخ الشيوخ الإمام البرهان الكركى - أسعده الله - ، فساعده عند السلطان نصره الله ، وسأل المقر السيفى تغرى بردى الأستادار خازندار المقر المرحوم يشبك من مهدى فيه مولانا السلطان أن يكون معلم المعلمين عوضاً عن السائل فيه ، فإنّ السلطان رسم للأمير تغرى بردى المذكور بالتكلم فى وظيفة المعلمية من حين وفاة المرحوم البدرى ابن الكويز ، وهو يعلم أن مخدومه المرحوم السيفى يشبك من مهدى كان غرضه ذلك وكان يظهره و يتكلم به فى مجلسه ؛ ولما بلغه موت ابن الكويز سأل البدرى فى الوظيفة فخلع عليه واستقر فى وظيفة معلمية المعلمين على عادته وعادة آبائه وأجداده وأسلافه ، والوظيفة شاغرة من وفاة البدرى ابن الكويز من خامس عشر شعبان سنة خمس وثمانين وثمانى مائة، غير أن الأمير تغرى بردى

---

(١) التاريخ القبطى غير وارد فى الأصل ،وقد أثبتناه بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية، ص ٤٤٣ .

الأستادار كان يتكلم فيها حسب المرسوم الشريف بلا لبس خلعة للوظيفة ، والبدرى حسن معزول من أول دولة الملك الأشرف قايتباى نصره الله وإلى هذا التاريخ وهو معزول، حتى ألهم الله السلطان فرضى عنه ، فسبحان المعطى والمانع. وقبل أن يخلع عليه أوصاه وقال له : « أنظر إلى هذه العمائر التى أنشأتها ولست بمحتاج إليك ، فلا تظلم أحداً وإنما أغا تغرى بردى الأستادار سأل فيك فقبلناك ، فشد وسطك وافتح عينك ،واحترص فى الحجر الذى تقطعه ، وكن على يقظة إذا أردنا إرسالك لمهم » .

كل ذلك والكتب [1] .. ..
.. ..
.. ..

---

(١) إلى هنا تنتهى هذه المخطوطة وباقيها ضائع .

كشاف بأسماء الأعلام*

(*) قام بعمل هذا الكشاف وما يليه السيد عبد العظيم حامد خطاب فله الشكر .

(ج)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ك)

كشاف بأسماء الأماكن والبقاع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٨٤٠ /٢٠٠٢

I . S . B . N 977 - 01 - 7746 - 6

INBĀ' AL-HAṢR BI ABNĀ' AL'AṢR

By

Alī B. Dāwūd al-Jawhari al-Sayrafī.

Edited & Annotated
BY
Hasan Habashi (Ph. D. Lond.)
Prof. of Islamic Studies
Faculty of Arts - Ain Shams University